رواية

جنوني بعينيكِ انتحار

تأليف

إيناس عادل مهنا

(المقدمة)

الحب والحرب...وجهان لعملةٍ واحدة، يشتعلان بأقل من دقيقة...لكن إخمادهما مُهلكٌ جداً، مُوجع. ، ستستشعر آلامهما معاً،و لا بد من وجودِ خسائر ، تدور بك الأيام كعجلةٍ كبيرة، يختفي المطر، يظهر ويتوقف وتظهر شمسك من جديد ساعةٌ وراء أخرى، يومٌ تلاه آخر ...عام وراء عام ،تظهرشمسك وجهها من بين سحب الألم المتلاحقة فترفع وجهك ناحية أشعتها باسماً فتظن أن الزمان قد ابتسم لك مجدداً فتستطيع استكمال حياتك من حيث تركتها آخر مرة...لكنك مخطئ، مخطئٌ جداً في توقعاتك ،.لن يغفر لك أحدٌ أخطائك السابقة، حتى لو أظهروا لك عكس ذلك, حتى لو عاد الجميع إلى طبيعتهم معك، عند أول خطأٍ بسيطٍ ترتكبه مجدداً سيثبت لك الجميع حينها أنهم لا ينسون سينبشون رفات الماضي بلا رحمة، ستتعرى مجدداً لتلطمك أخطائك السابقة ...لن ينسى أحدٌ الماضي، النسيان كذبةٌ كبيرة يدعيها البشر ليستكملوا الحياة بأقل الخسائر ، لكنهم لا ينسون..ضع ذلك في حسبانك

1

قاربت عقارب الساعة أن تستقر على الحادية عشرة قبل منتصف الليل، يجلس مراد خلف مكتبه الجلدي مسندًا قدميه على طاولة مكتبة الأسود مستمعاً إلى موسيقة صاخبة يدندن معها ويشرب من سيجاره العريض نافخا دخانه ليراقب ارتفاعه عاليا قبل أن يرتطم بوجه فتاته الشقراء التي تجلس أمامه على المكتب

واضعة ساقا فوق أخرى.
رن هاتفه فنظر بطرف عينه ليقرأ اسم المتصل ويبتسم بزاوية فمه ابتسامة صفراء ثم رفع إصبعه ناحية فمه قائلاً لها ببسمة شقية : هسسس" قبل أن يجيب على الهاتف
-ألو ...مراد
ازدادت ابتسامته الهادئة على ثغره قبل أن يجيب :
-اهلا بقلب مراد وكيان مراد ،. و روح مراد.
ضحكة خافتة أتته من خلال الهاتف في حين أنه أبعده عن أذنه لتنتهي أليسا من ضحكتها المستفزة له ببرائتها قبل أن تعاود الحديث معه من جديد .
- ألن أراك الليلة؟ .
تلكئ قليلا قبل أن ينظر إلى فتاته ثم إلى ساعته الفضية الفاخرة ويجيبها:
-حبي ...ألم تنظري إلى الوقت قبل أن تطلبي هذا الطلب؟..تأخر الوقت!
همهمت بتململ قبل أن تقول :
-وان يكون ...لا فارق عندي ألا تعلم بأني استطيع الخروج بأي وقت أشاء عائلتي لا تمانع بتاتا .
-ونعم العائلة !
قالها ناظراً لتلك الفتاة التي تمضغ اللبان بتململ لحين انتهائه من هاتفه وحطت نظراته على ساقيها اللتين تهتزان على جانب المكتب بملل انتظار ..
تجاهلت أليسا كلمته وأردفت:
-كما أنك خطيبي الذي أعشقه، فلديك امتيازات خاصة جداً سيدي .
-هممم...بصراحة أقنعني كلامك أيتها الجميلة تجهزي ريثما أصل لاصطحابك فلن انتظرك طويلاً كالعادة، خمس دقائق إن لم تنزلي بعدها سأغادر .
-بأمرك سيدي اللورد أنا اصلاً تجهزت مسبقا قبل أن أهاتفك .
ظهر الإمتعاض على وجه الفتاة فحركت شفاهها تبرطم بكلمات لولا أن وضع مراد كفه على فمها لإغلاقه.
- مهلاً ...هل هنالك أحد بجوارك مراد!! .

تسائلت إليسا بعد أن سمعت صوتاً مكتوماً فقال ضاحكاً :
-طبعاً حبي، أخونك حالياً مع فتاة شقراء جميلة جداً"
أطلقت اليسا ضحكة عاليا ظناً منها أنه يمزح ثم قالت ببرائة :
-إذن أبلغها تحياتي ، سلام.
ضحك بقوة مقفلاً الخط وقد عاود النظر إلى جميلته التي اكفهر وجهها فقفزت برشاقة على الأرض وكتفت ذراعيها بانزعاج:
-لكن مراد ألم تقل بأننا سنسهر سوياً الليلة !.
قرصها من وجنتها وهو ينهض من خلف مكتبه قائلاً : الأيام قادمة.

تحرك من أمامها حتى وقف مواجها المرآة بخيلاء صفف شعره الكستنائي المصفف سابقا بعناية فائقة ومسح يديه و وجهه الأسمر الذي سرق لون حبيبات رمال الصحراء بمنديل معقم ثم تمعن النظر في المرآة بعينين سوداوين حادتين يقطران ذكاءاً ودهاءا ليتأكد من أنه على أتم الإستعداد للخروج.
ارتدت الفتاة معطفها وقالت بتهكم :
- يا لغباء إليسا لو رأتك معي بوضع مخل لن تصدق بأنك تخونها !.
أخرج زجاجة عطره لكنه توقف عند كلمتها وتقدم منها بهدوء مضيقاً عينيه ثم أمسك شعرها بقوة من الخلف وسحبها ناحيته لتلفح أنفاسه الخانقة وجهها قائلا بحدة:
-نصيحة مني ألا تتجاوزي حدودك .
تأوهت الفتاة ألماً وأمسكت يده التي تقبض على شعرها وهزت رأسها بإيجاب متوترة .
فابتسم وتركها هامسا ًوهو يسرح لها شعرها الذي تبعثر بيده وقال بخفوت وهو يخرج من محفظته مبلغا من المال :
-فتاةٌ مطيعة، هيا الآن اخرجي وسأستدعيك لاحقًا.
غمز لها فهربت الفتاة من أمامه بسرعة بعد أن انتشلت النقود من بين يديه ..
تناول زجاجة عطره مجددًا وأغدق نفسه برائحتها ثم ابتسم برضا و خرج من

مقر شركة والده الذي لم يبقى فيه سوى حارس الأمن والسائق الذي غفى خلف مقوده عندما أطال سيده الخروج ككل يوم ولا يعلم حتى ما يبقيه داخل الشركة بعد ان ينصرف الموظفون بعدة ساعات !
خطواته واثقة تضرب الأرض ضرباً وكأنه الكيان المسيطر على كل شيء من حوله، استقل سيارته وجلس بهدوء ينتظر أن يستيقظ السائق من سباته المعتاد يسند رأسه على المقود كالنعامة التي تدفن رأسها في التراب !
-وهاهو ذلك الأحمق قد تعالى صوت شخيره "
قالها مراد و زفر بقوة ثم أخرج هاتفه النقال وبحث عن صوت صراخ امرأة عال قبل أن يثبت الجهاز بجانب اذن السائق ويضغط على زر التشغيل ليستيقظ السائق فزعاً وينهض من فوره ليرتطم رأسه بسقف السيارة ويرتد جالساً وقد تعالت ضربات قلبه بجنون.
تبسم مراد بتهكم ثم اقترب منه هامسًا :
في كل مرة أفعلها بك ولم تعتد أيها المختل ؟
تلعثم السائق بكلماته ممسكا بقلبه الذي سيتوقف بأية لحظة (سيدي ،.استاذ مراد اقسم ...أني)
-حسنا ً راغب لا تطل الكلام وتوجه نحو فيلا إليسا .
-أمرك ...أمرك سيدي أنا تحت أمرك .
- ولا تعيد الكلام مرتين بالله عليك.
-حاضر ...حاضر سيدي .
-رااااغب .
دوى صوته لينتفض السائق مرة أخرى وينصاع لطلبه

******

((4 اكتوبر 1989))

تحت سقف السماء الزرقاء المزدانة بسحب بيضاء تطفو بهدوء، ووسط مياه

المحيط طفل صغير لم يتجاوز عمره الخمس سنوات يستقل السفينة مع والدته لحضور حفلة خطوبة إحدى معارفها، ضحكاته الناعمة تجلجل سطحها المليء بالركاب لينظر الجميع إلى شقاوته ويبتسمون، كل من على متنها يبتسم بحب، إلا أحد المسافرين كان قد كشر عن أبشع ابتسامة كراهية قد يتخيلها عقل بشري ..

كان الليل قد فرض سيطرته على الأرجاء ليتربع القمر عرش السماء وليلقي بظلاله عرض البحر، الجميع يتسامر بانسجام وصوت الموسيقى يترنم على سطح السفينة، بطرفة عين انتشلت ابتسامات المسافرين ليستوطن محلها الفزع، صراخ وعويل اختلط بأصوات رصاص من مجموعة رجال ملثمين ظهروا فجأة على السطح دون سابق إنذار قاموا بإرهاب الحضور، خاف الصغير والتصق بأمه فجزعت على وليدها وركضت به نحو إحدى الطاولات وقالت بصوتٍ مرتجف
لا تخرج ولا تصدر أي صوت مهما حصل واعتني بأختك .
-أمي!
ارتعدت أوصال الصغير ذو الخمسة أعوام لكنه استمع لكلمات أمه التي سلمته شقيقته الرضيعة فتقوقع على نفسه محتضناً شقيقته وقلبه يخفق بشدة،
بكل حقد وكراهية بات الرجال يطلقون النار على من حولهم بشكلٍ جنوني وعشوائي
تعالت أصوات الرصاص الممتزجة بأصوات الصراخ قبل أن يهدئ كل شيء من حوله فجأة ولم يبقى على مسامعه سوى تخابط أمواج البحر المضطربة المتلاطمة على جدران السفينة .
شعر بسائلٍ دافئ ولزج الملمس تحت جسده الصغير رفع بصره قليلاً ليرى سائلاً أحمر اللون وتمتم بارتباك: دم!
رفع كفه الصغيرة ليراها مصطبغة باللون الأحمر وصار يبكي بجزع ينادي أمه التي لم يعد لها وجود ماما ،.ماما تعالي، أنا خائف"

لكن أمه لم تأتيه، زحف بهدوء من أسفل المنضدة وما زال متمسكاً بشقيقته الصغيرة الباكية
أطل برأسه يدقق النظر، كل شيء بات مخيفا بهدوئه المفاجئ، إلا من أنين خافت مختلط بأمواج البحر
تشجع الصغير وخرج ليرى أن مصدر الدم هو رجل ملقى على الأرض بالقرب منه، وكان برأسه فجوه كبيرة جدًا ..
أشاح وجهه عنه و جال ببصره بالأرجاء، من كان يضحك قبل قليل .. من كال يأكل ...من يشرب ومن يتسلى برفقة عائلته باتوا نياماً الآن حتى تلك العروس الجميلة ذات الثوب الوردي الناعم ...قد استسلمت للنوم الأبدي مع خطيبها ،
تساءل الطفل، هل حل المساء لينام الجميع ؟
عقله الصغير لم يستوعب بعد ما الذي جرى
رفع رماديتيه إلى السماء السوداء التي تتخللها سحبٌ رمادية تحاول اخفاء القمر قائلاً ببراءة : هل حان وقت النوم !
تشجع الصغير وخطى بين الجثث يتحاشى ساق ذاك ورأس هذا، يدوس دماءاً غزت سطح السفينة وأغرقتها، ينادي أمه ،لكنها لم تجيب ، هل نامت مع النائمين كذلك ؟!
خطوة تلتها أخرى وأخرى سمع أنينا مكتوماً لكن لم يعرف مصدره ...بات وحيدا الآن والصغيرة قد اشتد بكائها أكثر وأكثر وصار يبكي معها بفزع وهو يبحث عن والدته ويدور بجسده من حوله حتى تمسكت به يد كبيرة،
نظر إلى الأسفل ليرى وجها مألوفا متخضبا بدمائه
- آدم " صوت أنثوي متحشرج متألمٍ ناداه بخفوت
ركع الصغير بجانب هذا الجسد بخوف وهمس:
((ماما !، تريدين أن تنامي أنت أيضا ؟))
احتضنت وجه ابنها بيديها الملطختين بالدماء ثم أومأت له بإنهاك .
-أحبك ،.اعتني ،.بنفسك وبأختك ،..صغيري.

كلمات متقاطعة الأحرف لاهثة الأنفاس نطقتها الأم قبل أن تشخص عيناها إلى السماء وتسقط يدها على الأرض معلنة انتهاء دورها بحياته. لكن آدم صار يبكي وهو يهزها بعنف:
-ماما لا تنامي الآن ، لا تتركيني وحدي ...ماما!!
لكن والدته لم تصحو ولن تلبي ندائه بعد الآن
وكما انتشلت روح الأم بغتة ، انتشل الصغير الباكي من فوق والدته يدان كبيرتان حملتاه، كان آدم محكماً احتضان شقيقته الصغيرة، قال أحد الملثمين الأتراك الذين خرجوا من الطابق السفلي للسفينة بلهجةٍ عربيةٍ ثقيلة:
- هناك طفلان، هل نقتلهما كذلك؟
ليأخذه أحد الملثمين العرب منه قائلاً بحدة : بما أنهما الناجيان الوحيدان سنأخذهما معنا لنرى رأي السيد الكبير.

وهناك وسط المحيط كان اليخت يضم مجموعة رجال مسلحين يهربون مبتعدين، اختفوا عن الأنظار كما ظهروا بعد أن سلبوا الحضور أرواحهم وشقيقان ناجيان معهم .
***

2
الوقت الحاضر ،

فتح عيناه الرماديتان متململاً فوق فراشه ذو اللون الكريمي لكن آثار سهاد الليلة الماضية لم تفارقه، نظر إلى يمينه ناحية الساعة المتوضعة المنضدة الملتصقة بسريره ، كانت لا تتعدى الثامنة صباحاً ، اعتدل بمجلسه وتناول كأس ماء مرتشفًا منه القليل ثم أعاده ونهض بتثاقل يجر قدميه جراً نحو الحمام .

ملئ حوض الاستحمام بالماء الساخن ثم خلع ملابسه و خطى داخله وانزلق لتغمر مياه الحوض وجهه وأغمض عيناه ...احتضن بكفه تلك السلسلة الفضية المعلقة على رقبته وكأنه يستمد منها القوة والصلابة .. رفع رأسه عن مياه الحوض بعد مدة اختلطت فيه أحلامه بواقعه على صوتٍ يناديه

-آدم، بني هل أنت بالداخل ؟

طرقات عبير على الباب جعلته ينهض بصعوبة ليغطي جسده بالمنشفة ثم بفتح لها الباب، فتساءلت بلهفة بعدما التمست انقباض حاجبيه:

-ما الأمر ...هل أنت بخير بني ؟

عاجلته بمقولتها تلك وهي تتفحصه بعينيها بقلق فأجابها : لا تقلقي، صداع خفيف كالعادة، لكن ما الذي جاء بك منذ الصباح ؟

-ألا يحق لي زيارة ابني الحبيب .

قالتها بعتاب ليمسك كف عبير ويقبلها قائلاً :

-تشرفين بأي وقت تشائين خالتي .

ربتت على ظهره ثم طلبت منه النزول لتناول طعام الفطور الذي جهزته في الطابق السفلي، قبل هروبه الى الجامعة كعادته قبل المرور إليهم فأومئ لها موافقاً، أغلق الباب بعد خروجها وجفف نفسه جيدًا قبل أن يرتدي قميصاً مشابهاً للون عينيه الرمادي المائل للزرقة مع بنطالٍ من الجينز، جلس على السرير ممسكاً هاتفه المحمول بعد أن وصلته رسالةٌ من صديقته بيسان :
(لا تنسى مشروع أستاذ مهند مجددًا وإلا صرت ذبيحة عيد الأضحى)
باغتته ابتسامة تسللت على شفتيه قبل أن يفتح الباب على مصراعيه وتدلف كتلة الإعصار المتحركة ..(عسل) ذات الثمانية أعوام وهي تصيح به:
-هيا آدم بسرعة ألم تعدني أن تصطحبني اليوم إلى الملاهي .هيا
-ملاهي بهذا الوقت اقضيت الليل تحلمين بالملاهي!
تقدمت نحوه تشده من ذراعه فضحك مستسلماً لمطلبها مجبرًا على تنفيذه وانتشلها من على الأرض بغتةً وصار يدور بها بقوة وسط ضحكاتها المجلجلة حتى ارتميا على السرير وقد تعالت قهقهاتها ..
-ها قد أخذتك بجولةٍ سريعة " قالها و نهض يلهث لتزعق الصغيرة استنكارًا وهي تنهض وتلحق به .
-آدم!
-يووووه... أمزح أقسم لك أني أمزح مساءاً سأصحبك كما وعدتك فلا ملاهي تفتح من الصباح الباكر، هيا اخرجي الآن سأجري اتصالاً سريعا وسألحق بك .

-مع حبيبتك المبهرجة أليس كذلك !
توسعت حدقتاه وضربها بخفة قائلاً :
-لا أحب غيرك .
قهقهت وهي تخطو خارجًا بسعادة، تناول مخططات مشروعه الهندسي و هاتفه

مجددا ً ليجري اتصالاً مع صديقته بيسان بالكلية وهو يهبط درجات السلم وقبل أن يدلف داخل المنزل، فتح الباب بغتة واندفعت منه نور ذات السبعة عشر ربيعاً لترتطم بصدره بعنف، سقط الهاتف من يده وتبعثرت اوراق مشروعه على الأرض فتلون وجهها بألوان الطيف السبعة وهي تبتعد عنه معتذرة وتهم بالتقاط الأوراق و بقايا الهاتف الذي تحطم وهي تعض على شفاهها بحرج في حين كشر وهو يتمتم :
- أصبحنا وأصبح الملك لله ،
-آسفة آدم لم...أرك "قالتها بتلعثم وهي ترى انقباض حاجبيه بغضب حتى كادا يلامسان بعضهما،
-أتعلمين كم هاتفا غيرت بسببك يا متهورة، كم مرة على إخبارك بأن تنتبهي لتصرفاتك لم تعودي صغيرة !!
اعتصرت حقيبتها الممتلئة بخجل جلي فأردف بذات القسوة :
- وإلى أين تتجهين بسم الله منذ الصباح الباكر ؟ اليوم عطلة في مدرستك !
رفعت عيناها العسليتان وقد استبد بها الحماس مجدداً :
- سأذهب في رحلة مع أولاد أعمامي

- لا والله ! قالها بتهكم مكتفاً يداه على صدره ليستحثها على الحديث كعادته فأردفت بذات الحماس :
-سيذهب الجميع رحلة اليوم إلى شاليه البحر وسأشاركهم .
اغتال ابتسامتها المتحمسة غضبه وهو يدفعها الى الداخل صائحاً :
-ومن أذن لك إن شاء الله لتذهبي مع هؤلاء الحمقى !
خرجت عبير من المطبخ بعد ارتفاع صوته لتجيب نور بغضب وهي تضع بقايا الهاتف والأوراق على المنضدة: أخي سمح لي، لا تتدخل أنت "
كظم غيظه وقال بحدة : وأنا قلت لن تذهبي معهم .
تقدمت عبير تربت على كتفه متسائلة : آدم ! ما المانع من ذهابها برفقتهم إنهم أولاد وبنات عمومتها كما أننا سنتبعهم اليوم مساءً بعد توضيب باقي الأغراض

اتفقنا البارحة ..ألم تخبرك نور؟!.
بان الانزعاج على وجهه وأجاب:
- لا "
حدقت نور بوالدتها وهمهمت :نسيت .
ضبطت زوايا تصوير بأصابعها وهي تحدق فيه بمشاكسة وكأنها تضعه ضمن كادر مناسب ثم أخرجت هاتفها المحمول والتقطت له عدة صورة بعبثية: ابتسم يا سنفور غضبان ..
- نور ...كفي عن السخافة !
صرخ فيها بانزعاج ففتحت الفيديو وعكست الكاميرا ليلتقطهما معها ثم قالت بمرح:
أصبح الله أوقاتكم بكل خير اقتحم المدعو(آ. د)منزل عائلة المنصور بمداهمة صباحية للمدعوة (ن .م) وقام بشتمها علانية لمنعها عن الذهاب برحلة قبيل الامتحان لكنها تمسكت بحقها بالذهاب بضراوة، ابقوا معنا لمتابعة باقي التفاصيل، معكم مراسلة أخبار الدار نور المنصوورر)
اندفع آدم وانتشل الهاتف منها بغيظ ليوقف التصوير وقد تعالت ضحكات عبير اليائسة من مشاجراتهما الطفولية التي لا تنتهي .
كتفت عسل يديها أنام صدرها تنتظر بنفاذ صبر ثم قالت بسخط تحادث نور :
إن انتهيت من هذا التهريج تعالي واحملي حقيبتي.
تعالى بوق سيارةٍ رياضيةٍ أمام الفيلا فالتفتت نور تجاه آدم بانتصار وسحبت هاتفها من يده وخاطبت والدتها متجاهلة كتلة النار المتأججة أمامها : سأذهب الآن كيلا أتأخر ها قد وصلَ كريم لاصطحابي، سلام "
تناولت كف عسل وحملت الحقيبة
واندفعت راكضة مع شقيقتها من أمامهما كيلا تغير والدتها رأيها بسبب كلمات آدم كما العادة بينما هو راقب هروبهما جازاً عل أسنانه بغيظ، رفع عينيه مخاطباً عبير بعتاب كبير
-خالتي ! كيف تستأمنون ذهابها معهم دون مراد على الأقل ؟

ربتت عبير على كتفيه وشبح ابتسامة ارتسم على محياها :

- وأنت بمثابة أخوها أليس كذلك !، اذهب ورافقها من الآن
شغل نفسه بتركيب قطع هاتفه وقال ساخطاً:
-مع الأسف_أخوها _ لديه تقديم مشروعٌ مهمٌ اليوم وإلا سأُحرمُ من التخرج "
أنهى كلماته ونهض فورًا من مكانه حاملاً أغراضه ليغادر الشقة فتساءلت بلهفة : والفطور !
-لست جائعاً، ابنتك المصون سدت نفسي.
هبط درجات السلم وخرج من باب الفيلا المكونة من طابقين منفصلين مستقلاً دراجته النارية بغيظٍ من نور، يتمتم ويتوعد مراد الأحمق بل وكريم أيضاً.
وبالكاد وصل قبل موعد المحاضرة الدكتور الممل مهند، بكرشه المتدلي، بتفتفاته التي تغرق الطلاب في كل محاضرة، بعرقه الذي يبلل إبطيه وجبهته وهو يلقي المحاضرة و لا يفتأ يمسحهم بمنديله الذي من أعتاب القرون الوسطى !!، جلس آدم بنفاذ صبر وفكره معلق بتلك المجنونة وبرحلتها المفاجئة وبعقله يؤلف مئة سيناريو عما تفعله الآن برفقتهم ! بل والمصيبة أن كريم هناك! ،. كريم ظل يردد اسمه وهو يعض على شفاهه بحنق.
لامس بأصابعه الخاتم الفضي الذي أهدته إياه نور منذ عامين وابتسم غارقًا بتفكيره، سابحاً بعيداً جداً، لأيام طفولته مع عائلة خالته بعد وفاة والدته .
عادت ذاكرته لأيام طفولته بينهم ، لمراقبته تلك الصغيرة نور وهي تكبر يوماً بعد يوم أمام عينيه، تلك المجنونة، عديمة المسؤولية، الهوجاء ، الطائشة، المتخلفة عقليا حتى !

من وجهة نظره جميع مساوئ العالم أجمع تجتمع فيها ومع ذلك هي تجذبه بجنون، تعجبه بشدة، تذيبه بلون عينيها الذي استرقت لون العسل المصفى، بحدقتيها الواسعتين ورموشها الكثيفة ، فاختار منذ سنوات الانتقال إلى الطابق العلوي هرباً من أنوثتها التي بدأت تتشكل يوماً بعد آخر ، كان يحميها من

نظراته التي لا يستطيع السيطرة عليها،
يحميها من ملاحقته لها أينما ذهبت، يحميها من نفسه ومن وسوساته التي لا تنتهي بشأنها، من تدخله بكل صغيرة وكبيرة فيها متجاهلاً والدها وأخيها مراد وقراراتهم بما يخصها ،رغم أنه الآن لا يتجاوز الخامسة والعشرون من العمر وكانا ببساطة يستمعان إليه في كثير من الأحيان بما يعتقد أنه الصواب .
ويشعر بالخيانة الفعلية إن تجرأ أحدٌ على تقرير شيء يخص نور مهما كان صغيراً
انتفض على خبطةٍ عنيفةٍ على مقعده ليرتطم بفزع بوجه الدكتور مهند المتصبب عرقاً
- بسم الله "
-هل رأيت شبحاً أستاذ آدم !
- آسف، شردت قليلا"
جز الاستاذ على أسنانه بغيظ وأردف: هل أنهيت مشروعك ؟
مسح آدم وجهه إثر تفتفات مهند ونهض قائلاً بتململ :
- إنه معي دكتور ، تفضل "
ومد بالمشروع تجاه مهند الذي اختطفه من بين يديه مكملاً محاضرته المملة كحاله !
- سنرى ما آل إليه بعد هذا الوقت "
و بعد عدة ساعات اتصل مراد بآدم وما إن أجابه قال مراد بابتسامة واسعة:
- أهلا بالأمير ، كيف حالك اليوم لم أرك صباحا ً!
رجع آدم بظهره مستنداً على الكرسي بحديقة الكلية قائلاً بحنق :
-احمد الله لعدم تقابلنا هذا الصباح وإلا كنت بعداد الموتى .
قهقه مراد وقد فهم مقصده وأجاب :
-إن أنهيت محاضراتك تعال إلى الشركة لننطلق من هنا مباشرةً "
- سأنطلقُ من هنا بدراجتي"
- لا.. التوصيات جاءتني من خالتك شخصياً (اصطحبه معك فالمسافةُ طويلة)

ولا تريدُ مني حتماً أن أخالف تعليمات والدتي وإلا نمتُ بغرفةِ الجرذانِ اليوم !!
تعالت ضحكات آدم مجيباً : ليتها فعلتها معكَ ذات يوم فأنت تستحقها بجدارة .
**

(3)

كان الجميع يمرحون على شاطئ البحر أما نور فاكتفت بالجلوس على الرمال تراقبهم من بعيد..
والشبان يقومون بالسباحةِ بمكانٍ بعيدٍ عن الفتيات كيلا يشعرن بالإحراج، خرج ابن عمها كريم من الماء ليضع المنشفة على كتفيه وارتمى بعدها على البساط..
نادتها رهف شقيقة كريم من بعيد:
-هيا كفاك سخافة يا نور وانزلي إلى الماء" فأجابت برفض :
- لا أريد و لا أعرف السباحة فعلاً أغرق بشبرٍ من الماء وتعرفين ذلك"
فتقدمت منها لتقوم بسحبها : سأعلمك أيتها الجبانة..الموضوع سهل
تبسمت نور قائلة باندفاع : بل ستغرقينني لأني لم أعطيكِ فستاني الأسود ذلك اليوم أعرفك حقودة"
قهقهت رهف وهي تسحبها من يدها : لا تخافي هنالك مئة شاهد لن أفعلها على الأقل هذا اليوم"
سمعهما كريم ليقول ساخطاً وهو يعتدل بجلسته:
- كفاكما ثرثرةً فوق رأسي بحق الله" تطلعت فيه نور بكبرياءٍ وضيقت حاجبيها ومشت من أمامه ترافق رهف بعدما قررت أن تلهو قليلا على الشط

بينما هو كان بعالم آخر تماماً، تبسم وارتمى على البساط مجدداً مغمضاً عينيه وبالكاد يسيطر على ضربات ذلك الأحمق الذي يبدأ بالتناطح كلما رآها أو تحدث معها...

كان كريم قد شارف على أعتاب الثلاثين، شابٌ طويل، عريض المنكبين رياضيٌ بامتياز، عيناه كلون البندق واسعتان تقدحان فطنة و ذكاء لكنه غبيٌ بامتياز أمام نور ! غبيٌ لدرجةٍ لا يستطيع إزاحة نظراته عنها وحتى لو تنبه الجميع على نظراته فلا يهتم ! تخرج من كلية الآداب وبعدها افتتح متجراً لبيع الألبسة والفساتين النسائية، كان يجيد الغناء لذلك كان محط أنظار الجميع، والجميع يحتاجونه دائماً لأمر ما كريم يعرف كل شيء وبارعٌ بكل شيء وسخي بكل شيء كاسمه تماما.
هذا ما يتذرع به الجميع حينما ينادونه للمساعدة ويلبي هو النداء تارةً وتارةً أخرى يصيح بغضب : -اعتقوا كريم لوجه الله، لم استلم توكيل أعمال العائلة بأكملها!!
ألبسته دائماً بناطيل جينز أو رياضية مع ما يناسبها لجزئه العلوي...لكن إن اجتمعت البشرية بأكملها لإقناعه بأن يرتدي زياً رسميًا لن يستسلم لهم، بل ومستعدٌ لارتكاب مجزرة إن غصبوه على ذلك !
وهو الصديق الصدوق لمراد، مخبئ أسراره أو فضائحه ! حسناً ،.لأكن واضحة مراد كان مفضوحٌ بحبه للنساء لدى جميع أفراد العائلة وحتى لجميع معارفهم، وصولاته وجولاته سيخلدها التاريخ البشري دون شك ! ولربما سجلوا على قبره عاشقٌ للنساء حتى النخاع ! حسناً دعونا منه الآن ولننتقل إلى النور التي كانت تركض مع رهف على الشاطئ وتتراشقان المياه لكنها ما ما ان لامست قدماها الماء متقدمة اكثر حتى صرخ بها بصوتٍ جهوري :

-توقفي يا متخلفة!!!
استدارت إليه بتلقائية ليقترب منها متسائلاً : ستنزلين إلى البحر هكذا؟ تطلعت

فيه بعدم فهم ليردف بهمس وهو يقترب منها كيلا يسمعه أحدهم:
- كنزةٌ بيضاء فضفاضة وبحر لا يجتمعان يا ابنتي، ستفضحين عائلة المنصور حتى الجيل العاشر !
شعرت بكهرباءٍ تلسع جسدها كونها لم تنتبه لذلك ولا رهف ليردف بنبرة آمرة وهو يفرك صدغه بإصبعيه : غيري ملابسك بحق الله أم لم تحضري معك ما يلائم البحر؟ !
هزت رأسها بنفي وقالت بلعثمة : لا.. لا يهم ..اصلاً لم أكن لأنزل"
ومشت من أمامه لتتسع ابتسامته وهو يراقب ابتعادها عنه تكاد تتعثر بخطواتها.. عاد أدراجه ليرتمي على البساط بينما اندفعت رهف ناحية نور التي شحب وجهها وسألتها بقلق:
-بماذا كلمك حتى شحب وجهك بهذا الشكل؟ اخي وأعرفه حين يتساخف.
هزت نور رأسها و أجابت : اخبرني أن كنزتي بيضاء ..
ضحكت رهف لمدة قبل أن تحرك يديها بعدم فهم : يعني!!!
لكن نور لم تجبها توقفت رهف قليلا لتفهم هذا اللغز قبل ان تتسع حدقتاها وتلجم باقي ابتسامتها وهي تضرب كفا بكف ! .
قاربت الشمس على المغيب فجلس الجميع على التراس ينتظرون كبار العائلة للانضمام إليهم بينما جلس كريم على الحافة الحجرية.يراقب أمواج البحر وهي تتلاعب بالرمال ..بدا شاردا وكأنه انفصل عنهم ليغوص بعالم آخر، عالم لا يجمعه إلا ب نور فقط .
..هتف به ابن عمه وهو يلطمه على كتفه ليختلعه عن أحلام اليقظة : اشدوا يا بلبل العائلة نشعر بالملل "
أيده الجميع فنظر له كريم نظرة امتناع وهز حاجبيه رافضاً لتعقب رهف : هيا كريم اغنية فقط "
أدار وجهه إليهم حيث يجلسون مجتمعين وحدق بعيني نور التي تبسمت بتشجيع وكأنه ينتظر إشارةً منها ليبدأ بالغناء، حط بنظراته على شعرها المضفور كضفيرة جانبية طويلة منسدلة تلامس عنقها العاجي وصولاً لما بعد

خاصرتها بقليل..فستانها الصيفي المزهر الطويل...وتخيل تاجا من الزهور البيضاء يزين رأس لوحته البديعة فابتسم لا إراديا .
أطلق صوته الشجي ليشق سكون الطبيعة لا يشاركه سوى صوت أمواج البحر التي انعكست عليها أشعة الغروب.
وغنى وكأنه لا يغني لسواها أما هي وكعادتها المحمومة لتصوير أي شيء أخرجت هاتفها النقال وقامت بتسجيل فيديو له وهو يغني ..خلفه البحر يقوم بألحانه الخاصة ..والشمس في مغيب..كنزته البيضاء تلتصق على عضلات صدر جسده الرياضي المنحوت، حدقت بانبهار به بهذا الكمال الذي تجسد بعدسة الكاميرا لحن البحر وصوته الندي الذي يحمل بحة مميزة .
زيديني عشقاً زيديني .. يا أحلى نوبات جنوني
زيديني غرقاً يا سيدتي .. إن البحر يناديني
زيديني موتاً علَّ الموت إذا يقتلني يحيني
استمع بعض اللذين يلهون على الشط لصوته فاقتربوا رويداً رويداً حتى كبرت دائرة المنصتين لأغنيته وهو يكمل بعد أن اندمج باللحن ،
يا أحلى امرأة بين نساء الكون أحبيني
يا من أحببتك حتى أحترق الحب أحبيني
إن كنتِ تريدين السكنى أسكنتك في ضوء عيوني
حبكِ خارطتي ما عادت خارطة العالم تعنيني
نهضت نور ودارت حول الكراسي وعدسة كاميراها ما تزال مرتكزة عليه وصورته من زاوية أفضل، لم تمنعه الكاميرا ولم تمنعه نظرات من حوله أن يشيح بنظراته عنها ..
كان لا يغني فقط..كان يغنيها..ويعرف أنه يمشي وراء سراب..هذا الإحساس المقيت الذي ما إن يتناساه حتى يهجم بشراسة ليهمس بإذنه، نور ليست لك ...ليست لك، إنها أكبر من حدود أحلامك...
يا رمل البحر وروح الروح .. ويا غابات الزيتونِ
يا طعم الثلج وطعم النار .. ونكهة شكي ويقيني

أشعر بالخوف من المجهول فآويني
أشعر بالخوف من الظلماء فضميني
أشعر بالبرد فغطيني وظلي قربي غني لي
فأنا من بدأ التكوين .. أبحث عن وطن لجبيني
عن حب امرأة يأخذني .. لحدود الشمس ويرميني
نوارة عمري مروحتي .. قنديلي فوح بساتيني
مدي لي جسراً من رائحة الليمون
وضعيني مشطاً عاجياً في عتمة شعركِ وأنسيني
من أجلك أعتقت نسائي .. وتركت التاريخ ورائي
وشطبت شهادة ميلادي .. وقطعت جميع شرايني...
توقف كريم وتعالى التصفيق من الجميع ومن خلفه خاصة حيث التف بارتباك ليرى تجمهر الناس القليل فأغمض عينيه بإحراج وهو يسمع عبارات المديح ...أوقفت نور التصوير ودخلت إلى داخل الشاليه ...ارتدت على الأريكة لتعيد تشغيل الفيديو لتستمع إليه ،
شردت فيه ببسمة أظهرت صف أسنانها الناعمة البيضاء لتغور غمازتيها ولم تنتبه له وهو يخطو بهدوء ناحيتها بعدما تشاغل الجميع عنهما...جلس على زاوية الأريكة مقابلاً لها بأربحية وأسند رأسه على كفه سارحا فيها..يستمع لصوته ويرى انفعالاتها التي تسلب قلبه ،
تعالى التصفيق بآخر الفيديو لتتسع ابتسامتها أكثر وأكثر متزامنة مع ابتسامة كريم تراقصت حدقتاه بانبهار ولم يستطع مقاومة أن يخرج هاتفه ...وقام بالتقاط صورة لها .
فزعت نور من صوت التقاط الصورة والتفتت لتفاجئ بكريم الذي فاجئها بصورة ثانية وثالثة عندما صار وجهها مقابل للكاميرا...
- كريم!! منذ متى وأنت هنا؟
قال ببساطة وهو يلتقط المزيد من الصور: يا أحلى امرأة بين نساء الكون...أحبيني..

يا من أحببتك حتى أحترق الحب أحبيني
من عند هذا المقطع دخلت .
-حسنا كف عن التصوير ...لا أحب الصور المفاجئة أظهر فيها كالمومياء!
نهضت واقتربت منه ليريها الصور فحدقت فيه بانزعاج: أرأيت أبدو كقطة بائسة مبتلة ! احذفهم.
ضحك كريم وأبعد الهاتف عنها كيلا تطاله وهز رأسه نافياً: بل جميلة جداً تعالي لنلتقط صورة على ذوقك إذن..
اقتربت منه مع ترك مسافة صغيرة بينهما ورفعت الهاتف لتصور لكنها ضحكت: أنت ضخم جداً يا ابن العم قطعت نصف رأسك في كادر التصوير وإن أظهرتك اختفيت أنا ! .
ابتسم بصفاء ورفع هاتفه وصدره مضطرب بسبب قربها منه ..والتقط أجمل صور لهما معا..ستتخلد بقلبه قبل عينيه..أول صورة تجمعه فيها...لوحدهما، قلبت فيها لتقول نور بذهول: إنها جميلة جداً،
أجابها بشرود:
-كلمة جميلة لن توفيها حقها..
هات ..لأرى كاميرا هاتفك رائعة : أخذت الهاتف من بين أصابعه وصارت تقلب بالصور حتى تجاوزت الصور التي التقطها اليوم لأخرى وأخرى بسرعة وجميعها لها فقط!
توتر كريم وسحب الهاتف من بين يديها ...فنظرت إليه باستغراب ..
ولم تكد تمر لحظات حتى رفعت رهف وجهها وهي تدخل: آها..كنت أرى التقاط صور هنا .
حركت نور كفها : هيا نادي الجميع وتعالوا هذه الزاوية جميلة جداً، تظهر البحر من خلف الزجاج .
استجابت رهف وهتفت بصوت عال تنادي الجميع فتقدموا وانحشروا بجانب بعضهم مما أدى لدفع نور ناحية كريم أكثر ...قبض على كتفها تلقائياً وسرح فيها...بهذا القرب المهلك وبالكاد استجمع شجاعته لمقاومة سحرها وتمنى أن

تطول هذه الصورة إلى ما لانهاية وتجمعهما معا إلى الأبد ..شعرت بقبضة كفه التي تمسك كتفها..لا تمسك بل تقبض عليها بطريقة زادت شكوكها
ناحيته ..نظراته، نظراته التي لم تكن تملك لها إجابات، بنات العائلة اجتمعن أن نظرات كريم خلابة، رائعة ..
لكن نظراته التي يختصها بها مختلفة ...مختلفة عن تعاطيه مع غيرها أدارت وجهها ففوجئت به شارد فيها بتلك النظرات ..انفض الجمع حولهما بعد التقاط الصورة وما زال قابضا على كتفها هائما بعينيها..صامت لكن عيناه تبوحان باعترافات خطيرة لم تحسب لها حسابا..
قالت بهدوء وهي تجاهد كي لا تنفجر بوجهه:
-ما الذي تفعله صوري بهاتفك؟ بل ومتى التقطها !
ضحك بارتباك مازحاً: لست وحدك من تحبين التوثيق .
أجابت بتشكيك: -لكن...لكنني لا أصور خلسة ! ازداد ارتباكه وظل صامتاً فخطفت الهاتف من يده بسرعة، حاول استرجاعه لكنها هتفت فيه بأن يصمت وصارت تقلب بالصور، الهاتف مليء بصورها ...صورها في كل مرة يجتمعان ..
-كيف لم انتبه .كيف ! هذه...هذه وقاحة
أنت تتعدى على خصوصياتي ! تمتمت وقد تجمع الدمع في مقلتيها وقد صعقت من تصرفه ..ضربت الهاتف على صدره بعنف وهرعت تصعد درجات السلم بعصبية لأخذ اغراضها وعسل كي تغادرا مسح وجهه بكفه وانطلق
خلفها ..اندفعت الى الغرفة فاقتحمها من خلفها..فهدر صوتها:
-ماهذه الوقاحة ...لا ...لا أصدق! اخرج .
دفع الباب لينغلق على كليهما محاولا تهدئتها.
- اخفضي صوتك...ليس كما تفكرين والله والله أنا لم أقصد ..لا أقصد بك السوء يا مجنونة اهدئي.
- كريم افتح الباب واخرج لا ينقصنا فضائح ...اخرج .. لا أريد سماع شيء.
أرجع بظهره على الباب مستنداً عليه: لن أخرج قبل أن تسمعيني، أنا...لم أفكر

بك يوماً بسوء...تعرفينني جيداً..تعرفين من هو كريم، ما أريد إفهامك إياه أنني ..
-نور نور أنت هنا؟
صدر صوت إحدى بنات عمها من الرواق فشهقت برعب.. سحبها كريم بسرعة ودفعها ناحية الخزانة وأغلق الباب عليها في اللحظة التي فتحت ابنة عمه الباب فقابلها بابتسامة مرتبكة..
-أنت هنا!
نظرت له بتشكيك فسارع بالقول: كنت أحضر شيئاً يخصني من حقيبة رهف...أتريدين شيئاً ؟
-هل رأيت نور؟ تبحث الفتيات عنها..
-لا...لعلها خرجت ناحية البحر ..
بالمناسبة ،كان غنائك رائعاً اليوم...ككل مرة .
ابتسمت له وغادرت فتنهد وهو يمسك رأسه...
تأكد من هبوطها السلم ففتح باب الخزانة ليرى نور تجلس القرفصاء منكمشة على نفسها بداخل الخزانة ونظرات الرعب تطل من عينيها ..
لم يمنع نفسه من الضحك فنهضت بشراسة ودفعته من صدره بعنف لكنه لم يتزحزح:
- كله بسببك ...كنت فضحت ...كانت التصقت بي فضيحة بالعائلة أيها المتخلف الهمجي المجنون الغبي...الأرعن
قبض على رسغيها وشدد على حروفه: لو كانت غيرك من نطقت هذه الكلمات لمسحت بشعرها بلاط الأرض أما معك فالموضوع مختلف
حاولت سحب يديها من قبضته وقالت بعنف: -لن تخيفني عضلاتك المنفوخة .
كتم بسمته وقال مشدداً على حروفه:
- لن أستخدمها لساني يكفي لرد كرامتي.
كادت أن تجيبه مجدداً لكنه طبق على شفاهها بكفه : أحبك...قولي غبيي...قولي ما تريدين لكني أحبك لا شيء غير ذلك أضيفه..أحبك أأعيدها لتسمعيها جيداً..

؟
وأفلتها مغادرا وسط ذهولها .
**
مهما حاولت الابتعاد عن ماضيك، يلاحقك أينما توجهت، هو جزء منك، من تكوين شخصيتك وبنائها .
لطالما كان أفراد عائلة عبير يحبون آدم ، يعاملونه كابنهم تماماً، كان جزءاً من العائلة ولكن بذات الوقت، يشعر باختلافه عن الجميع
يشعر دائما وكأنه ينتمي لمكانٍ آخر ، لعالم مستقل عما يعيشه بينهم ، لا ينسى أفضال السيد رضوان - زوج خالته - كان يحتضنه بمحبة والد ولا يفضل عنه مراد بأي شيء كان ، يشعر أن بعينيه حزن دفين كلما تقابلا وكأنه يخفي أمراً غامضا عنه، أمرًا يكفر به عن ذنوبه تجاهه من خلال رعايته ومحبته المبالغة، لطالما تذكّره ساهرًا على مرضه حتى أكثر من خالته !، نظرات الرعب التي تطل من عينيه كلما ذكر اسم والديه أو تذكر مشاهد من الحادثة التي مضى عليها أكثر من عشرون عامًا .
وعلى الرغم من حالة الرفاهية التي يتنعم بها بفضلهم إلا أنه يخاف المستقبل، يخاف البحث عن عائلة والده الذي لا يعرف عنه شيء سوى اسمه ، فعلى حد قولهم تزوجت والدته سراً وهربت برفقة والده حتى جرى الحادث المشؤوم في السفينة لتسترد عبير ابن شقيقتها الوحيدة !

*****
توسط القمر صفحة السماء وازداد الجو برودة ..كان شباب العائلة يقومون بشواء اللحم على الرمال أمام الشاليه والآباء يجلسون على طاولة كبيرة على التراس الواسع تجمع افراد العائلة كاملة..
- الطعام سيجهز بعد قليل اتصلوا بمراد فقد تأخر هو وإليسا، و أين نور هل رآها أحدكم ؟
وآدم...آدم ألم تتصلوا فيه أخبرته ألا يتأخر وأن يرافق مراد!!

قالتها عبير بنفاذ صبر وهي تضع ابريق الماء على الطاولة فتعالت ضحكات الجميع حينما قال رضوان :
- هل ضاع أولادي عزيزتي!
تنهدت عبير قائلة باستياء :
-لقد هربت نور كعادتها كي لا أوكلها بمهمة ما وتركت الاعمال للفتيات الأخريات "
أجابتها أمينة زوجة محمد أخي رضوان باسمة :
- ما تزال صغيرة وستتعلم مع مرور الوقت لا تشغلي بالك "
- أتمنى ذلك فعلاً إن هذه الفتاة ستصيبني بنوبة قلبية بسبب افعالها!
ربتت أمينة على كتفها : ليبعد الله عنك السوء..ماهي إلا مسألة وقت وستتعلم لا تقلقي .
وصل مراد وآدم إلى الشاليه بهذه اللحظة و اتجها برفقة أليسا ناحيتهم ليلقوا التحية . ليلقيها بعضهم بحبٍ كبير والبعض الآخر باستياء.
-تأخرتما بني، قالتها عبير التي استقبلتهما فأجابها: آسف تأخرت بالشركة لاجتماعٍ مهم
-أهلاً أليسا حبيبتي كيف حالك ؟
-الحمد لله كيف حالكِ أنتِ ماما عبير .
-بخير حبيبتي هيا اجلسا فطعام العشاء قد جهز .
ثم أردفت : ليذهب أحدكم منادياً نور"
كاد كريم أن ينهض من خلف الطاولة فهو حتى اللحظة لم يرها بعد تلك القنبلة التي فجرها بوجهها ..وصل إلى نقطة اللا رجوع ويبدو أنه منذ هذه اللحظة سيحارب، سيحارب للحصول عليها..
ضغط آدم على كتفي كريم ليرتد جالساً وقال وهو يربت على كتفيه بخشونة :
- سأناديها أنا بما أني لم أجلس بعد.. عن إذنكم"
تشبث كريم بساعدي كرسيه بغضبٍ وصار يهز قدميه بعصبية
في حين خرج آدم يسير على الرمال، جال بعينيه المكان حتى رآها من بعيد

تجلسُ أمام البحر، شاردة وما زالت ترتجف من جنون ما حصل بينها وبين كريم ...لا تصدق بعد أن كل هذا يصدر من كريم !
صارت تتذكر المواقف التي جمعتهما سويا .. دفاعه الدائم عنها وخاصة وقت شجارها العنيف مع مراد بعد قرارها بأنها ستعمل بالتصوير ..هذه الموهبة التي تحبها وتريد تطويرها بدراستها ...حينها تصدى لها مراد من أن تصبح مصورة ..مجرد مصورة تقف أمام النساء بالأعراس وتصورهن وهذا ما فهمه بوقتها فقط!
هكذا جن جنون مراد...فصرخت فيه: لن أذكر اسمك إن كنت تخاف على اهتزاز اسمك يا سيادة المهندس ..
رفع كفه ليهوي بها عليها لوقاحة كلماتها لكن كريم اعتصر كف مراد لتهدئته، قال بسرعة : أنا أحتاج مصورة في المتجر لتصوير كل دفعة من الأزياء من التي تصلني باستمرار دعها تجرب عندي هذا العام ..ولنرى موهبتها...لن تعمل عند أحد غريب .
حدق كريم بعيني مراد طويلاً ليفهمه أن هذه الطريقة ستنجح لتوظيف هوسها في التصوير ،
كانت ما تزال صغيرة...في السادسة عشرة من عمرها..وما تزال في فورة تمردها على قراراتهم..
قالت نور بلهفة: حقاً، حقاً ستوظفني عندك؟!
فهز كريم رأسه مؤكداً،
التمعت عيناها بحماس وامتنان فحدق كريم مجدداً في مراد وقال: بعد أخذ الإذن من والدك طبعاً...وبموافقة مراد .
أخذ مراد نفساً عميقاً ثم قال : حسنا ..اعملي عنده وسأقنع والدك لكن عند الغريب لن أسمح..لن تعملي مصورة وهذا قرار نهائي لا تقاش فيه.
ومنذ ذلك الحين صارت تعمل مع كريم الذي شجعها على الرغم من مأساوية تصويرها في البداية لأنها دون خبرة...بل اعتمدت على شغفها فقط الذي صار يتزايد يوماً بعد آخر وصارت تطور مهاراتها مرة بعد مرة بمساعدة مصور

متمرس وظفه كريم في البداية لتتعلم منه كيفية تصوير العارضات وهن يرتدين الفساتين أو العباءات التي يستوردها لعرض منتجاته في السوق ،.
لم تنسى أول مبلغ قبضته من كريم ...كان بمغلف أبيض وعلى الرغم من بساطة المبلغ إلا أنها كان الأعز على قلبها لأنه بجهدها...
التمس حماسها فشجعها أكثر فصارت تقوم بجلسات التصوير لوحدها وهذه كانت فترة تقاربهما الأروع لأن مشاعره بدأت تتشكل خلال هذه الفترة ...وكان يشرح لها عن مجالات المستقبل الواسعة أمامها بعيداً عن آلة التصوير والتي أصبحت فعلاً ملكة بين يديها..
ومن هنا بدأ بسلسلة تصويرها خلسة ..في العمل..عندما يوصلها إلى المنزل...حين يقطعان ناحية الحديقة في طريق عودتهما...فتقوم بتصوير كل شبر فيها لتريه مهاراتها ..حتى اشترى ذات يوم كاميرا فائقة الدقة لها ..كانت في السابعة عشرة من عمرها ..
فضت الغلاف وهي جالسة بمقعد الحديقة العامة مساء حين كان يوصلها إلى المنزل...
فتسمرت مكانها ..لحظات فقط..لحظات قبل أن تقفز كالمجنونة وتتعلق فيه وهي تصرخ: شكرا ..شكرا ..شكرا...
ارتجف جسده من هول الصدمة فظلت قبضتاه متشنجتان بجانب جسده، لا يقوى حتى على الانصياع لنفسه التي أمرته بأن يأخذها بين ذراعيه ويدور فيها حتى الإنهاك.
لكنها ما تزال صغيرة صغيرة عليه وعلى أفكاره التي ماعاد يقدر على السيطرة عليها، أغمض عينيه مستمتعا بلحظات جنونها قبل أن تفلته وتهرع من جديد ناحية الكاميرا لتصوره فيها وتصور كل ما حولها..في هذه اللحظة شعر بصدره يضطرب..شعر بخفقات مجنونة لم يألفها سابقاً ..وترجم إحساسه تجاهها فأكدت له دون شك أنه يحبها ..أن تلك النبضات العنيفة التي اجتاحته هي نبضات حب
**

تقدم آدم منها بهدوء ليجلس بجانبها، والأمواج الهادئة تلهو على الشط بانسيابية وهدوء وكأنها تداعب الرمال، كان شعرها الناعم يتطاير بفعل النسمات، شعرت باقتراب آدم الذي خلعها عن أمواج ذكرياتها وهي تحلل المواقف التي جمعتها بكريم...كلماته وتصرفاته ونظراته.
حيت آدم بإيمائة بسيطة فسألها: كيف كان يومك ؟
- جيد.
فقط جيد! لا شيء آخر تضيفينه ..لا صورة اليوم!
ضحكت بتذمر وضربت ساعده: يبدو أنني سأعيد حساباتي بشأن التصوير .
- ما الذي جرى؟أازعجك أحد هؤلاء الحمقى ...قولي والله لأءء.
ضحكت بيأس وصرخت فيه: اجلس من سيجرؤ على إزعاجي! ثم وإن أزعجني احدهم ألن أدافع عن نفسي برأيك ! سأنتظرك لتدافع عني !!؟
-بخبرتي لك... قد تدافعين عن نفسك ..لكن ليس مباشرة ..لا تعرفين فنون الرد المباشر ..
صعقت من كلماته وحدقت فيه فقال بهدوء ينافي براكين صدرها:
- والدتكِ تسأل عنك "
زفرت بتململ :
-كي أساعد الفتيات بتحضير الطعام لن أذهب "
- بل لتشاريكهم الطعام فقد انتهوا من إعداده يا كسولة "
-لستُ كسولة ،لكني لا أجيد أعمال المطبخ ولا أحبها وتعرف ذلك، سأصبح أضحوكة الفتيات "
فقال بمكر وجدية بآن معا:
- عندما تتزوجين هل سيقوم زوجك بإعداد طعامه بنفسه "
مطت شفتيها وعقدت يديها أمام صدرها بطفولية قائلة :
- لا فليأكل عند أمه حبيب أمه ..أو ليجلب خادمة "
فمال عليها هامساً وهو يصلح وضع شالها على كتفيها لتغطيتهما :
- سنأكل كل يوم عند أمك إذن يا حبيبة أمك "

تصاعدت الدماء إلى وجنتيها وقالت بتلعثم :
- قلتها لك مائة مرة ...لا أحب هذا النوع من المزاح "
راقبها بعينيه وهي تهرب من أمامه كما العادة فجهر بصوته عالياً :
- و الله لستُ أمزح يا ابنة منصور !
ونهض من مكانه ليتبعها وسارا سوياً على الرمال عائدين إلى الشاليه وهي تتحاشى نظراته التي تغيرت جدا في الآونة الأخيرة.. استقبلتهم عسل من بعيد وهرولت ناحيتهم حتى رمت بجسدها على آدم الذي حملها بذراعيه :
- حضرت يا أدم ولم تعلمني " قالتها بعتاب فقرصها من وجنتها معتذرًا :
- وهل أستطيع ألا أعلم حبيبة آدم بمجيئه، لكني أحضرتُ المتهم الهارب "
-نعم فاشلة بيت المنصور..
قرصها آدم من وجنتها لائما: عيب يا صغيرة انها اختك ..
جلست إليسا على الكرسي فقال رضوان مداعباً : -دائما جميلة ...ليحميك الله يا ابنتي.
اطرقت برأسها لأسفل بخجل فمال مراد بجذعه ناحيتها محتضناً كفها من أسفل الطاولة و همس :
- كم أعشق هذا الحياء "
لتذوب أكثر وآكثر حتى شعرت بأن الكرسي قد ابتلعها فعلاً !، تقدمت نور بعدما أحضرت الطبق الأخير من المطبخ وجلست بجانبها تتحاشى نظرات الكريم المتفحصة لها... ونظرات آدم الغير مفهومة !
**
عام 1980...

تخللت السحب الرمادية سماء المدينة مساء هذا اليوم الشتوي... وبداخل إحدى المقاهي المزدانة لاقتراب العيد يجلس عابد الآغا، هذا الشاب ذو البنية المتينة الضخمة ،ذو بشرةٍ أقرب للسمرة وذقن كدُجى الليل وشعرٌ تتقدمه خصلةٌ بيضاء ورثها عن أبيه تعطيه وقارًا ومسحة جمالٍ لافت، يرتشف من فنجان

قهوته المُرة كمرارة حياته ويدخن وهو يتأمل تلك الصورة بعدما راقب صاحبتها لثلاثة أيامٍ على التوالي ،.

كان صوتُ أسمهان من الكاسيت العتيق يغمر المقهى ويغلف الجميع بالسكون والراحة...لكن حياة عابد لم تكن بتلك الطمأنينة التي يتمناها ..لمح تلك الفتاة تقترب عائدةٌ من جامعتها كما اعتادت كل يوم, نهض بعدما وضع ثمن مشروبه ولاحت ابتسامةٌ ساخرةٌ على شفاهه وهو يتمتم مع أسمهان

الشمس غابت أنوارها
والكون بدا في ظلام الليل
والدنيا سكتت أطيارها
وكان غناها شجي وجميل

سارت الفتاة ذات الثمانية عشر عاماً دون أن تلمح ذلك الرجل المتشح بالسواد والذي يسير خلفها بكل إصرار حتى وصل إلى المكان المطلوب، حيث ينتظره رجاله على الجانب الآخر من الزقاق والذي يطل على شارعٍ جانبي رُكِنت فيه سيارتهم، تطلع فيهم واستكمل طريقه نحو هدفه

أولجت الفتاة المفتاح في باب شقتها ولم تنتبه لذلك الكيان الضخم الذي يتربص بها و بلحظةٍ كان المنديل المخدر يكمم أنفها لتقاوم للحظاتٍ قبل أن تستكين بين ذراعيه بهدوء لتلتمع عينيه تلك اللمعة القاسية، أغلق باب منزلها بهدوءٍ مجدداً وحملها وتوجه ناحية السيارة ليرميها على المقعد الخلفي وينطلق في طريقه...ببساطة!

الأرض القاحلة التي كانت تقطعها سيارتهم منذ عدة ساعات تدل على أنهم قد ابتعدوا عن المدينة

سمعت بعدما استفاقت أصوات رجالٍ على المقعد الأمامي..تهدجت أنفاسها وهي مقيدةً تحاول الإفلات لكن هيهات تعالى صراخها بغتةً ليستدير أحد الرجال ناحيتها ويصرخ بعنف:

-اخرسي و إلاَّ واللهِ لن أتوانى عن ضربك " انفرجت عيناها على اتساعهما وارتجف جسدها إثر كلماته المتوعدة وهيئته المرعبة وضخامة جسده فأومأت له لتصمت مكتفيةً ببكاءٍ مكتوم... توقفت السيارة أمام مبنى كبيرٍ جدًا الأتربة والأحجار تغطي الأرضية هبط الرجل وشدها من ساعدها بغلظة..آلمتها قبضة الرجل الذي يدفعها بعنف ليحثها على المسير أمامه فمشت بخوف على بصيص ضوء خفيف,
سمعت أصوات الرصاص من البعيد لتزداد خيفة منهم، ألقاها الرجل المسلح بإحدى الغرف في الطابق الثاني والذي تطل نوافذه على ساحة المبنى العتيق الكبيرة وينبثق منها سلم لأسفل، شحب وجهها الأبيض وارتعدت أوصالها من منظر ذلك الرجل فأشاحت ببصرها عنه ثم نظرت من خلال النافذة التي في الجدار لتتبين الرجال المسلحين في كل مكان !
انقضت عدة ساعات وهي حبيسة هذه الحجرة تنتحب خوفاً وتدعو الله أن تنجو منهم وحتى اللحظة لم تعرف سبب خطفهم لها !
فتح الباب فجأة فركعت على الأرض ملتصقةً بالجدار بخوف تكتم شهقاتها المتواصلة، توجه رجلٌ ضخم الجثة يرتدي زيًا أسود ويحمل البندقية بيده صارت ترتجف هلعاً والتصقت بالحائط فتقدم الرجل أكثر لتتبين له ملامحها المرتعبة فأرخى يديه لينزاح السلاح وتقدم ليركع على ركبته مواجهاً لها، صارت تنتفض بخوفٍ حينما رفع عابد وجهها ناحيته وهو يتفحص تلك الملامح التي نُقِشِت بذاكرته طوال أيام..
تحركت يداه ليفض الوشاح الأحمر الذي تلفه حول رقبتها وقال بصوت أجش :كُفي عن البكاء و قفي
وقفت أمامه بخوفٍ جلي ،نظرت إليه بهلع وابتعدت فأسندها بيديه وأردف يقول بصوتٍ خفيض :
- تريدين البقاء على قيد الحياة هنا اخرسي ودعيني أقوم بما يتوجب علي" .
صارت تدعو الله بأن ينجيها منه فلا قدرة لها لمجابهته ! أمسك الوشاح و جعله كعصبةٍ على عينيها وعاد يحدثها من جديد : لا تحاولي الهرب أو التصرف

بحمق وإلا نهايتك ستكون بلحظتها "
وسط العتمة التي تغرق بها وصوت أنفاسه المتلاحقة التي تضرب رقبتها بعنف هزت رأسها موافقة لكلماته فأمسك بساعدها بقبضته الغليظة ليحثها على المسير أمامه، صارت تهبط درجات السلم بمساعدته واحدة تلو الأخرى بخوف وهي تتخيل ما قد يحصل معها ؟ ومن هم أساساً وأين هي ومن اختطفها ؟ مئات الأسئلة والاستفسارات التي هاجمتها وهي تتوجه برفقته بخطى بطيئة وسط أحاديث و همهماتٍ أخرى
-إذن وصلت هديتك عابد؟
تساءل أحدهم بصوتٍ غليظ فقال عابد وهو يربت على كتفيها بطريقة جعلتها تنكمش هلعاً وأجاب باستهزاء و بصوت أجش : وصلت هديتي"

تعالت ضحكات الرجال من حولهما وهي تسمعهم يتمتمون عنها وعن والدها بكلمات نابية ! هل هم ممن يلاحقهم والدها إذن؟ الهلع قد تملكها كليًا فدفعها عابد مجدداً لتكمل المسير معه لتخفت الأصوات تدريجيًا ولم يتبقى سوى وقع قدميهما ليتردد الصدى خلف خطواتهما اليتيمة ،
صوت صرير عالٍ صدر بسبب فتحه لإحدى الأبواب ليدخلا ويغلقها مجدداً ويوصده بمزلاجٍ ذا صوتٍ رهيب، شعرت بانفرادها معه فصارت ترجوه بألا يؤذيها بعدما أيقنت أنها هنا بسبب والدها
فض قيد معصمها والعصبة عن عينيها فتلفت حولها لتستبين المكان، كانت بفرفةٍ متوسطة الحجم ، مفترشة بسجادة عتيقة وسرير و كومود بجانبها ومدفئة كهربائية صغيرة، الجدران عتيقة كحال هذا المبنى المتهالك، تطلعت فيه برعبٍ دب بأوصالها فصرخت :-من أنت !! ما الذي تريده مني ؟
صارت تبكي بقهرٍ وهو يطالعها بنظرات مبهمة،شعر بألمٍ بخاصرته فخلع واقي الرصاص الذي يرتديه متجاهلاً توسلاتها ثم خلع قميصه الأسود فظهر أثر جرح حديث نسبيا ينزف من خاصرته،
-عاد ينزف ! " قالها وهو يقاوم ألم خاصرته الجلي

تراجعت الفتاة بذعر الى الوراء لتلتصق بالحائط وهو بكل برود تجاهلها و توجه ناحية السرير ليجلس عليه أخرج من درج الكومود معقماً وقطنًا طبياً وصار ينظف جرحه مقاومًا آلامه حتى انتهى و ممدد ساقيه على السرير أشعل السيجار وشرع بتدخينه وما زالت الفتاة ملتصقة بالحائط تطالعه باستغراب بسبب تماسكه، بعد هنيهة تطلع بها مجددا ً وقال بصوته الأجش :

-اعتدلي رغد، لا تخافي لن أؤذيك

وعاد يدخن بشراهة من جديد ، طال تحديقها به متوجسة من احتمالية تلاعبه وتخاف من النهوض عن الأرض وكأنها هي من تحميها من جبروته، من هو وماذا يريد ؟ عادت الاسئلة تتقافز داخل عقلها وهو لا يرحمها بالإجابة صارت ترتجف برداً وخوفا بوضوح

تقدم ناحية المدفأة لإشعالها ثم توجه ناحية رغد وسحبها لتنهض من على الأرض، دفعها على السرير بغلظة فصرخت بجزع ...قلت انك لن تؤذيني...هل هل غيرت رأيك !؟

فحدق بها وكأنه يحاول استيعاب كلماتها المشتتة ثم انفرجت شفتاه عن شبح ابتسامة باهتة ورماها بلحافٍ سميك وهو يقول :

-عابد لا يخلف بوعده " ثم ضربها بخفة بأصبعيه على وجنتيها مردفًا : إلا إن رغبت أنتِ بذلك

اشاحت رغد بوجهها عنه باشمئزاز فعاد يقول مجددًا:

- بضع ساعات وسأعود ،.إن لم تكوني هنا الآن فالموت هو من كان سيلاقيك خارج جدران هذه الغرفة، لا ترفعي صوتك ابداً، لا أصوات بكاء ولا حركة زائدة فخارجًا رجالنا كالذئاب يا حلوة.

عاود ارتداء قميصه وواقي الرصاص بعد انتهائه من سيل الممنوعات والتعليمات وخرج مقفلا ً الباب من الخارج لتصير رغد أسيرة هذا المكان)

**

(4)

ظهر التململ على ملامح نور التي كانت تجلس خلف مكتبها وتدرس، بدأت بالتأفف وهي تحك شعر رأسها بعصبية في حين دلفت لغرفتها عبير، أطلقت بسمة وربتت على كتف ابنتها تتساءل :
- ما بك حبيبتي ؟
ضربت نور رأسها على الطاولة قائلةً بإحباط : لا أفهم هذه المسألة الرياضية بتاتاً يا أمي ، سأجن, آخذُ كأس العالمِ بالغباء"
- إذاً اطلبي معونة آدم وسيشرحها لكِ.
رفعت رأسها رويداً رويداً عن الطاولة وقد استعادت نشاطها فجأة :
- صدقتِ, سأجعله يحّلها لي لأنتهي من كابوسها اللعين"
قهقهت عبير وهي تلملم حاجيات ابنتها المبعثرة وقالت محذرة :
-دعيه يشرحها لك كي تفهميها لا تتهربي من واجبك فلن يجيب عنك وقت الامتحان وخذي عسل معك عندما تصعدين"
حسناً أمي، " قالتها وهي تلملم كراستها وأقلامها، تطلعت تبحث عن عسل فراتها تجلس أمام التلفاز تشاهد الرسوم المتحركة...نادتها فتأففت عسل بسخط وأجابت :
-اتركيني الآن انتظرت الحلقة طويلا" هزت نور رأسها بيأس وصعدت إلى شقة آدم
كان قد أنهى حمامه للتو، ارتدى بنطال البيجاما الأسود وشرع يجفف شعره بالمنشفة فرن جرس شقته دون انقطاع، تمتم بسخط ظناً منه أنه مراد كالعادة جاء ليمضي الأمسية عنده وفتح الباب ليصدم بها، كانت تعقد شعرها الطويل كيفما اتفق وترتدي البيجامة الحمراء المبهرجةَ الضيقة ذات الأكمام القصيرة التي تثير غيظه،وخفها الذي على شكلِ أرنبٍ أذناهُ طويلتان, فبدا منظرها ملفتاً بطريقةٍ لطيفة, قطب حاجبيه وأنزل المنشفة الكبيرة لتغطي كتفيه
- نور!
فقالت نور بارتباك وهي تغض بصرها عنه :
- هنالك مسألة رياضية استصعب علي إنجازها، هلا ساعدتني رجاءً

تراجع إلى الوراء خطوتين متسائلاً بعدما وجدها بمفردها : الآن !؟
-لا غداً !!
أجابته ساخرة فلوا شفتيه من سخريتها وقال بلا مبالاة::
-ادخلي ريثما أكمل ارتداء ملابسي .
ترك الباب مفتوحًا حتى بعد دخولها الى الصالة وتوجه ناحية غرفته مخرجاً قميصه، خرج إلى الصالة مجدداً ونظر إلى باب الشقة المفتوح ولربما تركه مفتوحاً كي يحمي نفسه قبل حمايتها
كانت تجلس على الأرض أمام طاولة الصالة وتفتح كراستها منتظرة قدومه، اتسعت ابتسامتها وهي تثرثر كعادتها عن تلك المعضلة الرياضية المستحيلة ولا يوجد غير آدم العبقري يستطيع فك طلاسمها، جلس بجانبها على الأرض وتناول الدفتر وسط صمتٍ مطبق... قطعه بعد لحظاتٍ قائلاً: ما رأيكِ بأن تعملي لي فنجان قهوة أكون قد حللتها"

-لا وقت للقهوة!, قالت أمي أن تعلمني طريقة الحل "
حسبي الله ونعم الوكيل عليكِ وعلى أمك لمَ لم تحضري عسل معك؟ ! قالها بسخط وعاود التحديق بالدفتر المسكين أمامه, رمش بعينيه مرات متلاحقة و شعر للحظات أنه غبي ! صارت الأرقام تتقافز بين السطور ورائحة عطرها الناعم تجتاح روحه دون رحمة، كانت تنظر إليه بلهفة بلهاء ليحل لها المسألة وبتلقائية رفع رأسه عن كراستها وتلاقت عيناهما ، غرق بنهر العسل الذي أمامه، شعر بضعفه أمام براءتها ، إنه ضعيف فعلاً ،ضعيف بكل ما تحمله كلمة ضعف من معنى
،رفعت حاجبها بنصف ابتسامة ارتسمت على شفاهها الوردية وقالت بيأس :
أهي صعبةٌ عليكَ أيضا؟
-إنها معقدةٌ فعلاً
قالها بشرود وضياع حقيقيين ، فكل منهما في وادٍ مختلف !! فزفرت بيأس وسحبت الكراسة من بين يديه قائلةً بيأس: الغباء متوارثٌ بعائلتنا

فهمس بشكل ساخر : أنسيتِ أني لست من عائلة المنصور
حدجته بنظرة استنكار واستدارت لتعود خائبة الآمال لكنه استوقفها قائلاً وهو يقطب حاجبيه بعدما استعاد رباطة جأشه فقال بشكل متسارع : كم مرة تحادثنا بشأن هذه البيجاما؟ و ألا تضعي هذا العطر مجددًا وألا تقابليني وحدك هنا

رفعت حاجبها و تساءلت : أولا ً أنا لا أنزل بها إلى الشارع كي تمنعني،ثانيا جئتك لأدرس وثالثاً ما به عطري ؟
تنهد بنفاذ صبر مجيباً : إنه مثير للغثيان، مقرف , زكمتِ أنفي به
استنشقت نور يدها بتلقائية وأجابت لتغيظه: على العكس إنه ناعم ، حتى أن مراد بعدما اشتراه لي قال أنه منتشرٌ جداً هذه الأيام "
مراد، مراد كل مصيبةٍ يجب أن أتوقع أنها من مراد-
وتقدم منها أكثر قائلاً بحدته المعهودة : وكم مرة علي أن أفهمك ألا تجادليني بأي موضوع ! قلت ممنوع أن تضعيه أو أن تضعي أي عطرٍ خارج المنزل، كلامي واضح
جزت على أسنانها بغيظ وهتفت به : اه كان يجب علي أن أستحم قبل الصعود إليك أليس كذلك ؟ أو أن أرتدي جلباباً أسود كيلا اسمع انتقاداتك الدائمة لي وما رأيك بأن أحضر معي كبار العائلة كي تقوم بتدريسي؟
ونهضت لتغادر الشقة فمشى ورائها وسحب الدفتر قائلاً :اتركيه سأحلها لك بعد قليل
لا شكرًا ، لا أريد منك شيئاً
شرعت بالمغادرة فوضع يده على الباب مستنداً عليه ليمنعها من العبور:
- قلت لك هاته نور وكفي عن عنادك
-وأنا أجبتك لم أعد أريد مساعدتك وبكافة الأحوال سيأتي اليوم عمي محمد و سأطلب من كريم أن يساع...
ابتلعت باقي حرفها عندما اقترب منها صائحًا:
- سيكون هذا يومك الأخير إذا فكرتِ لمجرد التفكير أن تحادثي ذلك الخرتيت

- ما مشكلتك معي ! دائما ما تتدخل بشؤوني وأفعالي، لقد مللت من أوامرك التي لا تنتهي، كل شيء بقاموسك ممنوع وعيب حتى أولاد عمومتي تمنعني عنهم ما شأنك بي إن كان مراد وأبي متواجدان !?
عادت ضربات قلبه تتصارع داخل صدره ،فكيف تجرأت هذه الغبية على سؤاله ألا تعرف أنها تملكته حتى النخاع، ألا تفهم هذه الحمقاء أن ما يسير بأوردته ليس دماً بل عشقاً يتدفق ليغذي قلبه فكيف لا يتدخل بحبيبته ! ألا يحق له ؟
على العكس فإن لم يتدخل بشؤونها فمن يفعل ! ، شعرت بارتعاش أنامله عندما تلمس طرفَ الكراسة فتلاقت رؤوس أصابعهما همس بصوتٍ خفيض لصغيرته المشاكسة
- نور ، لم تعودي صغيرة، تعرفين أنه لا يجوز أن ننفرد، الجميع يثقون بي لكن الصواب ألا ننفرد, ولا يجوزُ أن تكوني مُلفتةً للنظرِ فيما ترتديه أمام الغرباء, افهمي ذلك رجاءاً, صرتِ كبيرةً كفاية...كما أنكِ.
قاطعته قائلةً بعتاب:
-أنا...لا أرتدي شيئاً ملفتاً أمام الغرباء.
همسَ هو بهدوء: أنا غريب, أنا..أعتبرُ غريباً عنكِ.
سحبَ الكراسة بهدوءٍ من بين يديها وقد تاه ببريقِ عينيها المضطربتين...كان الاضطراب قد اجتاح روحها من نظراته،اضطرابٌ تمنت به أن تسيل الآن وتتدفق من سطوته لتنزلق أسفل الباب كنهرٍ جارٍ هاربةً من قيد نظراته التي اشتعلت بعشقه، كان اضطرابه بادياً وعبوسه يزداد شيئاً فشيئاً, انحنت من أسفل يده الممدودة و هربت من أمامه لتهرول على درجات السلم للطابق السفلي، اغمض عينيه وضرب بجبهته على الباب واستكان عليه ، وتنهد بابتسامةٍ بلهاء محتضناً دفترها الذي عبق برائحة عطرها الفاتن ودخل ليرتمي على الأريكة ً، كان الآن بعالم آخر ،قلبه ما يزال يخفق وعينيه ما تزالان تنقلان له صورتها حتى بعدما أغلقهما .
تنهد بعمق بابتسامةٍ واسعة ورفع يده ليلتمس الخاتم الفضي المنقوش عليه

اسمه، وكأنها بهذا الخاتم كبلته، أسرته بأصفاد حبها الذي تملك من قلبه دون رحمة ، وهو أصلا ً لا يريد الفكاك من أسرها، سيبقى سجين هاتك العينين العسليتين لآخر الزمان
كم تشتاق روحه إلى الحب، الحب النقي الذي لم يعرفه سوى عندما يلتقيها، الاضطراب الذي يعلو تقاسيمه، ضربات قلبه التي تتعاظم حدتها لتفتك به، وشعوره بالسعادة الخالصة، السعادة المتجردة من جميع الشوائب، يحبها بكل ما تعني تلك الكلمة من معنى، يشتاقها كاشتياق المغترب لوطنه، والمصيبة أنه بالكاد يسيطر على مشاعره تجاهها حتى أمام العائلة !
اعتدل بمجلسه وفتح الدفتر وشرع بحل المسألة التي تيقن من أنها سهلةٌ أكثر من اللازم ،لكن بوجودها تصبح إحدى المعادلات التي لن يحلها حتى أكبر عالم رياضيات، وما هي إلا بضع دقائق وانتهى منها ، أغلق الدفتر ونزل إليهم ليسلمها الدفتر وليهرب بعدها من فوره، فتحت خالته و أقسمت كعادتها ليدخل وأعقبت : إنها بغرفتها ، اشرح لها المسألة كيلا تستصعبها مجدداً فالامتحان على الأبواب"
وهذا ما كان يخاف منه الانفراد بها ، المشكلة أنهم فعلاً لا يدركون خطورة الموقف، لا يدركون أن بدماثة تعاملهم معه و اطمئنانهم الزائد بل وتغافلهم على أنه يبقى غريبٌ حتى ولو تربى بينهم ومعهم ، يدفعونه إليها دفعاً دون رحمة ودون إشفاق، ولا هو كان يريد إشفاقهم بإبعاده عنها، صار يدمنها حد الجنون ، يدمن رؤيتها، تسلل صوتها الناعم وهي تدندن لحن أغنية أمام مرآتها بعدما غيرت ملابسها لاستقبال عائلة عمها محمد ، طرق بابها فصاحت : تفضلي ماما"
تنحنح قائلا : أنا آدم
سقط المشط من يدها عند سماع صوته التقطتها ونهضت من أمام طاولة زينتها وفتحت له وما زال الارتباك بادياً على ملامحها المشتعلة بحمرة الخجل فتبسم قائلاً وهو يرى عسل تلعب بالغرفة
حللتها -

صفقت بفرح مجيبة، ما شاء الله بهذه السرعة
فقالت عسل من ورائهما : انه حبيبي آدم العبقري ليس مثلك يا متخلفة
شهقت نور بحنق وردت : اخرسي أنتِ -
فقهقه بزهو وهو يعدل ياقة قميصه :طبعا ، كي تعرفي من هو آدم، هيا تعالي لتتعلمي الطريقة
جلس على الكرسي بمكتب غرفتها وجلست بجانبه ،وعسل تلعب خلفهما بألعابها، تمتمت بسخط لتغيظه: تمنعني من الصعود إليك بمفردي وأنت بغرفتي بإرادتك!
جز على أسنانه بغيظ وضربها بالقلم الرصاص على جبهتها هامساً: يا متخلفة إن كانت شقيقتك هنا فلا مانع " وأكمل الشرح لها وهو يثبت نظراته على الكراسة يكتب عليها، تلمست مكان الضربة بسخط ومدت لسانها بغيظ فقال وهو يثبت نظراته على الكراسة: إن فعلتيها مرة أخرى سأقصه عيبٌ هذا التصرف"
لتجفل بمكانها بحنق" سمعا قرع الجرس فعلم أنها عائلة أبي كريم ،نهضت من على الكرسي بحماس ٍ فسحبها بغيظٍ لتجلس بجانبه : لننهي المسألة أولاً وبعدها تلقين التحية عليهم على الخرتيت ووالده
انصاعت لأمره بصمت وشرع يشرحها، أما عسل فهرولت من فورها لتستقبل عمها وابنه ،
فقالت نور بمكر تشاكسه بعدما انتهى : أصلا كانت تلك المسألة سهلة كنت أختبرك فقط "
-آه يا عبقرية الزمان، هيا حان دورك لنرى عبقريتك
دلفت عبير لتعلمهم أن العشاء قد جهز كاد أن يعتذر ويهرب إلى شقته لكن تواجد كريم منعه من ذلك وهو يعرف جيدا غرض كريم ونظراته، تأبطت نور ذراعه وهي تقهقه وتسير بجانبه بعدما حلت المسألة: تستحق شكراً يا أستاذي يبدو أني سأوظفك رسميا ًلتدريسي ولا تخاف الراتب مغر ٍ "
حدق بكفها الناعمة التي تقبض على ساعده فقال ضاحكاً : مجنونة

استدارت مجددا تجيب ببراءة وهي تعاود سحبه ليهبطوا الدرج : بل أنا جائعة جداً ،
كان الجميع مجتمعين على العشاء أفلتت آدم أخيرا ً ليلقيا التحية ، نهض كريم الذي كان يغلي من شدة غيظه حينما رآهما سويا يهبطان السلم، و تجاهله ليلقي السلام على نور ومد يده لمصافحتها فسارع آدم ليقبض على كفه وهو يضيق عينيه ويتمتم بكلمات الترحاب المسمومة، فرد كريم بحنقٍ واضح بمجرد تمتمة ولم يفهم أن نور لم تكن حتى لتلقي السلام على كريم فلم تنسى بعد وقاحته ..
أحاط آدم خاصرة نور بتلقائية ليقودها ناحية الكرسي بجانبه واتجه ليلقي التحية على محمد بحبور، جلست نور على الكرسي دون أن تدرك الحرب الصامتة المشتعلة بين عيني آدم وكريم وقالت : آه كم أنا جائعة لم آكل شيئا يذكر منذ الصباح "
فهتف مراد ضاحكا ً
- آه لم تأكل شيئاً المسكينة سوى أربع ألواح شوكولاه وبضع أكياس من البسكويت "
طرقت على الطاولة الخشبية :
-قل ما شاء الله ، أتريد أن تصيبني بالعين !
قهقه رضوان هاتفا بهما : كفا عن ثرثرتكما وباشرا الطعام "
التفت محمد تجاه آدم يحادثه :
-كيف هي دراستك بني ؟
- الحمد لله يا عمي
متى ستقدم مشروع تخرجك ؟
" بعد حوالي شهر من الآن إن شاء الله -
عظيم " قالها رضوان بسعادة ثم أردف : ومكانك داخل الشركة محفوظ من الآن "
صار كريم يعبث بطبقه بغضبٍ مكتوم ،فجل اهتمامهم دائماً آدم، وكيف هي دراسة آدم وماذا يفعل آدم لا ينقص إلا أن يحصوا عدد مرات قضاء حاجته ! ،

تنحنح بارتباك يحادثه :
- عمي، أرغب في افتتاح مكتب خاص مع بعض زملائي بعد إذنك
تحدث كريم قائلاً بعدما فاض به الكيل : وأنى لك التمويل لافتتاح مكتبٍ خاص أم تريد من عمي كذلك أن يموله لك ، استبقى عالةً عليه مدى الحياة؟
حدق الجميع بجمودٍ بكريم الهجومي كعادته ،فهتف محمد بابنه : ما هذه اللهجة ؟
فأجابه آدم بابتسامةٍ مصطنعة : أولاً المكتب جاهز فهو لأحد زملائي في الجامعة فالعمل معهم سيكون كتدريب مهني لتطوير إمكاناتي يا كريم ، لم أطالب عمي بتمويلٍ مادي "
مضغ رضوان اللقمة ثم شابك أصابعه على الطاولة ليحادث آدم متجاهلاً حنق كريم الواضح :
- يا بني ، هذا الموضوع سابقٌ لأوانه ، أنت ببداية حياتك المهنية تحتاج إلى تدريب تحت إشراف خبير لا مجموعة خريجين ،سأسلمك تصاميم بعض المشاريع بشركتي تحت إشراف أكبر المهندسين حتى تعتاد على سير العمل فلا داعٍ لتثقل كاهلك بنسبة فشلٍ حتى ولو واحدٍ في المائة ، وبعدها إن رغبت ستفتتح مكتبا ًخاصا ًبك إن شاء الله"
- تفكير سليم ومنطقي " قالتها عبير مؤكدة لكلام زوجها ، حدق آدم بطبقه ثم أجاب : لقد عاونتني بما فيه الكفاية يا عمي ، ومعروفك هذا لن أنساه ما حييت ...حان الوقت لأعتمد على نفسي
كاد أن يكمل لكن رضوان ربت على كفه وبعينيه ألف كلمة مخبأة تجاهه وقال لكي يفهم الجميع :
- أنت أحد أبنائي ، لا تتفوه بالحماقات ، وحتى بعد موتي سترث مثلهم تماماً أتفهم ذلك ، ولا فضل لأب على أبنائه"
- ليطيل الله بعمرك " قالها الجميع بما فيهم آدم الذي اتجه ناحية رضوان وقبل جبهته
قال مراد :

- أفكر في تحديد موعد الزفاف بعد إذنك يا أبي
فأجاب رضوان : ألا يزال الوقت مبكراً بني الم نتفق على تأجيل الموضوع ؟
- استجدت بعض الأمور و سيكون من الأفضل الإسراع .
- حسنا سنرى هذا الأمر...
فأعقبن عبير بابتسامةٍ واسعة : وإن شاء الله ما إن تتخرج يا آدم سأبحث لك عن أحلى عروس بالبلد

تبسم بامتنان ولا إراديا تلاقت عيناه بعيني نور التي ارتعشت أناملها من تحديقه بها وهي تطعم عسل، فهتفت تلك الصغيرة وهي تلوك طعامها :
- لا تبحثي له ماما ، فأنا عروسه المستقبلية "
وصلتها رسالة من كريم الذي نهض بعد ارسالها بلحظات (أنا في الحديقة الحقي بي .. رجاءً.)
- الحمد لله لقد شبعت..
نهضت وتوجهت الى حديقة الفيلا من الباب الخلفي ووجدته يدخن وهو يتكئ على جذع شجرة ...واجم الملامح .
اقتربت منه على مضض : ماذا تريد لا استطيع أن أتأخر.
استدار بكليته إليها وقال بسرعة: آسف..آسف على كل ما بدر وآسف على الموقف الذي كنت ستتعرضين له بسببي وآسف على الصور...وآسف على كل شيء...سامحيني.
كتفت ساعديها أمام صدرها وهزت رأسها: لا بأس..ارجو ألا تتكرر هذه المواقف التي ستوجب عليك الاعتذار وليس مني فقط بل من العائلة بأكملها.
وولت عنه إلى الداخل فسبقها بخطواته وتمتم جانبها: لكني لن أأسف على مشاعري..

****

5

وكعادته قد تخطت الساعة العاشرة ليلاً وما زال بمكتبه رافعاً ساقيه يسندهما على الكرسي المجاور ويهزهما بينما بستمع لموسيقى صاخبة تجعل الأدرينالين يتدفق بغزارة في عروقه وهو يلوح بيده كقائد أوركسترا, ورن هاتفه للمرة الثالثة باسم إليسا التي تغلي وتفور وستطلق ألسنة اللهب ما إن يجيبها الآن ! ، أخفض الصوت ثم أجابها بعبث :

-أهلا بقلب مراد .

وكأن ثقبا أسود قام بامتصاص الحمم البركانية المتصاعدة من فوهة رأسها، بل قام بامتصاص البركان كله ليبتلعه بجوف الأرض : مرااد ألم نتفق أن أراك الليلة في الحفل مابك لا تجيب أحرجتني أمام عائلتي !.

-كنتُ مشغولاً "

-إذن لن تأتي ؟

-تعلمين أن حبك يتقافز فوق الحجرات الأربع لقلبي لذلك لا أستطيع أن أرفض لك طلبا أرنبتي "

صاحت به بغضب :

أولاً القلب له حجرتين وبطينان...ثانياً لا تنعتني بأرنبة مجددا هل ترا أذناي طويلتان !

قهقه مراد من أعماق قلبه ثم أجاب ليستفز تلك الصغيرة :أولاً لم أطلب منكِ تشريحاً لعضلة القلب... ثانياً لا أرى أذناكِ الطويلتان بل أرى قفزاتك حينما تحاولين تقبيلي .

ضربت اليسا الأرض بقدمها بسخط وأجابته وقت اعتلت تقاسيم وجهها الخجل : عيب مراد .

أنهت المكالمة لتنضم لأصدقائها أما هو فرمى جهازه على طاولة المكتب وتمنى هذه اللحظة أن يرى انقلاب لون وجهها للون الطماطم ! وسبح بتفكيره فيها، بل فيهن جميعًا ، لا ينكر أنه معجب بهذه الصغيرة، لكنه كأي رجل

شرقي يفصل بين غرامياته وصولاته وجولاته ومسؤولياته تجاه تأسيس أسرة صغيرة مستقرة وهانئة ،
تربى منذ نعومة أظافره ..أن الأم كيان مقدس، طاهر عفيف فهو سيربي أجيالا ًلتربي الأجيال أجيالًا أخرى وأخرى ، لذلك اختار
(بنت ناس) كما وصفتها والدته، لا ينكر أنها عنيدة ومجنونة لكنها مراهقة صغيرة لم تخطئ بعد، فما زالت صغيرة على الخطأ ، صغيرة وسيربيها على هواه ،سيرسم معتقداتها كما يحب هو، هذه كانت نظرياته بعدما ضاق ذرعاً بشخصيات البنات اللاتي قابلهن بحياته، وطبقها عملياً ما إن رآها لأول مرة حينما كانت ووالدتها في زيارة لأمه .
بذلك اليوم، (منذ سنتين) دلفت وحيدة لتجلس بالصالة تنتظر نزول نور بعدما غادرت والدتها برفقة عبير ليحتسيا الشاي في حديقة الفيلا الخلفية . كان مراد يجري اتصالاً هاتفيًا مع أحد الموظفين في الشركة ويؤنبه على خطأ ارتكبه ذلك الاخير ، انتفضت واقفة عندما تعالى صوته يصرخ على الموظف، تعانقت عيناهما للحظات رمقته بخوف من ارتفاع صوته وحدق فيها باهتمام بالغ نسي للحظات أنه كان يوبخ الموظف وتاه بتفاصيل وجهها الناعم ،مراهقة جميلة لم تتجاوز الستة عشر عاماً تعقد شعرها الذي يميل للون الأحمر كضفيرتين، بعينين واسعتين كلون اللوز، شفاه ممتلئة ،وتقاسيم ناعمة ، بعملية حسابية دقيقة بعقله الهندسي الدقيق تأكد من أن هذه الصغيرة ستصبح صاروخا ًمتفجراً بعد سنتين على أقل تقدير، كانت حيذاك ترتدي فستاناً طويلاً وعلى صدره منقوش صورة لشخصية كرتونية لا يعرف حتى اسمها .
جلست على الأريكة وهي تحرك ساقيها بطفولية مبالغٌ بها ثم اخرجت قطعة شوكولاه من حقيبتها وشرعت بتناولها دون اكتراث لعيني الصقر الحادتين اللتين تراقبانها، أنهى مكالمته حينها وفلتت منه ابتسامة عذبة : أهي لذيذة ؟
رفعت رأسها من على الأرض لترى هذا الكيان الضخم يقف قبالتها فابتعلت الشوكولاة بصعوبة وأجابت بعفوية: لا إنها بالفستق ، الشوكولاه بطعم البندق ألذ

اتسعت ابتسامته وجلس بجانبها يسأل مجدداً: إذا لمَ تأكلينها إن لم تعجبك ؟
ظهر الامتعاض على تقاسيمها مجيبة :
مع الأسف هي المتوفرة بحقيبتي حالياً فقد اكلتها بالبندق ونحن في الطريق اليكم .
أرجع رأسه الى الوراء وقد افلتت منه ضحكةٌ عالية بددت مزاجه المتعكر من غباء موظفه ، نظرت إليه متسائلة:عفواً..! لما تضحك يا عمي !
اخرست ضحكته تلك الكلمة كمن صفعه بعنف، شد قبضة يده وبداخله صاح محتجاً : عمى الدبب "
بينما نطقت شفاهه بتعجب : وهل تريننني عجوزًا يا صغيرة ؟
دخلت نور لترحب بصديقتها بفرح : أهلا اليسا كيف حالك "
لتهرول تلك الفتاة مجتازة -عمو - مراد وكانت ستقفز من فوقه حرفياً لولا ارجع بجذعه الى الخلف وهو يتبسم ببلاهة !، تقدمت نور وعانقتها بلهفة ليختفيا من أمامه بأقل من دقيقة صاعدتين عبر السلم لغرفة شقيقته، جلس لدقيقة كاملة فاغرًا فاه بصدمة، مسحورًا لتلك الدقائق القليلة التي عانق فيها روح تلك الفتاة ليخفق قلبه باضطراب لذيذ، اضطرابٌ بنكهة الشوكولاه بالبندق !
حينها لم يبالي بفارق السن الذي قد يتجاوز الخمسة عشر عاماً يكفيه أنها عفيفة وكما قال لآدم يوماً، البراءة تشرشر منها كصنبور مياه عذبة " وهذا الصنبور بات هو مالكه.
ببساطة اتجه الى الحديقة ليجلس برفقة السيدتين وبعد أسئلة متلاحقة للسيدة بهية والدة اليسا قال بابتسامة ٍ عذبة : سيكون لي الشرف يا سيدة بهية بطلب يد المحروسة ابنتك .
بصقت والدته الشاي بصدمة من فمها وهي تحدق فيه، اتسعت عينا بهية لتقول بغباء :
- أي محروسة مراد بك ؟
-ابنتك اليسا، أليس هذا اسمها ؟
هزت بهية رأسها كمن أصابه الخرس، قرصته والدته من أسفل الطاولة على

غباءه ليعض على شفاهه كيلا تنطلق صرخته المتألمة و تمتمت بهية بارتباك وفرح : لنا الشرف فيكم مراد بيك، ونعم النسب والله "
أردف متجاهلاً النظرات الحارقة التي تطلقها والدته كسهام من لهب : خذي وقتك بالتفكير سيدتي الجميلة وتشاوري مع السيد أسعد وأنا انتظر الجواب، عن اذنكم " وانسحب ببساطة بعدما فجر قنبلته التي فاجئته هو شخصياً، وعلى الرغم من رفض الجميع زواجه من قاصر إلا أنه كان مصراً وأقنع الجميع بأنه لن يتزوجها حتى تتم الثمانية عشر عاماً، ومع إصراره رضخ الجميع لمطلبه...وتقدموا لخطبتها.
تمت الخطبة وفكت ضفيرة الصغيرة لتكبر يوماً بعد يوم وتزداد أنوثة وجمالاً كما رسمها بمخيلته تماما ً لتستمر الخطبة لسنتين أرادها أن تكبر تحت ناظريه، ليعلم كل صغيرة وكبيرة في حياتها ليبرمجها كيفما يرغب، علمها أن الخطبة مرحلة ٌجميلة جدًا قبل شن حرب الزواج وتعلمت أن تتفهم وألا تعارضه، وفعلاً رسمها كيفما يرغب، كالعجينة أعاد تشكيل معظم أفكارها...
سأله آدم ذات يوم عندما كان ساهرا بشقته : كيف وافق والداها على الخطبة أنا لا أفهم حقاً يا مراد! ليسوا بالفقراء ليرموا ابنتهم لرجل يكبرها بخمسة عشر عامًا طمعا بالمال وآسف على فظاظة سؤالي، إنها بكافة المقاييس لا تناسبك "
قال بجدية وهو بخلع نظراته عن لعبة الفيديو التي كانا يلعبان بها : الطمع يا عزيزي.، الطمعُ ليس حكرًا على الفقراء فقط بل الأغنياء كذلك يرون بهذه الزيجات فرصة لا تعوض للاقتران باسم عائلة مشرف ولتنمية أموالهم، أسعد رآها صفقة رابحة حينما يزوج ابنته من وريث شركة (إعمار) للهندسة ،أي - سيصاهر شركتنا - فهو ولنقل زواج مصلحة بكافة المقاييس.
- أنت مراد ما مصلحتك إذن ؟
تبسم مراد ببلاهة مجيبًا : لأتذوق الشوكولاه بالبندق فالحقير والدها يصنع أطيب شوكولاه في المدينة !.
حدق فيه حينها آدم بعدم فهم، وتمتم: زواج مصلحة والخاسرة فيه هي تلك الصغيرة

رمى مراد مقبض اللعب وحدق في آدم قائلاً بجمود: حتى أنت تراني مخطئ في زيجتي منها !؟
-وهل كان رأيي أو رأي أي أحد من عائلتك سيحدث فرقاً؟، لكن وبما أنك سألت اسأل نفسك أولا أتراه أمرا عاديا أن تتزوج بمن تصغرك بخمسة عشر عاماً!
اجابه مضيفا عينيه :
- لست الأول ...الكثيرون فعلوها ونجحت زيجاتهم. المهم التوافق .
- على من تضحك يا مراد!!! أي توافق وأنت تلعب فيها كالصلصال بين يديك..أنت تريد بنتا تربيها على هواك بعد الفظائع التي ارتكبتها والتي أشك أنك ما زلت ترتكبها حتى اللحظة.
نهض مراد كذلك محدقا بعيني آدم ببلادة وتمتم : -انتهت اللعبة... أيها الواعظ ! وخرج من منزله ليدخل شقتهم العابقة بسكون الثانية بعد منتصف الليل .
وظل يفكر ...صحيح أنه عانى معها وخاصة بالسنة الاولى من خطوبتهما نظراً لأنها ما تزال مراهقة أميل للطفولة لكن نقائها وبرائتها فتنته، عندما تضرب الأرض بقدمها بتذمر وتغادر حينما يتشاجران، عندما تقف أمام واجهات محال الألعاب بهيام وكأنها تطالع محل مجوهرات لا مجرد دباديب محشوة، صرختها الفرحة حينما يشتري لها اللعبة التي رغبت بها، أو الفستان الذي حلمت به ! وفمها الكرزي المحشو بالشوكولاه دائماً، حتى بات هو كذلك يتذوق الشوكولاه من بين يديها الناعمتين كلما التقاها.
إصرارها على الذهاب الى السينما لمشاهدة أفلام -'الأنمي - ومرافقته لها مرغماً أو جلساتهم والتي تتمحور غالباً حول أبطال المسلسلات التركية والهندية والكرتون! فيضع حينها كفه تحت ذقنه مستمعاً لتلك التقارير والأحداث التي لاتنضب !
أعادت إليسا لروحه حيوية المراهقة التي حرم منها باكرا نظرا لمكانة عائلته المرموقة، لانخراطه بالدراسة والالتحاق بشركة والده ليبني اسمًا ضخما لشركة الهندسة التي أسسها رضوان .

البستها الغبية التي تشيب شعر الرأس عندما يزورهم فتخرج لمقابلته بثوب أو بيجاما مليئة برسوم كرتونية وخفها على شكل أرنبٍ أو كلب أو قطة ! فيبدو شكله كمن يجالس طفلاً للعناية به لا أكثر، تحمل هذا الوضع لعدة زيارات ليقول لبهية ذات يوم بعدما فاض به الكيل : أصلحي هيئتها رجاءاً ستفقدني صوابي لم أعد أحتمل !!

تنهرها والدتها وتسحبها على غرفتها لتزينها كامرأة يافعة بكثير من البهرجة والألوان والماكياج ومن ثم تعيدها ليجلسا سوياً، فييأس من ذوق والدتها التي حولت ابنتها بنجاح إلى غولة لعوب ممعجنة بالألوان ! فيشحب وجهه و ويتمنى إعادتها لبراءة هيئتها الطفولية التي فتنته ! وغيرها الكثير من المواقف الممتعة وحتى المحرجة حينما يصطحبها للخارج .
لكن ما يؤرقه بكل الموضوع طريقة معيشة أهلها الانفتاحية الفجة وحفلاتهم التي لا تنتهي .
حفلة عيد الميلاد ...وراء حفلة نجاح، بعدها حفلة عقدٍ جديد لابتكار صنف جديد من الشوكولاه، يليه حفلة افتتاح فرع آخر لمتاجره ،وهكذا حتى اضطر لحضور معظم الحفلات والتهرب من بعضها ...طبًعا إذا استطاع، لكن عقله ما يلبث أن يمثل سيناريوهات عن إليسا وتصرفاتها في الحفل، لذلك يقرر جاهدًا الحضور، أو أخذها خارجاً لحين انتهاء الحفل . ناهيك عن قائمة الممنوعات والمحظورات التي يمليها كل مرة يراها فيها ويختمها بقبلة على جبينها تكلل وجنتاها باحمرار شديد وكأنه يودع طفلته، ثم يذهب ببساطة لملاقاة امرأة ناضجة تنسيه إليسا وأم إليسا !
**
نفخ دخان ذكرياته وحاضره معها وتجهز للذهاب للحفل الذي نسي ما سببه أساسًا، لكن باقة زهور تكفي مهما كان السبب ولمن كان، لذلك تجهز وأغدق نفسه بعطره الفاخر قبل أن يرفع حاجبيه زهواً بنفسه أمام المرآة ويخرج .

كان آدم يهرول خارجاً على الطريق المؤدي لمنزله ونسيمات الليل الندية صارت أقرب للبرودة ، توقف مستنداً على ركبتيه يلهث ثم جلس على حافة الرصيف وتجرع من زجاجة الماء التي بين يديه وسرح بالقمر الذي يتوارى نصفه خلف السحاب ...رن هاتفه المحمول فأخرجه من جيب بنطاله الرياضي الرمادي وأجاب على خالته عبير :
-أما زلت تركض بني .
-نعم خالتي هل تريدين شيئاً من الخارج لأحضره معي ؟
اختطفت نور الهاتف من والدتها وقالت بلهفة :
-نعم نريد المثلجات رجاءاً.
لكن عسل اختطفته مجددا من نور وأكملت :
-مثلجات بالفراولة والليمون .
تعالت ضحكاته عندما سمع توبيخ عبير لابنتيها وهي تمسك بالهاتف مجدداً وقالت باسمة :
-لا بني لا تستمع لهن، اتصلت فقط لأطمأن عنك فلقد تأخرت .
-حسنًا خالتي سأعود فورا ً وسأحضر لهن المثلجات معي طلباتهن أوامر .
فسمع عسل وهي تهتف بحماس : بل سنأكلها خارجاً ماما "
دفعت عبير ابنتها وهي تنهرها فلمعت عينا آدم ببريق غريب وقال بابتسامة :
قولي لهما أن تجهزا إذن أنا قادم .
أغلق الخط وعاد أدراجه إلى المنزل رأسه يسبق قدميه ! وما إن صعد درجات السلم حتى فتح باب الشقة وخرجت عسل صائحة باندفاع..تجهزنا هيا ننزل
ربت على رأسها ضاحكاً : أكنت تراقبين الطريق يا شهد العسل !
اطلت نور لتجلب شقيقتها فرفع بصره تجاهها قاطبًا حاجبيه وما زال يلهث، كانت شعيراته المبللة بالعرق تسقط على جبينه جراء هرولته والقميص الأسود يلتصق بصدره فقالت نور : أنت متعرق كثيراً ، لا بد وأنك متعب الآن لنؤجلها .
هز رأسه نافياً وقال وهو يصعد

سآخذ حمامًا سريعاً وأعود فوراً " ثم توقف عند آخر درجتين وأكمل وهو يشير إلى فستانها بعينيه المتوهجتين : وتكونين قد غيرت هذا الثوب فهو ضيق
أحنت نور رأسها تطالع فستانها الصيفي الطويل ثم حدجت آدم بامتعاض بينما أكمل صعوده ناحية الشقة ليأخذ حمامه .

دخلت نور الى غرفتها وهي تتذمر لكن لا بد لها من الإنصياع لأوامره ،هي نفسها لا تفهم لما تطاوعه بكل مقولة يقولها ولما تمتنع عن نواهيه، أخرجت كنزة قطنية خفيفة ذات لون أخضر غامق وبنطالا ً من الجينز ارتدتهم ثم نزلت درجات السلم لتطالعها عبير باستغراب : - لما غيرتِ فستانك ؟

زمت شفتيها بامتعاض مجيبة : بابا آدم قال لي أنه ضيق ! .

تبسمت عبير وهي تحكم لف شرائط شعر عسل : -لا بأس هو محق ،. كان ضيقاً قليلا ً عند صدره .
ضربت الأرض بقدمها وصاحت :
-طبعاً،.بابا آدم محقٌ دائماً..سيدفن الثوب كغيره في مقبرة دولابي إذن كما العادة !

قطبت عسل حاجبيها وصاحت بشقيقتها بتحذير: -لا تتكلمي عن أندومي ثانيةً !!
ارتمت نور على الأريكة منزعجة: ليته كان فعلا طبقاً من الإندومي ...فأغليه بالماء ثم آكله وأرتاح من أوامره .
- والله سأخبره ، قالتها عسل محتجة
فضحكت عبير على جدال ابنتيها الذي لا ينتهي
وقاطعهم طرق باب المنزل فهرولت الفتاتان ناحية آدم الذي ارتدى بنطالاً من الجينز و قميصا ً غامقاً أخضر اللون كذلك ،.تطلعا ببعضهما للحظات على

تشابه ما ارتدياه ثم قال لنور بعدما أمسك بكف عسل :غيورة !! هيا بنا "

نزلا الى الطريق وصعدت عسل كعادتها أمامه على دراجته النارية أما نور فجلست على المقعد خلفه ، شغل الدراجة وانطلق ،

جلسوا على المقعد في الحديقة يتناولون المثلجات و عسل كعادتها ما إن انتهت حتى أراحت رأسها على حجر نور ظلت نور صامتة وهي تمسح على شعر شقيقتها بينما آدم اكتفى بالتحديق في نور بين فينة وأخرى، يشبع نظراته العاشقة منها، تنبهت لنور لنظراته الزائدة فقالت بارتباك : لنعود أدراجنا تأخر الوقت .
أرجع بظهره على المقعد وعقد ذراعية على صدره وقال وهو يطالعها بمكر :

-لما تتحاشينني بالآونة الأخيرة ؟
-أنا أتحاشاك ؟
هز رأسه مؤكداً فقالت معترضة : لو كنتُ كذلك لما خرجت معك الآن "
-خرجت لأن عسل هي من طلبت ذلك "
- نعم أنا طلبتُ ذلك"
قالتها عسل ليقهقه آدم حينما أجابتها نور : اخرسي أنتِ حشورة !
-أنا حشورة!!
ثم قفزت عسل من على حجرها وقالت : قالت نور أن ليتك طبقا من الاندومي فتغليك وتأكلك وترتاح منك ".
شقهت نور وهي تضرب كتف شقيقتها التي هرولت تلعب وارتفع حاجبي آدم دهشة قبل أن يعيد نظراته إليها وهو يقترب منها :
- كوني صريحة معي نوارة ما بك ؟

أشاحت ببصرها تتحاشى نظراته فقال باسماً : هاا أرأيتِ ما أعنيه، تتهربين

من الإجابة .
هنا هتفت به : أنت السبب ،. نظراتك باتت غريبة جداً في الآونة الأخيرة ، ولا تنفك تخجلني بكلماتك ،لا أفهم ما الذي جرى لك.

اقتربت عسل قائلة منهما صائحة: هيا تشاجرا كالعادة !

قهقه آدم عليهما فخاطبت نور شقيقتها : هيا تعالي سنعود إلى المنزل .
فاتجهت عسل تجاه الدراجة النارية ولحقت بها نور فأمسكها من كتفها ومال عليها هامسا ً:
- اخجلي مني ..لأن نظراتي لك لم تعد بريئة كما كانت يا ابنة خالتي .
اتسعت حدقتاها بصدمة فأرجعت بساعدها إلى الوراء بعنف لتضرب صدره وهي تتمتم : ماقلة التربية هذه !!
-أخ معدتي يا متوحشة، بالمناسبة أمك من ربتني !!

-

****

6

في الجانب الآخر من المدينة وبهذا الوقت من الليل يطرق مسعود الباب بقوة قائلاً بصوته الجهوري :
-افتحي يا فتاة أقسم بأني سأشق رأسك إن لم تحادثيني حالاً ...أنا أعرف أنك بالداخل، لقد انتظرتك الليل بطوله أمام باب داري ، هيا افتحي قبل أن أكسر هذا الباب اللعين .

ومن خلف الباب تقف هذه الفتاة القصيرة ذات الشعر القصير الاسود والجسم النحيل والوجه ذا التقاسيم الناعمة . وهي تتقافز و تجابه صراخ (مسعود)

بأعلى :

-قلت لك لن أفتح واضرب رأسك بكل جدران العمارة يا بدين يا ذا البطن المترهل .

-جمااااانة ! أنا بطني مترهل !أقسم أنك لن تباتي اليوم في الشقة، هيا اخرجي لملمي قاذوراتك واخرجي قبل أن أتصل بالشرطة.

قالها وزاد ضرباته على الباب حتى كاد أن يختلعه من مكانه ففتحت الباب فجأة وصارت تهتف :
-قلت لك أني سأدفع في نهاية الأسبوع ألم تفهم .
ضرب بقبضته على الباب صائحاً بوجهها :
-كل نهاية أسبوع تقولين هذا الكلام ليأتي الأسبوع الذي يليه وهاقد تراكم عليك أجار ثلاثة أشهر أيتها الكاذبة المحتالة !!

-ألا تعلم أني بلا عمل حالياً ! ألا يوجد بقلبك رحمة أيها اللئيم .
-أنت بلا عمل بسبب مشاكلك التي لا تنتهي و لسانك العفن ..أصلًا لا يهمني إن عملتي أم لا ...إدفعي حالاً أو اخرجي هيا .
نفخت بقوة منه وقد استبد بها الغضب .

غداً سأحاول أن أعطيك نقودك دعني أنام الآن أنا تعبة، قضيت طوال اليوم خارجاً أبحث عن أي وظيفة لعينة "

جحظت عيناه وصرخ :نوم أي نوم!!!! لن ينام أحد قبل أن تدفعي لي لايهمني إن كنت تعبة أو ميتة إذهبي إلى جهنم بعيدا عن داري .

جزات على أسنانها غيظًا من عناده ولم تشعر بنفسها إلا وتناولت ساعده بعضةً قويَّة جدًا حنقا ًمنه في حين أن صراخه قد وصل إلى جزر القمر !!
-أيتها المجنونة ماذا فعلتِ ؟ هيا انقلعي إلى غير رجعة "
وصار يدفعها بقوة وهو يتأوه بسبب عضتها المؤلمة

-سأذهب ...أصلاً لا يشرفني أن أقطن بشقتك العفنة أيها العفن .
دخلت وصارت تلملم حاجياتها وتكدسهن بحقيبتها السوداء الصغيرة ثم حملتها بصعوبة متجاوزة مسعود الذي بدأ يضرب كفاٍ بكف على تلك المجنونة التي تورط معها ولا يعرف كيف سيتخلص منها. .

هبطت الدرجات القليلة وهي تلعنه بصوتٍ عال
(عار عليك أن تطرد فتاة بمنتصف الليل يا عديم الأخلاق والضمير.، ليرحمك الله يا خالتي تركتني مع وحش عديم الرحمة سحقًا لك ولأمثالك من البشر يا مسعود)

خرجت جارتها هي الأخرى وهي تصرخ بامتعاض :
- ألن تنتهيا من الشجار أنتما الاثنان نريد أن ننام .
حدجتها جمانة بنظرة جعلتها تتراجع خطوتين إلى الوراء وتغلق بابها بهدوء فهي تعرف جمانة جيدا عندما تغضب فما زال أثر عضتها السابقة يزين كتفها عندما تشاجرتا فقفزت كالقردة وتناولتها بعضة قوية ! .
نزلت من العمارة ووقفت بمنتصف الطريق تنفخ بحنق وهي تحدث نفسها : أين ستذهبين الآن يا جمانة ؟!

مدت يدها لحقيبتها الصغيرة وصارت تعبث يها علها تجد نقودٍا تكفيها أن تنزل بفندق ما يأويها الليلة وغداً ستتصرف لكن نقودها لم تكن تكفيها حتى ثمن مشروبٍ غازي .

القتهم أرضٍ بحنق وصرخت : اللعنة على حياتي ...اللعنة عليها "

ومشت خطوتين قبل أن تتنهد بقوة وتعود لتلملم القطع النقدية وتدسهم في جيب بنطالها الأزرق الغامق وتقول بيأس وهي ترلت على جيبها : لا دخل لكم بحياتي اللعينة يا نقودي العزيزة "

جلست فوق حقيبتها رافعة بصرها إلى السماء تزفر بين حين وآخر منتظرة الفرج أو مسعود الذي ما يلبث أن يعيدها إلى الشقة بعد أن يشفق على حالها....سيناريو يتكرر كل بضعة أشهر ينتهي بعضة أو ركلة منها تزين بها جسده البدين وشجار طويل ثم ترجع وكأن شيئاً لم يكن، وفعلاً ما هي إلا ساعة قد مرت حتى رأته يخرج من باب العمارة..بقميصة القطني الأبيض الذي يحتضن كرشا كبيرا يترجرج مع مشيته، وشورته المبرقع بألوان عجائبية والذي بالكاد يغطي ركبتيه... تقدم ناحيتها ورغم مظهره العجيب إلا أنها ابتسمت وكأنها رأت فارس الأحلام! أزاحت خصلة من شعرها خلف أدنها وأدارت وجهها الباسم عنه..
حين توقف بجانبها قائلا بلطف:
-هيا اصعدي جمانة فالجو باردٌ هنا "
زمت شفتيها امتعاضاً منه وقالت ببلادة: نحن في عز الصيف ..
واردفت بشفقة على احمرار مكان عضتها وسألته :
هل تؤلمك ؟
ضحك مجاوباً : اعتدت على أفعالك الغبية "
-لم اخطئ حينما اخبرتك بأنك تملك كرشا اضخم من معاناتي في هذه الحياة ..
زفر بانزعاج وهو يبتعد عنها داخلا العقار فصاحت فيه :
-مسعوووود!!! يا مسعوووود يا ألطف كائنات هذه الأرض...
حملت حقيبتها وصعدت ورائه الدرجات حتى وصلت إلى طابقها، أولج المفتاح بالقفل ثم أنار لها ضوء الصالة وسلمها مفاتيحها قائلاً :

-لربما كنت لعنة بحياتي، لكني وعدت السيدة نجلاء رحمها الله بالعناية بك "

هزت رأسها وابتسمت امتناناً لكلماته وعطفه وقبل أن يغادر سألته ببراءة :
-هل أستطيع أن أستدين منك القليل من المال؟ .
جحظت عيناه بغضب فرفعت كفيها باستسلام وهي تريه القطع النقدية الباقية وقالت باسمة :
-لم يعد معي نقود !
ضرب كفاً بكف وقال يائسًا : لا فائدة منك يا جمانة ...لا فائدة !أحضر لآخذ اجار الشقة فتقومين بالاستدانة مني !!
غادر الى شقته المقابلة فهتفت بدهشة : ألن تعطيني نقودًا ؟؟
مد يديه بتلقائية إلى جيبي الشورت ليسحب البطانة قائلًا : مفلس اليوم كما ترين، مري غداً إلى الدكان وأمري إلى الله "
- اسمع وكرد لكرمك ما رأيك أن نقوم كل يوم ببعض التمرينات....أنسيت أنني رياضية ممتازة .
فكر قليلا وهو أمام باب داره فأردفت بلهفة : -سيخف كرشك كثيرا ببعض الحركة ...و..ولن أطلب منك الكثير من المال سأقوم بالخصم .
التف اليها وصاح : الا تشبعين !!! انك مدينة لي لآخر يوم بعمرك ومع ذلك تتشرطين بوقاحة !!
تعالت ضحكاتها المرحة وأردفت: أمزح معك...سأدربك بالمجان لا تقلق.
ثم رفعت كفها ملقية له تحيةً عسكرية وتبسمت بوداعة وهي تقفل الباب، أما هو فضرب كفًا بكف وهو يهز رأسه بيأس منها :
-لاحول ولا قوة إلا بالله.

***

وصل مراد إلى فيلا عائلة أليسا كان الجو كعادته صاخباً في الداخل، ألقى

السلام على بعض معارفه ثم جال ببصره بحثاً عنها ليراها تتوسط مجموعة حسناوات تثرثر معهن، وكالعادة كانت قد اشتعلت فتنة بثوبها الوردي رغم بساطته، ذو كمين من الشيفون تتناثر عليهما زهور ناعمة، و يغطي أسفل ركبتيها بقليل...، ثار بركان الغضب بداخله وهو يطلق شتيمة على والديها، حدجها بنظرةٍ قاسية فرغم تحذيراته بألا ترتدي الضيق أو القصير هاهي الآن أمامه بفستان ضيق وقصير وكأنها تعاقبه على تأخره ! تقدم بخطى بطيئة يتوعدها حتى لمحته فلوحت له بيدها من بعيد وتقدمت بسرعة ناحيته :
-أهلا مراد، تأخرت .

-اعتصر ساعدها مزمجرا بغيظ :
-ما الذي تناقشنا به سابقا بشأن هذا النوع من الملابس المكشوفة يا محترمة ! انكمشت على نفسها محرجة من كلامه القاسي
-مراد أنت تؤلمني !.
-وسأحطم كل شبر من جسدك المكشوف، هيا أمامي الآن إلى غرفتك وغيري هذا الثوب .
-ولكن مراد !

دفعها بقوة كادت تطيح بها أرضا ً لتسير أمامه بصمت وقد ترقرق الدمع في عينيها حتى صعدا إلى الطابق للعلوي وتقدمها ناحية غرفتها، كبرت فتاته على ما يبدو وبدأت في إعلان التمرد على قراراته ...وهذا مؤشر خطير..
فتح خزانة ملابسها بعنف وصار يحدق بتلك الفساتين المتكدسة، ألقى نظرة سريعة حتى بان له أطولها وأخرجه قاذفا ً به عليها .

معك خمس دقائق فقط لتتجهزي، وخففي أحمر الشفاه ما تزالين صغيرةً على تلك الترهات، تبدين كغولة التهمت صغارها "
ألقى كلماته كأمر عسكري وغادر الغرفة تاركا إياها تشهق باكية ،

حدقت في فستانها الأزرق الطويل ذو القبة الخانقة و الأكمام الطويلة.. ذلك الفستان اشتراه لها منذ فترة وتمتمت بحنق :
-سأبدو مثل راهبةٍ به !"

ضرب الباب المغلق بقبضة يده وقال من خلفه : كفي عن التمتمة وغيريه وإلا سأغيره بطريقتي!

غطت فمها بهلع وانصاعت لمطلبه مجبرة وارتدته ثم مسحت أحمر الشفاه ونزلت من جديد إلى الحفل، دارت ببصرها تبحث عنه حتى رأته يجلس مع والديها قرب النافذة العريضة، يبدو منزعجا جدا يتحدث وهو يشوح وكأنه يلقي ما تبقى من توبيخه لهما!
تقدمت منهم بهدوء لترى ان وجه والديها مكفهر أيضاً! نهض من فوره حينما حضرت :
- والآن استميحكم عذرا سأخرج مع إليسا بعيداً عن هذا الصخب "
-البيت بيتك " قالها أسعد بجمود وهو ينفخ دخان سيجاره آذنا لهما بالخروج فحدقت بوالدتها التي اشارت لها بكفها بلا مبالاة فتبعت خطواته و خرجا لحديقة المنزل .

جلست على الكرسي تهز قدميها بغضب فوقف قبالتها وشبح ابتسامة غزا محياه بعدما انفردهما خارجاً :
-هل يحق لك الغضب برأيك؟. "

رفعت بصرها ناحيته :آلا يحق لي.
أمسك فكها بقبضته وغمغم:
-حينما تكونين مخطئة لا يحق لك...حتى التنفس .

-آلمتني قبضة يدك وأكاد أجزم أن ساعدي كدم كذلك ..
عبس وسأل بقلق : هل آلمتك لتلك الدرجة حقا.، ثم تدركين أن هذه الثياب تثير جنوني ، أريني إياه...!
هزت رأسها برفض وهي تبتعد خطوتين عنه: لن ترى شيئا..ثم لم يكن قصيرا.
-بل كان قصيرًا و جميلاً على جسدك "

وقفت تنظر إلى فستانها الحالي وقد توسعت حدقتاها ثم صرخت به ببراءة :
وهل هذا قبيح لا يلائمني لذلك اخترته !؟ .
تعالت ضحكاته وهو يقترب منها ويحوط كتفها تحت ذراعه قائلاً بمرح :هل هنالك فستانٌ لا يلائم أرنبتي المدللة ! .
اكتست وجنتاها بحمرة طفيفة تحاول التخلص من ثقل ساعده ثم قالت :لا تحرجني أمام أحد مجددا "

- لا تخالفي تعليماتي كي لا تتعرضي لذلك مجدداً "

أخرج من جيب بذلته قطعة شوكولاه بالبندق وفضها عن الغلاف فتراقصت عيناها فرحاً وقبل أن تتلفظ بأي شكر له دسها في فمه وصار يلوكها باستمتاع فقوست شفتيها هاتفة : ألم تحضر لي قطعة !!

-وكأنكِ محرومةٌ منها ! والدكِ يمتلك مصنعاً من الشوكولاه يا شرهة !
ً
ثم سبقها بخطوات وهو يكمل حديثه :
-هيا يجب أن أكلم والدك بشأن حفل الزفاف فلن أستطيع صبراً بجو عائلتك فقد اقتله أو اقتل نفسي وربما احرقت منزلكم الصاخب الذي سيصيبني بالجنون .
تبعته وهي تتعثر بفستانها الطويل وقالت باستغراب: أي زفاف مراد .
توقف فجأة بمكانه لتصتدم به ثم استدار : زفاف ابنة عمي، أي زفاف برأيك !

"
توسعت حدقتاها ثم صفقت بسعادة : سنتزوج أخيراً !.
فقال ساخرا يقلدها :
- هييي سنتزوج أخيراً ، ياللصدفة العجيبة !!
ثم رفع يديه ووجهه ناحية السماء معقبا ً:
-يا إله السموات.، بماذا أخطأت لتعاقبني بهذا الشكل ! "

ولكنها كمن تذكرت أمراً خطيرا فعاودت تحاول اللحاق بخطواته : ومدرستي مراد !
توقف لبرهةٍ عاقداً حاجبيه ثم سألها : إعذريني لكن بأي مرحلةٍ دراسية كنتِ ؟
- مرااد أنت جاد !
قهقه وهو يقرص وجنتاها بيديه قائلاً : اه أرنبتي بالثاني الثانوي،
سأعلمكِ على يدي يا صغيرة حتى تنهي الثانوية بسلام .
-والجامعة ؟
ما رأيك أن نتناقش أيضاً بمشروع التخرج ثم الماجستير والدكتوراه مابك اليسا !

حدقت به بعينيها الواسعتين ولم تفهم طريقته التهكمية في الحديث...سألته ببراءة : لكنك أخبرتهم أن زواجنا لن يتم حتى أبلغ الثامنة عشرة ..أغيرت رأيك؟

ليختلج قلبه هذه المرة بعنف ضارباً دقاتٍ جنونية قد طغت على الموسيقى المنبعثة من داخل الفيلا، اقترب منها قائلاً بحنان : ألا ترغبين كما ارغب..في إتمام هذا الزواج بأسرع وقت؟ ثم لا فارق ...ماهي إلا شهور قليلة ،.
وتمتم بعدها بينه وبين نفسه بغضب : المهم أن أخرجك من نمط معيشة والديك المقرفة فقد بدأت تتأثرين بهذا الجو !

****

تململت جمانة بسريرها وقد أبى النوم أن يزورها الليلة، رمت الغطاء بعيدًا وتوجهت ناحية المطبخ وهي تتثائب كفرس النهر ، فتحت باب الثلاجة وبدأت تأكل ما تيسر لها ثم حملت صحنًا كدست به حبات تفاح وخرجت ناحية الصالة، شغلت التلفاز العتيق الذي يحمل ظهراً أكبر من كرش مسعود و ارتمت على أريكتها الزرقاء اليتيمة المتهالكة، تناولت تفاحة وبدأت بقضمها وهي تقلب القنوات حتى توقفت عند فيلم رعب وبدأت تتابعه بشغف .

حل صباح اليوم التالي فتسللت أشعة الشمس الذهبية لتنير جزءًا من غرفة المعيشة، فتحت عيناها السوداوان الواسعتان وتأوهت ألمًا بسبب نومها الغير مريح على الأريكة، أطفأت التلفاز وتوجهت ناحية حمامها المتهالك ككل ركن بهذه الشقة البائسة، غسلت وجهها ثم توجهت إلى المطبخ و حضرت طعام الفطور وهي تتمتم : أنام جائعة واستيقظ جائعة ! ..الرحمة يارب هذا الجوع لا يناسب حالتي المادية! "

طرق باب منزلها وتعالى صوت مسعود من خلفه
-جمانة افتحي "
زفرت بتململٍ ثم تقدمت ناحية الباب وفتحت له: خيرًا ما الذي تريده منذ الصباح .
غيري ملابسك واذهبي لهذا العنوان يحتاجون نادلة للعمل براتبٍ معقول "
تناولت القصاصة الصغيرة من يده وهي تقول بتذمر : نادلة !.
فأجابها مسعود باستهزاء :اعذريني جلالتك لا يوجد منصب وزيرة شاغرة حالياً "
-كفاك سخافة لست أنقصك "

قالتها ثم أغلقت الباب بوجهه وهي تقرأ العنوان ..إنه قريب من حيها ،
حدق مسعود بالباب المغلق أمامه وصاح :
عفواً بالمناسبة، لا شكر على واجب "

تناسته وجلست تحدق بالورقة التي بين يديها ،
تنهدت بأسى واضح على الحال الذي وصلت إليه فهاهي ومنذ سنة قد انقلبت أحوالها بطريقة مخيفة، بالكاد تخرجت من الثانوية وتم قبولها بمعهد السكرتارية لكن ونظرا لوفاة المرأة التي اعتنت بها انقطع الراتب الذي كان بالكاد يسد حاجتيهما فجلست بالمنزل تتنقل من عمل لآخر تعيل به نفسها وبالكاد اجتازت السنة الأولى منه ،
أغمضت عينيها وتنفست بعمق و حسمت أمرها واتصلت برقم المقهى لعلها توفق بالعمل .

****

7

((عام 1980))

كانت رغد تذرع الغرفة جيئة وذهاباً بتوتر بعد انقضاء عدة ساعاتٍ على احتجازها في هذا المكان المريع حتى حل الليل، تورمت عيناها بسبب بكائها المتواصل ،اشتدت برودة الجو فشعرت بارتعادة اوصالها وضعت غطاء السرير على كتفيها و التصقت بتلك المدفأة الصغيرة التي لا تبث الدفئ بهذا الصقيع ، شدت شعر رأسها بعصبيةٍ وقد انهارت على الزاوية بجانب المدفأة تضم ركبتيها على صدرها وكأنها تلتمس الأمان بهما اطلقت المدفأة الكهربائية أزيزاً وانطفأت بعدما حصل ماسٌ كهربائيٌ بها .

-اللعنة ! دفعتها بعنفٍ بقدمها وعاودت تحتضن قدميها وترتعش من شدة البرد حتى غلبها النعاس فاستسلمت له لتسدل أهدابها وتتكور على نفسها لتنام على السجادة العتيقة .

بعد انقضاء مدةٍ قصيرةٍ على غفوتها دلف عابد إلى الحجرة بإنهاكٍ جلي على تقاسيم وجهه ذو الذقن التي استطالت شعيراتها، دار بعينيه السوداوين كصقرٍ بحاجبين منعقدين حتى رآها ترتجف بإحدى الزوايا، بصق سيجاره ودعس عليه بقدمه قبل أن يتقدم ناحية رغد وينحني تجاهها، نادها قليلاً متلمساً وجنتها الباردة وتمتم بسخط: هذا ما نجنيه من التعامل معكن ! كان ينقصني هذه المصيبة !
حملها بين ذراعية وكانت كقطعة الجليد ترتجف بين ذراعيه لما عانته من انخفاضٍ في درجة حرارة جسدها الهزيل، ومددها فوق السرير يدثرها باللحاف ، ثم اتجه ناحية المدفأة تأملها لبرهةٍ قبل أن يغادر ويعود مجدداً يحمل مدفأة أخرى ليضعها بجانب السرير ، كانت ما تزال ترتجف خلع سترته السميكة ودثرها كذلك بها ووقف وهو يضع كفيه على خاصرتيه .

شحبت وجنتها الناعمة عندما فتحت أهدابها بعد دقائق ليتبين لها عابد الذي يجلس على الكرسي المجاور شهقت بخفوت وحاولت أن تشيح ببصرها عنه فقال :
-ستكونين بخير .
ذرفت دموعها مجدداً بخوفٍ من هذا الكيان الضخم الذي يحكمها بنظراته المبهمة فسألت بخفوت : من أنت ،.ماذا تريد مني !؟
- هس " همس بها وهو يضع إصبعه على شفاهه بعصبية مشيراً لها بأن تصمت فاكتفت بدموعٍ زادت غزارتها أكثر .

ألا تنضب دموعك يا فتاة ! قالها عابد بعد ساعةٍ كاملةٍ قضتها في البكاء الصامت وهو لا يحيد ببصره عنها وعلى الرغم من سوداوية حياته، رآها تشبه شقيقته على الرغم من اختلافها الواضح عنها، لكنه يرى وجه اخته بملامح أي فتاةٍ يقابلها، لكم اشتاق اخته الوحيدة التي قرر الابتعاد عنها كيلا يطالها الأذى بسبب عمله، تنهد مغمضاً عينيه وذكرى عائلته تداعب عقله،

شرع بتدخين سيجارٍ آخر بعبوسٍ احتل تقاسيم وجهه، حاولت رغد النهوض كذلك فقال باقتضاب : نامي رغد انتصف الليل .
انفرج حاجباها وهي تعتدل بمجلسها متجاهلةً أمره : منذ أيام لا افعل شيئاً سوى النوم في هذا المكان القذر ..وحتى اللحظة لا أعرف سبباً لخطفكم إياي !
نهض وركل الطاولة التي كان يسند قدميه عليها لترتطم بالحائط بعنف وهدر صوته وهو يشرف عليها من علو: أتريدين القيام بشيء آخر غير النوم إذن؟!
هاه
أتريدين أن أنفذ الأوامر كما هي ،؟!
انكمشت على نفسها أكثر وقد انحنى تجاهها أكثر فلفحت أنفاسه وجهها فهاجت عيناهما بخوف منها وغضب منه.
هدر صوته الرجولي الأجش من جديد : نااامي ،

شهقت بفزعٍ لتستلقي مجدداً على السرير مغطية وجهها وما تزال شهقاتها الباكية تستفزه .
عاد ليحمل الطاولة البلاستيكية الصغيرة ووضعها على الكرسي أمامه جلس ورفع حذاءه الجلدي ممدداً ساقيه على الطاولة وأرجع بجذعه على مسند الكرسي ليغمض عينيه هو الآخر..
وتمتم : نامي...أفضل لك ولي.
وعلى الرغم من كل شيء سيمضي بهذا الطريق حتى النهاية ..

((منذ عدة أيام))

- العملية التالية كبيرةٌ يا عابد ، كن على استعدادٍ للضربة القاسمة .
قالها هذا الرجل الأربعيني ذو الملامح الحادة والشعيرات البيضاء التي تخللت شعره وذقنه، ثم أردف : أريدها ، بأسرع وقت .
أومئ له عابد ثم استلم الملف الذي يحوي على أماكن تواجدها الدائمة، استوقفته صورتها بابتسامةٍ رقيقةٍ تعلو ثغرها .
إنها صغيرة ! تسائل عابد باستغرابٍ ليجيبه الآخر : لديه ابنتين ،الكبيرة تزوجت وهي بمدينة أخرى أما هذه الشعلة ،.فهي التي سنقضي بها عليه ،سنشغله بضعة أشهر من خلالها لحين توزيع كامل الكمية "

ثم أردف بحقد.: أحضرها إلى هنا ...وقم بالواجب أنت ورجالك ،

عقد عابد حاجبيه مستنكراً قبل أن يقرأ المعلومات عنها لينهض ذلك الرجل قائلاً بجمود : هل هناك مشكلة ؟
رمى عابد الملف بإهمالٍ على الطاولة وقال مستنكراً :
طبعاً هناك مشكلة ! فتاة لم تبلغ الثامنة عشر تجلبها لهذا الوكر، تعلم أن رجالنا كالكلاب المسعورة وتسألني ما المشكلة، بإمكاننا ارسالها لمنزل مؤمن "

-وهذه التفاهة منذ متى ونحن نهتم بهذا، أخبرتك أنها لن تكون سوى وسيلة ضغط ليكف ذلك الضابط ببلائه عنا "
انفرج حاجبا عابد وصمت
طال صمته فمال الرجل بشفاهه ساخراً : هل اشتم رائحة شهامةٍ يا عابد بيك !

-أخبرتك سابقاً أن عملي هنا مكللٌ بشروط"

قهقه الوطواط بأعلى صوته مجيباً: تاجر سلاح شهم ...واااو !! برافوو يا ابن اخي ...برافو تعجبني.

صفق الوطواط ساخراً فصر عابد على أسنانه هاتفاً بغيظ : سأتولى أمرها بنفسي .

ازدادت ابتسامة الرجل الماكرة :كن واضحاً, أعجبتك إذن .
زفر عابد بجدية ثم ضيق عينيه ناحية عمه قائلاً :
- وإن يكن أصبحت تخصني و،سأتولى أمرها ومن داخل حجرتي كذلك أهذا واضح لن يقربها مخلوق .."
قهقه الوطواط هذه المرة حتى كانت أنفاسه أن تنقطع وقال بمكر : لا مشكلة لدي افعل ما تراه مناسبًا، المهم عندي أن أنعم ببضع أشهر لأصرف آخر دفعة من السلاح دون أن يتدخل ذلك الضابط ليخرب مخططاتنا سمعت أنه ما يزال يتربص بمن يشك بمعاملاتهم معنا .
ثم أردف بحقد: الوطواط سأجعله يرى هذا الاسم في كوابيسه حتى "

**

تململت رغد على الفراش ولم تعد قادرة على النوم...إنها تنام فقط منذ أيام ..تنام وتنام وتنام خوفا وبردا، انتظم تنفس عابد وهو ما يزال مغمضاً عينيه على الكرسي يتذكر آخر حوار له مع عمه الوطواط، نهضت بهدوءٍ شديد لتفتح درج الكومود لتبحث عن أي شيء قد يفيدها بالهرب من هذا المكان الذي حتى الآن لم تعرف ماهيته وماذا يخفي خلف جدرانه وممراته الإسمنتية ولعلها مختطفة من قبل عصابةٍ ما، عقلها لم يستوعب بعد أنها أضحت رهينة لكن على طرازٍ خاص، فلا قانون سيحكم هنا سوى قانون عابد ،
لمحت المقص، تناولته بهدوء وتقدمت منه بخطى بطيئة تفكر بضربة على

العنق وستنتهي مأساتها .
صارت قبالته تماما ً رفعت كفها وهوت بالمقص عليه، وقبل أن يغرز بعنقه شعرت بقبضته تعتصر كفها ليسقط المقص على الأرض محدثاً دوياً عنيفاً بعد هذا الصمت المهيب، تأوهت بألمٍ فشف ثغره عن ابتسامةٍ هازئة وهو يشدها إليه وغمغم بشرود فيها:
- حظ أوفر في المرة القادمة ألا تكفين عن العبث ! ألا تفهمين أني أحاول حمايتك حتى اللحظة! "

حاولت التملص من يديه وهي تتسائل بجزع : حمايتي من ماذا ! حمايتي ممن لقد اكتفيت منك ومن هذا المكان ،.سيدمرك أبي، سيحرقكك لو علم ما حل بي .

ازداد اشتداد قبضتيه على يديها وهمهم بتسلية: -وما الذي حل بك؟ انت هنا معززة مكرمة..لم يمسسك أحد بسوء .
ضحكت بتشنج رغم آلام يديها وهتفت فيه: يا لهذا الكرم والرفاهية التي أعيشها هنا .
قابلها بابتسامة باهتة مؤكداً:
- صدقيني..كان الأمر ليكون أسوأ بمراحل لو تغافلت عن جزئية أنك ما تزالين صغيرة...
- شهامة يعني؟
سألته ساخرة فأكد لها:
-لو لم املك هذه الكمية الضئيلة من الشهامة لكنت عرفت حينها معنى أن تحيي في جهنم بين وكر من الذئاب.
شعرت بصدق كلماته مما زاد من توتر نظراتها فهمست برجاء: اترك يدي أنت تؤلمني.
افلتها وقال محذراً:
-أي تصرفٍ أحمق منكِ لن أتردد لحظةً واحدة في تنفيذ الأوامر التي وكلت إلي

فلا تحاولي اختبار صبري او المراهنة على تلك الشهامة التي قد تخبو بلحظة .

****

صرخ والد رغد بعنف على الحرس: وكيف تاهت عن أعينكم يا أغبياء !! ما أنتم إلا مجموعة حمقى، أريدها اليوم هل فهمتم ،.اليوم أريدها بالمنزل وإلا أحرقت القسم بمن فيه وأقسم بالله على ذلك .

ربت الضابط الآخر على كتفه مواسياً : إهدئ سنجدها لا تجزع .

مسح وجهه بكلتا يديه وهو يدعو الله أن يسلم ابنته الحبيبة من كل سوء .

-كيف اهدأ...كيف اهدأ وابنتي معهم !؟

***

أقبل الفجر على البزوغ ، عاد عابد مجدداً من الخارج ليجلس على الكرسي وهو يكشر بغضب ،لقد مل فعلاً من طريقة حياته الموبوئة، حانت منه التفاته ناحيتها وهي تغفو بسلام وتبسم بتهكم حينما فكر للحظات بتشكيل عائلة صغيرة سعيدة حينما شعر بالحب ذات يوم...، سبح بفكره بعيداً فلو كان احد الموظفين البسطاء

، تستقبله زوجته الجميلة بعد يوم عمل شاق، يتسابق أطفاله في أرجاء الشقة ويصدعون رأسه بمشاكساتهم .

ثم استرجع ذاكرته مرارة الألم الذي اذاقه إياه الوطواط وهو يجلده بالسوط مرارا .. كي يبتعد عن ملاحقة تلك الفتاة التي خفق لها قلبه...

- اللعنة ،.اللعنة " صرخ بغضب وقذف بزجاجة مياه كانت على الكومود لتتحطم على الأرض ففزعت رغد واستيقظت ! تطلع فيها بغضب وخرج وهو يتمتم : الى أين سبحت بأحلامك يا عابد، من مثلك نهايتهم معروفة ،.معروفة نهايات تجار السلاح .

خرج من الغرفة وأقفل المزلاج و سار بخطى بطيئة داخل الرواق الطويل قبل أن يدلف لإحدى الحجرات ،وكان رجاله يقومون بتركيب الأسلحة وتجهيزها، تناول إحدى الرشاشات وبدأ بمعاينته متفحصا أجزاءه بدقة قبل أن يومئ

للرجال بإكمال المهمة ثم أردف بصوت أجش : تجهزوا و كونوا على استعداد دائم، إن تكرر خطأ المرة الماضية فسأحرقكم أحياء .

وخرج بعد مدة من الحجرة ليسير عائدًا ناحية غرفة رغد، رفع مزلاج النافذة الحديدية، كانت جالسة على السرير تضم ساقيها إلى صدرها ، رفعت رأسها فتلاقت عيناهما للحظة قبل أن تشيح ببصرها عنه بحنق ، أقفل المزلاج بإحكام وتوجه ناحية الغرفة المقابلة لها لينعم ببعض الراحة .

**

عودة إلى الوقت الحاضر ،

تجهزت جمانة صباحا وتوجهت ناحية المقهى داعية الله أن توفق في عملها، لم يكن بعيدا كثيرًا عن منزلها وبالتالي ستقطع الطريق سيرا على الأقدام لتوفر أكثر في مصروفها...
وبعض مضي نصف ساعة تقريباً وصلت إليه، كانت واجهته بلورية بالكامل تتعانق الزهور بألوانها حوله فتعطيه لمسة حيوية و علقت القناديل الخشبية على حوائطه لتعطيه نوعا من السكون والهدوء ،اجتازت السور الخشبي الملون وخطت للداخل لتقابل مدير المقهى، وفعلاً حصلت على العمل وبراتب معقول، وبدأت فوراً بمزاولة المهنة بعدما سلمتها زميلتها مريلة حمراء تحمل شعار المقهى، كان الجو هادئاً فعلاً بهذا المقهى ممتزجاً مع صوت فيروز الرائق، تبسمت بسعادة حقيقة وتمنت أن تقضي الأيام التالية على خير ولا تثور كعادتها لاختلاق مشاكل مع أحدهم فتصبح مضطرة لترك العمل .

قاربت دقات الساعة أن تستقر على التاسعة مساءاً لتنهي أول يوم لها في العمل، غادرت المقهى متوجهة إلى المنزل فمرت بطريقها لدكان مسعود .
-حصلت على الوظيفة إذن "قالها وهو يرتب أكياس الطحين فأومأت له بسعادة

فعالجها بقوله : والراتب جيد إذن ، أشم رائحة نقود من وراء ابتسامتك .
تعالت ضحكاتها فضربته على كتفه بخفة :
-الحمد لله، سيكفيني لأدفع لك أجار المنزل وسأعتال بما يتبقى، إنه قريب سأمشي إليه ولذلك سأوفر أجار المواصلات وبإمكاني أيضا استكمال دراستي في المعهد في السنة القادمة .
-بالتوفيق لك ،.لكن إياك وافتعال مشاكل يا جمانة ، لم يعد الحصول على عمل أمراً سهلاً هذه الأيام .
تنهدت مؤكدة كلامه و انتشلت كيسا من رقائق الشيبس وفتحته وشرعت بأكله قبل أن تغادر فصاح مسعود : هييي يا بنت ادفعي ثمنه ! .
-هووف مسعود لا تكن بخيلا ! ،ثم أنني سأبدأ معك بالتمرينات كل يوم صباحاً لتخفف هذا الكرش.
لوح بيده باستهتار: ارحمي كرشي وكفي عن اقحامه بحديثك كل مرة.
-انه بشع يا بني...انت تصبح يوماً بعد آخر كبرميل ماء ..عليك بتحريك نفسك وممارسة الرياضة .
وخرجت من دكانه مبتسمة بشقاوة .

****

كانت نور تجلس بجانب آدم يدرسان في صالة منزلها كون امتحانات الثانوية العامة قد شارفت على البدء وهو يساعدها في استذكار وشرح
دروسها،أخرجت الهاتف كالعادة واقتربت منه لتلتقط صورة رفع وجهه باستهجان وحدق فيها : حتى وقت الدرس ! ألا تملين التصوير...
غمغم بحاجبين معقودين فابتعدت عنه مجدداً والتقطت صورة أخرى ! .
شعرت بالتململ فنهضت من على الكرسي ليسأل باستنكار
-إلى أين ؟ لم ننتهي بعد !
ارحمني آدم هاقد مضى على جلوسنا ساعتين من الزمن لقد تشنجت أطرافي .

أغلق آدم الكتاب فقالت عبير وهي تقوم بلف ورق العنب وحشوه بالصالة مع الخادمة : خذا فترة استراحة ٍ يا آدم، نحن نتعبك معنا فلديك مشروع تخرجٍ أيضاً بني .

تبسم آدم ناهضاً من على الكرسي وهو يحرك أطرافة المتشنجة وصدره يخفق باضطراب لذيذ...لو ظل هكذا العمر كله لن يمل :
- لا تقلقي خالتي المشروع الذي أعمل به لا ينقصه سوى بعض التفاصيل الصغيرة وسأسلمه في معاده إن شاءالله، المهم فقط أن تنجح ذات العقل السميك .

ضحكت عبير فهتفت نور باستنكار وهي تضرب الأرض بقدمها :
-أنا ذات العقل السميك يا سيد آدم ! أنت أستاذ فاشل لا تجيد إيصال المعلومة "
-هكذا إذن....دعي مراد يعلمك من الآن وصاعدا أنا مغادر ..
وفعلاً استكمل طريقه ناحية باب الشقة فجزعت نور من احتمالية تدريس مراد لها...فهو لا يتوانى عن ضربها بكل ما يقع تحت يديه إذا لم تفهم وقت الشرح..وذاتا خلقه ضيق ..لن يتحمل دماغها السميك...
لحقت بآدم وقبضت على ساعده وشدته راجيه : -لا ..لا اخي سفاح والله لتقرأ خبر نعوتي في اليوم التالي مباشرة ...مخي سميك واعترف لكن رجاء لا تتركني في هذا الوقت الامتحان اقترب .
استدار ناحيتها بقلب مضطرب وهمس وهو بجانب الباب : حسنا إذا اتركي ذراعي لن أهرب.
أفلتت ذراعه من قبضتيها فهندم كنزته واشار لها كي تتقدمه:
- أريد فنجان قهوة كتعويض عن هذه الإهانة العلنية لمهاراتي" قالها معانقاً بمكر عينيها العسليتين فنظرت إلى الخادمة لتطلب منها إعداده فقال بإصرار : من بين يديكِ سأشربه هذه المرة ، ألا ترين أنها مشغولة ؟

بهتت ملامح نور فهي لا تتذكر حتى متى صنعت آخر مرة فنجان قهوة ازدردت لعابها وهمهمت بالرفض إلا أن نظراته التي ارتكزت عليها جعلتها تنصاع لمطلبه على مضض وعبير منهمكة بلف ورق العنب فلم تنتبه للهيب الصواريخ المنصبة على ابنتها المسكينة من قواعد عينيه .
-ولا تنسي وضع بضع قطع من البسكويت.
توجهت ناحية المطبخ وصارت تحاول إعداد فنجان قهوة وهي تتمنى أن يختنق بها كي يتعلم عدم إحراجها مجدداً فهو يعرفها فاشلة في اعمال المطبخ، دلفت بعد صراعٍ مريرٍ وحربٍ طاحنةٍ فارت على إثرها قهوتها
على الغاز لتعيث به دماراً، أخرجت الهاتف وارسلت الصور إلى مراد كالعادة ليقوم بطباعتها وتسليمها لوالده ،

ثم صبت قهوته في فنجان بتكشيرة مكر ودلفت لتقدمها له، مع طبق مليء بقطع البسكويت فقال عابثاً : اتشتمين رائحة حريقٍ خالتي .

رفعت عبير رأسها لتفهم مغزى كلماته وتبدى لها جلياً أن الأدخنة تتصاعد من رأس ابنتها المسكينة فقالت نور بحدة : أرى بركاناً سينفجر بوجهك يا آدم إن لم تصمت .

قهقهت عبير وهي تلملم حلّة المحشي بعدما انتهت من لفّه مع الخادمة و ودخلتا إلى المطبخ فعاودت نور الحديث بحدة :
- هل سأنتظر طويلاً ؟ .
تنبه أخيراً إلى يديها اللتين تحملان صينية القهوة فرفع يده لاستلامها، قرب الفنجان من شفتيه وهي تنتظر بمكر نتيجة فعلتها وما إن ارتشف منها حتى جحظت عيناه وبصقها :
- ملح !! يخرب بيتك !
تعالى صوت ضحكتها الشامتة بتشفٍ وهي تراقص حاجبيها وهمست بمكر :

كي تتعلم أصول اللعب مع الكبار .

وقف أمامها فجأةً مما جعها تجفل وتتراجع خطوة إلى الوراء وهي تضم الصينية لصدرها.. تقدم منها وهي مازالت تتراجع حتى التصقت على الحائط باسمة ظنا منها أنه يمزح..
مال عليها هامساً : قلت لي أن أتعلم أصول اللعب مع الكبار !! سنلعب إذن من الآن وصاعداً على طريقة الكبار "
واقترب أكثر وأكثر وهو يرتكز بكفه على الحائط خلفها محاصرا إياها تلاشت الابتسامة حتى حل الذعر مكانها واضطربت أنفاسها بخجل من اقترابه بهذا الشكل، وبلحظة ضربها بأصابعه بخفة على جبهتها هامساً :إلى أين ذهب تفكيرك يا ابنة المنصور !..لا إله إلا الله، بنات آخر زمن !!
حبست انفاسها وقد اغرورقت عيناها بدموع الإحراج وهمست بتوتر:
أنت ...أنت غبي .
ضج صدره بعنف وهمس موافقاً: أنا غبي ..غبي جداً.
وبلحظة كان قد طبع قبلة على وجنتها الناعمة وهمس من جديد بأذنها وسط ذهولهما معا :
- ولا تجعلي هذا الغبي ..يبثك أغبى ما عنده بسبب تصرفاتك الأغبى .
واندفع خارجاً من المنزل بطريقة أقرب للهرولة ..

***

8

صعد درجات السلم كالتائه بعدما هرب من أمامها، هو يعترف أنه أحمق ومجنون وطائش لا بل عاشق والعشق يشفع له جنونه وطيشه وغبائه !
أغلق باب شقته واستند عليه لبرهة، أخذ نفساً عميقاً وزفره بقوة وهو يفكر بغباء ما فعل بهذا للوقت تحديداً ،..لربما سيطلبها للزواج حتى قبل أن تلتحق بالجامعة.لن يقدر على تجاهل مشاعره الهوجاء تجاهها...

هل ستقبل بي! هل ستقبل وأنا مجرد عالة ! .

تمتم بقهر ..هو ضعيف، ضعيف جداً بوجودها، ولكم تمنى بهذه اللحظة أن تكون والدته بجانبه، ووالده، كأي عريس يطلب من والديه تزويجه من حبيبته لكن الآن وبما أن والديه نظرياً هما والديها فمن سيطلب أن يزوجها له ؟ بل هل سيوافقون ! والخوف العظيم ظنهم أن علاقته بها لا تتعدى كونها اختاً له ! لكن هذه هي الحياة ،..إن لم تتذوق مرارة الحب لن تشعر بروعته، وهو مستعد لتذوق مرارته أبد الدهر إن كانت نور معه وبجانبه، إن كانت ملكه فقط وله ...وبين يديه مستعد بأن يتذوق مر العالم أجمع .

استلقى على فراشه هائماً بصقيع أفكاره، يخاف أن يرفضوه، وهو ما يزال عالةً على الجميع
احتضن بكفه عقد والدته الفضي والذي لم يخلعه أبداً منذ طفولته، تلمس نصف القلادة المنقوش عليها اسمه و تشكل باكتمالها الشمس لكن النصف الآخر منها بقي مع شقيقته ودفن معها كما أعلموه في طفولته ...فأغمض عينيه باستسلام بعدما كبت دموعه الصامتة كما العادة .

ولوعه شعور الوحدة المقيت، لكم تمنى أن يكبر بين والديه وشقيقته الصغيرة التي أعلموه بأنها بعدما أصابتها الحمى توفيت في الميتم قبل أن تعود خالته مسرعة من السفر وتنهار بعدما علمت بما حل بشقيقتها وابنتها الصغيرة، ضمته عبير لأفراد أسرتها ورعته بكل حب طيلة سنوات، لكن لم يستطع أبدا ًالتلفظ بكلمة أمي لها ، لأن عيني والدته والذي أخذ لونهما الرمادي الغريب منها ما زال يراهما في منامه، بل في كثير من الأحيان يسمع صوتها وهي تعيد على مسامعه ماقالته يوم الحادث
((اعتني بنفسك وبشقيقتك صغيري... أحبك))
تكور على نفسه أكثر بوضعية الجنين وتهدجت أنفاسه باضطراب .

وبالطابق السفلي عند نور لم يكن الوضع بأحسن، فبعد مغادرته ظلت كالمنومة تحتضن الصينية إلى صدرها لتتخابط ضربات قلبها بعنف ولأول مرة تشعر بأن قلبها قد يتمرد بأية لحظة للخروج من جسدها جراء ضرباته العنيفة ! ثم أردفت بتوتر وخجل : غبي آدم، أحرجتني جدا لن أسامحك..غبي !
-نور !
-نوور ؟

تسائلت عبير وهي تنظر الى ابنتها المتجمدة أمام الحائط دون حركة كمن لمحت عفريتاً من الجن،
-بسم الله الرحمن الرحيم، نووور مابك ؟
تنبهت أخيرًا على والدتها التي لكزتها على كتفها فسقطت الصينية لتحدث دويا عالياً قبل أن ترفع نور بصرها ببطئ تجاه والدتها ،
-مابك حبيبتي ؟
- لا شيء.
-أين آدم .
-غادر .

القت كلمتها وهرولت من أمام والدتها التي رفعت حاجبيها دهشة من تصرف ابنتها الغريب لكن سرعان ما انشغلت هي الأخرى عند وصول مراد إلى المنزل، جلست نور على سريرها تضم ساقيها إلى صدرها تتلمس وجنتها مكان قبلته ..وكأن شفاهه قد دمغتها وسيرى الجميع أثر قبلته الخاطفة التي لم تجد لها تفسيراً..وما زالت سيمفونية قلبها بالتصاعد أعلى وأعلى، بعد عدة دقائق طرق مراد الباب على أخته ليدلف الى غرفتها : كيف حالك ؟
انتشلت نفسها من حالة الهلع التي سيطرت على قسمات وجهها وأجابت تتصنع الابتسام : أهلا مراد بخير الحمد لله ..وأنت ؟ .

تقدم منها ليقبل جبهتها قائلاً بحنو : بألف خير ، سأصطحب اليوم إليسا إلى الملاهي، وسترافقانا أنت وعسل .
هزت رأسها بصمت فضيق مراد حاجبيه وأعاد كلمته : قلت لك سأصطحبك إلى الملاهي !
تداركت نور الموقف لتنتفض معانقة أخاها وهي تقول بمرح زائف شكراااا سأتجهز فورا"

عقلها لم يكن معها على الإطلاق: آسفة أخي شردت قبل قليل، الفحص قد اقترب .

قرصها من وجنتيها مجيباً : لا خوف عليك أليس كذلك ؟
أومأت له بابتسامة هادئة فأخرج هاتفه ليبث قراراً جعلها تنتفض من جديد .

-هيا آدم سترافقنا دون اعتراض فلا قدرة لي للسيطرة على دجاجتين وصوص !.
تنحنح آدم بارتباك ولم يجاريه حتى بضحكة صغيرة وما زالت ضربات صدره تتعالى وتيرتها :صدقاً لن أستطيع أريد العمل على مشروع التخرج .
زفر مراد ليجيب بعدها : حسناً كما تشاء إلى اللقاء"
أغلق الهاتف وما كان منه سوى الاتصال بكريم ليوافق الآخر بابتسامة واسعة ويلبي النداء .
ليمتقع وجهها أكثر ألا يوجد بالعائلة إلا هما!!! لماذا يصر الجميع على إقحامها بحياتها !
ضربت جبهتها بمفيها وزفرت زفرة طويلة ،.
أغلق آدم الهاتف بحاجبين معقودين وتبسم ببلاهة، فلا قدرة له الآن على مقابلتها من جديد بعد إحراجها بهذا الشكل،بل وإحراج نفسه أيضاً ! زفر وهو

يحك شعر رأسه ودلف الى الداخل فلربما حاول العمل مجدداً على مشروعه، إن رحمه طيف نور وابتعد عن قلبه وتفكيره .

وصلوا إلى الملاهي ليتناسى مراد شقيقته فهي بمأمن مع كريم الذي وصل بعدهم بعدة دقائق وانشغل بإليسا والتي على ما يبدو لا تريد أن تكبر أبداً، حتى أنها كادت أن تتشاجر مع عسل على آخر قطعة من غزل البنات !

لكم يحب هذه الشابة ذات الروح البريئة لكن و كأنه فعلاً مصاب بفصام بشخصيته، إنه يعشق اليسا ، يعشق لسانها السليط وبرائتها ونقائها الظاهر لكنه بذات الوقت يريد امرأة ناضجة ..واعية ، وإليسا ليست بأكثر من طفلة تخجل حتى من لمسة كفه لأناملها، وكم تمنى أن تكبر تلك الطفلة بسرعة حتى تستحوذ على عقله كامرأة ناضجة ليبتعد عن خيانتها ككل مرة مرغما ً.

كان سابحاً ببحر أفكاره متأملاً تلك الجالسة قبالته تصرخ بفرح ممزوج بخوف عند ركوبهم الأفعوانية فيتخابط شعرها الناري كأمواج بحر هائج لا تزيده إلا تعلقا بهاً، وعسل بجانبهم تصرخ هي الأخرى بخوف ومراد يحتضن كتفيها بحنو .
بعدما توقفت الافعوانية أرسل لها قبلة في الهواء فازدادت حمرة وجنتيها لتتنحنح عسل وهي تعقد ذراعيها أمام صدرها : إستحي مراد أنا بينكم " صعقه لسان هذه المشاكسة الصغيرة ليقرصها من وجنتها..

وبالنسبة لكريم كذلك كان يرفرف قلبه بسعادة صافية حتى ولو لم ترغب نور بركوب الألعاب فاكتفت بالجلوس بالمقهى ولأول مرة تفعلها...، وها هو كريم برفقة ابنة عمه التي سرقت قلبه دون إنذار، متى كبرت تلك الشقية لتسلبه تفكيره ؟ تسائل بتعجب وهو يتأمل كل حركة تصدر عنها، يحصي عدد أنفاسها وعدد رمشات أهدابها القاتلة بكثافتهم و سوادهم الحالك، ليشبع نظراته وروحه

منها فمراد قدم له فرصة لا تعوض،ولكم تمنى لو يقبل بهذه اللحظة مراد على عظيم هديته هذه الليلة ! فبوجود آدم تتضائل فرصه بالإنفراد بها بل تنعدم ليكتفي بصراع الأعين بينه وبين آدم ،

صراعهما صامت دائماً، لكن كلاهما يبثان تهديدات صريحا ًلعدم اقتراب الآخر من نور بل ويرسلان صواريخ متفجرة لبعضهما البعض وفي كل مرة يفوز آدم بانتصارٍ ساحق فهو من تربى معها فعلياً ليزداد حقده عليه يوماً بعد آخر ، لكنه قرر وعند انتهاء نور من امتحان شهادة الثانوية لا بد وأن يسبق آدم بخطوبتها لعلها توافق وتطفئ نار غيرته .
كان القلق باديا عليها.. ولا تنفك تتلمس مكان قبلة آدم..
سألها كريم بانتباه : هل يؤلمك ضرسك ؟
هزت نور رأسها رفضاً فسأل باستغراب: طوال الجلسة وأنت تضعين يدك على وجنتك!
شحب وجهها وأطرقت برأسها أرضا وقد تمنت أن تنشق الأرض وتبتلعها فتمتمت :
-متوترة فقط...لقد ..إن ..إن الامتحانات قد اقتربت
أشفق عليها...فيا ليت همه بسيط كهمومها!
-أتدرسين جيداً...أتحتاجين أي مساعدة ؟
هزت رأسها برفض شاكرة : آدم يقوم بتدريسي .
بان الانزعاج عليه لكنه أردف بثبات : أليس مشغولاً بمشروع التخرج؟ صحيح أنني خريج أدب عربي لكنني بارع في المواد العلمية ...أستطيع مساعدتك .
-إن احتجتك سأخبرك.
- نور أما زلت غاضبة مني بسبب ماحصل ؟
شابكت نور كفيها أمامها على الطاولة :
- لا يا كريم أسنظل نتكلم بالموضوع طويلاً!
احنى جذعه إلى الأمام محدقاً بعينيها:

- وأنت لم تبدي رأيك بما اخبرتك إياه..
مسحت وجهها وقالت راجية:
-لا شيء أبدي رأيي فيه .. إني مضطربة بشأن الامتحان لا أريد أن أنشغل بأي شيء آخر
اقتربت الساعة أن تشير إلى الحادية عشرة ليلاً فغفت عسل على حجر نور عند انتهائها من تناول المثلجات .. نهض كريم بحذر ليحملها بين ذراعيه متجهاً إلى السيارة فلحقت به نور لتبقى بالقرب من شقيقتها
- أين هو مراد ، لقد تأخر ؟
تسائلت نور بقلق ليجيب كريم وهو متكئ على مقدمة سيارته : دعيه مع مخطوبته لا داع لانتظاره، سأتصل به لإخباره وأقلكما إلى المنزل قبل أن يتأخر الوقت .
التفت نور لتجلس على المقعد ريثما ينهي كريم اتصاله ويتخذ مقعده بجانبها لينطلق في رحلة العودة، شغل اسطوانة السيارة لتبث أغنية هادئة كما مرت ليلته كنسمة صيف صافية، وصل بسيارته إلى الفيلا فأطفأ المحرك، نزلت نور فتبعها وبدلاً من أن يحمل عسل احتضن كف نور قائلاً بصدق : أتعلمين ،.كانت هذه من أروع الليالي في حياتي .

أسرها بعينيه وكفه ما تزال قابضة على كفها لتشعر بتوهج يسيطر على وجهها، تحاول التملص من نظراته التي لا تنزاح عنها فتزداد خجلاً ،
- كريم !
نطقت حروف اسمه بارتباك فوق ارتباكها صباحاً من آدم ..
فقال معقباً : اسمعيني يا ابنة عمي، أنت شرفي لا تظني بيوم من الأيام بأني قد أؤذيك أو أتلاعب بك، ما أريد إيصاله لك أني أنتظرك وسأنتظرك ، و لن أتكلم بأي شيء الآن حتى تنتهين من امتحانات الثانوية وحينها فقط سيكون لنا حديث آخر ، عديني الآن أن تهتمي فقط بدراستك .

ورفع كفها بهدوء ناحيته ليلثمها قبلةً ناعمة وما هي إلا ثوان معدودات حتى أدركت نور أن كريم قد أطيح على الأرض يصرخ معتصراً معدته بألم بعدما تلقى لكمة عنيفة من آدم الذي ظهر من العدم !
أو ربما كان في انتظارها طيلة ساعات وهو يتلوى من الغيرة لأنه يعرف أن كريم كان برفقتهم!
***
9
ما هي إلا ثوان معدودات حتى أدركت نور أن كريم قد أطيح على الأرض يصرخ معتصراً معدته بألم بعدما تلقى لكمة عنيفة من آدم الذي ظهر من العدم !
برزت عروق عنقه يكاد ينفجر من الغيظ، حدق فيها بنظرات مشتعلة كفيلة بسحقها وانتظرت صفعة منه فأغمضت عيناها بخوف وهي تتراجع خطوتين إلى الوراء، لكنها بعدما سمعت صوت ارتجاج باب السيارة لمحته يبتعد وهو يحمل عسل النائمة بين ذراعيه، كان يرتدي بنطالاً رياضة وقميصاً قطنيا أسود يبرز عضلات جسده وقدميه تضربان الأرض بعنف وكأنه سيسحق تراب الأرض تحت قدميه .

حدقت في كريم بذهول وما كادت تمد له يد العون حتى وقف بقفزة واحدة ليلحق في آدم لكنها اندفعت ناحيته راجية : لا...لا يا كريم ارجوك لا نريد فضائح أرجوك ...يبدو أن ليس بوعيه .
بالكاد خلع عينيه عن الباب المفتوح الذي اختفى فيه آدم وأعاد نظراته إليها بوجوم: هل تأذيت..
هزت راسها نفيا فأمسك بكفيها مجدداً واعتصرهما بقبضتيه: ادخلي المنزل أما أنا فلي حديث طويل مع ذلك الصبي...ما مشكلته معك!! انطقي أيوجد شيء بينكما!
-كريم لست أنقصك ،.لا يعقل !

زفر كاظما غيظه وأردف :آسف..ادخلي ادخلي.
وفي الداخل قابلت عبير آدم حين فتحت له الباب
- أهلا آدم ،آه وصل الأولاد
فهز رأسه يحييها باقتضاب واتجه ناحية غرفة عسل ليمددها على السرير ويدثرها بلحافها ثم خرج من الغرفة ليرى نور في آخر الرواق..قد وصلت لتوها... كادت أن تنطق لكنه تجاهلها وعينيه تقذفان لهيبا سيحرقها لا محالة. وأكمل خطواته العنيفة صاعداً إلى شقته .

دلفت نور إلى غرفتها لتندس على سريرها فورًا ذارفة دموعها قهراً لدمار نهاية ليلتها بهذا الشكل المريع تتسائل بعقل لم يستوعب بعد مشاعر آدم وكريم تجاهها : ما هذا المجنون ! مابه ؟
أطلقت زفيرًا حادا لتغطي وجهها بلحافها محاولة تجاهل آخر عشر دقائق لتنعم ببعض الراحة فغدا لديها يوم دراسة طويل .
أو ربما لتناسي هذا اليوم بأكمله!
كان آدم يدور في شقته بنيران تكاد تحرقه غيظاً، ود لو أنه ينزل حالاً ليضرب نور التي سمحت لكريم بتقبيل كفها بهذه الطريقة، بل تمنى بهذه اللحظة أن يفجرهما سوياً ! لكن ما فعله معها صباحاً قد رد عليه أضعافاً خلال ساعات قليلة ! ماهي إلا دقائق قليلة حتى طرق بابه بعنف تقدم وفتح الباب ليفاجئ بكريم فصاح حانقاً:
- وقاحتك تخولك طرق بابي
كانت عينا كريم محتقنتان بغضب لم يتفوه بحرف بل دفع آدم بعنف على صدره بكلتا يديه ليرتد إلى الوراء وأعقبها بلكمة على فكه، احتقن وجه آدم وهو يتلمس موضع اللكمة لكن كريم لم يعطه حتى فرصة الرد فانهال عليه لكمات متتاليةٍ جراء إتقانه رياضة الملاكمة فهو يعرف جيداً أين يوجه لكماته، ترنح آدم من الألم وكريم يزئر كالوحوش مهدداً بعدما تمسك بتلابيبه :
- اسمعني أيها العلقة لا تظن بأنك ستخاف على ابنة عمي أكثر مني، من اليوم

ولبضعة أشهر إياك حتى ولو لمجرد تفكير أن تتدخل بها، أو بأي شيء يخصها ،. كلامي واضح، لقد اكتفيت منك.

تصاعد الغضب وتأجج بصدر آدم ليدفع كريم بعنف ناوياً تحطيم ضلوعه ولم يكن آدم كذلك بالسهل، اشتدت المعركة بينهما ليسقطا على الطاولة الزجاجية فتكسرت تحت وطئ جسديهما لتتباين الجراح، شهقت عبير عندما سمعت أصوات تحطيم صادرة من الشقة العلوية، فهرعت برفقة الجميع ناحية شقة آدم، ليفاجئوا بعراكهما والصالة قد استحالت لدمار جراء تخابطهما بأرجائها ،صرخ كريم بعدما وجه لكمة لصدر آدم : يبدو أنك ورثت الإجرام عن أبيك !

جحظت عينا آدم بصدمة لثوان عما تفوه به كريم قبل لحظات ليعقبها وهو يوجه لكمة أخرى له :
- يا ابن المجرم .
هتف بهما مراد الذي وصل لتوه بصوت هادر وانقض عليهما لتفكيكهما فالتصقت نور بوالدتها تبكي بخوف..

- توقفا حالاً " صرخ رضوان بصوته الأجش ليتنبه الإثنين على هتافه فدفع مراد كريم من صدره ووقف أمام آدم، شد رضوان بقبضة ساعده حتى برزت عروقه من شدة الغضب جراء ما اقترفه كريم من خطأ جسيم، وكريم وآدم ما تزال نظراتهما متوقدة تجاه بعضهما لم تنطفئ .

-ما تصرفات أولاد الشوارع هذه !
هدر صوت رضوان مجددا ليتطلع إليه كريم قائلاً وهو يبهث بانفعال:
- أفهم هذا الوقح ألا يتدخل فيما لا يعنيه مجدداً "
واجتاز الجميع ليغادر بعدما تعلقت عينيه بيعيني نور التي فهمت ببساطة أن الأمر لن يمر على خير ! أما رضوان قال لكريم قبل أن يجتاز الدرجات

الأولى : انتظرني بالأسفل .
- عفواً عمي أريد الرحيل .
-لن أعيد كلماتي مجدداً يا ولد .
قالها رضوان بغضب لينصاع له كريم على مضض ويهبط درجات السلم، وتوجهت عبير تجاه آدم لتربت على كتفه قائلة بعتاب : ما بك بني لما تشاجرتما ! ؟
-ما الذي جرى يا آدم ؟
تسائل مراد أيضا ليجيب الآخير ناظراً لرضوان : أتركوني لوحدي .

-حسناً اتركوه وشأنه يبدو أنه كبر فعلا على رعايتنا واصبح رجلاً !" قالها رضوان باقتضاب لينادي على عبير لتلحق به فانصاعت لمطلب زوجها بعدما ربتت على كتفه بإشفاق وقبل أن تلحق بزوجها همست لنور لتذهب لجلب حقيبة الإسعافات من الحمام فأومأت لها بصمت وتوجهت لإحضارها ،

-اخلع قميصك واجلس .
قالها مراد ليخلع آدم قميصه الملوث بالدماء على مضض ويرتمي على الأريكة مرجعا برأسه إلى المسند ومسح وجهه بكلتا يديه، تناول مراد حقيبة الإسعافات من يد نور التي ما زالت ترمق آدم بخوف جراء جراحه النازفة .

-غادري أنت، لا أريد رؤية وجهك " قالها آدم بنظرات حادة ألقاها على نور فأعقبها مراد مؤكدا نظرا لنظرات الهلع التي تملكت منها : غادري ولتجهزي لنا فنجاني قهوة .
-لا أريد شيئاً "
هتف آدم بحدة ليربت مراد على كتفه لتهدئته :
- اصمت الآن ودعني أداوي جراحك "

وأومئ لنور بعينيه أن تغادر وانشغل بتعقيم الكدمات والجراح النازفة، تعلقت عيناه بعيني مراد فسأل بضياع : ما الذي قصده كريم !
توقفت يد مراد للحظات قبل أن يعاود مسح الدماء بالقطن المعقم من جديد وأجاب :
- لم أفهم قصدك ؟
-لا تدعي الغباء الآن ! مالذي عناه بمقولته(ابن المجرم)؟
ضغط مراد بعنف على جرح ادم عن عمد ليتأوه بشدة ، وقال ساخطا : انتقي ألفاظك أولاً ...وثانياً لا أظنها سوى ترهات غضب ليس أكثر لا تشغل بالك .
أزاح ادم يد كريم وقال وهو ينهض :
-لما لا أصدقك ؟ .
-لأنك غبي يا ابن خالتي.
جحظت عينا آدم بغضب مجدد على سخرية مراد الذي تراجع ضاحكاً وقال مازحاً :
-لا أرجوك لا تغضب لا أقوى على مجارات لكماتك، ستترمل اليسا قبل أن أتزوجها حتى .
-يا لسخافتك يا أخي !
قالها ادم وهو يقاوم ابتسامته فتبسم مراد وضربه بخفة على صدره ليرتد جالساً ويكمل تنظيف جراحه .

وفي الأسفل كان كريم في الحمام قد خلع قميصه هو الآخر ليغسل وجهه ويمسح عضلات صدره التي تلطخت ببعض الدماء، أطلق آهة ألم عندما سحب قطعة زجاج عالقة بساعده وشرع بتنظيف الدماء وعندما دلفت نور بحزن شديد الى الصالة أمرتها والدتها بأن تأخذ المنشفة إلى كريم ولتخبره بأن يتبعهما إلى غرفة المكتب بعد انتهائه فوالدها غاضبٌ جداً .

فتناولتها وعينيها ملبدتان بدموع قهر ، طرقت باب الحمام تنادي بخفوت وما

إن تناهى إلى مسامع كريم صوتها تناديه حتى ارتدى قميصه على عجل وما زالت المياه تقطر من شعره وجذعه، أطرقت نور برأسها إليه ومدت المنشفة ناحيته وشهقت بعدما تبينت جراح كريم كان وصعه مأساويا كآدم وربما أكثر ! فأطلقت العنان لدموعها وبصوت متهدج همست وهي تمنع شهقاتها: آسفة ، كل ذلك بسببي. لما فعلتما ذلك!

اختلج صدره جراء بكائها فرفع وجهها بأنامله : ألم تفهمي بعد...أم انك لا تريدين أن تفهمي؟
حدقت فيه بوجوم وعدم فهم فهز رأسه يائسا وأردف: صدقيني مستعد بأن اقتلع كل من يقف في طريقي إليكِ .
ارتعشت شفاهها وقالت بلوعة : إلا آدم يا كريم ،.إلا آدم .

اغمض عينيه بألم فهو يعرف جيدًا علاقة الجميع بآدم وماهو بالنسبة إليهم، فهمس بصدق وهو يمسح دموعها بيديه: آسف ،.آسف لدموعك الغالية، لكن ،.إن تعلق الأمر بك سأقتلع كل من يجرؤ على ابعادك عني حتى ولو كان مراد شخصياً "
فجمدت هي بصدمة جراء صراحته الزائدة تلقت اليوم من هذين الأبلهين صدمات تكفيها دهراً كاملا ً !.

-سيكون كل شيء بخير اذهبي لغرفتك .
رددها لتنسل من أمامه ولتركض إلى غرفتها باكية، و توجه كريم إلى غرفة مكتب عمه وكان عمه رضوان يجلس على الأريكة الجلدية وبجانبه تجلس عبير ، الوجوم كان يسيطر على ملامحه وزوجته تربت على كتفه لتهدئته تنحنح كريم ليقول بصوت خافت :
-السلام عليكم .
رفع رضوان عينيه تجاه كريم ورد السلام ليدعوه للجلوس على الكرسي أمامه،

نهضت عبير قائلة بهدوء : سأعد لكما القهوة .
-شكراً عمتي...
تبسمت عبير بحنان وعتاب وهي تخطو خارج المكتب لتترك لهما المجال ليتحادثا بشأن ما حصل .
- انتظرك أن تبدأ بالتفسير لما رأيناه بالأعلى "
قالها رضوان بعد تنهيدة طويلة من صدره فأجاب كريم باقتضاب : لا شيء مهم يا عمي "
قطب رضوان حاجبيه وهو يطرق بأصابعه على طاولة المكتب بجانبه ثم قال له :

- حسنا إذاً أتفهم أنك لا تريد البوح، لن أضغط عليك بالشرح أو التبرير ، لكن أيًا كانت خلافاتكما ومهما كان السبب لا أريدها أن تصل لمرحلة الاعتداء الجسدي يا كريم، عارٌ على عائلة المنصور اشتعال الخلافات فيما بينهم، آدم بالنسبة لي كمراد تماماً ،وبالتالي يعتبر ابن عمك، من لحمك ودمك...ستعتبره اغلى من روحك .. لن أسمح لأحد بأن يمسه بسوء حتى ولو كان هو الملام، كلامي واضح ؟، وكما تعرف أنك وبتلك الكلمة التي قلتها حين غضبك ستنبش الماضي من جديد ،

احتقن وجه كريم بانفعال كعادته كلما ذكر اسم آدم أمامه لكنه أجاب باحترام : اعتذر عما جرى، لن يتكرر الأمر مجددا ً،سأشرح له في وقت لاحق أنها مجرد كلمة بلا معنى .
فقال رضوان بانفعال: آدم لأنه عنيد ستلتصق تلك الكلمة بعقله حتى يصل إلى الحقيقة التي جاهدنا لسنوات على محوها من ذاكرته "

- سأحاول ألا يأخذها على محمل الجد "
وهب واقفاً ليغادر لكنه استدار مجدداً وجلس على كرسيه فورا ليقول برصانة :

- اسمعني يا عماه،بعيدا الآن عن ماضي آدم ،
أنت تعرف أخلاقي جيداً، وتعرف مدى حرصي على إرضائك لكن عندما يتدخل آدم فيما لا يعنيه وبشكل فج وكأن من أمامه مراهق طائش لا رجل على أبواب الثلاثين، يحق لي ايقافه عند حده ،لقد اتصلت بمراد وطلبت منه الإذن لإيصال الفتاتين إلى داركم بعدما غفت عسل، فوافق، وهنا لا يحق لآدم التدخل وكأنني رجل غريب عنكم "

ربت رضوان على فخده مجيبا برصانة : اذا فكل هذه الدراما لأجل إيصالك نور؟!
حسنا هو متهور وسريع الانفعال لكن يسعدني حرصه على نور فهي بمثابة أخته الصغيرة .
فهز كريم رأسه باستهزاء و أشاح ببصره عن عمه وابتسامة هازئة غزت ثغره : آه يخاف على أخته !
****

10
انتهى مراد من تعقيم جراح آدم بصمت مطبق من كليهما، نهض ليغسل يديه ثم عاد باسماً : يبدو أن نور قد نسيت أمر القهوة نهائيًا .
ما زال الوجوم يسيطر على تقاسيم آدم الذي أرجع رأسه إلى الوراء متمعناً بالسقف، تقدم مراد ليجلس قبالته وربت على فخذه : ألن تخبرني ما سبب عراك الثيران هذا ؟
تطلع آدم به بابتسامة شاحبة ثم اعتدل ليهتف بحنق :لو لم تترك اختك حتى انتصاف الليل برفقة ذلك الوقح لما كانت هنالك مشكلة من الأساس ..
انفرجت عينا مراد بعدم فهم :
- إنه ابن عمها

احتقن وجه آدم ونهض وقد استفزه جواب مراد :
-أنت شخص لا مبال إطلاقاً يا أخي ، تتركها معه بمفردهما لمنتصف الليل وتقول أنها مسألة عادية مراد ؟! .
لوح مراد بيده قائلاً بعتاب :
- اسمعني آدم، انا اعرف جيدًا أخلاق ابن عمي ، و أستأمنه على حياتي، لا على شقيقتي فقط افهم ذلك جيداً، كما أنك كذلك تقوم بإيصال نور في كثير من الأحيان الى أي مكان تريده بل نسمح لك بالاختلاء معها حينما تقوم بإعطائها الدروس ولك حرية القرار بشأن الكثير مما يخصها لأنك بمثابة شقيقها وأثق فيك تمامًا كما أثق بكريم فلا داع لتماديك بمسألة العناية بها لأنني ووالدي موجودان عند اللزوم .. والثقة التي نمنحها لكما ليست تهاوناً افهم ذلك وضعه في حسبانك ،
لو رأيت من كريم ما يعيب تجاه شقيقتي لكنت اقتلعت حنجرته ولك المثل...
خرج آدم بغضب إلى الشرفة كيلا يحطم فك مراد، فكيف بجروء من الأساس أن يضع نور بخانة الشقيقة ! كيف يجرؤ على التلفظ بهاتك الحروف القاتلة ؟ هي لم ولن تكون شقيقته، هي حبيبته، طفلته الصغيرة ، عشق شبابه الذي تفتحت مشاعره من خلالها، هي فقط من أثارت بداخله مشاعر الحب الأول، الحب الجميل النقي ، أخذنفسا عميقاً ليستنشق الهواء عله يهدئ من وتيره غضبه كيلا تتصاعد مجدداً،
فكيف لمراد ان يكون أعمى بهذا الشكل الا يرى مشاعره تجاه نور!؟ ألا يرى مشاعر كريم تجاهها؟ ألا يرى نظرات كريم إليها كلما اجتمعوا؟!

قبض على العارضة الحديدية وكأنه سيسحقها تحت وطئ كفيه، فتقدم منه مراد ليستند بظهره على العارضة متأملاً تعابير وجه آدم الانفعالية ، تلخبطت أفكاره وأخذ يفكر بسر غضبه المبالغ فيه ،ثم انفرجت عيناه بعدما استشعر الحقيقة :
-مهلاً ،.. هل تحمل أية مشاعر تجاهها !.
باغته السؤال المفاجئ كطلقة رصاص انبثقت من فم مراد لتقتحم صدره .

تطلع فيه بتشتت، بضياع حقيقي، وكأنه أمام قاض في المحكمة، هل سيعترف بجرمه المتمثل بعشق نور ، هل ينكر ، لا ، لا بد وأن يهرب الآن من أمامه .
- أنت فعلاً لا تطاق !
انطلق لسانه يقول تلك الكلمات ودلف إلى الصالة مجدداً هربا ًمن نظرات مراد التي شعر بها تخترق ظهره لتعيث بداخل صدره دمارًا، وكأنه فعلا يبحث عن نور بين ضربات قلبه المفضوح .
-وصلني الجواب ...اعترف بأنك جبانٌ إذن "

نطقها مراد باستهزاء وهو يتجاوز آدم ليخرج لكنه استدار مجدداً وقال محتدا : لو كنت تكن لها أية مشاعر سأقف في وجهك ،. فمن لا يملك القدرة على الاعتراف بمشاعره لا يستحق حتى الوثوق فيه يا آدم .

واكمل هبوط درجات السلم بعدما فجر قنبلته ليستمع إلى صوت تحطيم من منزل آدم ويبتسم بانتصار بعد تيقنه من الحقيقة....إنه يحبها .
لما يصر الناس على وأد الحب وكأنه عار عليهم ، هو شعور نقي جميل، بل هو هبة الخالق للإنسان ، أعظم هدية بالوجود أن تتآلف روحك بروح أخرى بمشاعر عظيمة هفهافة، لا يجب أن يصمت الإنسان عندما يحب ...يجب بأن يجهر بصوته عاليا ًباثا العالم هذا الخبر العظيم ،.اليوم ولد حب جديد.. قصة حب جديدة سيسطرها التاريخ البشري، هو في قرارة نفسه يفهم أن معاملة آدم لنور لا تقتصر على كونه اهتمام اخوي ،.بل غيرة رجل على حبيبته ، غيرة عاشق ...بل عاشقٍ حتى النخاع .

وهو كرجل ، بات يفهم نظرات آدم ومشاعره جيدًا، لكنه لو لم يكن يثق فيه لما تجرأ آدم حتى على إلقاء السلام على شقيقته .
دلف مراد الى المنزل وقابل كريم الذي كان متجهاً نحو الخارج ليغادر، تبادلا

نظرات سريعة قبل أن يستوقفه كريم :
يجب أن نتحدث.
ربت مراد على كتفه ،
-ربما لاحقاً..المهم أنني عرفت سبب الشجار .
مراد...اسمعني" نطقها كريم على مهل فقاطعه مراد مشددا على حروفه: انت اسمعني...اذهب الآن وارتح في منزلك ولاحقاً لنا حديث طويل.

***

حطم آدم ما وقع تحت يديه وخرج من الفيلا ليهرول راكضاً عبر الشارع وبعينيه آلاف الشياطين تتاقفز ، كان يسرع الخطى ليطفئ لهيب قلبه الذي ماعاد يهدأ..

و استمرت الأيام.، ورغم اشتياقه لنور لم يستطع حتى رؤيتها بعدما جرى تلك الليلة، لأنه لن يتردد لحظة واحدة في صفعها ليطفئ لهيب ناره لمجرد تذكر قبلة كريم إلى كفها تذرع بالدراسة كلما اتصلت به عبير للجلوس عندهم فتكتفي بإرسال الطعام إليه وتشاركه فيه في كثير من الأحيان أو توصي الخادمة بذلك، أما مراد فهو يتجاهله من حينها، ليفهمه أن عليه بأن يكون صريحاً، صادقاً، جريئاً بالاعتراف كي يصبح جديرًا بها، ونور تخجل من مواجهته فتتذرع بدراستها هي الأخرى كيلا توصل إليه طعام الغداء أو العشاء .

وهذه الأيام كانت كالكابوس بالنسبة لها نظرا لاقتراب الامتحانات ..وحاجتها الماسة لمن يقوم بتدريسها...
اقتربت من مراد ذات يوم قائلة برجاء رغم معرفتها بانعدام صبره اذا لم تبد استجابة في الفهم: ساعدني هناك مسائل رياضية وهندسية لا أفهمها..
لكن مراد كان مشغولاً جداً في تلك الفترة فما كان من عبير إلا تقول ما خشيت

نور أن تسمعه: اذهبي لآدم ..
لكن مراد سارع القول : انه مشغول هذه الفترة بمشروع التخرج يا أمي ..دعينا لا نضغط عليه...ربما بحثت عن أستاذ مناسب ..
لتتنهد نور وترتد جالسة على الأريكة وقالت تجاهد البكاء : وحتى تجد سأظل أتخبط في هذه المسائل! .
فاحتد مراد بحديثه: واين كان عقلك طوال العام حتى لم تفهمي شرح الأساتذة!! وكأن ارتفاع صوته كان بمثابة القنبلة التي فجرت ما تبقى لدى نور من عقل
فغطت وجهها بيدها وتعالى صوت نحيبها فحدقت فيه والدته بانزعاج ثم قالت : اتصل بكريم ليأتي ويقوم بتدريسها حتى ترى أستاذا مناسباً..
تشنج جسد نور تلقائيا وبدلاً من ان تصمت ازداد صوت نحيبها وهرولت خارجة من الغرفة .
ضرب مراد ركبته ثم اشار ناحية نور : هذه نتيجة الدلال الزائد ...تظن أنها لا تفهم حرفا إلا اذا قام أحدهم بإقحام المعلومة برأسها السميك .
فهزت عبير رأسها برفض : تعرف أن البنت بمرحلة حساسة هذا أولاً وثانيا إنها تعاني من رهاب الامتحان... إن كنت قد نسيت ما فعلت أنت في فترة امتحانات شهادة الثانوية فأنا لم أنسى ..
تحولت بسمته لضحكة خافتة ثم اخرج هاتفه ليتصل في كريم ،.منقذهم الوحيد في هذه الأزمة الدراسية التي تعاني منها اخته.

حطت الساعة على السابعة مساءً حين دلفت رهف إلى غرفة كريم باستغراب عودته مبكراً الى المنزل حيث أنه عاد وبالكاد تناول القليل من الطعام قبل أن يتوجه إلى غرفته ليتجهز ،
توقفت رهف أمامه مطلقة صفيرا عالياً:
- ألديك موعد غرامي...ما كل هذه الشياكة !؟
ابتعد قليلاً عن المرآة بعد أن أنهى تصفيف شعره
وقال مخاطباً إياها: ذاهب لبيت عمك ..نور تعاني من أزمة دراسية حادة

وتحتاج سوبر فهيم ليقوم بتدريسها .
تعالت ضحكات رهف وهي تتخيل شكل نور المنهارة في البكاء بسبب الامتحانات ثم ضيقت ما بين حاجبيها بشك: وكل هذا التأنق لأجل أن تقوم بتدريسها يا ولد؟
تطلعت فيه بمكر لم يخفى عليه فقابها بابتسامة رزينة: هاتي من الآخر...
- أعرف أنك معجب بها.
صمت للحظات محدقاً بشقيقته ثم رفع كفيه بلا مبالاة: لتصحيح معلوماتك...أحبها، وهناك فارق كبير بين الإعجاب والحب .
ثم غمز رهف وغادر الغرفة ففغرت فاهها من جرأة اعترافه!
لكن هذه هي شخصية كريم التي لا تتغير ...جريء ومندفع ومدرك جداً لما يريد ..

وفي بيت عمه ..جلس في الصالة وفتح الكتاب أمام نظرات نور المنكبة على اللوح الزجاجي للطاولة..يعرف أنها تحترق خجلاً من تمهيد اعترافه بحبه لها منذ تلك الليلة التي تشاجر فيها مع آدم ومع ذلك ظل هادئاً وطبيعيا أمامها.،
بعد دقائق من الغرق فيها دون ان تشعر به، قال مازحاً: إن انتهيت من تأمل الطاولة فلنباشر في الدرس ..
عضت شفاهها بحرج ورفعت رأسها ناحيته وأومأت له بابتسامة شاحبة...
فمال عليها ليهمس بشيء لكن دخول الخادمة لتقوم بالتوضيب بالصالة ألجمه ..
وبدلاً من أن ينطق أمسك قلم الرصاص وكتب على صفحة من صفحات الكتاب (لا تدعي موضوع اعترافي يؤثر في تصرفاتك معي...كل شيء كما كان..وسيظل)
قرأت خطوطه المنمقة بقلب يرتجف صدمة ، مد يده مجدداً وكتب بخط واضح (إلا قلبي..فهو ملكك منذ مدة طوييلة ..طويلة
...شيء ما قد تغير فيه..وماعاد ينبض إلا لك يا سمو الأميرة) .
رفعت وجهها المحتقن لتقابلها عيناه الضاحكتان...نعم كانت عيناه تضحك ككل

جزء فيه إلا شفاهه قد جاهدتا للإنغلاق لئلا تنطقان بما يعتمل بصدره ، تنهد ليرحم احتقان وجهها وقال بعد لحظات : -لنبدأ الدرس .

وبعد توالي الدقائق والساعات...والدروس ..وبعد تواري الخجل في سبيل الجهد والفهم أدركت لما تستدعي العائلة كريم دائماً إن احتاجوا أي مساعدة ، إنه ببساطة...رائع بكل شيء، ماهر بكل شيء...رياضي، سباح ماهر و ملاكم قوي ذو بنية جسمانية ضخمة...بارع حتى بالرياضيات والهندسة على الرغم من كونه خريج أدب عربي ! إنه مزيج مجنون من التناقضات ! والآن أدركت رغم وحشية الرياضة التي يمارسها إلا أنه يعرف كيف يغازل! يعرف كيف يلقي كلمة أو نظرة وسط الحصة الدراسية لتربكها وتجعها تتلعثم أمامه ! والأهم انه يمتلك حسا فكاهيا وطريقة شرح مثالية قضت على التوتر الذي انتابها لاقتراب موعد الامتحان ،

بعد عدة أيام وبعد انتهاء درسهما المعتاد ودعته من عند الباب قائلة بابتسامة ممتنة وهي ترفع وجهها ناحيته:
-شكراً لك على كل شيء كريم...لقد أنقذتني .
فارتسمت ابتسامة هادئة على ثغره وهو يتأمل عيناها العسليتان اللتين بات يعشقهما أضعافاً :
- بل شكراً لك أنت..سمو الأميرة..عديني أن لا تبكي مجدداً فبالنهاية هو مجرد امتحان.
كان لقب الأميرة الذي أعاده هذه المرة شفهياً لا كتابياً قد زاد من توهج وجنتيها فكبحت بسمتها الخجلى وردت عليه: مجرد امتحان لكنه سيحدد مصيري...أريد الطب ولا شيء غيره يا كريم..أنا مرعوبة .
رفع ذقنها بأنامله غارقاً بعينيها:
- أنا أثق بقدراتك...ستنجحين...وستدخلين الطب، وستصبحين أجمل وأمهر طبيبة في المدينة وحينها ..إن جئتك جريحاً فداويني..اتفقنا .

ابتلع ريقه بتوتر أمام نظرات الخجل المرتسمة على وجهها فأطرق رأسه أرضاً ثم ابتعد عنها وغادر...أما هي فظلت متعلقة بالباب لفترة تحلم بتحقيق ذلك الحلم الذي سعت لأجله طويلاً،
ولم تنتبه على آدم الذي يجلس على الدرجات أعلى السلم..مختف بجانب السور فلا يبان منه شيئاً، ككل مرة يرى سيارة غريمه تقف أمام المنزل يجلس اعلى السلم لحين انتهاء الدرس .. بات يعلم أن كريم يقوم بتدريسها مساء كل يوم ،

أما روحه فكانت تغلي بألم بالكاد يستطيع كبحه وكتمانه وهو يرتكز بجانب رأسه محاولا ضبط أعصابه عن تحطيم أضلاع كريم الذي يسلبه رويداً رويداً أعز ما يملك..
أغلقت نور الباب وجلست في الصالة لتأخذ قسطا من الراحة أنهت والدتها تحضير طعام العشاء فسكبت الطعام في أطباق ورصتها على الصينية ، قدمتها لنور قائلة: اتصلت بآدم لكنه امتنع عن الحضور على العشاء كالعادة أوصليها له أنا مشغولة جدًا الآن.
تعللت نور بعودتها للدراسة لكن عبير أصرت : -خمس دقائق إضافية لن تعطل دراستك، هيا اذهبي سيبرد الطعام ..

ألقت كلماتها المقتضبة معلنة انتهاء الحديث وتوجهت مجدداً إلى المطبخ لتزفر نور باستياء وتحمل صينية الطعام مرغمة وتصعد إليه،
بعد لحظات فتح آدم الباب لتتجمد نظراته عليها، لكم اشتاقها بهذه الأيام التي لم يرها فيها، لكم اشتاق تأمل عينيها الصافيتين الدامعتين على الدوام في الفترة الأخيرة ...لكنه قطب حاجبيه مجيبا :
- لست جائعاً
قالها بعبوس ظاهر لتنظر له نور بحزن جلي :
-بل أنت جائع ...لكنك لا تريد أن تستلمه مني، سأرسله مع الخادمة إذن وآسفة لإزعاجك .

قالتها وهمت بالرحيل فقبض على الصينية دون أن ينبس بكلمة ودلف إلى الداخل، رفعت أهدابها وخطت الى الداخل بخجل بخطواتٍ مترددة، شعر بها خلفه مباشرة فضرب الصينية على الطاولة لتحدث صوتاً عالياً وقال دون أن يستدير : أتريدين شيئاً آخر ؟ .
-آدم ،.
انفرجت شفاهها تلفظ حروف اسمه لتختلج ضلوعه، لكم يصبح اسمه عذباً من بين شفتيها، لكم يعشق رنين حروفها عندما تلفظ حروفه طال صمته ينتظرها أن تبوح بما جاءت لأجله فرجت شفاهها وضمتهما عدة مرات قبل أن تتلفظ بأسف حقيقي : هل التأمت جراحك؟ حارب ابتسامته هذه المرة لكنه لم يفلح ما دامت مصرة على إهلاكه بنوعمتها ورقتها اللامتناهية،

همس بخنوع عاشق وهو يستدير ناحيتها : الجراح الحقيقة هي التي تستوطن روحي إن اقترب منكِ مجددًا ،
الألم الحقيقي هنا ، قالها ورفع كفها ليضعها على صدره، ارتعشت أناملها وتاهت ببريق عينيه الذابلتين، وخفق قلبها باضطراب مربك، اضطراب باتت تستشعره كلما التقت به مؤخرًا...مهما كلمها كريم ومهما غازلها بجرأته المعهودة تبقى مصارحات آدم هي الأعذب...تبقى همسته هي الأحلى والتي تدغدغ روحها بشعور لم تفقهه بعد لكنه شعور جميل جداً ،
وكادت أن تغادر لكنه أدارها إليه مرة أخرى ليهمس بحدة وقد اشتعلت عيناه من جديد : لكن تجرأ ذلك الأحمق على لمسك أو إزعاجك مرة أخرى أقسم بالله العظيم أن أنهش لحمه وألوكه بين أسناني أتفهمين ...لا تعطيه الحق بالتمادي.
ولا تعطيه الحق بتدريسك...من اليوم سيعود كل شيء لما كان...
اتسعت عيناها بذهول من قساوة كلماته المنطوقة لكنها ابتسمت دون حتى أن تفهم السبب لذلك ، هو يريدها ملكه فقط، ولا مانع لديها أبداً بذلك حتى ولو لم يعترف لها علانيةً عما بقلبه، لكنها باتت تحب اهتمامه بها ودفاعه المستميت عنها وغيرته عليها ، فلتكن إذن له وملكه،

قالت بارتباك: و...ومشروع التخرج؟!
- نجاحك هو الأهم.
ابتسمت و هزت رأسها بتلقائية ثم هربت من أمامه بعد ان همست بصوت غير مسموع: شكراً، شكراً لك.

****

بعد عدة أيام حسم كريم أمره وتوجه مساءً ناحية منزل عمه بعدما أعلمه بمجيئه، كان آدم خارجاً للجري كعادته المسائية حينما رأى كريم يلقي السلام على نور و يدلف إلى منزل خالته ، قطب حاجبيه واصطكت أسنانه من الغيظ وأكمل نزول السلم بعصبية بينما كريم كان قد خطى إلى غرفة مكتب عمه ليحادثه على انفراد .
وبعد السلام والتحية قرر الدخول في الموضوع الذي لم يصارح فبه والديه حتى اللحظة ..،تنحنح بارتباك قبل أن يقول لعمه:
اعرف أن الوقت الآن ليس مناسباً للحديث بهذا الموضوع يا عماه وكنت سأنتظر لانتهائها من امتحان الشهادة الثانوية، لكن غيرة آدم الزائدة وتدخله هي من استفزتني .
عقد رضوان حاجبيه عله يستشف التلميحات من وراء كلمات كريم لكنه قال : احكي بني ...أنا أستمع"
بلع كريم ريقه قائلا : ،. بصراحة أكثر أريد الزواج من نور على سنة الله ورسوله يا عمي "

جمدت ملامح رضوان وهو يحدق بكريم الذي أطلق كلماته كالسهام بجرأة زائدة لكنه وبعد برهة قال له باسماً: أنت مندفعٌ جدًا كأبيك يا ولد ! لكن وكما قلت أن الوقت غير مناسب الآن للحديث بهذا الشأن، عندما تنتهي نور من امتحاناتها سنتكلم بالموضوع إن شاءالله .
قطب كريم حاجبيه ليسأل مجدداً : أريد معرفة رأيك بالموضوع رجاءً .

ربت رضوان على كتفه قائلاً : أظنك تعرف رأيي جيداً بك وبأخلاقك، من أفضل منك لأستأمنه على ابنتي... لكن المهم هو رأي العروس أليس كذلك .

ابتسامة بلهاء عرفت طريقها إلى ثغر كريم وهو يطالع عمه، دلفت عبير لتقدم القهوة لتلتمس الهدوء الذي يعم المكان وابتسامة رضوان الحانية فابتسمت قائلة : ما شاءالله ، هاقد عادت البسمة لوجه عمك بعد المشكلة الأخيرة ...أبعد الله عنا الخلافات "
اجلسي عزيزتي " حثها رضوان على الجلوس بجانبه فجلست عبير بجانب زوجها بعدما قدمت القهوة لكريم وقالت بحنانها المعتاد علها ترجع الأمور إلى نصابها : إن آدم رغم كونه عصبي لكنه طيب القلب جدًا يا كريم، وأنت كذلك من خيرة شباب العائلة لا تدعوا الشيطان يدخل بينكم يا بني "

-اطمئني يا زوجة عمي الغالي.. كان مجرد طيش شباب وسوء فهم سنحله إن شاءالله، لست هنا اليوم لنتكلم عن المشكلة ،..بل لأني أريد مباركتك .
قالها كريم باندفاع مجدداً لتتناوب نظرات عبير بينه وبين زوجها وتتسائل : مباركتي على ماذا ؟ .
تعالت ضحكات رضوان هاتفاً : متسرع واندفاعي تماماً اصبر حتى يتكلم والدك قبلاً مابك !، ألم أطلب منك تأجيل الموضوع !
-ما القصة؟
قالتها عبير وهي تناوب نظراتها بينهما تبسم كريم بحرج لكن رضوان قال لزوجته : يطلب مصاهرتنا، يريد الزواج من نور .

انفرجت شفاه عبير بصدمة وقالت بارتباك : نور!
لكن نور ما تزال صغيرة على الزواج، والفارق بينكما !
تنحنح كريم مجيبا ً: الفارق بيننا أقل بكثير من الفارق بين مراد وزوجته أليس كذلك عمتي ، وهي خطوبة فقط وستكون بعد تخرجها من الثانوية إن

شاءالله، ما أريده فقط مباركتكما وأنا جاهز لكل ما تأمرانني به.

عدلت عبير حجابها مجيبة :انا بالنسبة لي لا مانع لدي إطلاقاً ماشاءالله أنت قمة في الأخلاق، وتعرف رأينا فيك... المهم رأي نور ،لكن رجاءً لا أريد تشويشها الآن بأي كلمة عن هذا الموضوع فدموعها حتى اللحظة لا تنضب بسبب الخوف من الامتحانات .
ارتشف كريم من فنجان قهوته بسعادة وقال ببلاهة : طبعا ً،.أكيد.. بالتأكيد ..حتماً لن انطق.
انهى فنجان قهوته وخرج من مكتب عمه باحثاً بعينيه عن نور ليعطيها درسه المعتاد...
سأل الخادمة عنها فأخبرته انها في الحديقة الخلفية....خرج متوجهاً ناحيتها ثم توقف مكانه وهو يراها معه.،
شعر بمرار غريب بحلقه تصلب جسده وأكمل خطواته بشكل متسارع وقال بصوت جليدي: حضرت لإعطائك الدرس يا نور ..
تسمرت نور مكانها وحدقت في احتقان عينيه الغاضبتين متجاهلا حتى إلقاء السلام على آدم الذي رمى القلم بتأفف على الكتاب ووقف بتأهب مستعد لاقتلاع عيني غريمه:
-لا أعرف حقا أأنت أعمى ...ألا ترى أننا فعلا ندرس هنا؟!
تصخم صدر كريم وهو يقترب خطوة من آدم وهمس كالفحيح: لست أعمى...لكنني لا أرى الحشرات.
شهقت نور و اندست بينهما وصرخت بصوت عال اجفلهما ،.
إخرسا الآن والله لو تشاجرتما لخاصمتكما العمر كله....يكفي ..كفوا عن تصرفات الأطفال تلك .
ابتلع الشابان باقي حروفهما أمام نظراتها الغاضبة فما كان من كريم إلا أن هز رأسه وقال بفحيح: -على كل حال....سنحل هذه الأمور في القريب..
أنا ذاهب الآن..ادرسي جيداً .

**

تجهزت جمانة صباحاً لتذهب لعملها بذلك المقهى الذي باتت تعمل فيه كنادلة منذ عدة أسابيع، ابتاعت لنفسها فطيرة جبن لتتناولها كعادتها أثناء المسير حتى وصلت المقهى وشرعت بالعمل ما بين تقديم كأس من الشاي وفنجان من القهوة أو العصير وبعض المأكولا الخفيفة ..
الزبائن تتفاوت ما بين عشاق ومراهقين وشباب جامعيين، أو حتى متقاعدين ممن نبذتهم الحياة فغدت المقاهي هي ملجأهم وتسليتهم الوحيدة، تختلف الوجوه و لكل منهم حكاية، لكل منهم همومه وآلامه وحتى أحلامه تطلعت في وجوههم المتفاوتة ما بين السعادة والبؤس .الراحة والتوتر .. وشردت مجددًا بماضيها...
لا تذكر سوى أنها عاشت أول بضعة سنوات من عمرها مع زوجين ميسوري الحال لكن و بعدما أكملت التسع سنوات تعرض الزوجين لحادث سير أليم توفيا على إثره فوراً ..تكالب الأقارب لسلب الميراث فعادت إلى الميتم لمدة سنة أخرى حتى احتضنتها أسرة بسيطة الحال هما زوجين يعمل الرجل بإحدى البنوك وزوجته معلمة وكانا لا ينجبان الأطفال فرعياها واهتما بها...
اتهم الرجل بعد عدة سنوات بعملية اختلاس كبيرة رغم أنه بريء منها إلا أنها أطاحت به بالسجن ليصاب بجلطة دماغية جراء صدمته ويموت مخلفا ًورائه زوجته وهذه الطفلة الصغيرة، تقلب حالهما كثيراً ، لكن الزوجة العاقر أصرت على الاعتناء بجمانة كابنتها تمامًا حتى تعاقبت السنوات ووافتها المنية منذ عام ونصف تقريبًا لتواجه جمانه العالم بمفردها...وكأنها دخلت مرحلة جديدة من الصراع "
-جماانة
-جمااانة !!
انتبهت اخيراً لصوت زميلتها التي تنادي عليها منذ فترة .
- ما بك ! قدمي طلبات الزبون "

تناولت منها صينية القهوة على مضض وهي تنظر لذلك الرجل المتأنق وهو يتفحصها بعيني صقرٍ جائع ككل مرة ٍ منذ مدة أطلقت زفيراً حاداً وتوجهت ناحيتة لتقدم القهوة دون كلمة ،

- الابتسامة بوجه أخيك صدقة " قالها باسماً وهو يرى ذلك العبوس الذي يحتل تقاسيم وجهها الناعم، لتجيب باندفاع : لا رغبة لي بالتصدق اليوم أيها السيد .
-ألا تريدين زيادة حسناتك ؟
ضربت بكفيها على الطاولة قائلةً بغيظ وهي تهمس: لإماطة الأذى عن الطريق حسنة....وأنت الآن بالنسبة لي شخص مؤذ فانتبه لكلماتك كيلا القيك خارجًا وبهذا تكون حسناتي قد تضاعفت ستين مرة .

تعانقت عيناهما بمزيج غريب من الجنون والاعجاب ، ووسط نظراتها الهادرة تجاه استفزازه لها يومياً، ارتفع كفه بتلقائية وهو يحمل فنجانه ليشتم رائحة القهوة قائلاً : الله !! رائحتها شهية ، شكراً حلوتي .

تناولت الصينية مغادرة بحنق وهي تطلق السباب على ذلك الرجل الذي سيصيبها بالجنون فعلاً! .

تبسم مراد بمكر وهو يحملق بتلك الجنية القصيرة ناعمة الملامح والتي سلبته عقله وتفكيره منذ اسبوعين حتى الآن، بعينيها الواسعتين, بلسانها الطويل حتى أن لسانها أطول من قامتها القصيرة! ببناطيلها العسكرية الغريبة! ،. وكأنها فعلا صندوق متنقل من الديناميت مستعد للانفجار بأية لحظة، لكنه يعشق الديناميت فعلاً ! كان معتاداً على الجلوس بهذا المقهى بشكل شبه يومي ليشرب قهوته الصباحية قبل أن يتوجه لشركته، فهدوء المكان وبساطته كانت تأسره ،أو لنقل ،..هو من أشرف على تصميم هذه المقهى بنفسه ابتداءاً من الأساسات الإسمنتية حتى الديكور الداخلي والتفاصيل الكمالية للمكان بما أن لديه هواية

بهندسة الديكور كذلك بجانب عمله كمهندس مدني، لكن ما زاد هذا المكان رونقاً وجمالاً بنظره هو تلك الجنية المدعوة جمانة !
على الرغم من اقتراب موعد زواجه، حيث أنه بعد انتهاء نور من فحوصاتها مباشرة ،.

هو يعترف بأنه خائن ...لكن بقاموسه خيانته مشروعة حتى يتزوجها ربما حينها فقط، سيكف عن ملاحقة النساء فلينعم إذن بآخر بضعة أيامٍ بهناء !

رن هاتفه المحمول ليلتقطه ويجيب على المكالمة :
-المشروع سيسلم بمعاده يا أبي لا تقلق رجاءًا ودعني استلذ مرة واحدة بفنجان قهوة دون أن نقاطع خلوتي به "

-خلوة !
تسائل رضوان ضاحكاً ليردف بعد فترة : حسناً تمتمع بخلوتك مع قهوتك ولا تتأخر على الإجتماع وإلا سأغليك مع القهوة بقدرٍ واحد ،الأعمال تراكمت علينا !

أغلق مراد هاتفه وما تزال نظراته مرتكزة عليها بشكل استفزها لكنها حاولت قدر الامكان السيطرة على أعصابها كيلا تدق عنقه فتصبح عاطلة عن العمل للمرة المائة بعد الألف!
ارتشف فنجانه على عجل واخرج النقود من جيبه ليضعها على الطاولة مغادرًا المقهى، تقدمت جمانة من الطاولة لتسحب النقود ومدت لسانها بغيظ وحينها استدار بتلقائية ليراها من خلف الزجاج فتفاجئ من فعلتها الخرقاء فابتسم بتسليةٍومد لها لسانه كذلك بشقاوة ليصطبغ وجهها بألوان الطيف السبعة وهي تتمتم :

-غبية جمانة ،. غبية كعادتك يا للحرج !

****

11
1980
ما زال عابد محتجزاً رغد لكنه لم يحاول مرة أذيتها، هي كانت تثور أحياناً ، تصرخ وهي تضرب الباب بعنف(من أنت ...أين أنا ، ماذا تريدون مني) لكن لا استجابة منه أو من أحد !
يفتح عابد المزلاج ثم يخطو الى الداخل وهو يحمل لها صحفة الطعام يضعها على الكومود بجانب السرير و ينظر لها فقط بعينين على الرغم من قسوتهما ظاهرياً إلا أنهما يحويان حزناً دفينا محفورة آثاره عليهما، ينتظر الأوامر فقط كي يفك أسر هذه المسكينة التي كانت مجرد وسيلة إلهاء لتشتيت والدها الضابط مدة من الزمن وإشغاله عن عمليتهم الأخيرة بتكثيف البحث عن ابنته فقط .

ومساء ذات ليلة شعرت بمزلاج البوابة يتزحزح وظنت أنه عابد كما هي العادة لكنه ليس الوقت الذي اعتاد عابد المجيء فيه ! ، انكمشت على نفسها أكثر عندما تبينت ظلاً ضخما يتقدم ناحيتها ودلف الرجل الى الداخل بخطى واثقة، لكنه لم يكن عابد ،.بلا إرادة منها التصفت على الحائط بذعر وهتفت : من...من أنت؟ ، لكن الرجل كشر عن ابتسامة ماكرة وهو يهمس: ألم تشعري بالملل ...لنتسلى قليلاً أيتها الجميلة .

وتقدم ناحيتها بثبات أكبر لتصرخ بأعلى صوت وهي تستغيث،تهجم الرجل عليها وكمم فمها هامساً بفحيح : هسس ...لا تقاومي .
ولم يكد الرجل يقرب منها حتى مزقت أذنيها صوت رصاصة عالية وسقط الرجل على الأرض يعتصر قدمه من الألم، نظرت بجذع ناحية الباب لتتبين

عابد واقفاً أمامه وعيناه ممتلئتان بالغضب ، ضرب برجليه الأرض بعنف وهو يتقدم من الرجل ثم تمسك بتلابيبه وهتف جازا ًعلى أسنانه : أخبرتكم أن الاقتراب من هذه الغرفة يعد انتحار لكم ،، فلتتحمل النتيجة أبها الوغد ، وكاد أن يجهز عليه هذه المرة برصاصةٍ على صدره لكن رغد صرخت فيه بجزع ،.لاا أرجوك ...لا تقتله .
وانهارت ببكاء عنيف في حين أن الرجل كان يتلوى من الألم، بصق عليه باشمئزاز ثم صاح بصوتٍ هادر لأحد الرجال ليقوم بسحبه الى الخارج ، وما زالت نظرات رغد يتملكها الفزع

قال وهو يخطو إلى الخارج : لن يستطيع أحد أن يؤذيك ما حييت لا تخافي .
رفعت رأسها ناحيته وبعينيها الملبدتين بالدموع نظرت اليه ليرتعد ولأول مرة جراء نظراتها البائسه ، همست بصوت متحشرج : -ماالذي تريده مني .
لا يعرف كيف استند بكفه على الباب مجيبا ببساطة كمن يحادث صديقاً قديما ًبأمر طبيعي فعلاً :
-وجودك هنا مسألة وقت لا أكثرلا تقلقي ولن يؤذيكِ أحد هذا وعدٌ مني .
-عقدت حاجبيها بعدم فهم وسألت : من أنتم ، ماالذي تفعله هنا وأين أنا ؟
فتبسم بتهكم مجيباً :
قلت لك سابقا أنت في وكر شياطين الأرض ..
وأغلق الباب خلفه ببساطة وولى مغادراً .

*****
عودة إلى الزمن الراهن ..

وبدأ فحص شهادة الثانوية، استيقظت نور صباحاً وقلبها مضطرب جدًّا.. خائفة من الامتحان فهو الذي سيحدد مصيرها لتحقيق حلمها للالتحاق بكلية الطب، دعت الله سبحانه أن يلهمها الهدوء والتوفيق، ارتدت ملابسها على عجل

وكان بادياً على وجهها الشحوب والإرهاق لكنها لم تستطع تناول الطعام رغم الحاح عبير، فاحتضنتها قائلة :ثقي بنفسك يا ابنتي وتوكلي على الله .
خرجت من الباب لتتلاقى مع آدم الذي كان ينتظرها أمام السلم ليلقي عليها تحية الصباح ،
تبسم بحنو وهو يرى نظراتها المتوترة ووجهها الشاحب ودعت نور والدتها وهرولت درجات السلم
أومئ لها وهبط درجات السلم و استقل دراجته النارية للذهاب إلى جامعته وكم كان راغباً في توصيلها لكن مراد كان قد خرج بذات اللحظة فاستقلت السيارة لينطلق فيها مراد دون حتى أن يلقي التحية على آدم الذي قطب حاجبيه انزعاجا من تجاهل مراد له ،

وما هي إلا بضع دقائق حتى كانا أمام المركز، تنهد بنفاذ صبر ونظر إلى ساعته ثم قال : هيا تعالي ما يزال الوقت باكرًا .
-إلى أين ؟
تسائلت نور فأجابها وهو يتجه ناحية احدى مطاعم المعجنات القريبة :
- ستتناولين فطورك قبل أي شيء كي تستطيعي التركيز .
-لا رغبة لي مراد رجاءً .
تنهد بنفاذ صبر ودفعها الى المطعم لتناول الفطائر .
-هيا ألا ترين أن مظهرك كالأموات !

اكتفت ببضع لقيمات فقط وهي تنظر بين فينة وأخرى إلى الساعة فقال يطمئنها : ما يزال الوقت باكراً ،.كل شيء سيكون على ما يرام لا تقلقي .
أمسكت أوراقها لتستذكر مجددًا فسحب الأوراق منها بغتة وقال بإصرار : - كفى الآن وإلا ستتوترين ،
غطت وجهها بيدها قائلة بخوف : انا متوترةٌ فعلاً .
- نور .

ازاح يديها عن وجهها قائلاً بحنو : هيا الآن كفي عن ذلك حبيبتي إنه مجرد امتحان وأنت مستعدة له .
هزت رأسها باستسلام ثم نهضت قائلة : سأذهب الآن بدؤوا بدخول البوابة .

وأسرعت الخطى خارج المطعم لتتجه ناحية مركز الامتحان فجهر صوته : توكلي على الله ولا تخافي .
أومأت له باسمة واختفت داخل بوابة المركز.

***

دقت الساعة التاسعة صباحاً حينما دلف مراد كعادته إلى المقهى لرؤية تلك النادلة التي خطفت عينيه مذ قابلها أول مرة ..
وكأنها طقوس اعتاد على ممارستها كل يوم قبل التوجه إلى الشركة على الرغم من انشغاله كذلك لاقتراب موعد زواجه ...تلك الجنية التي قابلها للمرة الأولى في هذا المكان....جنية قصيرة ذات شعر أسود قصير ووجه لايتزين حتى بأحمر شفاه ومع ذلك كانت تملك جاذبية ملفتة ...وظنها حينذاك جاذبية لنوع فريد من النساء لم يجربه من قبل ..
الفتاة الطبيعية، الوقحة..ذات اللسان السليط والعينين الساحرتين الواسعتين ! سمعها للمرة الأولى منذ اسبوعين وهي تبرطم مع نفسها صباحاً بكلمات عجائبية !
استدار برأسه الى الخلف وهو جالس أمام طاولته ورآها منكبة على طاولة زبون وابنه كانا قد غادرا بعد أن لوثاها ببقع كثيرة من الشوكولا التصقت على زجاج من جانبها ولوثت المفرش الأبيض ..ارتفع حاجباه محاولا السيطرة على نفسه كيلا ينفجر بالضحك فرفعت وجهها حين تنبهت لنظراته
-خيرا ؟!
هز رأسه أن لا شيء وهمهم بابتسامة وقحة -القهوة ..أريد القهوة.

ثم أردف مازحاً: وقطعة من الكيك بالشوكولا..و لا تخافي لن ألوث الطاولة .
رفعت جذعها أخيراً وسجلت طلبه وهي تقول بجدية: دقائق وسيكون طلبك جاهزاً،
-حلوة ..حلوة كالعسل..
-عفواً!
حدجته بنظرة انزعاج واضح قبل ان يصحح كلماته وهو يشعل سيجاره و يفترسها بنظراته: القهوة...أريدها حلوة.
-التدخين ممنوع هنا ،
قالتها بجفاء فأجاب بثقة: ليس علي...معي كرت أخضر .
نفخ دخانه عالياً لتدير وجهها بانزعاج عنه
أومأت له و تجاوزته وهي ترفع ذقنها بشموخ ليتابعها بعينيه حتى اختفت من أمامه لتتابع عملها.
مر من امامه أحد النادلين فسأستوقفه...
-لو سمحت .
-تفضل مراد بك.
حدق في جمانة وسأل النادل مازحاً: من هذه القصيرة التي تحادث نفسها كثيراً!
تطلع الشاب حيث يحدق مراد وسرعان ما ابتسم مازحاً: تقصد جمانة...إنها موظفة جديدة .
هز مراد رأسه وتمتم : جمانة...اسمها جمانة .
أردف النادل بأسما: لكن لأقول الحق : إنها نشيطة كالنحل وكالجن لا نعرف متى تظهر ومتى تختفي!

عاد لواقعه مرة أخرى على صوت تمتمتها العالية التي تقصدت إسماعه إياها حين رأت على ذات مقعده المعتاد ..
-يا فتاح يا عليم ،.
كانت تريد الهرب من نظراته الوقحة التي تتخفى خلف طبقات الوقار والثراء

الواضح...
لكنها الوحيدة المتواجدة حاليًا فزميلتها في اجازة اليوم،والآخر لن يأتي قبل ساعتين من الآن.. دلفت إلى الداخل وعادت بعد دقائق تحمل بيدها صينية القهوة لتضعها أمامه وتهرب قبل أن تدق عنقه فقال باسمًا :
-ولكني لم أطلب القهوة !

فأجابت جمانة بثقة : هو طلبك المعتاد ككل يوم .
رفع حاجبيه ثم قال بمكر : لكني اليوم لا أريد القهوة، أحضري لي الكمون بالليمون "
احتقن وجهها بحنق فانتشلت صينية القهوة وقالت ساخرة: كمون وليمون أتعاني المغص ..
-نعم...عندي مغص عاطفي .
رفعت حاجبيها لرده وابتسمت ابتسامة كبحتها فور التماع عينيه وهو يحدق فيها فغادرت من أمامه لإحضار مطلبه العجيب ..
دقائق مرت شرد فيها بقطرات المطر التي بدأت بالهطول خارجا ً،
عادت جمانة من جديد وهي تحمل له مطلبه بتكشيرة واضحة، تابعها بعينيه ثم قال ساخراً بعدما غادرت : ما هذه النظرة الشريرة يا آنسة من أساسيات العمل ...الابتسامة للعميل أم أنك لا تعرفين كيف تكون الابتسامة!

استدارت فجأة ناحيته وأجابت بسخط : أنت في مقهى النكد النسائي إن لم تعجبك المعاملة هنا بإمكانك المغادرة إلى مقهى آخر ونكون من الممتنين لك! .
وهنا صدع آخر صوت تتمنى جمانة سماعه !!
قال مدير المقهى غاضباً :جمااااانة !! الحقي بي إلى المكتب فورا "
حدجته بنظرة انزعاج وانصاعت لمطلب المدير أما مراد فعض على شفاهه بندم فلم يكن ينوي أبداً أن يسبب لها المتاعب .
دخلت جمانة وراء المدير ومن وراء الحائط الزجاجي استطاع مراد تمييز

التوبيخ الذي تعرضت له...لكنها لم تصمت...بل يبدوا أنها قد ردت الكلمة بعشرة اضعافها للمدير الذي امتقع وجهه وتوهج انفعالا...
خلعت المريبة التي ترتديها... فهاهي ذي تتعرض للطرد مجدداً، اعتصرت المريلة بقبضة يدها وسارت تجاه مراد وقذفتها تجاهه بعنف وولت مغادرة ليسقط فنجان الكمون بالليمون على فخده أحرقته حرارة المشروب فنهض من فوره يتألم ويمسح بنطاله بمنديله لكن ما أحزنه فعلاً هو تعرضها للطرد بسببه .

-أنا اسف حقاً سيد مراد اعذرنا على سوء معاملة تلك البنت " قالها المدير له معتذراً ،
أكمل مسح بنطاله مجيباً لا بأس ...لا بأس .
وخرج ورائها مسرعاً، جال ببصره باحثا ًعنها حتى لمحها تسير تحت قطرات المطر الذي اشتد ،
اختلطت دموعها بقطرات المطر وهدج صوتها : يالله ...لم يعد بمقدوري تحمل هذه المعيشة .

أوقفت سيارة أجرى لتستقلها عائدة إلى المنزل فهرول مراد مسرعا لكنه لم يستطع اللحاق بها . فوقف وهو يشاهدها بعينيه تبكي داخل السيارة التي مرت من أمامه وأحس بالندم لأول مرة بحياته على تصرف أخرق اقترفه !

****

ومر أسبوعان آخران وكان مراد يوصل نور يومياً صباحاً، ويصطحبها السائق راغب عند انتهائها، وهاهي الآن قد أنهت آخر امتحاناتها ،.خرجت من باب المركز تتنهد براحة ، كان كريم بانتظارها أمام البوابة الخارجية متكأ على سيارته وشف ثغره عن ابتسامة عالية لدى رؤيتها بعد هذا الغياب الطويل عنها، تقدمت منه بدهشة وهي تحتضن حقيبتها

-كريم !! مالذي تفعله هنا ؟
اقترب منها باشتياق وهمس:
- مكاني الطبيعي...أن أكون معك...بجانبك. رفعت حاجبها ونصف ابتسامة استنكار ارتسم على شفاهها فأردف :
-بما أنه اليوم الأخير قررت اصطحابك أنا .
جالت بعينيها تبحث فقال مباغتاً : اخبرت راغب بأن يغادر، هيا تعالي .

استقلت الكرسي بجانبه وانطلق كريم بسيارته بعدما شغل لها أغنية هادئة
-كيف قدمت آخر امتحان ؟
-الحمد لله الأسئلة كانت سهلة جداً ،.ساعدتني دروس آدم وتوقعاته .
اعتصر كريم المقود بيديه بعصبية وهو يفكر متى سينتهي من آدم ...وكأن آدم لعنة على حياته فعلاً !
فتدارت أيضاً وأردفت: وأنت أيضاً...لولا دروسك ما كنت لأتجاوز هذه المرحلة.
ثم تنبهت على تغيير مسار المنزل فتسائلت : إلى أين ؟
-سنجلس بمكان ما لتناول الغداء ما رأيك ؟
-ولكن ، !! .
-والدتك تعرف أنك برفقتي يا نور ...اخذت اذنها لاصطحابك .
آثرت الصمت وشردت عبر زجاج النافذة وهو يراقبها بعينيه بين فينة وأخرى حتى اقترب من شاطئ البحر ..
أتاها اتصال
اعتصر كريم المقود بعصبية وقد تأججت غيرته ونظر ناحيتها وهي تحادث آدم .
-نعم الحمد لله أبليت جيدًا جداً، أنا الآن برفقة كريم، جاء لاصطحابي .
-ولكن يا آدم ،..
-حاضر، س..سأحاول .

أغلقت الخط وهي ترى انقباض حاجبي كريم فابتلعت ريقها بتوتر ...يكفيها ما تسببت فيه من مشكلات...قاطع صمتها العنيف صوته المجاهد كي يكون هادئاً
-ماذا يريد ؟
ظلت تراقب الطريق والهواء يلفح وجهها فيشعرها بانتعاش... ردت عليه بطريقة طبيعية ..
-لا شيء مهم يطمئن فقط .
وأردفت وهي تقبض كفيها ببعضهما على حجرها ،.ما رأيك أن نؤجل الغداء لوقت ٍلاحق ..
أوقف كريم السيارة فجأة وقد نفذت طاقته على التحمل : ذلك العلقة قد أمرك بهذا أليس كذلك ؟
جزعت نور من اشتداد غضبه وأجابت باستنكار وهي تحدق بعينيه اللتين تحولتا ببراعة لشعلة غضب وقد كان منذ لحظات فقط ، هادئاً متزنا مرحا :
-لا ...أنا..أنا متعبة من الامتحان .

ترجل من سيارته وصفق الباب بعنف ليرتج الزجاج وتقدم ليستند على السور أمام البحر ليهدئ من روعه بينما هي اكتفت بالتحديق به باستغراب، لحقت به علها تفهم سبب هذا الغضب المستمر من آدم وعلاقتها به وهي موقنة أنه لايعرف حتى مشاعر آدم تجاهها فهما دائما كالنار والبارود لا يجتمعان ،.
-كريم ...ما بك ما الذي جرى الآن ابن خالتي واتصل أهي جريمة !
ضرب بيديه السور وقد عاود الهتاف وهو يستدير ناحيتها بغيظ...عضلات ساعديه قد تضخمت بشكل بث الرعب في جسدها وهو يشوح بيده أمامها: لا أفهم حقا لما تنفذين جميع طلباته ! لما تدعينه يتحكم بك وبحياتك الخاصة لم تعودي صغيرة !! .
-كريم، ما مشكلتك معه ؟!
- مشكلتي معك أنت بخضوعك له.."

-لستُ خاضعةً لأحد إنه يخاف علي فقط هذا كل مافي الأمر "
قالتها بغضب وهمت بالمغادرة لتستقل السيارة لكن أمسكها من ساعدها وأدارها ناحيته :
- يخاف عليك مني...من ابن عمك!
تعرفين أني أكن لك مشاعر خاصة جدا .
تعرفين اني...أني
كتم كلماتها وهو يرى اتساع عينيها الهلعتين ...كنزته السوداء المتصلقة بعضلات صدره الذي صار يرتفع مع كل نفس يطلقه ..وهي أمامه...بدت كطفلة، مجرد طفلة مرعوبة!
أردف وهو يقلص المسافة بينهما وهمس : تعرفين أني أحبك...أحبك افهميها جيداً "
اختلجت ضلوعه مع اعترافه لها، توهجت وجنتاها فزادتها فتنة وشهية ..رق قلبه لحالها فأحاد ببصرها عنه واستكمل حديثه وهو يحدق بالبحر :
- جميعنا نخافُ عليكِ، لكن بوجود والدك ومراد لا يحق له التدخل، لا تعرفين كم هو مؤلم لي أن أراه يتدخل بك، وتنصاعين له بخضوع غريب..
تطلع فيها مجدداً وغمغم :لا تدركين ما مشاعر الغيرة التي تتملكني حينما أعرف أنكما تقابلتما، ومع الأسف أنتما كل يوم تتقابلان .
-وكي تدركي أني جاد جدا، طلبتك للزواج من والدك "
انفرجت عيناها بصدمة وقالت بتلعثم : ما الذي تتفوه به !!
-وليس لديه اعتراض على ارتباطنا كذلك .
ارتبكت من كلماته المفاجئة وهتفت فيه ..تريد أن تتزوجني ..وأنا بهذا العمر؟ أحلامي طموحاتي ودراستي أين هي !! لا أصدق كريم ..لا أصدق! ..أعدني إلى المنزل .
تركته وحيداً وتوجهت ناحية السيارة وجلست على الكرسي وهي تحني رأسها بصمت .
زفر بعمق من خجلها الواضح بل والممزوج بغضب لا يفهمه و توجه ناحية

السيارة فتح الباب وجلس بقوة فارتجت السيارة اثر ثقله....وانطلق بسرعة متجاهلا خوفها منه ومن سرعته في القيادة ...بل ومن اعترافاته .
وحينما وصلا همت بالنزول فقال وهو ينظر الى الأمام : -فكري مليًا يا ابنة عمي .
**
كانت جمانة مستلقية على الأريكة عيناها شاخصتان على التلفاز العتيق دون تركيز فيه.، وغبار من زكريات حياتها التي غشيتها سنوات الميتم لا تفارقان تفكيرها...رن هاتفها المحمول للمرة الثالثة خلال ساعة فتناولته من على المنضدة وقرأت الرقم الغريب مجددًا باستغراب !
اجابت بتردد فأتاها صوت رجل :
-السلام عليكم... ،آنسة جمانة ؟
-وعليكم السلام، نعم جمانة ..تفضل ؟
- أنا السيد ضياء الدين كنت قد اتصلت بنا منذ عدة أشهر للعمل ضمن شركة إعمار للهندسة لكن لم يكن هنالك شاغر في ذلك الوقت "

عقدت جمانة حاجبيها تحاول التذكر فأردف الرجل : نحتاج لموظفة سكرتارية وعرفت من المعلومات التي بين يدي أنها مجال دراستك فأرجو أن تتفضلي للتحدث بالتفاصيل وسأرسل لك الموقع .
-نعم ...اشكرك سيدي ...اشكرك .
انفرجت شفاهها بفرحة عامرة فقفزت من على الأريكة وقد تملكتها السعادة لكنها توقفت فجأة تحادث نفسها...لكني لا أتذكر أني اتصلت سابقا بشركة اعمار !
هووووف جمانة لقد اتصلتِ بألف شركة وشركة لا بد وأنني نسيتِ فعلاً !!
تجهزت صباحاً وخرجت تهرول على درجات سلم العمارة حتى كادت أن تصتدم بكرش مسعود ذو الخمسة أمتار!! :
-إلى أين يا إعصار الحي المتحرك ؟

فأجابت ضاحكة :
-ادعو لي يا مسعود ،.ذاهبة لمقابلة توظيف .
تمتم مسعود وهو يضرب كفاً بكف وهي تغادر مسرعة :أي مشكلة جديدة !!
ثم اردف وهو يجاهد بكرشه المترجرج ليصعد درجات السلم : الله يستر !!
توقفت سيارة الأجرة أمام مقر الشركة ترجلت منها بقلب مرتجف بهتت ملامحها حينما أدركت فخامة هذا المبنى والتي لا تتناسب مع ما ترتديه حتماً من كنزة رمادية باهتة وبنطال أسود ضيق ينتهي بحذاء رياضي... أخذت نفساً عميقاً و خطت الى الداخل ناحية إحدى الموظفات لتسأل عن مكتب السيد ضياء الدين وهي تتمنى فعلاً أن تحصل على العمل وستقبل حتماً بأي راتب سيمنحوه لها، رحبت بها السكرتيرة الرئيسية (فرح) واقتادتها الى داخل المكتب بعدما أعلمت ضياء بحضورها .
ألقت السلام فرفع ضياء الدين عينيه عن الورق أمامه ونهض : أهلا وسهلا آنسة جمانة ، تفضلي رجاءً .
غرقت بداخل الكرسي الجلدي الضخم مقارنة بجسدها الضئيل ، قال ضياء مباشرة بمهنية :
-قرأت من خلال بياناتك أنك في السنة الثانية من معهد السكرتارية .
-نعم سيدي .
حسنا آنستي هل عملت قبلا باختصاصك ؟
عقدت حاجبيها وقد ايقنت أنهم سيرفضونها نظرا لقلة خبرتها فقالت بارتباك : صراحة...عملت لوقت قصير جدا بأحد الشركات...لكن..
أردفت بشكل متسارع : لكني أتعلم بسرعة سيدي ..أؤكد لك.
تبسم ضياء وسأل مجدداً : ماذا عملت سابقاً غير السكرتارية ؟
تنحنت بارتباك قبل أن تطلق كلماتها كمدفع الرصاص : عملت كبائعة في متجر أحذية ومتجر ألبسة وأكسسوارات، ونادلة، و دادا للأطفال، عملت أيضاً ك ءء...
رفع ضياء الدين حاجبيه بصدمة ثم لوح يديه قائلاً بابتسامة : -حسناً...حسنا

يبدو أن اللائحة طويلة ! .
فأجابت ضاحكة :طويلة جداً ما زلنا في بدايتها .
قهقه هذه المرة وهو يخلل أصابعه بخصلات شعره الأسود ثم قال :
-حسنا. لا علاقة لنا بأي عمل آخر...نباهتك وجهدك هي التي ستحدد مدى استمراريتك معنا..أهلا ًبك في شركتنا، بإمكانك مباشرة العمل ابتداء من الغد في التاسعة صباحاً .
انفرجت شفاهها بابتسامة عريضة ؛:
-توظفت حقاً !!
أومئ لها بابتسامةٍ طفيفة وقال معقباً :
-لكن تذكري رجاءً الالتزام في المواعيد والدقة في تنفيذ المهام هي من أولويات شركتنا، وغدًا ستعلمك انسة فرح أساسيات العمل..تلك التي رافقتك إلى مكتبي .
أومأت له بفرح وشكرته مجدداً ثم غادرت مبنى الشركة.. اتسعت ابتسامة ضياء الدين وهو يتمتم : بنت ظريفة، كان على حق فعلاً فيما قاله عنها !
****

12

دلفت نور إلى المنزل وقد تعالت وتيرة نبضات قلبها بعد عرض كريم المفاجئ بالزواج منها، لم تتوقع أن تؤول الأمور إلى هذا النحو...لم تنكر أنها استمتعت إلى حد ما باعترافاته سابقاً وبلهفته عليها ومساعدته بل واستغلتها على قدر استطاعتها...نوع من غرور أنثوي كونها مدللة العائلة، محاطة منذ صغرها بمن يقومون بتدليلها ومسنادتها ،

تواجهت مع والدتها في الصالة فألقت السلام بعجالة لتهرب لكن عبير نادتها
-توقفي ما الذي جرى.
تمهلت واستدارت ناحية والدتها واجابتها بتوتر: -لقد...أظن أنني أجبت على معظم الأسئلة .
كتفت عبير ساعديها وأكملت: وبعد مع كريم ما الذي جرى.. أين جلستما وبماذا حدثك؟
امتقع وجهها وهمهمت باضطراب:لا..لاشيء أوصلني إلى هنا فقط .
-نور!
هتفت فيها عبير وهي ترفع حاجبيها فهزت نور راسها برفض :
-أنا متعبة واحتاج إلى الراحة أرجوك .
و هرعت من فورها ناحية غرفتها لتستلقي على السرير أغمضت عينيها باستسلام فهي حتى لا تقوى على التفكير بما قاله لها، هي سعيدة اليوم فقط لانتهاء فحوصات الثانوية ولاقتراب موعد زواج مراد واليسا ، تذكرتها فنهضت من على السرير فجأة واتصلت بها لتطلب منها الحضور..ربما كانت اليسا لا تفهم بهذه المواضيع وحتى لو أخبرتها نور عن حقيقة مشاعرها والتي حتى هي لا تعرف ماهي ..
اليسا لن تستوعب...حين يتعلق الأمر بالحب والزواج تصبح اليسا مبرمجة على أقوال مراد التي زرعها بداخها..
لبت اليسا الدعوة فعلاً و انشغلت الفتاتان بالثرثرة كعادتهما بالتجهيزات للحفل
بعد صمت قصير أخبرتها عما قاله كريم، لتصفر اليسا بمرح وتجيب :
-اه جميل جداااا، ما الذي فعلته انت ؟
زفرت نور وقلت بضيق: لا شيء ...طلبت منه أن ان يقلني الى المنزل .
عقدت اليسا حاجبيها وتسائلت : نعم !!! ألست سعيدة ؟ ما قرارك بشأنه هل ستوافقين ! إنه شاب رائع ...وسيم وقوي و...
ضحك نور وهي تشوح بيدها على حماس اليسا:
-لا لم أفعل اهدئي قليلاً، انا مرتبكة، ما زلت صغيرة ًعلى الزواج ...أريد أن

أعيش حياتي لحظة بلحظة ،الدراسة ..الجامعة .. العمل ثم الحب والزواج ومسؤوليات
قهقهت اليسا وقالت بمرح : اه ما زلت صغيرة فعلاً على الزواج .
ضربتها نور على كتفها بانزعاج :
-اخرسي اليسا، انت حمقاء ذاتاً ولا أريد أن اتورط بالمسؤوليات من الآن كما فعلت انتِ..الزواج بحد ذاته ورطة...فما بالك بمن ستتزوج بمراد!
دارت عينا اليسا للطرف المقابل وابتسامة شاحبة ارتسمت على ثغرها ..

-ماما تقول أنه وقت مثالي للزواج وهو زوج لا يعوض....ومراد يقول أنني لم أعد صغيرة إذن ما من مشكلة .
عقدت نور حاجبيها وحدقت فيها بتمعن: وأنت...ماذا تقولين ...اكيدة بأنك لن تظلي تنجرين دائما لأقوال الماما ومراد ...أين شخصيتك أنت ..حاولي البحث عنها وسط هذه الفوضى اليسا ..انت فعلا لم تعودي صغيرة لكن ليس على الزواج بل على أن تكون لك شخصية مستقلة واعية ومدركة بأن حياتك لا يجب أن تسير على أفكار وتعليمات الآخرين .
انكست اليسا برأسها تبحث عن قرار واحد اتخذته هي ...من تلقاء نفسها..عدا العابها او ارتداء الفساتين التي تحبها..لكن حتى الفساتين كانت بأحيان كثيرة تقيدها آراء والدتها ثم مراد .
هزت نور رأسها بيأس ..لكنها انشغلت أيضاً باضطرابها الداخلي وكلمات الجميع على أن كريم شاب لا يعوض.. ولا تعلم لما اقتحم آدم عقلها فجأة بكلماته الوقحة في أحيان كثيرة وبنظراته التي باتت تخجلها ..وبشعور غريب يتسلل الى قلبها ناحيته لكنها لم تفهم بعد ما هو ! وبلا إرادة منها تخيلت موقفه تجاه الأمر !
هل سيوافق وهو قد التحم مع كريم بعراك لمجرد قبلة على كفها!
وطرق باب غرفتها وهي ما تزال سارحة بتفكيرها، هزت نور رأسها برفض وضحكت بذهول وهي تتخيل عراكا أقوى وأعنف إن وافقت على

كريم ...نهضت اليسا وفتحت الباب...
فألقى السلام عليها وتقدم خطوتين ناحية نور ليطمأن لكن نظراتها جمدت عليه بذهول وهي شاردة فيه تشكل امامها في لحظات، تبسم آدم باستغراب جراء نظراتها الغريبة ونادى : نور ،!!
فاتفضت نور فورًا من على السرير بعدما تنبهت لنفسها وهتفت بارتباك : آدم ! ضحك قائلاً : لا خالته !! بم كنت شاردة ؟
-لا شيء .
ضحكت أليسا وقالت بمكر : لا تكذبي واعترفي بأنك تفكرين بكلمات كءءءءء .
قذفتها نور بالوسادة وهتفت :هيييييي !.
قطب آدم حاجبيه ونقل بصره بينهما لكن نور قالت بمرح : كيف حالك ..
ما زالت نظراته ترتكز عليها وقد شعر بارتباكها البادي وهو يعلم حق المعرفة انها كانت صباحاً بصحبة كريم، هز رأسه باقتضاب دون حتى أن يستمع لكلماتها قائلاً : بخير..نتحدث لاحقاً.
وخرج من الغرفة لتتقدم منها نور وترمي الوسادة عليها بحنق :أنتِ غبية !
فعاودت اليسا رميها بها و تعالت ضحكاتهن لتبتدأ حرب الوسائد بين الفتاتين ، أما آدم فصعد مباشرة الى شقته وفكره ما يزال معلقا بكلمات اليسا المبتورة ..

*

حل صباح اليوم التالي فتجهزت جمانة لمباشرة عملها في الشركة، ارتدت قميصاً أبيض عريض وبنطالا أسود ذا جيوب كثيرة وعقدت شعرها القصير بدبوسٍ بسيط واكتفت بالقليل من الكحل ثم توجهت ناحية الشركة..
دلفت الى الداخل تجول بعينها الموظفين حتى التقت بالموظفة فرح التي حدجتها بنظرة استغراب على لباسها ثم اشرق وجهها بابتسامة صافية واقتادتها ناحية مكتبها ،
اتسعت ابتسامة جمانة وهي ترى هذا المكتب الأسود الأنيق وتسائلت بينها

وبين نفسها : إن كان مكتب السكرتيرة بهذا الجمال فكيف هو مكتب المدير !!
قاطعت فرح شرودها وأردفت : زميلتنا السابقة كانت حامل في شهورها الآخيرة فتركت العمل بعد شعورها بالتعب والإرهاق ..ستتخذين مكانها سأعلمك الان أساسيات العمل، وانتبهي جيدًا السيد يحب الدقة في المواعيد، والنظام و ..
صمتت تحدق فيها من اعلى إلى اسفل واردفت بتردد: و..وطريقة اللباس.
أجابتها جمانة باستنكار :
-أي أن ملابسي لا تليق..
تنحنحت فرح وأردفت : يشترط أن نلتزم بنوعية ألبسة خاصة كما تعلمين.. شخصيات كبيرة وذات مكانة مرموقة يحضرون إلى هنا كل يوم عند المهندس رضوان .
أومأت لها جمانة على مضض وشرعت فرح في تعليمها أساسيات العمل وتعريفها بملفات المشاريع وأماكنها ثم قالت : لديك الآن هذا الملف انسخيه على الحاسوب ،
وأردفت بحبور انتهينا الآن سيصل سيد رضوان في أية لحظة ويجب عليك تسليمه عند الساعة الحادية عشرة، بالتوفيق .
شكرتها جمانة تلمست المكتب باصابعها وسارت عليها بابتسامة لم تقدر على كبحها..ثم غرقت خلف المكتب الكبير حين جلست ! ما كادت تباشر العمل حتى دلف رجل في منتصف الخمسينيات ذو هيبة ووقار ...شعرت باكماش جسدها وهبت واقفة أمامه والقت التحية ليردها في ابتسامة بشوشة: أنت إذن السكرتيرة الجديدة ..
نعم ..نعم سيد رضوان ..انت هو السيد رضوان صح؟
ازدادت ابتسامة رضوان وهز رأسه : نعم يا ابنتي ...أنا رضوان او بإمكانك مناداتي مهندس رضوان..فلم افني أكثر من عشرون عاماً من عمري كي يلقبونني بالسيد بدلا من المهندس .
كبحت بسمتها الخجلى وهزت رأسها : آشفة ...سيدي ..ال .. المهندس رضوان

أعتذر .
تعالت ضحكاته وهو يدلف إلى مكتبه الذي يقع بالجهة اليمنى من مكتبها... وما يزال المكتب الذي يقع بالجهة اليسرى مغلقا ..
ولم تكد تعادو الجلوس حتى طلب منها رضوان فنجانا من القهوة المرة .

سلمتها له وبدأت تعيد قراءة الملف الذي أمامها على الطاولة ...السيد رضوان رائع رائع يا جمانة وقعت واقفة هذه المرة !
تمتمت بانشراح وشرعت بنسخ الملف
على الحاسوب حتى سمعت صوت خطوات رشيقة تقترب، تنحنح رجلٌ أمام المكتب لترفع وجهها رويدًا رويداً ، لتتأمل الجسد الرشيق و البنطال الأسود الأنيق وقميصٍ أبيض ناصع نظيف بطريقة تؤذي العين ! وربطة عنقٍ رمادية ..حدقت فيه وصولا إلى الرأس ،
عند الوجه الأسمر تحديداً هبت واقفة وقد اشتعل وجهها من الغيظ عندما استند بكفيه على الطاولة وقال بابتسامةٍ صافية وهو يميل ناحيتها بعينين تتوهجان :
- ابتسمي...لسنا في مقهى النكد النسائي ..
-أنت ماذا تفعل هنا؟!! .
نطقتها جمانة بدهشة لكن مراد تجاهلها وتوجه إلى مكتبه الذي يقع اليسرى !
فصرخت فيه بجزع وهي تنهض من خلف المكتب وتقبض على ساعده:
ما الذي تفعله هنا ...كيف تجرؤ !اخرج قبل أن تتسبب بطردي من هنا أيضاً أيها المتحرش المجنون.
توقف مكانه متفاجئا واستدار ناحيتها ليحدق بعينيها المرتعبتين بينما شهقت فرح من خلفهما بصدمة:
-جمانة ...ما الذي تفعلينه يا مجنونة إنه المهندس مؤ مؤ! تلعثمت فرح وهي تتقدم ناحية جمانة التي شحب وجهها وانتزعت مخالبها عن ساعده فهندم قميصة قائلاً:
-الابتسامة بوجه من تقابلينه من الأساسيات في شركتنا آنسة جمانة

،.و ...والاحترام أيضاً.
ثم قال وهو يخطو داخل المكتب: أنهي الملف وسلميه لي عند الحادية عشر بالضبط .
اغلق الباب من خلفه لتضربها فرح بعفوية : أأنت مجنونة؟!
لقد ..لقد رأيته يدخل ولم أعتقد ظننته أحد ال...
أمسكت فرح جبهتها وتنهدت: من سيجرؤ على الدخول بهذه الجرأة الى المكتب إن لم يكن المدير أو ابنه ألا تفكرين! انهي الملف بسرعة أرجوك كنت ستتسببين بمصيبة من ساعتك الأولى في العمل !
-هل...هل هذا الكائن الطفيلي ابن المهندس رضوان ؟
كائن طفيلي جمانة!!! كائن طفيلي !!
غادرت فرح وهي تمسك برأسها فضربت جمانة بكفها على الطاولة وهي تتمتم بسخط (هذا كثير فعلاً !!)
ارتمت على الكرسي وكم تمنت أن تلكم وجه ذلك المتعجرف، تبسم مراد وهو يجلس على الكرسي متذكرا تعابير الصدمة التي احتلت وجه تلك الجنية !.
مسد ساعده وهو يضحك: جنية بمخالب طويلة !
طرقت جمانة الباب بعدما انتهت من كتابة التقرير المكتوب بخط اليد و تنسيقه و طباعته تقدمت الى الداخل بتردد، كان واقفاً أمام الطاولة البلورية المضاءة و قد رفع أكمام قميصه وتساقطت شعيراته بعشوائية على جبهته منهمكاً يرسم على الورق الخطوط الأولى للمشروع الجديد . تقدمت ناحيته وقالت بجدية : - الملف جاهز .
رفع وجهه عن المشرع وانفرجت تقطيبة حاجبيه : ضعيه على المكتب واحضري القهوة تتذكرين كيف اشربها صحيح.
اجابته بجمود: حلوة كالعسل.
- بل أشد حلاوة من العسل .
ثم أشار الى شفاهه : الابتسامة رجاء، أتشائم من الوجوه الأنثوية العابسة .

ضيقت عينيها أكثر ووضعت الأوراق على المكتب همت لتغادر لكنها توقفت قائلة قبل أن تنفجر : -هل لنا أن نتحدث قليلاً .
اعتدل بوقفته ثم رمى القلم على الورقة قائلاً : -تفضلي .
ركزت ببصرها عليه وقالت بثبات : لا أتذكر أني اتصلت سابقاً بشركتكم ولم أضع معلومات عني في أي شركة اتصلت بها حتى للعمل، من أين حصلت على رقم هاتفي ومعلومات عن دراستي ؟
ثم ضحكت بتكهم وأردفت : أنا حتى لا أعرف اسمك !

تقدم أكثر ليجلس خلف المكتب وقال بجدية : اجلسي لنتحدث جمانة.
ترددت قليلاً ثم جلست على الكرسي الجلدي كان عاليا لدرجة انها حين استندت لظهره تعلقت قدماها بالهواء فانزلقت قليلاً إلى الأمام كي تثبتا على الأرض...كتم بسمته وهو يتأملها كطفلة متمردة تجلس أمام والديها! :
- أخذت الرقم ومعلومات عنك من صاحب المقهى الذي كنت تعملين فيه ...السيد خلدون
قطبت حاجبيها وتساءلت : لماذا !؟
-لنقل ،.كتعويض عن المشكلة التي سببتها لك بدون قصد وأدت الى انقطاع رزقك، لم أكن راغباً بأن تتخذ الأمور هذا المنحى، هذا أولاً ، وثانيا لأنني فعلاً أحتاج لسكرتيرية وسبحان الله ، القدر أوقعك بطريقي بطريقة ما بعدما استقالت الموظفة .
نهضت وقالت بهدوء :
-إن كان عملي هنا كتكفير عن ذنب فأنا لا أريده لا أحتاج شفقة من أحد.
هز رأسه نافياً وقال بتململ : أخبرتك أني احتاج لسكرتيرة لن أوظفك حتماً كنوع من الشفقة لم ألملم أموالي من الشجر أنا ! .
ثبتت كفيها على طاولته واحنت جذعها للأمام قائلة بحدة :بإمكانك جلب سكرتيرة متمرسة ،
نهض بدوره وثبت كفيه على الطاولة واقترب كذلك منها قائلاً بخبث : وأنا

أريدكِ أنتِ ..
وصححها بهدوء مستفز: للعمل معي ،على الأقل لتحسين وضعك المادي .
-وضعي المادي جيد جداً بالمناسبة .
تبسم قائلا بتهكم وهو يتوجه نحوها : فعلاً !! إذن أبلغي سلامي للسيد مسعود .

جحظت عيناها بسخط :مسعود!!! وصلت لمسعود أيضاً ..
قهقه وهو يرجع رأسه للوراء بتسلية: ووصلت لأم مسعود ولأب مسعود وحتى لمختار الحارة ،
لوحت بكفها امامه:
-كف عن العبث...ما الذي أخبرك عنه مسعود الزفت .
ضيق عينيه وطال تحديقه بها وهمس بصدق :
- سبحان الله ! جميلة حتى بفورة غضبك ! .
رمشت بعينيها بارتباك وهمهمت : أنت ،.أنت فعلاً لا تطاق !
ليجيب ببساطة :
- تقولها أمي دائماً .

ولأول مرة ترى نفسها ضعيفة أمام أحدهم ولم تستطع الرد على كلماته وطريقته الاستفزازية..فاز هذا المراد بالجولة الأولى !.
اعتدلت بوقفتها بكبرياء واستدارت لتغادر فتراجع وارتمى على الكرسي من خلفه وعندما وصلت أمام الباب نادى وهو يشعل سيجارا ً: لا تنسي احضار القهوة .

تنفست بغضب دون حتى أن تستدير ناحيته وضربت الباب بعنف من خلفها ليقهقه بتسلية :
-يبدو أنني سأفكر بالثانية قبل أن أتزوج بالأولى !
ثم تمتم وهو يرجع رأسه إلى الوراء : يا أجمل جنية رأيتها بحياتي !

بعد دقائق رن هاتفه معلنا وصول رسالة، قرأها ثم اتصل بإليسا من فوره ، طرقت جمانة الباب وخطت إلى الداخل لتضع فنجان قهوته، تطلع فيها وهو يحادث اليسا :
-أخبروني أن فستانك أصبح جاهزاً، سيوصلونه بعد قليل جربيه وإن احتاج لتعديل سيقومون به فورًا .
أغلق الخط وقال فوراً لجمانة قبل أن تغادر :
-أخبريهم بأن الاجتماع سيتأجل إلى الساعة الثالثة .
أومأت له وضمت الصينية إلى صدرها وهمت بالانصراف لكنها توقفت فجأة :
لكن من هم .
لوى شفاهه ساخرا : -أولاد الجيران !!
شوح بيده : لا عليك أخبري فرح وهي ستتولى الأمر .
- حاضر .
توجهت جمانة ناحية الباب وهي تبتسم فبرغم كل مساوئه يبدو ظريفاً هذا المهندس الذي لم تعرف اسمه حتى الآن !
توقفت قبل أن تغلق الباب ورجعت ناحيته تتسائل .
-لا يبدو الأمر منطقياً لكني لم أعرف اسمك بعد .
وضع فنجان القهوة على الطاولة وأجابها :
- مراد ..مراد المنصور"
أومأت له ثم غادرت وأغلقت الباب خلفها .
و اتجهت ناحية فرح لتخبرها بشان تأجيل اجتماع أولاد الجيران !!
بعد ليلتين ...تجهز رضوان وعائلته للذهاب لزيارة شقيقه محمد، عرض رضوان على آدم الذهاب معهم لتصفية الخلاف بينه وبين كريم لكنه رفض الذهاب بحجة أن أصدقائه سيقومون بزيارته هذه الليلة
وصلت العائلة إلى منزل محمد الذي استقبلهم بحفاوة أما زوجته فانهالت على وجنتي نور بسيل قبلات متلاحقة وهي تقول : بسم الله وماشاءالله ،تبدين كالقمررر..

فتلاقت نظرات رضوان و عبير ليفهما المقصد وكريم من الطرف الآخر يتأمل تعابير وجه نور الخجلة ويرحب بعمه كذلك ..
وجلس الجميع أمام الطاولة البلورية في الحديقة أمام حوض السباحة الكبير .
وبعدما اندمج الجميع في الأحاديث سحبت رهف نور من يدها لينزويا بعيداً عن الجميع . لتجلسا على الأرجوحة في الحديقة، كانت رهف شقيقة كريم تكبر نور بثلاثة أعوام تقريبًا ، ارتمت على الأريكة الأرجوحة وقالت ضاحكة : تصرف والدتي كان مبالغٌ فيه كثيراً أليس كذلك .
أشاحت نور بنظراتها عنها وقالت بارتباك : تصرفات الجميع باتت غريبة في الآونة الأخيرة !.
لكزتها رهف بخفة مجيبة : أصبحتِ بسن الزواج فتحملي قبلات النساء العجائز ومدحهن من الآن وصاعداً ، مررت بتلك الحالة قبلك لكني تصديت لها بضراوة .

تعالت ضحكاتهن أكثر هذه المرة فتنحنح كريم غامزاً لشقيقته لتبتلع نور ضحكتها فجأة وهي ترفع وجهها ناحيته ، نهضت رهف قائلة :
-ياربي ،.شعرت بعطش مفاجئ، سأجلب العصير ،
أمسكتها نور من طرف ثوبها كي لا تتركها بمفردها لكن الأخيرة سحبت ثوبها من يدي نور التي توعدتها، وبعد مغادرة رهف جلس كريم أمامها على الطاولة الصغيرة وقال هامساً : -كنت لا تجيبين على اتصالاتي طيلة الأيام الماضية ؟
أحادت بنظراتها عنه :لم أنتبه فكما تعلم نحن مشغولون بتجهيزات الفرح .
- لم ...يكن لقائنا السابق كما خططت له لكن الأيام قادم..سأقوم بتعويضك.
قالها برقةٍ لتتبسم مبعدةً نظراتها عنه ليردف مجدداً
-نور .
التفتت اليه فقال بحنو : أقدر خجلك مني خاصة بعدما بحت عن مشاعري ، لكني فعلا أتمنى أن تعودي كما السابق معي ، بعفويتك وضحكاتك ،أزيلي ذلك الحاجز، اشعر وكأن شيئاً ما كسر من ناحيتك تجاهي .

يا الله ! هذه هو حديث آدم يتكرر بصيغة أخرى!
نهضت عن الأريكة وقد دوختها ارجحتها المستمرة وقفت أمامه و رفعت وجهها ناحيته وقالت بجرأة: صحيح..كان التعامل معك أسهل كم معاملتي وعفويتي مع الجميع والآن ،.صرت أحسب الكلمة قبل أن انطقها.
أمسك بساعديها راجياً:
- لا نور.. إياك..لا تخجلي مني ..ابقي كما أنت..عشقتك كمان انت بعفويتك..ببراءتك ووضوحك.
رفعت حاجبيها بانزعاج فأفلتها رافعاً يديه باستسلام:
-وبالمناسبة ...الجميع باتوا يعرفون وينتظرون قرارك ولربما الآن هم يتحدثون بموضوعنا .
فقالت بعتاب وهي تسير : موضوعنا! لما تسرعت بإخبارهم ، لست مستعدة الآن للتفكير بهذه الأمور .
جارى خطواتها مستغرباً:
-ماقصدك ؟
تنهدت مجيبة : أريد الآن استكمال دراستي كريم، لست مستعدة للارتباط بعد الموضوع ليس بهذه السرعة والسهولة التي تتصورها.
شد بقبضتيه على بعضهما متسائلا ً: لست مستعدة للارتباط أم أن اعتراضك عليّ تحديداً ؟ .
وبعيدا عنهما كانت والدة كريم تبتسم بسعادة وهي تهمس لعبير : أترين كم يلائمان بعضهما ، ماشاءالله وكأنهما خلقا لبعضهما فعلاً .
أومأت لها عبير وأجابت : لكن كما اتفقنا رجاءً لا أريد أن اضغط عليها الآن فهي تمر بمرحلة حرجةٍ جداً، خاصة وهي تنتظر نتائج امتحاناتها سأؤجل الكلام معها حول الموضوع لحين ظهور النتائج ، وكما تعلمين أيضاً حفل زفاف مراد وانشغاله كذلك ،لم يتسنى لنا الحديث معه لاخباره أيضاً .

- ليبارك الله لمراد زواجه ،وعلى الرغم من عدم اقتناعي لحديثك با عبير لكن

سننتظر لحين تفرغكم من هذه الضغوطات وبعدها سنتحدث بشكل رسمي بموضوعنا
ثم أردفت ضاحكة : كريم مستعجل ،طيلة الأيام الماضية وهو لا يكف عن الحديث بشأن نور صدع رؤوسنا .
ضحكت عبير مجاوبة : اه من شباب هذه الأيام !

صمتت نور وهي تحدق بتعبيرات كريم المبهمة فقال مجددا ً: -هل إبداء رأيك بي صعبٌ إلى هذا الحد ؟
اضافت المرح لصوتها المهزوز: ألا ترى عضلاتك يا ابن عمي!! أخاف أن أغضبك بالمستقبل فتلكمني على فكي وترديني صريعة .
لتكسر هذه اليد إن مدت عليك بسوء .

***

13
((1980))

لم يكف الهاتف الأرضي عن الرنين منذ، تلقفه أحد الرجال الذين مروا بالصدفة من جانب الغرفة أجاب فاتسعت عيناه بصدمة قبل أن يهرول خارجاً ناحية عابد الذي كان يتفقد أحد الأسلحة . صرخ فيه الرجل بجزع ، اتصل الوطواط إنهم على علم بمكاننا ! .
توسعت حدقتا عابد ثم هتف بصوتٍ عال : أخلوا المكان فورًا إلى المستودع الاحتياطي ،.بسرعة"
أنهى تركيب سلاحه على عجلٍ ثم حمل معه ذخيرة, سمع أصوات جلبةٍ بالخارج فهرول ناحية الغرفة التي احتجز بها رغد ، كانت مستلقية على السرير فهبت فور اقتحامه الغرفة وقال بصوت أجش : تجهزي سننطلق فوراً .
-ما الأمر !! تساءلت بخوف لكنه قال بحدة : قلت تجهزي سننطلق .

انتشلت حقيبتها الصغيرة ولملمت أشياءها المتناثرة ثم سحبها من ساعدها بين أروقة المبنى العتيق حتى أزاح مزلاج إحدى الأبواب الصدئة وهبطوا درجات طويلة لأسفل أشعل مصباحاً صغيراً ومضوا داخل سرداب خانق وطويل ، توسعت حدقتاها بخوف والتصقت به بشكل تلقائي وهي تهمس : إلى أين ؟ ماذا يجري؟!

شعر بحركة من الطابق العلوي فقال هامساً ًأركضي سحبها بقوة من ذراعها وهما بالركض لمدة ليست بالقصيرة حتى لاح لهما المخرج، وقف لاهثا من التعب بينما هي قد ركعت على الأرض بإنهاك، تقدم من غطاء مموه خلف هضبة صغيرة سحبه ورماه على الأرض لتظهر سيارة كانت مغطاة .
اركبي بسرعة، تلفتت حولها بذعر ثم انصاعت لمطلبه وجلست بجانبه على المقعد فانطلق بسرعة على الأرض الترابية الوعرة باتجاه الشمال ،
-ما الذي يجري ، وإلى أين نتجه ؟
-خفف سرعته تدريجيا ًثم أجابها :
فريق مباحث الأمن اكتشفوا مكاننا .
والدي ..أبي معهم!
تعالت أصوات الرصاص البعيدة من أمام المبنى فأردف بجمود : والدك طبعا لن يهنأ له بال حتى يسحق الجميع .
شهقت بفزع وهتفت به : أنزلني هنا أيها المجرم حالاً ، أرجعني لوالدي .
ضرب الفرامل بقوة لتتوقف السيارة فارتطم رأسها بعنف بمقدمة السيارة ليحدث جرحاً بجبهتها وهتف بحنق : اخرجي هيا .تطلعت فيه شذراً ،وهي تتلمس الدماء التي نزفت بألم ثم أمسكت المقبض فتحته وقفزت على الأرض قبل أن يغير رأيه ولا تصدق أنها نجت باعجوبة منهم فانطلق مجدداً بسيارته أما هي فارتعدت أوصالها بهذا المكان الذي تركها به وحيدة وقد صار المبمى بعيداً عنها، كانت الأرض من حولها شبه صحراوية وقد شارفت الشمس على

رجع بسيارته بعد لحظات لمكان تواجدها وفتح الباب قائلًا : اركبي وكفي عن ألاعيب الأطفال ،لسنا ممن يتركون النساء في مواقف كهذه .
فقالت باستهزاء : مجرمٌ وشهم أيضاً !!
ضرب المقود بعصبية وصاح بها آمراً : بحق الجحيم اركبي وكفى سخافة الموضوع ليس بهذه البساطة ،

انتفض جسدها اثر صرخته المدوية وامتثلت لأمره واستقلت السيارة مجدداً ،.
قال بانزعاج: لن استطيع إرجاعك قد تموتين وسط هذه المعركة المجنونة .
ثم مد يده ناحيتها ليرى أثر الجرح لكنها ضربت كفه بعنف ليدحجها نظرة غضب، عبث قليلاً بالصندوق أمامه مخرجاً قطعة قماش : ليس غائراً امسحي دماءك، سنتجه الآن إلى إحدى القرى القريبة من هنا، هنالك سيدة عجوز طيبة سنمكث عندها بضعة أيام حتى يأتيني الخبر اليقين وحينها فقط أستطيع إرجاعك لوالدك.

ضغطت على الجرح النازف بجبهتها متسائلة:

-لما لا ترجعني الآن ؟ إن كنت تخاف على نفسك فلا تقلق ارمني أمام البلدة وسأعود بنفسي ولن أخبر والدي عنكم أعدك بهذا .
زفر بضيق مجيبًا : اخبرتك ...ليس الأمر بالسهولة التي تتخيلينها، والدك وعناصره الآن في اشتباك مع رجالنا، لربما إن تركتك أنا تعودين ، لن يتركك الوطواط ، سينتقم بكِ من والدك .
عقدت حاجبيها بعدم فهم : الوطواط !
-يا إلهي كم تحبين الثرثرة !
ضحكت باستخفاف وهتفت به :الثرثرة !عفوا !وكأنك تتحدث عن حياتي أنا

وتقول عن أسئلتي ثرثرة ؟

وصل على مشارف القرية فترجل منها قائلاً ً :الحقي بي " نزلت ورائه وصارت تسير بجانبه بداخل هذه القرية المتواضعة فقال يحدثها بصوت خفيض: الوطواط هو الرأس الكبير ، والدك يبحث عنه منذ سنوات ولم يستطع حتى إيجاد مكانه ، لكنه كان يلقي القبض بين فترة وأخرى على بعض رجاله، الوطواط يتخلص منهم بمعرفته يخشى أن يفصحوا عن مكاننا إذما تعرضوا للتعذيب.مما أثار الضغينة الشخصية بين والدك والوطواط، أمرني الوطواط شخصياً أن اختطفك كي يكف والدك ببلائه عنه لحين توريد الدفعة الكبرى من الأسلحة، ظن أن والدك سينشغل بالبحث عنك ِفقط ، لكنه مع الأسف لم ينشغل ، بل زادت تحركاته باتجاهنا حتى علمت منذ قليل أنهم قد اكتشفوا مكاننا... بالمختصر لن استطيع تسليمك لوالدك ِلحين انتهاء الاشتباك، أو ربما عندما نأمن طريقة لتسافري بها خارج البلاد كي نضمن سلامتك .

توقفت رغد عن المسير وقالت بدهشة : لما تساعدني عابد !
توقف كذلك لكنه لم يستدر ناحيتها بل قال : يجب أن نصل قبل انتصاف الليل اسرعي .

***
عودة إلى الزمن الراهن ،.

عادت جمانة إلى حيها لم تكن طبعاً قد نسيت أمر مسعود، خطت داخل دكانه وقدميها تضربان الأرض ضرباً، كان أحد الزبائن يشتري كيساً من المعكرونة، انتشلت الكيس من بين يدي الزبون وهتفت: أغلقنا الآن عد لاحقاً، حدجها مسعود بنظرة تفاجئ قائلاً: ما بك ؟
غادر الزبون فذهبت لإحضار الكرسي صعدت عليه واغلقت ستار الدكان

الحديدي من الداخل وسط ذهول مسعود فقال بارتباك : جماانة ! ما الأمر بالله عليكِ افتحيه سيفهمك الجيران بالخطأ " .جزت على أسنانها غيظا ثم أمسكت عصا المكنسة وصرخت فيك :

-اللعنة عليك وعلى جيرانك ...سيشكون بي وبك يا ذا الكرش المطاطي! ما الذي هببته يا غبي انطق !

تقدمت ناحيته فصار يدور حول المكتب وتلحق به:
-لم أهبب شيئاً يا متخلفة اتركيها !
-بما اخبرت ذلك المهندس ؟ حدثته كم أني فتاة فاشلة لا تستطيع إعالة نفسها ؟
-جماانة إهدئي ولنتكلم كالخلق، إتركي العصا ستؤذين نفسك .
رمت المكنسة على الأرض فتنفس مسعود الصعداء قائلاً: ارتاحي اجلسي ولنتحدث " حدجته بنظرة غل وارتمت على الكرسي، قام بفتح ستار الدكان من جديد ونظر حوله متأكدًا من أن لا احد لمحها تغلقه ثم دخل مجدداً وجلس قبالتها على الكرسي :
-أنا أسمع .
قالتها بعصبيه فبلع مسعود ريقه بارتباك ثم قال :
-والله إنه سيد محترم لست أفهم سبب غضبك ، جاء وحدثني عن سوء التفاهم بينكما وقال انه يريد تصحيح خطأه واتفقنا على أن تعملي لديه بالشركة فقط هذا هو الأمر صدقيني .

هزت قدميها بعصبية ثم نهضت لتغادر وقالت : لو عرفت أنكما تحادثتما مجدداً اقسم بأني سأشق كرشك لنصفين وسأط.،.
ابتلعت باقي حروفها وهي تدقق النظر ببضاعة الدكان، فهم نظراتها لكنه تحاشاها فقالت باستغراب : أنى لك ان تملئ الدكان بكل تلك البضاعة ؟ بالكاد كنت تملئ بضع أرفف !

أجاب وهو يحدق فيها ببلاهة : ورث ...مات أحد أقربائي وورثته .
حدجته بنظرة تشكيك وقالت : لكن على حد علمي أن لا اقارب أثرياء لك .
دفعها خارج الدكان قائلاً : ما بك يا فتاة أتريدين أن اشرح لكِ شجرة العائلة وممتلكاتهم، هيا انصرفي لمنزلك ورائي عمل أقوم به .
-حسناً يا مسعود، لكن صدقني إن كان ما افكر به فستندم .
-هيا ، هياا اذهبي ،ما هذا البلاء ياربي !!
دفعها وأغلق باب الدكان البلوري وعض على شفاهه بخوف ، فالمصيبة الكبرى لم ترها بعد !
رفست الباب بقدمها وصعدت ناحية الشقة ، فتحت الباب ولم تكد قدماها تطآن الصالة حتى صرخت ملئ حنجرتها :
- مسعووووووووود !!!

**

تجهزت صباحًا ولم تكن تنوي هذه المرة أن تصمت معه خاصة بعدما اعترف لها مسعود أن مراد هو من قام بملئ دكانه...بل وبشراء القليل من الهدايا لشقتها! هرولت درجات السلم بسرعة وكأنها فعلاً بماراثون للوصول إلى الشركة، وصلت صباحاً متأخرة عن دوامها فقد علمت أن ذلك المراد يصل عند الساعة العاشرة، لمحت سيارته وهو يهم بالنزول منها...
تبعته مسرعة ولم يكد يدخل المصعد حتى دخلت ورائه تلهث تبسم قائلاً :
صباح النور...متأخرة ساعة عن دوامك لا تكرريها "
ضغط على زر المصعد للطابق الثاني لكنها لم تكد تتحمل طريقته الاستفزازية أكثر، أمسكت بقبضتيها ياقة قميصه وصرخت فيه :
-أتظن أيها المحترم بأنك ستشتريني بهداياك الرخيصة !

جاهد بيده للوصول إلى زر إيقاف المصعد كيلا يتوقف ويراهم أحد بهذا الشكل

وقال بعبث : آنستي أنا رجلٌ سيتزوج قريبًا لا أريد لسمعتي بأن تتشوه .
حدقت فيه بصدمة وقد لسعتها كلماته وهتفت : -أنت....ءءء أنت مجنون ؟ والله إنك مجنون !
لم يزح بنظراته عنها وأجاب بصدق : عيناك من أصابتني بالجنون جمانة!
- لا تنطق اسمي مجرداً مجدداً ..
أرخت قبضتيها عن ياقته والتفتت لتشغيل المصعد وهي تقول لتداري ارتباكها : أرسل رجالك لاستلام الشاشة وباقي الأغراض أشعر بالقرف من هذه التصرفات الرخيصة .
وضع يده على زر التشغيل كي يمنعها من تشغيله و قال بانزعاج : لسانك أطول منك ...وقحة ! .

كادت أن تجيب وقد احتقن وجهها بانفعال لكنه أردف بصوت خفيض : أعرف بأنك لست من النوع الذي يشترى وآسف إن أزعجك تصرفي ، لكن ،

-قاطعته وهي تحدق فيه بغضب : لم يزعجني تصرفك ...بل أهانني ،ولا اقبل بإهانةٍ من أحد .
تبسم قائلا : آسف ، سنسوي ذلك الأمر لاحقاً ، ولربما خصمت قيمتهم من راتبك الشهري .
رفعت حاجبيها دهشة وقالت : وما أدراك بأني ما زلت أريد العمل عندك ،ما هذه الثقة ؟! .

رفع كتفيه بلا مبالاة وقال : ألم تصفيني بالجنون قبل لحظات ! آه وبالمناسبة ، أنت ملزمة بذلك والدليل هو عقد العمل الذي وقعته للعمل معي وبذكائك المحدود لم تقرأي البنود جيدا ًوأن هنالك شرط جزائي إذا أخليتي بإحدى البنود ، وأهمها مدته سنة ، اثنا عشر شهرا ًكاملا ، ثلاثمئة وخمس وستون يوماً ،.أتريدين أن أحسبها لكِ بالساعات ؟

وضغط زر تشغيل المصعد مجدداً ليتجاوزها مغادرا ً

***

14
خطى رضوان بخطوات واثقة داخل الرواق الطويل.. وبعد التفتيش جلس في غرفة الانتظار ، أطل هذا الرجل الخمسيني من الباب بابتسامة اطفأتها جدران السجن العطنة وقام باحتضانه وربت على كتفيه : كيف حالك ؟
تبسم رضوان قائلاً : بألف خير الحمد لله وكيف هي أحوالك هنا ؛ هل ينقصك شيء ؟.

ارتمى الرجل على الكرسي قائلًا : دعك مني الآن ، أخبرني عنه، كيف هو، هل تخرج من جامعته ؟
تبسم رضوان مجيبا : إنه بألف خير لا تقلق
تخرج من جامعته وسيعمل ضمن الشركة بعد بضعة أيام حينما نتفرغ من ترتيبات حفل الزواج ..
وكما طلبت سابقاً أحضرت لك عشرات الصور له، لا نترك مناسبة إلا ونقوم بتصويره فيها ..
دمعت عيناه وهو يتناول المظروف وصار يقلب الصور بلهفة غسقت عيناه وهو يرى الفرحة تطل من عيني ابنه..ابنه الذي حرمت السنوات منه ،
-هذه ...هذه نور اليس كذلك ؟

اومئ له رضوان وهو يربت على كفه المرتعشة: اوكلنا مهمة التصوير لها ..فتقوم دائماً بالتقاط الصور لهما معا من هاتفها كي لا يشك بأي شيء ابنتي مهووسة تصوير .
هز الرجل رأسه دامع العينين وهمهم: -ماشاءالله...ماشاءالله
قال بعد صمت ليس بالطويل :
-رضوان ،.ألم يحن الوقت بعد لإخباره الحقيقة ؟.
تعلقت عينا رضوان عليه ثم أجاب : صدقني أخاف من إخباره بهذا الوقت، هو مندفع وعصبي كما أخبرتك، لا أعرف كيف سأشرح له ،دعه يثبت نفسه في مجال العمل أولاً كيلا يتخذ مني موقفاً وحين يثبت على قدميه ويتمكن من العمل ...سأخبره إن شاءالله

تنهد الرجل قائلاً بيأس : حسناً ...لا تخبره ، لا أريد للحقيقة أن تؤلمه..دعه يعش حياته دون ان يعكرها صفو الماضي .
ربت رضوان على كتفيه قائلًا : كن قوياً كما عهدتك دائماً ، وإن شاءالله الفرج قريب .
ضحك الرجل باستهتار قائلا ً: الفرج على من تضحك يا رضوان !!.صدقني لم أعد مهتما بشيء حاليًا ، حين ماتت وافترقت عنهم، مت أنا وانتهى الأمر .
تنهد رضوان قائلاً : لا تكن متشائما ً.
-لست متشائماً ، هذه هي الحقيقة أنا محكوم بالمؤبد ..

دلف السجان قائلاً بجمود : انتهت الزيارة .
قام الرجل من على الكرسي دون أن يضيف حرفاً آخر ، تناول مظروف الصور من على الطاولة وسار عائدا إلى زنزاته الصدئة .

***

الاسبوع الذي مر على الجميع وهم يستعدون لحفل زفاف مراد وإليسا كان كالحلم ، سريع ، هادئ نسبياً ، وبلهفة جلية من اليسا ًالتي ستتزوج من فارس أحلامها مراد ، بعقل مراهقة ساذج اختلقت بمخيلتها حياة رغد وهناء مليئة بالحب والوفاق ، مليء بالزهور وأغان العشاق التي ظنت أن مراد سيترنم بها لأجلها فقط ،اختلقت اجواء رومنسية كالأفلام التي تعشق متابعتها، وغفلت على أن الحياة الزوجية هي نتاج مشترك بين المسؤولية والصعاب والمشاكل والحب ولم تكن تعرف، أن مراد لا تكفيه ولن تكفيه امرأة واحدة !.

بيد أن مراد وبأنانيته كان يفكر بعائلة سوية ، بأطفال يحملون اسمه من انقى امرأة في الوجود متغافلا ًأن الزمن سيدور بعجلته حتماً ،والخيانة ستكشف يوماً ما كان زاهداً بكل النساء حوله هذا الأسبوع على غير عادته لكنه لم يستطع تجاهل جنيته جمانة التي استحوذت على تفكيره بشكلٍ غريب ولا يهنأ له بال حتى يستفزها بكلماته التي يستطيع التلاعب بحروفها، بات يعشق استفزازها فعلًا ..يعشق تأمل انفعالاتها حينما تغضب، حتى بعض العملاء وحينما يزيدون التملق لها لم يسلموا من لسانها السليط !
وبذات الوقت حاول الانخراط بعمله رغم محاولات والده بأن يتغيب هذه الأيام كي يهتم بترتيبات الزواج...

قبل ليلة حفل الزفاف، طرق الباب ، نهضت جمانة وفتحته فإذا به(راغب) السائق الخاص لمراد
-مساء الخير آنسة جمانة .
- راغب! .
مد يده ليسلمها حقيبة وقال : يقول مراد بك ، هذا لأجل الحفل غداً .
ظهر الامتعاض على تقاسيم وجهها وهي تفتح الحقيبة لتتفاجئ بفستان أغلقت الحقيبة فوراً دون أن تكمل رؤيتها:

- أخبر سيدك أنه ليس من ضمن بنود العقد أن أحضر حفل زفافه .
رفع راغب حاجبيه بعدم فهم ثم اخرج هاتفه النقال وأخبر مراد ما قالته حرفياً، صمت قليلاً يستمع ثم قال لها ببرود :
-يقول لك سيد مراد أن يوم الحفل هو الخميس أي أنه منطقياً ضمن أيام العمل وبما أن عطلتك الرسمية هي الجمعة فهذا طبعاً من ضمن بنود العقد .

جحظت عيناها من ردوده الجاهزة دائماً فهتفت براغب : قل له أن يمزق عقده ويرميه للكلاب.
كاد راغب أن يوصل كلماتها فقال مراد بتأفف وهو ينهض من على سريره الذي كان مستلقيا عليه:
- لا تعيد لقد سمعتها، شغل المايكروفون "

ضغط راغب المايكروفون فقال مراد : اسمعيني أيتها الجنية العنيدة، سترتدين الفستان وسأراك غداً في الحفل وكفي عن الجدال في توافه الأمور، لست المدعوة الوحيدة فجميع الموظفين سيتواجدون غداً والكل حصل على هدية كما حصلت أنت ...أي أنك لا تملكين امتيازات عن غيرك .

سحبت الهاتف من يد راغب ودخلت شقتها لتتحدث إليه : لا ألبس الفساتين المكشوفة أيها السيد كأمثال طبقتكم المخملية .
.
تبسم مراد واستلقى على السرير مجدداً قائلاً : لم تريه إذن ! اطمأني ليس مكشوفاً، فأنا لا أحب لمن تخصني أن تعرض جسدها للرجال .
احتقن وجهها بانفعال وهتفت وهي غير مصدقة وقاحته : أخصك !!! أنت ألا تخجل من نفسك وزواجك بعد بضع ساعات فقط !

-شش ، شش " قالها مراد لإسكاتها ثم أردف : ألست السكرتيرة الخاصة بي ؟

إذن تخصينني ، وراغب سائقي يخصني أمره كذلك، لا تدعي الكلام بيننا ينحرف لاتجاه آخر ،
ثم أردف بعبث : مع أني أعشق فعلا ً الانحراف .
-مرررااااد !!
صرخت به بصوت هادر فقال مصححاً كلمته : -الانحراف في الطرق يا ابنتي ! لا تستغلي طيبتي وتفهمي كلماتي بطبيعتك العبثية "

ورغم عصبيتها منه إلا أنها ضحكت وهي تمسد جبينها ! ليردف مراد مجدداً بصوت هامس : جميلة بكل حالاتك أيتها الجنية !

أبعدت الهاتف عن أذنها وكأنها لا تصدق ما يتفوه به هذا الأحمق وحفل زواجه غدا ! ألا يحب عروسه ؟ ألا يحترمها !
ودعته على مضض وأغلقت الهاتف فتنهد مراد بعمق وهو يمسح وجهه بيديه متسائلاً بجنون :
-ما بك مراد ؟ما الذي يميزها ؟! تسائل لنفسه بقلق فلأول مرة تستحوذ امراة على تفكيره بهذا الشكل المخيف، جميع علاقاته السابقة كانت مجرد نزوات عابرة، أما هذه الفتاة فهي نكهة مختلفة ، فريدة، للحظات تلخبطت مشاعره، هو فعلاً يحب إليسا وبرائتها، يعشق روحها المرحة وضحكاتها التي تناسب سنوات عمر الزهور .

أما الجنية جمانة !شعلة من الجنون والوقاحة! تناقض بين النار والجليد ، كتلة من الديناميت المتفجر ، إعصار متحرك كما وصفها جارها مسعود حينما التقاه، زفر بقوة ثم اعتدل بمجلسه وخرج قاصداً شقة آدم لعله يشغل تفكيره عنها قليلاً .

أما جمانة فأغلقت الخط واتجهت مباشرة ناحية راغب الذي ما يزال واقفا أمام

الباب يستمع لحديثهم يكاد يفشل في إخفاء ضحكته انتشلت الحقيبة من بين يديه وأغلقت الباب بعنف بعدها واتجهت ناحية الصالة ...طرق الباب مجدداً فهتفت به : -ما الأمر الآن ؟ .
أشار إلى يدها قائلاً : هاتفي معك .
تطلعت إلى يدها وزمت شفتيها ثم سلمته الهاتف وضحكة بلهاء ارتسمت على محياها :
- إن مديرك سيسبب لي أزمة قلبية فعلاً .
ضحك راغب وهو يتناول الهاتف منها وأجاب : -أتخبرينني أنا على الأمر ! -كم مضى لك وانت تعمل عنده؟
اتكئ راغب على جانب الباب وهو يمضغ اللبان ويفكر فحدقت فيه باشمئزاز...إنه شاب ناعم طري...وجهه يلمع أكثر من وجهها، قال راغب : - يعني ...يعني منذ حوالي الثلاث سنوات...نعم ثلاثة .
وضعت جمانة كفيها فوق بعضهما وصاحت فيه : -اعتدل يارجل ماهذه الميوعة ! .
وقف راغب متأهبا ثم قال بتلكؤ: عن..عن اذنك

**

في ليلة الزفاف ،.
انهى عقد ربطة العنق وهو يتأمل ملامحه الهادئة لا يعرف إن كان هذا التوتر الخفي بسبب زواجه أم لأنه قد تسرع...أو ربما لأن مشاعر عنيفة تجتاحه تجاه امرأة أخرى وهو عريس!
ويا ليتها امرأة! لا تمت للأنوثة بصلة ! تمتم وهو يعقدها بعنف حول رقبته فمد آدم كفيه تجاه ابن خالته وهو يقوم ربطة العنق له بهدوء :
- اهدأ مراد مابك! لا يعقل أنك متوتر! لا اصدق!
حدق مراد بعينين تائهتين بعيني آدم ولكنه لم يره...كان تائها خارج المجرة تائه

بعينين سوداوين واسعتين تللحقان أحلامه قبل يقظته...تائه بضحكة عصبية من صاحبة الشعر الأسود القصير تخيلها مراراً بثوب أنثوي...بماكياج صارخ لكنه كان ينفر من تخيله لها بهذا الشكل ...هي جذبته هكذا..لأنها هكذا ! لكنه الليلة حلم فيها وهي ترتدي فستان زفاف يعرفه حق المعرفة...
لأن عروسه ترتديه الآن وهو من اختاره لها ككل شيء يخصها.
انتشل مرتد جاكيت بذلته واندفع خارجاً فتوقف آدم أمامه وقال بهدوء عكس البراكين التي تتفجر بعينيه:أعرف أنك انتظرت طيلة تلك الفترة تفسيراً ...لكن اعلم أني لست جباناً يا ابن خالتي .
حدق مراد فيه مطولاً وهو يربت على كتفيه :

- أعرف بأنك لست جباناً لكنك مطالب بالإفصاح عن مشاعرك إن لم يكن للجميع فعلى الأقل لأخيك الكبير الذي سيساندك بكل تأكيد ...خلق الحب لكي نفصح عنه لا لكي نخبأه بداخلنا.
أجابه آدم بشرود : أحياناً قد نخاف الاعتراف بهذا الحب...ليس لأننا جبناء بل لأن هناك ظروف أقوى من الحب...
تنهد آدم بينما كان مراد يؤكد على كل كلمة نطقها ابن خالته ..هناك ظروف أقوى من المشاعر والحب...قال آدم مجدداً :
أنا وكما قال كريم مجرد علقة تمتص تعبكم ومجهودكم ، لعلي و حينما أباشر بعملي الخاص..حين أستقل ماديا سأتقدم بقوة، كي أعيل نفسي قبل أن أعيلها ...كل مبلغ يتم تحويله لحسابي منكم...يشعرني بدونيتي..يشعرني وكأنني عالة.

قطب مراد حاجبيه من طريقة تفكير آدم ثم شف ثغره عن ابتسامة حانية : -
تعرف بأننا لا نفكر بك بهاتك الطريقة أبدا فلا تختلق الأوهام والاعذار التي لا صحة لها... أنت لك نصيب كبير من إرث والدتك...
ضحك آدم بألم ونطق : وما هو ذلك الإرث؟ منزل قديم بمدينة أخرى ...وقطعة

أرض قاحلة.
تنهد مراد بشرود ثماعتصر كتفي آدم بقبضتيه: اسمع ...لا أريد اليوم ما يعكر حفل زفافي...كف عن هذه الأفكار واهتم ببناء مستقبلك وإن كنت فعلاً تريد الإنتظار حتى تقف على قدميك وتستقل مادياً، فعلى العكس سنكون فخورين بك ، صدقني يا آدم لن أئتمن على نور سوى معك ولن أثق بأحدٍ للعناية بها سواك ...أنت أخي يارجل، أخي ...أتفهم.
عانفه مراد بحرارة ليغمض آدم عينيه الدامعتين..لكم يعشق كلمة أخي..عائلتي التي يسمعونها له دائماً ليرمموا الفجوة الكبيرة بينه وبين ماضيه .لأيام عاش فيها وحيداً بعد وفاة والداته .

***

ومن قال بأن الأرض تدور !
الأرض ثابتة ،.ثابتة بشكل جنوني كنظرات آدم لمن أضافت البهجة والضياء لروحه قبل قلبه
لنور التي تزينت بثوبٍ أحمر طويل و ضيق، ذو أكمام من الشيفون وشعر كستنائي طويل سرحته بطريقة بسيطة واسدلت غرتها لتحتضن الجانب الأيسر من وجهها، بتبرج ناعم مناسب لسنوات عمرها التي لم تتجاوز الثمانية عشر ربيعاً ،

انشغل عما يدور حوله من صخب وجنون في حديقة الفيلا التي قاموا بتزيينها لأجل الزواج الذي قرر مراد أن يكون في الحديقة ،
تقدم آدم بخطوات سريعة متزامنة مع ضربات قلبه ، بل كانت ضربات قلبه هي التي تسير ناحيتها دون إرادة منه، ألقى السلام بلهفة ناحيتها فرفعت وجهها بتلقائية لتتأمله وتبتسم بدورها بسعادة غريبة تسللت لتبث الارتجاف في قلبها:
-أهلاً آدم .
أهلا ً بعشق آدم ،.وقلب آدم ...وكيان آدم الذي سحقتِ روحه بجمالك الليلة "

ولكم تمنى بأن يبوح بتلك الكلمات لكم تمنى بأن يأسرها ليهرب بها بعيدا ًعن الجميع لتستوطن صدره فقط، لكنه اكتفى بابتسامة بسيطة تسللت من ثغره وهو يقول : تبدين رائعةً هذه الليلة نوارة.

توردت وجنتاها بحمرة الخجل وقالت : وانت أيضا تبدو ...تبدو أنيقا جدا " لتزيد من اختلاج هذا الأحمق الذي سيصر على فضحه الليلة لا محالة وهو ينبض بعنف ، كتوصيات من واليدها اقتربت منه كعادتها وهو يحدق بعينيها العسليتين غارق فيهما .. همست بصوت هادئ: ابتسم ورفعت الهاتف لتلتقط لهما عدة صور...
نسى آدم الكاميرا التي تصور وانشغل فيها فقط..برائحة شعرها التي تخترق كيانه..فينبض صدره ينبض وينبض وينبض كضربات الأمطار العاصفة والتي ستتحول إلى كوارث رعدية عندما تقدم منهما كريم بجسد متشنج متجاهلا آدم ليلقي بكلماته القاتلة .
-سبحان من أبدع هذا الجمال يا ابنة العم ! .
حدجه آدم بنظرات كجمرة من لهيب ستحرق الحديقة بمن فيها.. انتشل نور على حين غرة قائلاً بحدة : كفى تصوير لنجلس شعرت بغثيانٍ مفاجئ .

اعتصر كريم قبضة يده وبالكاد سيطر عليها كيلا تنفلت على وجه آدم مجدداً، وهما يبتعدان عن مرمى بصره ليجلسا على الطاولة لكنه لم يشأ اختلاق مشاكل خاصة هذه الليلة وتمتم بسخط : - ستنتهي هذه المهزلة عما قريب أنا اعدك .

جلس آدم بجانب نور ونظراته ترتكز على كريم الذي ما يزال يرسل تهديداً صريحاً تجاهه وشعر باضطراب نور كذلك، فقال هامساً بجدية اسبقيني إلى السطح أريد محادثتك "
-ما الأمر ؟ تساءلت بقلق فقال مجددا ً:

-نتحدث بالأعلى هنا صخبٌ جداً .
وفعلا بعد دقائق قصيرة صعدت الى السطح وتبعها بعد لحظات بعدما تأكد من انشغال كريم
مع والدته ..
امينة هانم التي حدقت بابنها من اعلى لأسفل وتمتمت بغضب وهي تضربه بمروحتها اليدوية على كتفه: -بنطال من الجينز يا ابن بطني في حفل الزفاف!! ستفضحني انت...ستفضحني بضمير مرتاح.
ضرب كريم قبضتيه ببعضهما وغمغم : لا تؤاخذيني..سيترك الحضور مراسم الزفاف وينظرون لمؤخرة بنطالي الجينز أليس كذلك!
تأدب ولد ..تأدب أقص لسانك والله !
ضحكت رهف بأعلى صوت ثم تابعت الحوار الشيق: والله قد تأنق يا أمي الا ترين انه يرتدي قميصاً اسود... وحذاء جلديا.
فانتفضت والدتها بغيظ:
-اخرسي انت اخرسي ...لا أنقصك أنت الأخرى
تبدين كالمتبل الشامي بفستانك ذا اللون الباذنجاني .. وتسريحة شعرك المنفوش.
آآه يا قلبي...آه .
حركت أمينة المروحة بعصبية امام وجهها ثم استدارت حينما القت عليها إحدى معارفها السلام فتشاغلت معها... كبح كريم ضحكاته وغمغم لشقيقته:
- حمدا لله...تركت ياقتي واستلمتك.
- كي تعرف مقدار المعونة التي أقدمها لك..كريم ..هل فستاني قبيخ إلى هذه الدرجة! أأبدو حقا كالمتبل الشامي!
ضحك كريم وهو يحدق بشقيقته وأجابها مازحاً : -بل تبدين كالبابا غنوج بعقدك الأحمر كحبات الرمان .
لطمته على كتفه بغيظ فمال عليها مازحاً: تبدين كالقمر ...لا تشغلي بالك الاذواق تتفاوت ثم تعرفين أمينة هانم اسطانبولي لا يعجبها العجب .

- لا تتساخف على أمك..
-أنا اتساخف ! أليست من أصول تركية؟
حركت رهف رأسها بيأس ثم سألته :
..ها ..أين عروسك المستقبلية... رأيتها؟
انعقد حاجبا كريم بانزعاج وغمغم: رأيتها.للحظة ...لحظة ..لا اعرف أين هي الآن .. فرقعت كحبة بوشار ولم أرها بعدها! .

***

كان مراد برفقة عروسه يتلقى المباركات والتهنئة، وصلت جمانة مع زميلتها فرح تجاههما، تعلقت عيناه بها ...شعر باضطراب يغزو كيانه وبلا إرادة منه ترك الجميع خلفه واتجه ناحيتها بضع خطوات ليستدرك نفسه فوراً ويقف في منتصف الطريق، قطبت اليسا حاجبيها بعدم فهم من ابتعاده المفاجئ لكنها انشغلت مجدداً عنه بصديقاتها...
تقدمت جمانة ناحيته بخطى واثقة وهي ترفع رأسها بشموخ .، لم ترتدي الفستان الذي أحضره و لم تكلف نفسها عناء رؤيته بل انتقت لنفسها فستانا بسيطا فيروزي اللون قصير الأكمام يصل حد الركبة من الأمام وله شاحط ناعم من الخلف تبرجت بخط كحل جريء وبأحمر شفاه وردي جعلها متباينة بشكل جنوني! أرجعت خصلة من شعرها الأسود القصير إلى الخلف وزينته بدبوس شعر على شكل فراشة .
قالت فرح بسعادة وسط هذه الضوضاء : مبارك مراد بيك .
وتمتمت جمانة كذلك بالمباركة، كانت عيناه لا تحيدان عنها،شخص فيها. وفعلاً كما قال ليلة البارحة...هو لا يحب أي فتاة تخصه أن ترتدي القصير ، تأملها بانبهار حقيقي تبدلت مائةً وثمانون درجة أضحت أنثى....أنثى بكل معنى الكلمة!

تطلع فيها بغيرة توقدت داخل صدره من نظرات بعض الرجال التي حطت عليها، كانت وعلى الرغم من بساطتها جميلة فعلا !

رغب في أن يوبخها، أو ينطق أي كلمة لكن وجود فرح معهما أخرس لسانه ! أحادت جمانة ببصرها عنه وتعلقت عيناها على العروس ..اليسا وانفرجت شفاهها بصدمة حقيقية، استأذنت فرح من مراد وسحبت جمانة معها للمباركة للعروس، بينما جمانة تمنت بهذه اللحظة أن تلكم فكه ، كيف له أن يكون أعمى البصر والبصيرة يحود عن جمال تلك الفتاة ويفكر بخيانتها ! أي تفكير أحمق يمتلكه؟ كان شعر أليسا الاحمر الثعلبي مرفوع ومزين بتاج من الألماس بينما تساقطت بضع خصلات بعشوائية جعلتها بهية المنظر...تناثر النمش على وجهها الأبيض المشوب بحمرة طفيفة ...تشوش تفكيرها وهي تتقدم ناحيتها وهمست لفرح : إنها صغيرة جداً عليه ..بل وفاتنة..يا إلهي أتزوج من دمية ! أومأت فرح وأجابت : لا تتعدى السبعة عشر عاماً .
شهقت جمانة وصرخت بصوت مرتفع:
- قاصر!
اخرستها ضربة فرح الخفيفة : يا الهي الجمي لسانك حبا بالله ..ستفضحيننا

15,كانت نور تقف أمام السور وهي تنظر للاسفل بسعادة غامرة تتأمل مراد وهو يراقص اليسا همس آدم من خلفها : يبدوان رائعين سوياً أليس كذلك .
دق قلبها بعنف فهتفت به وهي تستدير : لم تصدر أي صوت ! أرعبتني آدم
- آسف لم أقصد.
- ما الذي كنت تريد إخباري به ؟
فقال متسائلاً : لم تري الجانب الأيمن من السطح ؟
أجابت بالنفي فقال باسماً إذن تعالي معي،

-لكن الحفل آدم !! سيفوتنا الكثير ،
فقال ضاحكاً وهو يسحبها من كفها : جميع الأعراس متشابهة نوارة ...لن نتأخر,انصاعت ورائه حتى التفا خلف الغرفة التي في السطح للوصول الى الجانب الآخر توقفت بعدها و نظرت بصدمة لما رأته.
كان قد زين لها تلك الزاوية بباقات الزهور الحمراء والبيضاء بل جعل تلك الزاوية المخبأة جنة من الزهور !.,انفرجت عيناها بصدمة وتوقفت ضربات قلبها على الخفقان لوهلة من الزمن قال مجدداً من خلفها :سرقتها من زينة الزفاف لا تخبري أحدا ،
ضحك بارتباك فصفقت بمرح وهي تخرج الهاتف وترفع لتلتقط صورة للمكان فرفع كفه وقبض على الهاتف وكفها سويا وأنزلها لأسفل....أردف وهو يحاصرها بعينيه: لا...لا تصوير الآن...
أخبرتك..أن نظراتي لم للكِ لم تعد كما السابق، والآن أعترف....ربما كلمة أحبك قليلة جداً عما في قلبي تجاهك .
شدت بقبضتيها على طرفي الثوب مرتبكة من اعترافه المباغت وترقرقت عينيها بدموع ندية..أردف وهو يضع الهاتف بجيب بنطاله ورفع كفها لناحية صدره:
انتظرت طويلًا جداً حتى انتهائك من الامتحان كيلا أشتت تفكيرك وبعدها لم أعد استطع صبراً على الصمت أكثر أشعر أن كل يوم اتأخر فيه سيبعدني عنك أشواطا ..و...أخاف .رفعت بصرها تجاهه لتتلاقى عيناهما لوهلة وعاودها ذلك الشعور العذب الذي لطالما شعرت به وهي برفقته، أخذ نفساً عميقاً ونظر إلى السماء التي تزينت بنجومها تنهد باسماً ثم قال وهو يتطلع ناحيتها :- أحبكِ أكثر من روحي، لم تعودي بنظري ابنة خالتي الشقية التي أتشاجر معها دائماً على أتفه الأمور، لم تعودي تلك الصغيرة التي يحق لي احتضانها كيفما شئت...ولا اللعب معها طالما أردت ..بل كبرت

كبرت فجأة ورأيت أمامي نور مختلفة عمن ألفتها.. أصبحتِ جزءاً من قلبي.، جزءاً من روحي.,اختلجت ضلوعها واشتدت ضربات صدرها واصطبغ وجهها بحمرة الخجل فأشاحت بوجهها عنه لتزداد فتنةً ولمعاناً تبسم لخجلها الذي يعشقه ثم همس ضاحكاً وهو مرتبكٌ كذلك ومتفاجئ كونه استطاع ترتيب هذه الكلمات التي ما تدرب عليها ولو لمرة ،.يكفيه أن ينظر إلى عينيها فقط أن يغرق فيهما لينطق مافي قلبه:

-آدم...أنا" تلعثمت حروفها أمام كلماته التي ما توقعت أن تكون بهذه العذوبة يومًا وأن تكون بهذا التأثير عليها، وضع أصابعه على شفاهها راجياً: لا...لا تتحدثي الآن فكري فقط بما قلته...وفكري بمشاعري .ودعي الكلام لما بعد.,ابتعد عنها تدريجياً ثم هبط درجات السلم مهرولاً إلى الأسفل وما زالت ضربات قلبه تتضاعف وتتصارع داخل صدره يكافح كيلا يأخذها بين ذراعيه، كان منفصلاً عن الواقع تماماً مندفعاً بغير وعي وعند المدخل الرئيسي للفيلا وحينما كانت جمانة تدخل الفيلا للذهاب إلى الحمام لتصحيح زينتها اصطدم آدم بها وكادت أن تسقط على الأرض، تنبه وأسندها براحة يده متمتاً باعتذارات لم تكن مفهومة حتى بالنسبة له، أما جمانة فتعلقت عيناها على قلادته الفضية التي تدلت من عنقه، تنبه لنظراتها وبادلها إياها بعدم استيعاب، وهو يحدق بعينيها خفق قلبها بعنف ولم تفهم السبب وشعر هو بشيء غريب بصدره من نظرات هذه الفتاة ...التي تشبه والدته كثيراً التي طالما طالع صورها وتذكرها بذاكرته الضبابية. !,اعتدلت بوقفتها فقال مرتبكا : هل تأذيتِ ؟

هزت برأسها نافية : كان الخطأ خطأي، أنا التي لم أنتبه "

لم يخطو خطوة أخرى بل صار يحدق فيها باستغراب مشدوهاً وكأنها طيفٌ لملاكٍ يداعب ذكريات طفولته، وهو يتذكر هذه الملامح منذ طفولته، تشبهها فعلاً !، بل وكأنها نسخةٌ مصغرةٌ عنها !,وهي كذلك ما تزال عيناها معلقتان على قلادته، تنبه آدم أخيراً لنفسه وخطى مبتعدًا عنها ليهرب ...صعد إلى شقته مجدداً ليرتمي على الأريكة وعقله لم يستوعب بعد من تكون تلك الفتاة !، أما هي لم تدرك نظرات مراد الذي توقف بحانب عروسه ووضع يديه بجيب

سرواله الأسود وقد ترجم نظراتها لآدم على هواه مما جعل قلبه ينقبض بشدة وبغضب ،.,تطلعت بيسان صديقةُ آدم بالكلية بعينيها باحثةً عنه حتى لمحت قريبه كريم يقف بركنٍ بعيدٍ عن الجميع، تقدمت منه بثقة فتطلع كريم بهذه الشابة ذات الملامح الهادئة واللباس المثير!! ليجيب برصانة : تفضلي.

,- أين هو آدم، أنا صديقته بالكلية.تبسم بظفر ٍفقد تذكر هذه الفتاة التي رآها ملتصقةً بآدم أكثر من مرة قال بهدوء :لا أراه هنا يبدو أنه بشقته، بالطابق الثاني من الفيلا..تفضلي البيت بيتك.أومأت له بامتنان وغادرته فاتسعت ابتسامته،

أما نور فجلست على الأرض تفكر بكلمات آدم القليلة التي احتلت قلبها متناسية حفل الزفاف كليًا، انشغلت بعالمها الجميل الذي ادخلها فيه آدم ببساطة وعفوية وجنون.. كيف لها ألا تسمح له بالتدخل في شؤونها وهي باتت تعشق تدخله فيها، وتحكمه بها ونظراته لها ..وكلماته التي تأخذها لعالمٍ آخر .. باتت تعشق سحر عينيه الرماديتين العاصفتين على الدوام!هل تحبه !! هل هذا هو الحب الذي يتحدثون عنه، أم مجرد شعور عابر من مراهقة لرفيق طفولتها وشبابها، لمن تنصاع لكلماته بشكل أعمى، وحتى حينما اعترف بحبه ، هل ستبادله هذا الشعور لأنه من قرر ذلك أم أنها تحبه فعلا ً تحبه قبل أن تعرف وتعترف..؟! أخفضت رأسها أكثر ناحية حجرها

وضحكت فجأة :

- يا الله ما الذي يجري معي !

يا الهي ،سيفوتني حفل الزفاف " قالتها ولربما لتهرب من التفكير في جنون هذه الليلة و نهضت من على الأرض ونفضت ثوبها كيفما اتفق ثم هرولت درجات السلم لتهبط إلى الحديقة .-أين كنت بحثت عنك مطولا ؟ قالتها عبير لتجيب نور بارتباك

-في الحمام .

نظرت عبير الى ابنتها ثم دفعتها الى الداخل قائلة بانزعاج : وهل حمامنا مغبر

بهذا الشكل ؟
نظرت نور الى ثوبها الأحمر الملطخ بالغبار فقالت عبير : امسحي ثوبك واخرجي للحديقة عيب انت اخت العريس لا يجب ان تختفي بهذا الشكل ..خرجت نور وجلست على المقعد شاردةً بابتسامةٍ عذبة وهي تسترجع كلمات آدم حتى انفصلت عن كل ما يدور حولها، عيناها تدوران ...تبحثان عنه...عن رائحة عطره التي شلت أطرافها باقترابه منها... لاحظت متأخرة الكف التي امتدت ناحيتها بعد دقائق من شرودها لترفع رأسها تجاه كريم الذي تسائل باسماً: هل تسمحين لي بهذه الرقصة سمو الأميرة ؟ "اختنقت الحروف وهي تتطلع به بعينين متسعتين ذهولا ...وصدمة بينما ما يزال باسماً وهو يبسط كفه ناحيتها، رمشت تحدق فيه حتى أتاها صوت زوجة عمها أمينة التي تجلس بجانبها وتحرك مروحتها : لا تخجليه يا ابنتي، هيا إنه يعتبر خطيبك " تعلقت عينيها على والدة كريم بتفاجئ من كلمتها وأرجعت نظراتها ناحيته بارتباك وتمتمت بينها وبين نفسها: عروسه! عروسه أأنتم مجانين!
مدت يدها بتردد لتغرق بداخل كفه الكبيرة فتشبت بها كالغريق الذي ألقوا ناحيته طوق النجاة، تطلع بوالدته شاكراً إياها بعينيه سارا بتؤدة حتى انضما للمدعوين لتتسلل أصابعه بهدوء ناحيتها وبالكاد لامس خاصرتها ليراقصها على أنغام الموسيقى الهادئة..شعرت بالخجل الشديد منه فهذه المرة الأولى التي تراقص فيها رجلاً، حتى ولو كان ابن عمها الذي اعتادت على تحمل مزاحه وسخافته في طفولتهما، لم تعد صغيرة ...صارت تشعر بالخجل من كريم، من آدم... من كلماتهما من نظراتهما ناحيتها، من عشقهما الواضح..والذي سيتسبب بأزمة وشيكة إن لم تضع حداً لأحدهما على الأقل همس لها كريم بابتسامةٍ هادئة: لماذا لا تنظرين إلى وجهي هل أنا قبيحٌ لهذه الدرجة !؟أغرقت رأسها أكثر ناحية الأسفل والتفكير يمتص روحها ببطئ ليلكزها بإصبعه على خاصرتها مازحاً : حذائي نظيفٌ اقسم لكِ، نحن هنا، تطلعي بي.
رفعت رأسها بهدوء تكافح ابتسامتها لتعانقها عينيه وهمس راجياً :حباً بالله كيف لكِ أن تحرميني من النظر إليكِ؟!

أردف بعد صمت قصير :
-انتظرت طويلاً أن أتحدث معك الليلة، بل انتظرتك طويلاً جداً،." اكتفت بالصمت وهي تشيح بنظراتها بعيداً عنه تتطلع حولها خيفةً من أن يلمحهما آدم فهي لن تتحمل نوبة جنونه لكن لم يكن له وجود تابع كريم حديثه :
- نورصدقاً ، أدعوا الله سبحانه أن ترحميني وتوافقي على الزواج مني..لن يؤثر هذا على دراستك...بل سأدعمك كل شيء جاهز أنتظر موافقتك فقط",وكاد أن يردف لكنه لمح عمه رضوان يتقدم منهما وهو عابس، ضحك ببلاهة وهو يهمس لنور: والدك سيردديني قتيلاً الليلة.، سأصير شهيد عشقك " انفرجت عينيها برعبٍ من كلماته ليتجاهلها حينما صار رضوان قبالتهما فقال مازحاً وهو يبتعد قليلاً عنها ويرفع يديه باستسلام: ابن حلاااال ،كنا نتحدث عنك يا عمي"حدجه رضوان بنظرة غضب ليردف كريم بعبوسٍ مفتعل : هل أنطقُ الشهادتين؟ لم أتعدى الخطوط الحمراء والله على ما أقول شهيد.. انظر بيننا نصفُ مترٍ على الأقل.حارب رضوان ابتسامته قائلاً: ستنطق الشهادتين حتماً يا ولد لكن بعد الحفل سنتحدث بشأنكما والآن أرني عرض أكتافك أريد الرقص مع ابنتي",-بأمرك حماي العزيز" وبلحظةٍ كان كريم قد اختفى من أمامهما مبتسماً ببلاهة بينما ارتعد أوصال نور بخجلٍ من والدها, وتأكدت أن الأحمق كريم تحدث مع الجميع فعلاً بشأن الزواج !*******,دفعت بيسان باب المنزل بعدما طرقته لكن لم تصلها إجابة ...دلفت بارتباك وهي تنادي بصوتٍ خافت على آدم الذي كان يشطف وجهه بالماء البارد ...عل الروح ترتد إلى جسده...بعدما اعترف لنور ...بل وتقابل بتلك الغريبة التي تشبه والدته جفف وجهه بالمنشفة وخرج مسرعاً على صوت يناديه ففوجئ فيها
- بيسان!!
- كيف حالك؟ وصلتُ منذ دقائق ولم أرك بالأسفل.أومئ لها ثم صمتَ قليلاً بينما اقتربت منه أكثر وقالت بعتاب:-ألم تعرف ما الذي أصابني منذ ذلك اليوم يا آدم" قالتها بدموعٍ لكنه أدارَ وجهه عنها قائلاً برصانة: -بيسان, أفهمتك مائة مرة أني لا أحب هذه الطريقة، آسف لكن حتماً سيفهمنا بالخطأ من يراكِ بداخل

شقتي، رجاءً لنتكلم خارجاً"قالها وخطى إلى نحو الباب بعصبيةٍ فهمهت وهي تحدق حولها: هذه شقتك إذن ..أتعلم دائماً ما كنت أتخيل المكان الذي تعيش فيه...أمسك مقبض الباب ليفتحه ويغادر لكنها بلحظاتٍ كانت قد احتضنته من الخلف ليجمد بمكانه مبهوتاً من جرأتها بالاقتراب لكنها قالت برجاء:
-أحبك"
- بيسان!! لو سمحتِ" قالها جازاً على أسنانه بضيقٍ وارتباك فأفلتته واستدارت لتواجهه بعينيها الملبدتين بالدموع وهمست وهي تتلمس ذقنه:- آسفة، آسفة، لكني فعلاً أحبك واشتاق لعلاقتنا السابقة"تطلع فيها بعدم استيعاب : علاقتنا، أعتبرها صداقةً فقط يا بيسان، كانت علاقتي بكِ لا تتعدى الزمالة، و أظنني لم أعدكِ بشيءتطلعت فيه بألم وفتحت هاتفها بعصبيةٍ ثم أظهرت مجموعة صورٍ جمعتهما سوياً وصارت تقلبها بين يدها بسرعةٍ وهي تريه:- وعدتني يا آدم، وعدتني بالكثير، نظراتك، همساتك الدافئة، صورنا معاً ، انظر...كم صورةٍ تصورتها معي!! كم عشاءٍ تناولته برفقتي، ألم يكن هذا موعداً.نفخ بضيقٍ وهو يضع يديه بجيب بنطاله ثم قال برصانة:- آسف إن تعلقتِ بوهمٍ نظراً لكوني على سجيتي معك لكنك تعرفين أن علاقتي بالجميع كانت كعلاقتي بك,ولم نكن لوحدا ف أغلب مشاويرنا كانت مع أصدقائنا، وبالمناسبة سأتزوج قريباً لذلك أرجو أن تكفي عن ملاحقتي فأنا بكافةِ الأحوال لن أتزوج بفتاةٍ متساهلةٍ ومنفتحةٍ مثلك، ,شهقت وهي تتطلع فيه بعدم استيعاب وصرخت به: أنا رخيصةٌ بنظرك!!استدار عنها بضيق فضرخت فيه : انظر الي ..أنا رحيصة بنظرك!!
استدار ناحيتها وهو يطالع ثوبها الفاضح وتنهد بيأس: لستِ رخيصة،لن أتدخل بطريقة لباسكِ حتماً، لكنك لا تدركين الحدود التي يجب أن تقفي عندها حينما تتعاملين مع صنف الرجال! أخبريني كم شابٍ من الجامعة تعالت ضحكاتك برفقته! كم مرةٍ سمحتِ لهم بإمساكِ كفك، كم مرةٍ رافقتني وجلستِ معي بإحدى المقاهي وأنا برفقة خالد ولوحدنا حتى ساعةٍ متأخرة ألا تدركين أن معاملتك معنا لا يفسرها الرجال إلا بكلمةٍ واحدة، وكم مرةً نصحتك وأخبرتك وأفهمتك،

قلتها علانيةً لكِ آخر مرة لكنك لا تستمعين وفسرتِ خوفي عليكِ وعلى تصرفاتك بالإعجاب والغيرة !! ,أنكست رأسها ناحية الأرض وقالت بألم: كلماتك قاسية، أنا لستُ كما تظنني.- أعرف أنك ذات قلبٍ طيب ومحبةٍ للخير ولا تصفين معاملاتك سوى بالتحرر ربما، لكن أنا لا أرضى لشقيقتي بهذه المعيشة،هذا التحرر الذي تدعينه نا هو إلا كذبة ...وجه من أوجه القبح الذي يجملونه بأوصاف لا تمت للتحرر الحقيقي بصلة.,ثم أردف: أتعرفين أني أحب ابنة خالتي منذ سنوات، أتدركين أنها تعيش تقريباً بنفس الفيلا معي، أراها كل يوم، لكني حتى اللحظة لم أتجرأ على لمسها، أتدركين لِمَ؟ لأنني أخاف الله بها أخشى عليها حتى من نفسي ..أتطلع فيها وثم أشيحُ ببصري عنها في أحيان كثيرة لأني لا أريد أن ألوثها بنظراتي، لا أريد منها أن تتعرض بيومٍ لمواقف مشابهة للمواقف التي تتعرض لها فتيات الجامعة والتي أراها يومياً أمامي، أضيق الخناق على تلك المسكينة لحد النفورِ، الخطأ ربما لن يكون من الفتيات فأغلبهن تتصرفن بعفوية دون احتساب نتائج عفويتهن على الرجال وأنتِ من تلك الفتياتِ اللاتي يتصرفن بعفويةٍ رعناء وبسذاجة ومن منطلق التحرر، التحررُ لا يكون بكشف الجسد بل يكون بالفكر والعلم والأخلاق
الشابُ بهذا الزمنِ يا بيسان يرافق.. يتسلى ولن أكذب عليكِ بذلك، لكن حينما يريد الزواج، يتزوجُ بمن صانت نفسها وحفظت جسدها عن أعين الرجال الشهوانية.. لن أكذب هذا هو مجتمعنا، هذه هي طبيعتنا..
وأنا...و اعذريني على صراحتي لن أتزوج بمن نهشها الرجالُ بأعينهم نظراً لطبيعة ألبستها التي لا تناسبني ولا تناسب أخلاقي أبداً، كلامي قاسٍ أعرف لكن لعلك تعودين إلى رشدك، لم يتطلع أحدهم بكِ بنظرة إعجاب لشخصيتك الرائعة، حتى أنا بلحظاتٍ كثيرةٍ ضعفتُ أمامك وكانت نظراتي تحطُ على جسدك و ألبستك وتغريني بطريقةٍ تدركينَ معناها جيداً ولا داع لأقولها بوجهكِ كيلا أزيدَ إحراجك، نصيحة راجعي حساباتكِ جيداً، أقولها لكِ كأخٍ وصديق، والآن اعذريني يجب أن أغادر******,دلف مراد برفقه عروسه إلى جناحهما في الفندق ، أغلق الباب من ورائه بابتسامة واسعة وهو يطالع اليسا،

ببرائتها، بسعادتها الواضحة كوضوح الشمس وهي كالفراشة تكاد تحلق بين جنبات قلبه الذي تحول فجأة لمرج مكتظ بزهور تتراقص تحت أشعة شمس الفجر، تناسى جمانة في تلك اللحظة ، مسحها من تفكيره حدقت إليسا به بارتباك واضح وهو يخلع جاكيت بذلته السوداء ويتقدم منها لكنها وضعت كفيها على صدره لتبعده قائلة بتوتر وخوف : أنا جائعة جدا مراد لم أكل جيداً اليوم "

- أنت جادة !

سألها بامتعاض فهزت رأسها بإصرار فاستسلم للأمر الواقع ليطلب لهما الطعام عن طريق هاتف الفندق فصفقت بمرح وهي تتطلب :

-اسمع ، اطلب بيتزا كبيرة وزجاجة مشروب غازي بالتفاح حصراً والقليل من البطاطا المقلية و.،..

اغلق الخط فجأة وهتف بها :

- إليسا، أيوجد عروس تأكل البيتزا والبطاطا و المقلية بليلة زواجها !

عقدت يديها أمام صدرها بعناد وهي تصر على مطلبها : ولا تنسى الشوكولاه بالبندق فلم أكلها اليوم لانشغالي بالتجهيزات لحفلتك .,جز على أسنانه بغيظ وهو يحاول أن يشرح لها :

- حفلتي !!، في فندق كهذا لا يقدمون البيتزا

-مشكلتك مرادي .

- طبعًا مشكلتي ...فأنا الأحمق الذي تورط بالزواج من طفلة !

ارتدى سترة بذلته مجدداً وخرج بحنق صافقاً الباب خلفه ليجلب طلباتها وهو يتمتم بسخط فلقد غادر راغب فور إيصالهما، ولن يتصل به لأجل ان يحضر له البيتزا سيصبح أضحوكة الجميع بسببها ! أوقف سيارة أجرة و انطلق باحثًا عن مطعم قريب من الفندق .

واليسا بدورها خلعت فستانها الأبيض لتستبدله بثوب أخضر يتزين صدره برسوم كرتونية وخف على شكل أرنب، كانت قد وضعتهم بحقيبتها دون علم من والدتها التي لم تضع في حقيبتها سوى اشياء غريبة يكسوها الريش وكأنها

ببغاء ! وبعد نصف ساعة تقريباً دلف مراد بعدما أحضر طلباتها ليصدم مما ترتديه وقال بغيظ وهو يضرب الأكياس على الطاولة : -ما هذا إليسا ؟ لتتطلع به اليسا بغباء "
-ما هو ؟
-ثوبك ؟
ارتسمت ابتسامة بلهاء على محياها لتجيب :
-تويتي، مابه !
ضرب على جبهته وتمتم بسخط وهو يخطو ناحية الشرفة ليدخن :
-تويتي !! تويتي بشهر البصل المعفن على رأسي ! كلي طعامك ...ستبرد البيتزا"
-ألن تأكل معي ؟ .
جهر صوته بها من الخارج : لاااا.حسناً كما تريد . قالتها بلا مبالاة وشرعت بوضع الطعام على الطاولة لتلتهم ما عليها بجوع حقيقي وهي تهز قدميها . ليبقى مغتاظاً من تصرفاتها وأقسم بأيمان مغلظة بأن يمزق ذلك الفستان الأحمق حالما تخلعه صباحاً وسيرمي ذلك الخف من نافذة الفندق حتما ً.
استدار للخلف واستند على سور الشرفة ونظراته تحطان عليها وهي متربعة على الكرسي تلتهم البيتزا...شعرها الأحمر المرفوع...النمش الموزع على وجهها وعنقها الأبيض...نحولها الشديد...منظرها كان رائعاً...مبهجا ..لذيذا جدا! ******
((1988))انشغلت رغد طوال الطريق بكلماته المبهمة لكنها لم تفهم سبباً واحدًا لمساعدته إياها وحمايتها، بعد مضي ساعة من المسير وصلا ناحية منزل بسيط، طرق الباب لتفتح له عجوز سبعينية، مضغها الزمن وطبع بتجاعيده على وجهها، تسربلت برداء أسود وغطت شعرها الرمادي بحجاب أبيض رقيق، انفرجت أسارير العجوز عندما أدركته ففتحت ذراعيها لاحتضانه، اخذها بذراعه قائلاً بحنو : كيف حالك يا أمي ؟ .
- أهلا بعابد ومن معه ،.تفضلا بالدخول

خطت رغد ورائه حتى وصلا الى المجلس البسيط، جلست العجوز قائلة بعتاب ً: انقطعت اخبارك منذ زمن أيها الشاب .,أعذريني على التقصير يا أماه ، لكن ،
قاطعته العجوز قائلة : ليتوب الله عليك من هذا العمل ...لكن ما الذنب ذنبك .
-سنمكث عندك بضعة أيامٍ فقط إن كنت لا تمانعين
سألها عابد لتجيب العجوز بابتسامة : مرحبًا بك في اي وقت، الدار دارك .
هز رأسه شاكرا فاستدارت العجوز تجاه رغد التي انكمشت على نفسها بخوف من نظراتها المتفحصة ، قالت العجوز وهي تمصمص شفتيها المجعدتين : ومن هذه زوجتك ؟ .
تنحنح عابد بإحراج وقال مازحاً : ومن مثلي سيتزوجون ببساطة يا أم خالد ؟
قهقهت العجوز هذه المرة بصوت متحشرج وقالت وهي تهم بالنهوض : لا يهم ...أعرف أخلاقك ...تبدوان جائعين ومتعبين، سأحضر الطعام وأعود سريعا ً.
أومئ لها عابد شاكرًا فهمست له رغد بعد مغادرة العجوز : لما كانت تطالعني هكذا لست أنقص تلميحاتها !
-دعك منها الآن إنها طيبة جدا، غداً صباحًا سأجري اتصالاتي لمعرفة الأخبار كي أؤمن عودتك بسلام .كادت أن تسأله مجددًا لكن العجوز دلفت قائلة : -لما تلتصقين بالرجل ! هيا تحركي واحضري صحفة الطعام لن أقوى على حملها .
انفرجت عينا رغد بصدمة من كلام تلك العجوز فأومئ لها عابد أن تمتثل لأوامرها فنهضت على مضض وتوجهت ناحية المطبخ وأحضرت صحفة الطعام ووضعتها على الطاولة الخشبية العتيقة أمام عابد .,جلست على الكرسي أمام الطاولة فقالت العجوز مجددًا بعدما أحضرت بعض الأغطية : أنهيا الطعام واخلدا الى النوم فقد شارف الليل على الانتصاف، بالنسبة لك يا عابد ستنام هنا على الأريكة، أما أنت يا فتاة فاغسلي الصحون ونامي في تلك الغرفة التي على يسارك فيها بعض الكراكيب...تدبري أمرك"شكرها عابد وباشرا الطعام، وبعدها قامت كما أمرتها العجوز بغسل الصحون ودلفت مجدداً إلى الداخل

،كان عابد قد تمدد على الأريكة واضعاً يده خلف رأسه وأشعل سيجاره،
تنحنحت رغد أمام الباب فقال باستغراب وهو يعتدل :تريدين شيئاً؟.
فتسائلت رغد :لم تجبني على سؤالي بعد .
عرف عابد مقصدها لكنه قال : اي سؤال تحديداً ؟ أنت لم تبلعي لسانك طيلة الطريق !-لما تصر على حمايتي عابد؟
-لأن لا دخل لك بمناطحاتنا، أنت أضعف من أن تتعرضي للأذى بسببهم .
-لا تضع والدي بخانة المجرمين أمثالك "
رفع حاجبيه باستهزاء ثم أجاب : وهل من يفكر بطريقة مختلفة عن الحكومة يكون مجرمًا ؟ .
عقدت يديها أمام صدرها وقالت بحدة:
تسمي بيع أدوات الموت (طريقة مختلفة) ما هذا التفكير المريض ! وقف وقال بحدة : نحن نؤمن أدوات للحماية، ليدافع الشعب عن عرضه وشرفه ضد فئة معينة من المجرمين،حكوماتكم لن تردع الجريمة بلحظتها.
-هل سلاحك سيردعها ؟
-سلاحي سيؤول دون حدوثها .قهقهت رغد بعصبية ثم قالت وهي تقترب منه :
-تلبس القبح ثوب الطهارة لتبرئ ضميرك فقط ، لتقول أن سلاحي لن أبيعه سوى ليحمي الشعب نفسه ما هذا الحمق ! قلص المسافة بينهما وقال جازاً على أسنانه: على الأقل أنا اعرف من هم زبائني ممن يشترون الأسلحة
ونعم ...ضميري مرتاحٌ جداً بالمناسبة .
-لأنك مريض !
-لا بل لأني أعرف حقائق الأمور لست كأمثالك من ممن يسايرون القطيع.صفقت باستهزاء مجددًا وهتفت : طبعاً من كان من رجال الوطواط وتحت جناحيه سيتبنى مواقفه الاجرامية .
قبض على رسغيها ليمنعها عن التصفيق وأجاب : بالمناسبة ...لست من رجاله بل من عائلته..، هو عمي،ولولاي لكنت ميتة منذ زمن طويل .
حاولت الإفلات من قبضته وهي تقول ساخرة : عائلة ٌمشرفةٌ فعلا ً" لكنه

لم يفلتها بل أجاب بحنق : نعم لسنا ممن يملكون الشرف الرفيع كعائلتكم، لكن دعيني أخبرك بسرٍ صغير يا حلوة " واقترب منها أكثر هامساً بخنق : أتعرفين عائلة والدتك المصون ؟ لن تعرفيها طبعًا ...اقنعوكم بأنها يتيمة هاه ؟ اعلمي أن زواجها من والدك كان مجرد لعبة رخيصة .كفت عن مقاومته وصارت تحدق فيه بصدمةٍ فأردف:
تخيلي عندما يتقرب الضابط من ابنة مجرم قاتل، يجبرها على الرضوخ له، يستغلها بكل وقاحة، ثم عندما تكاد لعبته أن تكشف يتزوجها بل ويقنعها بأنه سيساعدها في الدفاع عن والدها .
صرخت فيه بعنف هذه المرة : أنت كاذب ، كاذب .لكنه لم يرحم دموعها وألقى بقنبلته الثانية :
- مهلاً ...و عائلة المنصور تعرفينهم حتماً، يعيد التاريخ نفسه تماماً مع شقيقتك الكبرى عبير ، عندما يصاهر والدك الضابط ...المهندس الشاب رضوان المنصور ،ويضعه تحت جناحه، أمام الرأي العام تزوج ولدان من أرقى عائلات البلد، لكننا حتما لا نرى ما وراء الستار ،ماشاءالله لوالده تاريخ عريق بغسيل الأموال و الاختلاس وإلا لما وصل لهذا المقام الرفيع ! والآن يا آنسة ...من المجرم ؟ من البريء ...هنالك فرق شاسع بين من يجد نفسه مغموس بالقذارة ، وبين من يغمس نفسه بإرادته بل ويستلذ بذلك وهو يتخفى خلف الستار .انهارت هذه المرة وهي تهز رأسها بنفي فأفلتها ورماها على الأريكة لترتطم عليها بعنف ثم ولى مغادراً الشقة ليجلس على المصطبة الخارجية ، أشعل سيجاره وصار يدخنه بعصبية وبكائها ما يزال يصله .
خرجت العجوز بعدما استمعت لمحادثتهما وتقدمت من رغد، ربتت على كتفها ثم جلست بجانبها وصارت تمسح على شعرها بحنو ، انهارت رغد على حجرها باكية من الصدمات المتلاحقة التي أخبرها بها عابد ،
وبعدما هدأت قليلاً واستكانت بسكون ، قالت العجوز بحنو : هو شهم ورجل بما تعنيه الكلمة من معنى يا ابنتي، وفعلاً كما قال ليس ذنبه أنه ترعرع فيما بينهم، بعد مقتل والديه أمام عينيه.. .ولم يجد من يحميها منهم ، بحجة تنفيذ

القانون قتلوهما امامه ، ونشأ من حينها بكنف عمه المدعو بالوطواط ؛ ربيته أنا أول بضع سنوات حتى انتقل ليعيش برفقة رجال الوطواط , لكنه حاول جاهدًا أن يتخذ لنفسه سبيلاً آخر بهذه التجارة، بأقل الخسائر وإلا اعتبروه خائناً، ولربما آذوا شقيقته والتي اضطر لأن يزوجها ويرسلها وزوجها لخارج البلاد حفاظاً على حياتها من بطش الجماعة، حتى عمه لن يرحمها حتماً إذا قرر الابتعاد عنهم .ترقرقت عينيها بدموع إشفاق عليه وهي ترى ظله من خلف زجاج المنزل ينظر شارداً إلى السماء .
أردفت العجوز وهي تنهض : وإن قال بأنه سيحميكِ ، فهو سينفذ وعده حتما ً ولو كلفه ذلك حياته كوني متأكدة من ذلك .*********

16

,خلع آدم بذلته ليستبدلها ببنطال منامته وارتمى على السرير، ما زال فكره مشغولاً بتلك الفتاة التي اصتدم بها ولخبطت أفكاره، من هي ؟ ومن تكون ؟ تشبهها جداً.. نهض من على السرير وهرول درجات السلم وطرق الباب، كان الوقت متأخرًا لكنه يريد الاستفسار، رأسه سينفجر فتحت له عبير الباب واستغربت نزوله بهذا الوقت المتأخر ..
-آسف لأني حضرت الآن لكن ،
- لا حبيبي تفضل بالدخول .لاحظت الارتباك الذي تملك تقاسيم وجهه ، جلس على الأريكة وجلست قبالته فتسائل من فوره : هل لاحظت شيئاً غريباً اليوم في الحفل ؟
هزت رأسها وقالت بعدم فهم : مثل ماذا ؟ .
تنحنح مجدداً وسأل : أحضري صور والدتي رجاءً .
-الآن ؟ حدثته بصدمة فاومئ لها مؤكداً : نعم بعد إذنك ، الآن .

قامت عبير باستغراب لتجلب له صور والدته وعادت بعد دقائق وهي تحمل بيدها ألبوم الصور ، تناوله منها وصار يقلب بالصور وتوقفت عيناه عند صورة لوالدته وقد كانت بالعشرين تقريباً من عمرها دمعت عيناه وتبسم وهو يمرر بيده على الصورة ثم قال : ما أجملها .تنهدت عبير وجلست بجانبه وصارت تمسح على شعره بحنو : لما تذكرتها اليوم ؟ ما بك .
أمال برأسه على كتفها قائلاً : وهل نسيتها لحظة واحدة !"
ثم اردف بعد فترة : إحدى المدعوات كانت تشبهها جدًا " العينين الرائعتين ، الفم .
تبسم مردفاً : حسبتها تشكلت أمامي من جديد ! "
نهض آدم فجأة وهو يضع يديه بجيب بنطاله ثم قال بابتسامة باهتة: آسف خالتي، صدعت رأسك بثرثرتي " ,أجابته عبير وهي تسير خلفه وهو يتجه إلى الباب محتضنا الألبوم ،
- نم جيدا يا آدم ولا تفكر بشيء الآن اتفقنا
أومئ لها ثم استدار وقبل جبهتها وصعد إلى شقته ، قال رضوان من خلفها بوجوم : لن ينسى الماضي، سأخبره بكل شيء قبل أن تتعقد الأمور " ,توجه إلى شرفته، أشعل لفافة سجائر وشرع بتدخينها وهو يتأمل نجوم السماء ، هو كان لا يدخن إلا قليلاً جداً ، فلربما تشغله تلك اللفافة عن حزنه ، تلهيه ولو لدقيقة او اثنتين عن غضبه ! ولو أنه إلهاء كاذب، ولربما يشعر حينها بأن هنالك شيء يحترق لأجله فقط ! او تتشارك اللفافة وصدره بالاحتراق ! .
عاد بذاكرته إلى سنوات طوال ،.
كان جالساً على حجر خالته عبير شعر بيديها تحاوطان جسده الصغير وهما يتشاركان بالنظر إلى نجمتين لامعتين السماء، قال لها : أين هما الآن ؟ لتقول عبير وهي تشير للنجوم : والدك ووالدتك أصبحا نجمتين ساطعتين في السماء، يراقبانك دائماً ، تحدث معهما كل يوم إن رغبت ..في حزنك وفرحك سيستمعان إليك .
وأختي؟

غسقت عينا عبير بقلب محترق: واختك...اختك أكبر وأجمل نجمة في السماء.
بعقله الصغير أجاب : وأنا أريد أيضاً ان أصبح نجمة في السماء معهم لناذا تركوني ورحلوا؟ .
أحتضنته عبير بشكل أكبر ودموعها تتساقط على شعره وسارت تتمتم : لييعد الله الشر والأذى عنك يا صغيري .ختم ذكرياته بابتسامة ناحية النجوم ، لربما كبر آدم على حديث خالته بأن والديه وشقيقته نجوم في السماء، لكننا على أي حال غالباً ما نتعلق بالأكاذيب التي تسعد أرواحنا وحتى ولو كانت غير منطقية..
أمال براسه إلى الناحية اليمنى السفلية من الفيلا ليتطلع إلى غرفة نور التي ما تزال أنوارها مضاءة .
أخرج هاتفه المحمول وخط رسالة لها من أربعة حروف فقط ولأول مرة بحياته !
-((أحبك)) لتقرأ الآن الرسالة بصدر مضطرب.. وبذات اللحظة ...بنفس التوقيت رهن هاتفها وهي ما تزال تتأمل رسالة آدم طال رنين الهاتف...طال واستمر فأجابته بتردد :- أهلاً كريم.- اعتقدت أنكِ لن تجيبي على اتصالي كالعادة ! - ولمَ اتصلت مجدداً اذا كنت موقناً بأني لن أجيب؟صمت قليلاً وأجاب : لربما قلبي من أخبرني أن هذه المرة ستكون مختلفة"أطلقت تنهيدةً عميقة وأجابت : نصيحتي ألا تستمع لقلبك دائماً، فلربما أخطئ بتخميناته وحينها....لن ",اغتال كلماتها مشدداً على حروفه: حتى ولو أخطئ سأتحمل النتائج، سأصبر وسأحاول"- لا تكن واثقاً .- لا أثق بشيٍ سوى بمشاعري ناحيتك"
أمسكت جبهتها وتنفست باضطراب ..ماهذا التوقيت والصدفة التي جعلت منهما يصارحانها بذات التوقيت واللحظة عن مشاعره...والمصيبة أنهما رائعان...شخصياتهما متناقضة لكنهما الأقرب إلى قلبها من بين جميع اولاد عمومتها ..وهي متأكدة إذما اختارت ستخسر أحدهما بكل تأكيد..بل ستندلع الحرب موقنة كانت مع هذا الاحتمال ..ليتها لم تكبر ...ليتهم بقوا أطفالاً

يجمعهم اللعب واللهو البريء..كانت تفكر ولم تسعر بدموعها التي أغرقت وجنتيها ..لا تريد خسارتهما لاتريد محو براءة الماضي باقتحام عالم الكبار..عالم الكبار قبيح بكل مافيه...حتى بالحب الحب المكلل بالشروط والرغبات...شيء ما كسر بنفسها حقا منهما ،
شيء كسر بنفسها لم تستطع تفسيره..لكن هل عليها أن تختار حقا...هل عليها ان تختار الآن الحب أم الزواج أم الدارسة والحلم والمستقبل ! *******
رجعت جمانة إلى شقتها وأغلقت الباب ثم هرولت واتجهت إلى درج الكومود الموجود بجانب السرير، وأخرجت منه قلادتها الفضية وصارت تتلمسها وعاود ذلك الشاب الذي اصطدمت به اقتحام ذاكرتها من جديد، ترى من يكون ؟ إنه يملك نسخة مطابقة تماماً من قلادتها ؟ .
ارتدتها وتنهدت قائلة بيأس : كفي عن حماقتك لا بد وأنها منتشرة في الأسواق كغيرها، ليست دلالةً على شيء !
ثم استبدلت فستانها وهي تحدق بتلك الحقيبة الصغيرة التي تضم الفستان و التي ارسلها مراد بنظرات غضب، و ارتمت على السرير لتنام..
مراد!! من يظن نفسه ذلك المراد! *********,استيقظت نور صباح اليوم التالي والشحوب كان باديا على سحنتها ً، لم تكن قد غفت إلا قليلاً جلست ترتشف العصير في الحديقة وكان آدم يقوم بالركض كعادته على الطريق، عاد بعد دقائق ليراها جالسة وشاردة، توقف قليلاً ليهدا أنفاسه ثم تقدم ناحيتها ملقيا التحية وربما ليرى تأثير كلماته واعترافاته،تنبهت لوجوده فأومأت له بابتسامة باهتة متربكة
جلس على الكرسي المقابل مستغرباً من ردة فعلها الباردة تجاهه .
احنى جذعه للأمام واسند رأسه على كفيه وهو يزم شفاهه بطريقة ساخرة ويقول : يا صباح التكشير !,تطلعت فيه مجددا باستهجان : أي تكشير ..لم أنم جيداً..رأسي سينفجر.
مد يده لتلمس وجنتها ظنا منه بارتفاع حرارتها فاشاحت بوجهها عن مرمى يده : لا تلمستي آدم.

استغرب ردة فعلها الغريبة فاعتصر قبضة يده وأنزلها ..
-كنت أود الاطمئنان على أن حرارتك ليست مرتفعة...
-أنا بخير...لا تقلق.
بقي على كرسيه صامتاً ..شاردا في مياه المسبح الذي تداعبه نسيمات الصباح حتى قطع السكون من حولهما:
- وأنا لم أنم جيداً ،
حدقت في شروده وأدركت أن تلك الليلة كانت مختلفة ..مختلفة بالنسبة لها وربما مختلفة بالنسبة إليه..أردف وكأنه يحادث نفسه: رأيت فتاة تشبه أمي البارحة في حفل زواج أخيك..لا أعلم من تكون...تشبهها جدا، بقيت طيلة الليل اقلب في الصور.
تنهد بقلب محترق والجميع وكأنهم اتحدوا ضده ليستكملوا مهارة الصمت عن ماضيه...ليتهم تكلموا ورووا فضوله في كيفية موت والديه ...كان يتذكر خيالات عن ذلك اليوم الذي قتلت فيه والدته...وهو يحتضن شقيقته الصغيرة التي توفيت في الميتم...
ذلك الميتم الذي عاش فيه أسوأ أيام حياته
ووالده المتوفى والذي لا يكاد يذكر ملامحه ..قالوا أنه مات ..كيف مات ومتى ؟ وأين قبره إذا..أين قبر شقيقته التي توفيت وأين قبر والدته ؟! هل حقاً لا يعرفون أم أنهم اتحدوا ليصمتوا...كي ينسى ماضيه فقط...أين صور والده فهو بالكاد يحمل صورة قديمة مهترئة لشاب في أوائل العشرينيات من
عمره...اخبروه أنها صوره أبوه المتوفى ،سألته نور لتنتشله عن شروده:
لو...لو اكتشفت كالأفلام أن أحداً من عائلتك ما يزال على قيد الحياة.. كيف سيكون شعورك .
حدق فيها وقد ترقرق الدمع في مقلتيه..تكلمت فضربته في مقتل دون أن تدري...ابتسم بمرارة وأجاب صادقا: كالأفلام ! وهل من الممكن أن تتحقق مبالغات الأفلام على أرض الواقع!
لكن لا أعرف...بعد هذه السنوات التي ما فهمت فيها معنى أن يكون لي أب

وأم ...أو أخوة لا أعرف..لا أعرف ما سيكون شعوري حينها، كبرت وأنتم عائلتي الوحيدة ..لا اعرف إن كانت خالتي قد عاملتني معاملة الأم حقا ومشاعري تجاهها ستكون كمشاعري إذا ما كانت أمي على قيد الحياة فعلاً! إن كلمة لو ،.تفتح مجالاً واسعاً للتمرد على الواقع !
مدت نور يدها بتردد وربتت على ساعده بتعاطف ..كانت ترغب في اقتحام قلبه ..ترغب بأن تعرف حقيقية مشاعره وأفكاره وهو وحيد رغم كونه بينهم ..مهما فعلوا لأجله إلا أنه منذ سنوات مراهقته وهو يعود كل ليلة للملحق في الطابق العلوي وحيداً يغلق بابه عليه...ينام بمفرده...أي افكار ترواده قبل أن ينام..أي ذكريات يحملها! وأي آلام تهاجم ذكرياته عن الميتم !
رفع رأسه وكأنه رآها أخيراً..كانت دموعها تسير على طول وجنتيها ..لم تشعر نور بدموعها ..لم تشعر إلا بنبضات قلبها التي تعاظمت حدتها وهو غارق بعينيها.. أمسك كفها التي تقبض على ساعده قائلاً بصدق:
- لعل أجمل شيء حصل معي هذا الصباح ...أنك هنا...معي، تسمعينني، تحدقين بي...أشعر بملمس كفك بين أصابعي وأستمد منك القوة في أكثر لحظاتي ضعفاً، شكراً لوجودك بحياتي.*****

قضى مراد بضعة أيام في الفندق برفقة عروسه ومن ثم انتقلا إلى منزل العائلة... وعاود الدوام في الشركة لكن هذه المرة برفقة آدم الذي سيخطو أولى خطواته المهنية بعد تخرجه...، انتقى لنفسه قميصاً أبيض وحينما طرق الباب عليهم، فتحت غبير فترقرقت عينيها بدموع ندية واخذته بين أحضانها وهي تقول : ماشاء الله ، ليبارك الله بك .
صفر مراد بفمه من خلف والدته بمشاكسة وهو يقول : هاقد بدأنا فقرات الغزل الصباحي ! مسحت عيبير دموعها وهتفت بمراد.: اخرس يا ولد " ,قهقه آدم وقبل جبهة عبير ثم حوط كتفها بذراعه ليتجها إلى الداخل وهو يقول لمراد بمكر : تقولها من غيرتك مني ، سأسحب البساط من تحت قدميك رويداً رويدًا "

كانت نور ورضوان يجلسان أمام المائدة، القى عليهما تحية الصباح وجلس كذلك ليشاركهما الفطور "
سحب مراد كرسياً وجلس عليه وهو يقول : أتقصد معجباتي من الفتيات، طبعاً ستخطف أبصارهن عزيزتي بقامتك البهية "
احتقن وجه نور للحظات ليتأمل آدم تلك التعبيرات التي تحاول جاهدة إخفائها فقال ليزيد من اشتعالها : يبدو ان لائحتك طويلة والحمد لله " تنحنح رضوان قائلاً : كنت بواحد صرت باثنين ! لا اعتراض يا ربي على بلائك ، يبدو أني سأغير موظفات الشركة للرجال فقط " وتعالت ضحكات الجميع إلا نور التي أهدت آدم نظرة توعد اخترقته مباشرة كسهمٍ حارق ليغتال ضحكته متنحنحاً ويباشر طعامه .
تسائلت عبير : ألم تستيقظ أليسا بعد ؟ .
رفع مراد كتفيه قائلاً : لا ،. و غالباً هي الآن تحتضن دميتها المحشوة ليلي وتنام كدب بثباتٍ شتوي .
قهقهت عبير على كلماته فقال مرة أخرى بقلة حيلة : يبدو أنني سأشتري سريرًا أكبر.
لما ؟ تسائل رضوان فقال مراد بتنهد : تنام مع دباديبها بعرض السرير دائماً فأبقى أنا على حافته، بركلة ٍمن ركلاتها سأسقط على الأرض حتماً ! ,تعالت قهقهاتهم فقال مراد باسماً وهو ينهض : لما اشتم رائحة شماتة ؟ تعال آدم كيلا نتأخر .
ألقى آدم السلام عليهم وتبعه، صعد مع مراد بسيارته التي يقودها راغب وتوجها إلى الشركة ،ألقى آدم تحية عابرة لجميع من مر بهم اما مراد فتلقى التهنئات من الموظفين واتجها الى المصعد، كان مكتب آدم الجديد بذات الطابق مع مراد وعمه، أوصله لمكتبه وقال حينها : -صحيح أنه ليس بالكبير لكنه مناسب لبداية عملك "
أومئ له قائلاً : بالعكس إنه مناسب .-ارتح قليلا الآن و سيسلمك ضياء الدين بعد قليل ملف لمشروع سكني جديد لا تفعل اليوم به أي شيء إن رغبت، تأقلم

على وضعك وادرس الامكانيات جيداً والبنود ثم باشر بعمك بتمهل ، أظنك ستتدبر أمورك وإن احتجت لشيء تعرف مكتبي .,اومئ له شاكراً ليغادر مراد متجهاً إلى مكتبه، وقفت جمانة لاستقباله حينما شعرت بقدومه فتوقف واتكأ على الباب بلهفة : صباح الخير .
-صباح النور استاذ مراد ، مبارك زواجك ، ستكون قهوتك جاهزة بعد دقائق.
واستدارت من خلف المكتب وتجاوزته لتغادر وسط ابتسامة هادئة خرجت من بين شفاهه وهو يتجه إلى مكتبه .فتحت إليسا عيناها المجهدتان...حدقت بالسقف مطولاً...وكأنها تحاول استيعاب حياتها الجديدة ..حياة لم تعرف عنها أي شيء سابقا مالت برأسها جانباً لكن السرير كان فارغاً..اعتدلت بجلستها ونهضت بحذر وتناولت دثارها ارتدته وضمت طرفيه على جسدها الهزيل..توجهت ناحية المرآة بشعرها الفوضوي فبدى كشعلة نار متوهجة ..توهجت وجنتاها خجلاً وهي تتذكر أحداث ما حصل من اسبوع حتى الآن...
معاملة مراد التي اختلفت تمامًا...جرأته وتلك الليلة التي خلع فيها عنها ثوب تويتي بالقوة حين ارتدته بعد أن غيرت ثوب الزفاف ..أثار ذلك الثوب غيظه لسبب لم تعرفه.
لفه هو و خفها الذي على شكل أرنب ورماهما في سلة المهملات قائلاً بأمر كعادته: من الآن عليك أن تكبري..أن تنخلعي عن عالم الطفولة والسطحية فأنت الآن....امرأة متزوجة..بل ومتزوجة من اسم عائلة كبيرة بالبلد.
شعرت بقلبها ينشطر لنصفين خوفاً منه وهو يقترب منها يبث قراراته بشأن انخلاعها عن عالم الطفولة التي وعلى الرغم من أنها عملياً كان يجب عليها أن تنخلع عنه منذ سنوات لكنها لم تقدر ،لم يسمحوا لها بالانسلاخ عن طفولتها بل كانت ترى فيها ملجأ عن بشاعة عالم الكبار الذي لا يحتوي إلا على شيء مشوه من الحب...الغيرة ..الشجار الدائم...

لكنه شجار لا يحمل شيئاً من شجار الأطفال البريء..
بل الحقد يحمل الحقد. بألوانه وأشكاله ..وأصنافه..الغضب المستمر ...النفاق

وكل شيء سلبي وقاس موجود فقط في عالم الكبار
وكان والداها وشقيقها(ساهر) المسافر خير دليل على ذلك ...لذلك اختبأت خلف جدار الطفولة المتين ترفض أن تجاربهم في عالم الكبار..حتى حررها مراد...مد يديه ليقبض عليها من ذلك الجدار الوهمي ورماها في أرضه، وأرضه لم تكن أرضاً خصبة بل قاسية صلدة وصعبة ..ومع ذلك كان مراد يمثل لها الأمان الذي لم تشعر فيه بمنزل عائلتها المفككة وجدانيًا وعاطفيًا ظلت في ليلتهما الأولى معاً تبكي...تبكي بهستيريا طفلة أضاعت دميتها المفضلة وهي تحدق بغرفة الفندق الكبيرة من مجرد كلمتين نطقهما فقط.(عليك أن تنخلعي عن عالم الكبار) شعرت الآن أنها فعلا انسلخت عن غرفتها ألعابها ...حياتها، والآن لأدركت أنها وحدها معه وستبقى كذلك!
فضمها مراد لصدره لتهدئتها....كان ضعفها يفتنه..فتعاظم شعوره بحمايتها ..حمايتها حتى من نفسه، رفع وجهها الباكي إليه وهو يحدق بعينيها الدافئتين كنهارٍ صيفي تنعكس أشعة شمسه فوق أوراق الشجر لتكسبها لوناً متوهجا...فك دبابيس شعرها متسلياً بتلك الخصلات التي تنسدل بانسيابية كماء الجداول حتى حرره كله، حرر كتلة النار وابتسم وهو يمرر بكفه على وجنتيها وهمس صوت متهدج: كل شيء سيكون على ما يرام .*******

(17),دلفت جمانة إلى مكتب مراد وهي تحمل له قهوته الحلوة كالعسل بعد أن أوصلت قهوة رضوان المرة كالعلقم ! كان غارقاً بالعمل على المشروع على أصوات موسيقى عالية كعادته ولم يتنبه لوجودها مشت باتجاه طاولة العمل و اقتربت منه لتضعها على المنضدة الصغيرة بذات اللحظة التي استدار بها مراد ليجلب المسطرة اصتدم بها لتنقلب القهوة الساخنة على ساعده، من وجودها وصرخت هي بسبب الحرق

- هل أنتِ بخير ؟ جمانة ! .

قالها بجزع حقيقي وأمسك ساعدها ليرى آثار الحرق ليتصرف بينما هزت رأسها باكية : إنها تؤلمني ...ساعدي يحرقني

- اغسليه فورا ً"

دفعها من كتفها باتجاه حمام مكتبه الخاص فتح لها الصنبور فوضعت ساعدها تحت الماء المنهمر بينما اتصل هو مباشرة بفرح لتوكيل المستخدم لتأمين مرهم للحروق بسرعة .,استلمه مراد من المستخدم وما كادت تخرج من باب الحمام حتى قال لها اجلسي لنضع عليها المرهم .

-لا داع لذلك سيزول الألم بعد دقائق

تقدم ناحيتها وقال آمرا : اجلسي جمانة لا تكابري .

انصاعت له لأن الألم كان لا يطاق، انحنى أمامها وشرع يدهن لها مكان الحرق بهدوء شديد، طرق الباب ودخل آدم وتقدم أكثر قائلاً

: هل كل شيء على ما يرام ، قالت فرح بأن سكرتيرتك الخاصة أصيبت

بحرق ! ,رفعت جمانة نظراتها تجاهه ليتطلع بها آدم مجدداً وشعر بانقباضةٍ غريبةٍ بصدره، اقترب بلا ارادة منه وسألها بقلق حقيقي وسط نظرات مراد الذي حدق فيه باستغراب خءا الاندفاع لفتاة يراها لمرة...او اثنتين وللحظات فقط! : هل تؤلمك يا آنسة ، هل تحتاج إلى عناية طبية ؟ أاصحبك إلى المستشفى ؟

كادت أن تجيبه فقاطعها مراد قائلاً وهو ينهض : -ستكون بخير ، جمانة بإمكانك العودة إلى عملك .
هزت رأسها وشكرته ثم غادرت من بينهما وسط نظرات آدم الذي لاحقها بعينيه بابتسامة لم يفهمها حتى اختفت خلف الباب .
حدق فيه مراد بجمود ثم لكزه على كتفه قائلاً :
-وبعدها ! .
-عفوًا !
قالها آدم بعدم فهم ليجيب مراد : لم تزح ببصرك عن الفتاة .تنهد آدم وهو بواد آخر كلياً عن مراد وقال بلهفة : -إذن هي سكرتيرتك، ما اسمها ؟
رفع مراد حاجبيه وقال ساخطًا : هل تريد مني ان أسالها كذلك إن كانت مرتبطة أم لا .جمدت ملامح آدم عليه وتسائل بعدم فهم : إلى أين ذهب تفكيرك ! ولما الحدة في حديثك ؟
-في الحفل التهمتها بعينيك والآن لم تزح ببصرك عنها أمشاعرك تجاه نور رخوة لهذه الدرجة كي ،قاطعه آدم بحدة عندما استشف نهاية حديثه : مهلاً لحظة، ما هذه التخاريف التي تتفوه بها ، الموضوع أبداً ليس له علاقة بنظرة إعجاب أو أوما شابه .
فقال مراد ساخراً :آها... بما تترجم نظراتك ؟ نظرة أخوية !!.نفخ آدم بعصبيه ثم قال : بالمناسبة لن تفهم شعوري ، وذاتا ًهذا المكان ليس مناسباً للنقاش بتلك الأمور، سأغادر .
هز مراد رأسه مجيباً : نعم أهرب كعادتك "

ابتلع آدم حروفه متجاهلاً مراد من خلفه وغادر المكتب مغلقاً الباب خلفه وتطلع بجمانة التي تجلس خلف المكتب وتحاول أن تعمل، اتجه ناحيتها وسألها : هل زال الألم ؟ .
أومأت له بإيجاب قائلة : نعم شكراً لاهتمامك .
- أنا آدم خريج هندسة وأعمل الآن متدرباً هنا " حدقت فيه ..وبسسلسله الذي يظهر جزء بسيط منه من تحت ياقة قميصه وأجابت بارتباك:
- تشرفنا أستاذ آدم، أنا جمانة .
تشرفت بمعرفتك آنسة جمانة ،
ثم أردف بعدها : إن احتجت لأي شيء فأنا في الخدمة .
وهذا الحديث قد تطور فيما بعد ومشاعره كانت تتعمق تجاه هذه الفتاة مشاعر دافئة ...غريبة لا تشبه مشاعر عشقه لنور الواضحة وضوح الشمس...جمانه قد فتحت مشاعره لناحية أخرى ..كحاجتها للحماية وحاجته لاحتواء شيء يخصه ...لم يعرف كيف يوصف مشاعره ولمن سيوصفها ولم يقدر على تجاهل الحديث معها كلما سنحت له الفرصة...وجمانة كانت ترى في هذا الشاب جمالاً داخلياً أشعرها بالطمأنينة ، كانت الأيام تتوالى ...ما بين عشق ينمو ..وإعجاب يطفوا على السطح وفرح لم يظن صاحبه أنه قد يغادره يوماً...هذه هي طبيعة النفس البشرية التي تتمسك بلحظات السعادة وكأنها ستدوم أبد الدهر...كان كريم في عمله يتفقد تنسيق قطع الألبسة الواصلة حديثاً اختار قميصاً لوالدته أمينة هانم وسار بعينيه على الفساتين وانتقى فستاناً لرهف...يعرف ذوقها ويهديها كل حين ما يناسبها ...ثم توقف أمام فستان قرمزي طويل من الساتان حمله واتجه فيه إلى مكتبه وعلقه أمامه....ابتسم مغمضا عينيه يتخيل كيف سيكون على نور ، تلك التي تخيلها مراراً ترتدي كل قطعة أعجبته...فخبأها في خزانة خاصة على أمل أن يعطيها لها ذات يوم ..أن يراها ترتديهم له دونا عن غيره..اندفعت الموظفة تسأله : تتصل العارضات أستاذ كريم هل أخبرهن بالمجيء ؟
اجفل من دخولها المفاجئ فانخلع بنظراته عن الفستان بضيق : يا ابنة الناس لو

كنت أريد منهن الحضور لطلبت ذلك...عودي لعملك.
جلس خلف مكتبه يقلب في الصور...تلك الصور التي تسببت بفضح مشاعره لابنة عمه ذات يوم ليس بالبعيد.
طال تأمله لها.. لشعرها الحريري..لوجنتيها الشهيتين...ولعينيها اللتين لا تنتميان لهذا الزمان...لوحدهما حكاية !
وطرأت بباله هذه الفكرة التي طالما استدرجها من خلالها، إنها تعشق التصوير ..فلتصور إذن .
تشجع واتصل فيها فقد كانت تجيبه بأحيان وبأحيان كثيرة لا تجيب تعطيه الأمان في وقت ما وفي أوقات كثيرة تصده، تعطيه أملاً في بناء المستقبل برفقتها وتعود لنقطة الصفر من جديد ،.احتارت واحتار هو معها...ظل معلقاً بذات النقطة لا يتقدم خطوتين إلا وترجعه عشر خطوات إلى الوراء.
ضغط على زر الاتصال وهو يتلاعب بالقلم بين أصابعه و يطرقه على الطاولة ،
-كيف حالك .
-أهلاً كريم ...بخير وأنت ؟
- تعرفين اني لن أكون بخير حتى أعرف جوابك النهائي .
- كريم !
قالتها بارتباك فقال فوراً وهو ينهض من خلف المكتب ليقف أمام الواجهة الزجاجية للمتجر يراقب السوق المكتظ : اسمعي لن نتحادث على الهاتف حتمًا أريد ان أراكِ اليوم إن كنت لا تمانعين هناك شيء هام علينا التحدث به .
قالها بجدية وهو يعقد حاجبيه..يريد إنهاء المسألة قبل أن تفلت من بين يديه
-تعرف بأنه لا ينبغي أن أراكَ خارجًا .
تنهد كريم بقلة حيلة : كنا نخرج سابقاً .
ضحكت بخفوت فأضحكته : اسأل نفسك هذا السؤال....تعرف أنه تغير الكثير .. وربما تغير كل شيء.
- ما زلت كما أنا كريم ابن عمك ..اسمعي لن أطيل..كما أن المجموعة الجديدة

قد وصلت وعليك أن تقومي بتصويرها كالعادة
ضربت نور وجهها على طاولة زينتها والهاتف ما يزال على أذنها ..أبعدت الهاتف لترى الساعة ثم غمغمت بيأس: الآن لما لم تخبرني من قبل؟!
أجاب بانزعاج : لأجل التصوير تحضرين ركضًا أليس كذلك ؟
- إنه عمل ..بل وعمل أحبه.وأنت قدمته لي على طبق من ذهب أأرفضه! ..
تنهد كريم مغمغما: تعالي إذا فوالله هذا العمل يحبك وصاحب العمل يحبءءءأغلقت الخط في وجهه ففوجئ وانفجر ضاحكاً قبل أن ينهض من فوره ويصرخ بالموظفات : -بناات..بناااات
اتصلن بسرعة بالعارضة لتأتي...حالًا..
هيااا...
-واحدة سيد كريم؟!
سألته الموظفة باستغراب ليهز رأسه مؤكداً،
-واحدة .
امتقع وجه الموظفة وتمتمت:
-لكن...القطع كثيرة لن ننتهي حتى الفجر هكذا!
ولننتهي عند الفجر ...هل من مشكلة..اتصلي بشيخ الشباب زوجك ولينتظرك أمام المحل حتى ننتهي .
زاورته وهي تلوي شفاهها قبل أن تغادر وهي تبرطم بكلمات حتماً لم يسمعها كريم ،****
انطلقت نور إلى المتجر كانت ترتدي بنطالا من الجيز مع كنزة سوداء، أما شعرها فكان معقودًا لأعلى كذيل حصان وكأنها موظفة قد حضرت لمقر عملها....خطت بخفة فنهض من خلف المكتب مسرعاً متوجهاً ناحيتها...لتسأله على الفور: هل كل شيء جاهز؟
اومأ لها فسارت أمامه متجهة للزاوية التي خصصاها للتصوير
ومن خلفها شقت البسمة شدقيه وهو يشد بقبضتيه بانتصار ،
كانت العارضة تجلس بانتظارها بعد أن ارتدت أول الفساتين ..أخرجت نور

الكاميرا التي اشتراها كريم للعمل وشرعت بتصوير العارضة ،.لتتفاجئ بعد حين أنها العارضة الوحيدة اليوم بحجة أن جميعهن مشغولات ،.وأدركت أن هذه الجلسة ستستمر طويلاً جداً! - معك ولاعة ؟
-عفواً !
-ولاعة ولاعة " وطقطق شيخ الباب بإصبعه ليفهم مراد مقصده فأخرج من جيب بذلته ولاعة وناولها للرجل الذي أبدى امتعاضه متذمرا: كل يوم وآخر يتأخرون بسبب تصوير المنتجات لتسويقها أيعقل أن نترك اشغالنا للانتظار!
كان مراد متكئ على سيارته ينتظر نور خارج المتجر .. منتظراً هوسها في التصوير الذي وظفه كريم بطريقة أفادته لزيادة تسويق بضاعته عبر نشرها عبر منصات التواصل...
دقائق وخرج كريم لينضم إليهم خارجاً بوجه ممتقع:
-خيراً ؟ تم طردك؟
قالها مراد متهكما ليبتسم كريم وهو يخرج سيجارا يدخنه وهنا يمشيان بشارع السوق الذي اقفلت متاجره ..مبتعدين عن شيخ الشباب الذي جلس القرفصاء على الرصيف بانزعاج ..
-اختك المصون قامت بطردي.. يبدو أنها فقدت تركيزها بسبب وجودي وثرثتي!
-وما الذي تصورونه هذه المرة ! شيء يستحق النظر ،
قالها مراد بخبث ليلطمه كريم على صدره : -عباءات حريمي نخب أول...نظف عقلك وتفكيرلك وإلا والله سيدق ذات يوم!
وفي الداخل كانت نور قد أطلقت العنان لموهبتها في التصوير ..وأبدعت في التقاط الصور للعارضة التي غيرت حتى اللحظة اكثر من عشرين فستاناً.. وعباءة.
انتهت من التقاط الصور فدخلت إلى مكتب كريم الذي يقع في الطابق العلوي.. لتنقل الصور مباشرة إلى حاسوبه...وباشرت بعملية النقل ثم تقدمت تلقائياً من ذلك الفستان القرمزي المعلق...وجمدت تحدق فيه.

-يا إلهي.. إنه ..جميل جداً.
تقدمت الموظفة مؤيدة ...رائع فعلاً ..اسمعي جربيه قبل أن يباع فتظل حسرة بقلبك...فهذه البضاعة يتم شراؤها بسرعة ، جربيه ريثما ألملم أنا الفساتين في الأسفل..
سألتها نور : هل ..صاحب المتجر ما يزال خارجاً..
أومأت الموظفة بنعم ...و التي لا تعرف حتى اللحظة أن نور تكون قريبة كريم،
غادرت الموظفة فشردت نور في الفستان وهي تتلمس قماشه الناعم المنسدل وبرقت عيناها بافتتان ..
فانتشلته بعدما ثارت مشاعر الأنثى بداخلها ، خرجت من غرفة القياس وحدقت بنفسها في المرآة مطولاً..ثم توجهت ناحية المرآة الكبيرة في المكتب وتوقفت قبالتها ..كان النور ساطع بشكل أقوى ..مما زاد من جمال تفاصيله وتفصيله المتقن ..
ودخل فجأة آخر شخص تتمنى نور رؤيته هذه اللحظة ...دخل وتوقف في ذهول أمامها وهي ...تدور وتدور وتدور مغمضة عيناها وتبتسم ذات الابتسامة التي تومض بقلبه عواصف هوجاء لا يقدر على السيطرة عليها ،
وتوقفت فجأة تلهث بفرح قبل أن تفتح عيناها فجأة و تتلاقى معه وجها بوجه...كان واقفاً أمامها...مفتونا فيها. مبهوتا بجمال ما تخيله قبل ساعات ورآه واقعاً أمامه ،
- لا...يمكن... أن تكون....هنا .
قالتها بلعثمة وصدرها يعلو ويهبط وقد انتقل اللون القرمزي من الفستان لوجهها الذي اشتعل خجلاً وارتباكا فاقترب أكثر هامساً: هذا مكتبي...من البديهي أن أتواجد فيه...يا سمو الأميرة .
عضت نور شفاهها بحرج وقالت بهدوء محاولة السيطرة على أعصابها المشدودة : هل ..تسمح الآن بالمغادرة أريد أن أغيره لأغادر ..مراد ينتظرني منذ ..

كتم كلماتها بكفه : حتى أبسط أحلامي المتعلقة بك قد تحققت ..فحققي لي حلمي الأكبر..,كان قبالتها ..جامد المعالم ...مذهول العينين كمن حصلت أمامه معجزة انتظرها طويلاً جداً..
أزاح كفه عن شفاهها أخيراً ولم يحد ببصره عنها .قال راجياً: تزوجي بي.
هل أركع على ركبتي امامك لتتأكدي أني أريدك أن تكوني ملكي...ومعي ؟
اختلجت ضلوعها بعنف وقالت بمرح مفتعل لتخفف من وطئ ارتباكها: هل هل ازداد طولك أم تهيأ لي؟؟ ثم حتى وإن ركعت على ركبتك..ستصير بطولي"
استدارت عنه : هيا انزل...انزل يا ابن المنصور أريد أن أغير ملابسي ..
تشنج فكه وهو لم يعد يفهم شيئاً..لماذا ترفضه في كل مرة ، لماذا لا تلقي بالا لمشاعره العاصفة تجاهها...لماذا لا تحس بما يعانيه !
تراجع عنها ثم خرج وهبط درجات السلم مسرعاً..
وماهي إلا دقائق لحين استبدال ملابسها و غادرت تجاه مراد ..,ولم ينسى كريم أمر ذلك الفستان...بل قام بوضعه بصندوق لائق وأوصله كهدية لنور بعد أيام برفقة رهف الذتي ذهبت لزيارتها ...كان منزل عمها محمد قربب من منزله... بذات الشارع.
وكان أمر كريم لرهف واضح ..أحضريها أريد أن نتحدث...
فهي منذ ذلك اليوم لم تجب على أي من اتصالاته ..ولم ترد على رسائله... ولم تكذب رهف بل أوصلت رسالة كريم كما هي لنور ،
فحسمت أمرها أخيرًا لعلها تضع نهاية لهذا الموضوع بعد تفكيرها لأيام ،
وقالت باستسلام : - حسنًا كما يشاء سأراه .و استقبلتها زوجة عمها أمينة هانم كما العادة بالقبلات والترحيبات الحارة ،
اقتادتها رهف بعد ذلك مباشرة إلى الحديقة حيث كان كريم ينتظر على أحر من الجمر :
لا تأخرها يا كريم فالعشاء سيجهز بعد دقائق فقط وكي لا تتأخر عن المنزل .
غادرت رهف وظلت نور برفقته....تلتمس هذا الفرح الذي يتملك منه ما إن يكون برفقتها ،

احتضنت كفيها ببعضهما وحدقت فيه...وحسمت أمرها بإخباره بعد تفكير عميق جداً امتد لأيام وأسابيع قبلها...
- لنتحدث رجاءً:
قالت تلك الكلمات وجلست على الكرسي فجلس قبالتها محاولا تكذيب عينيه...فما تود أن تبوح له فيه لن يكون كما يتمنى ...قال بتردد : أخبريني أنه أمر فيه الخير لنا سويا.
صمتت لبرهة قبل أن تقول وهي تقبض على كفيه : اسمعني جيداً...ولا تقاطعني.،
تعرف أنك أغلى شخص على قلبي بعد مراد وآدم..تلك الأيام التي عشتها بطفولتي بينكم لن تمحى ...كبرت وأنا تحت حمايتك ومافي قلبي تجاهك كان عميقاً لدرجة أنني خشيت أن تتحول براءة علاقتي بك لمنحى سيفرقنا ،
-نور...لا أرى خيراً في نهاية حديثك!
قالها بعجز فأغمضت عينيها لثوان ثم فتحتهما لتحدق بهلعه الواضح ...كريم كان خائفاً..خائف حقا!
أردفت وهي تشد من القبض على كفيه ،
-أنا اعرف صدق مشاعرك وأحترم جدًا كونك حاولت جعل الأمور فيما بيننا رسمية إلى حد ما بطلبي للزواج، ولكني لست مستعدة الآن ...لا أريد ولا أقدر ..أرى مستقبلا أكبر من مجرد زواج ومسؤولية لا امتلكها وأنا بهذا العمر ..
فقال بروية :
- لقد قلت ذلك سابقاً وأخبرتك حينها أننا الآن سنعلن خطوبتنا فقط ، ولست مطالبة بأي شيء .
مال بجذعه أكثر ناحيتها وأردف : ما أحتاجه انا فقط هو أن تكوني بجانبي، معي، أن نتحادث بدون خوف من أحد، أن اخرج برفقتك متى أشاء بصفةٍ رسمية وليس كما نفعل الآن بالسر ، أتظنين بأنني سعيد الآن بهذا التصرف ؟.
-أتفهم شعورك ...لكن ..

قاطعها مجدداً وهو يقلب يديه ليحتضن كفيها هو هذه المرة ..: لم أعد أتخيل أن أبعد لأيامٍ دون أن أراكِ فيهم، كنت كالمجنون طيلة الاسبوعين الماضيين ،حتى لم يعد باستطاعني السكوت عن تدخل آدم بك في كل شيء ، أريدك معي ، ملكي . ,سحبت كفها من بين يديه وأمالت برأسها إلى الأرض متنهدة .
- لماذا تقحم آدم في أحاديثنا دائماً؟
أجابها بنفور: لأنني أراه بيننا دائماً.
- أنت..أنت شاب رائع و تستحق من هي أفضل مني فعلاً ، أنا..لستُ مناسبة لك .
وقف قائلاً بانفعال بعدما استشعر رفضها له : وأنا أريدكِ أنت فقط، أتفهمين"
وقفت كذلك وأجابت : آسفة يا كريم لن أستطيع تحقيق مطلبك هذا، بداخلي شيء اقوى وأعمق من ارتباطي بك ..أنت...أنت شخصيتك مختلفة عني..طباعك..هواياتك القاسية العنيفة التي لا تناسبني...غضبك ...غضبك ونوباته التي أعرفها جيداً واخشاها..وسيطرتك على من حولك..
سحبها من كفها بعنف قبل أن تغادر وقال مكشرا :
-لست لعبة بيديك ترمينها متى شئت... تعطينني أملأ ثم تقومين بمحوه بضغطة زر ..
فصرخت فيه : ومن قال بأنك لعبة...كنت افكر ، افكر ألا يحق لي!!!
- هنالك أحد بحياتك ! انفرجت عيناها بصدمة وقالت : لا طبعاً ما هذه التخاريف .. أرأيت ما أحدثك عنك ..أرأيت مخاوفي! .
طال تحديقه بها ثم أفلتها ومسح وجهه بيديه قائلاً بجمود:
-على كل حال تحدثت مع والدك البارحة وأخبرته أن والداي مستعدان لزيارتكم للتحدث بشكل رسمي بموضوع الخطوبة بعد بضعة أيام ، فكري بشكلٍ عقلاني اكثر حتى ذلك الحين .
وغادرها لينهي النقاش لكنها هرولت تجاهه وأدارته بعنف ليواجهها:
-أخبرتك منذ لحظات أني لست مستعدة ولست موافقة ما بك ! .
اقترب منها أكثر وهو يزيح خصلة من شعرها من أمام وجهها وقال بتحد :

- لكن ربما يظن والدك أن ابن عمك أولى بكِ من الغريب مهمها طال تفكيرك .شهقت نور بصدمة من طريقته في الكلام فقالت بحدة وهي تبعد يده :نصيحتي لك الا تحرج نفسك، ولا تحرج عمي، فلست موافقة على الزواج بك أتفهم ، لاتظن بأني صغيرة على اتخاذ القرار ، هذه حياتي وأنا التي تقرر فقط بمن سترتبط ومتى .,وتركته مغادرة ..ضرب بقبضته على الشجرة المقابلة ولحق بها مسرعاً ،

- نور انتظري ، لم ننتهي بعد .

حاول أن ان يمسكها ليوقفها لكنها افلتت نفسها منه وتابعت المسير بحنق : بل انتهينا ، أنا الحمقاء التي جئت لملاقاتك ، كان علي أن أرفض فأنا أعرف طباعك جيداً.

فقال : إلى اين تظنين نفسك ذاهبة بهذا الوقت المتأخر، سأقلك إلى المنزل .,- لا احتاجك سأتصل بأخي ، تقدمت رهف وقد رأتهما من بعيد يتشاجران فقالت باستغراب : ما الأمر ؟ .,زفر كريم بعصبية وذهب ليجلس على الكرسي مجددًا وما تزال رهف واقفة برفقة نور تحاول فهم ما بها فقالت نور بحنق : أخبريه أني لا أريد.. لا أريد الزواج ولا الارتباط حالياً ليتركني وشأني ، هل الزواج بالإكراه ؟

فأجابت رهف لتهدئة للموقف .

-يبدو انه متوترٌ قليلاً فقط .

-ليست مشكلتي ولن تكون مشكلتي ..

-حسنا حاضر اهدئي الآن قبل أن تشعر والدتي رجاءً ،

اخرجت نور الهاتف لتحادث راغب لكن هاتفه بدا وكأنه مغلق! اتصلت في مراد : أرسل لي راغب ليقلني لا أستطيع الوصول إليه

تطلع مراد بساعة يده وقال بأسف : ليس متواجداً طلب الإذن بالذهاب وغادر ..

زفرت بانزعاج فانتشل كريم الهاتف من يد نور وقال لمراد : سأوصلها انا لا تقلق .

- أنت بالمنزل!؟ هل كل شيء على ما يرام عندكم ؟ أأرسل موظفاً آخر ؟
-لا مراد كل شيء بخير سأوصلها حالاً إلى المنزل"
صرخت به نور بعدما أغلق الخط: أكل شيء عندك بالإكراه!
قبض على ساعدها بعنف وجرها ورائه قائلا ً:
- أرجو أن تبتلعي لسانك ..اتفقنا
قالت رهف بخوف فهي تعرف جيداً حينما يغضب كريم : أخي رجاءً ليس بهذه الطريقة ..سأ سأذهب معكما!! .
-لا تتدخلي أنتِ.. "
دفع نور لداخل السيارة واستقل المقعد بجانبها وقذف بالهاتف على حجرها فاحتضنته قائلة بنفور :لا يعقل ...حقا لا يعقل كيف تنقلب إن لم لم تحصل على ما تريد! .
حدجها بنظرة قوية وقال بعصبية وانطلق بسيارته مسرعًا : لا أريد أن اسمع صوتك هذه اللحظة ...لو سمحت " أدارت وجهها ناحية النافذة ودمعت عينيها ..كان موقنة من أنها خسرته...خسرت عزيزها الأول بسبب مشاعر حب لم تستطع أن تبادلها إياها.. اتصل بها آدم لكنها لم تستطع أن تجيبه بل أغلقت الخط بأصابع ترتجف.لكن الهاتف عاود بالرنين بعد دقائق ،.ضغط كريم على الدواسة لتتوقف السيارة بجانب الطريق مصدرة صريراً عاليا فشهقت نور بخوف، اختطف الهاتف من يدها مجددًا وهتف بغضب ومن هذا الذي يتصل منذ ساعة ..
صرخت نور بكريم الذي أدرك اتصالات آدم ، وهو بين يديه اتصل مجددا ففتح الخط ليقول آدم فورًا : لماذا لا تجيبين على اتصالاتي أقلقتني حبيبتي"
شهقت نور وغطت فمها بيديها حينما استطاعت تمييز كلمات آدم.، قال كريم وهو يحدق بها : حبيبتك ! حبيبتك معي ، أتفهم يا آدم ما اعني ،
معي ...معي .أغلق الهاتف فضربته نور بقوة بغيظ وغضب وفتحت باب السيارة لتغادرها ..
عاود آدم الاتصال بها لكن هاتفها أصبح مقفلاً ، انتفض جسده بطريقة مروعة

دفع الكرسي بعنف واتجه ناحية مكتب مراد مقتحماً إياه وهو يحاول الاتصال بكريم الذي لا يجيب كذلك .
هتف به آدم ..
-إنها مع كريم .
انتفض مراد باستغراب صراخ آدم : أتقصد نور ؟ نعم كانت عندهم وقال إنه سيوصلها .
-اللعنة يا مراد ..
قالها آدم وهرول خارجاً من مقر الشركة " ********
قبض كريم على ساعديها وصار يهزها وهو يصرخ بعنف :
- منذ دقائق كنت تطربينني بشعارات عن احلامك ومستقبلك ودراستك التي سيمنعك الزواج عنها والآن يتصل حبيبك! كنت ترفضين حبي لأجله ! لأجل ذلك المدلل، ذلك العلقة الذي كسب تعاطف الجميع بحقارة ! ترفضين الزواج النظيف وتركضين وراء ستارة علاقة مقرفة والله أعلم ما الذي يدور بالخفاء
صفعته نور بعنف وقالت باكية : اخرس أيها الوقح لقد اكتفيت من جنونكو هل رأيت الجنون يا فاجرة !! هل رأيت الجنون بعد !

****

18

رد لها كريم الصفعة بأقوى منها فجمدت ملامح نور وهتفت بلوعة : هيا اضرب فأنا فاجرة فعلا، استحق أن تضربني !
شدت على قبضتيها وصارت تدفعه على صدره مراراً حتى ارتطم ظهره بجانب سيارته ،
استدارت عنه لتجهش بالبكاء فركل كريم الحصى بقدمه بعنف وهو يصرخ بصوت هادر استدار وضرب زجاج باب السيارة بقبضة يده ليتهشم الزجاج وتنزف دمائه بغزارة.صرخت برعب و تعالى صوت تنفسه فاستدار متجاهلا إياها ليجلس على الأرض وهو يحتضن رأسه بقبضتيه عله يهدأ قليلا .انزلقت

نور كذلك على الأرض واستندت بظهرها على السيارة وهي تشهق شهقات متواصلة .
عشر دقائق مرت عليهما وهاتف كريم لم يكف على الرنين لحظة واحدة دون أن يجيب وهو يعرف من المتصل حتماً حتى أقفله*****
دخلت رهف بتوتر إلى الصالة فقالت والدتها باستغراب : أين ابنة عمك والدتها اتصلت وتسأل عنها وقالت أنها تتصل بها لكن هاتفها مغلق ؟
-ذهبت .
متى ! هل جاء السائق لاصطحابها ؟
أجابت رهف وهي تصعد درجات السلم هاربة من الأسئلة :بل كريم ..وصل لتوه وذهب لإيصالها يبدو أن هاتفها قد نفذ شحنه طمأنيها رجاءً أمي كيلا تقلق " أغلقت الباب خلفها وهي ترتجف من نوبات جنون شقيقها فهي تعرفه عندما يغضب، اخرجت الهاتف واتصلت بمراد الذي كان يستقل سيارة أجرى ليتبع آدم بعدما أخذ آدم سيارته لينطلق ناحية منزل كريم عله يجدهما في طريقه، أجابها فقالت بسرعة وبصوت خفيض : رجاءً يا مراد الحق بكريم فقد تشاجر مع نور و ءء.
هتف بها بحدة : لحظة واحدة، ما الذي جرى بالضبط ؟! .
تنحنحت رهف بارتباك وأجابت : تشاجر مع نور رفضت أن يوصلها الى منزلكم فسحبها بالغصب الى السيارة، والدتك اتصلت وهي قلقة أرجوك تصرف، طمأنها أولا ثم الحق بهما دون أن يعلم الكبار فيقعان بمشكلة ! "
-بل صدقيني ستقعان بمشكلة أنت وأخوكِ الليلة :
قالها بحنق و أغلق الخط بعصبية وقال للسائق: لا تضيعه رجاءً
أومئ السائق وزاد من سرعته كي يلحق بسيارة آدم بينما مراد اتصل مجددًا بكريم الذي اصبح هاتفه خارج نطاق الخدمة.. ! .
ضرب على ركبتيه بعصبية وهو يتمتم : اللعنة يا كريم أين انتما !!
*****
نهض كريم من مكانه واستدار ناحيتها وتقدم خطوتين وقال بصوت خشن :

قفي .
تطلعت به بعيون باكية فانحنى تجاهها وسحبها من يدها لتقف بينما يده ما تزال تنزف ، جزعت من منظر الدماء فرفع وجهها بيده وقال بألم وهو ينظر لآثار الصفعة : آسف على ما جرى ...آسف .
لم تكف عن البكاء وهي تنظر إليه فقال مجددًا وهو يمسح على شعرها بألم يكاد يشطره نصفين : - سامحيني ، لتكسر يدي على ضربك .
وهمس مجدداً بصوت متحشرج : لن يتكرر الأمر أقسم بذلك، أعتذر عن كل كلمة نطقتها ، أعتذر منك .."
قالت بوهن : يدك تنزف بغزارة ،
استدارت ناحية السيارة وأخرجت منها صندوق المناديل الورقية وسحبت بضع وريقات منها لتضغط على كفه لإيقاف النزيف فقال وهو لا يحيد ببصره عنها : كيف لي أن أكف عن حبك وانت بهذه الطيبة والنقاء ! لو طلبت مني الموت لكان أهون علي من أن اتخلى عنكِ له " انشغلت بالضغط على كفه بالمناديا وقالت دون ان تنظر اليه :
- كريم رجاءً يكفي ما جرى حتى الآن ؛ اصعد السيارة ولنتوجه إلى المستشفى تحتاج يدك إلى تقطيب .
- أتعلمين ،.
صمت لبرهة ثم أردف ساخراً من نفسه :
- قلبي الآن من يحتاج إلى تقطيب " ,لمح آدم سيارة كريم متوقفة على جانب الطريق المعاكس، توقف من فوره وهرول مسرعاً ليقطع الشارع وتوقف من خلفه التاكسي الذي يستقله مراد وركض ورائه .غرق كريم أكثر بعينيها المحمرتين بسبب بكائها لكنه شعر بتعب مفاجئ ..أظلمت الدنيا بعينيه فاستند بكفه بجانبها على السياره وصدره يعلو ويهبط، تسائلت نور بقلق : ما بك كريم هل أنت بخير !
استكان برأسه بجانبها مباشرة على السيارة فهتفت بجزع وهي تسنده : كريم مابك ؟

- بخير... بخير لا تقلقي "
قالها بصعوبة لكن صوت صرخة عنيفة صدرت من آدم قبل أن ينقض عليه ليبعده عنها فخر كريم على ركبتيه وقد خارت قواه وما زال يشعر بدوار عنيف، حاول أن يتهجم عليه مجدداً لكن مراد استطاع أن يلحق به ويكبله بعزيمة فهدر صوته صارخاً بكريم : أيها النذل عديم الأخلاق ما الذي فعلته "حاول التملص من تكبيل مراد الذي هدر صوته بعدما استبان الدماء التي تغرقهما : - كف عن غبائك ولنفهم ما الذي يجري أولاً "
حانت منهما التفاته الى النور التي هرعت من فورها تجاه كريم الذي جاهد ليقف مجدداً لترى ما به وهي تهتف: كفا عن ذلك رجاءً ،إنه ليس على ما يرام..

تركه مراد وهرول ناحية نور وتسائل بقلق : هل انت بخير ما الذي حدث ؟
-أنا بخير ،.لقد كسر الزجاج بقبضة يده "
فاستدار مراد تجاهه قائلا ً : هيا اصعد الى السيارة
وأكمل لآدم أوصل نور الى المنزل وإياكما ان تخبرا أحداً عما جرى " .
توقف ناحية نور التي تلطخ جانب وجهها وجسدها بدماء كريم وتسائل بفزع حقيقي : هل انت بخير هل آذاك ؟ اخبريني "
هزت رأسها بنفي وعينيها معلقتين عليه، استقل كريم السيارة برفقة مراد الذي انطلق من فوره وكريم ينظر إليهما بألم سحق روحه عندما احتضنت آدم لتبكي على صدره وهي تهتف : لم ارغب بأن تصل الأمور لهذا الحد ، كله بسببي !
مسح على شعرها محاولا تهدأتها بينما عيناه تدوران على الأرض، المناديل الورقية الملطخة بالدماء والزجاج المتناثر ! تسائل مجددًا بعدما استكانت على صدره وهدأت : هل آذاك ، ارحميني واخبريني أكاد أجن "
ابتعدت عنه وهزت رأسها بنفي : تعرف أن كريم لا يستطيع إيذائي ...لقد آذى نفسه فقط .
اقتادها الى السيارة وجلسا فيها فأرجعت راسها على ظهر المقعد فسأل : مالذي

جرى ؟ أيمكنك إخباري "
-ليس الآن"
ضغط بقوة على المقود حتى كاد أن يكسره تحت قبضته ..قطب حاجبيه وهز رأسه قائلاً : ستقلق والدتك إن رأتك بهذا الشكل، سأبتاع لك بعض الملابس لتستبدليها وتنظفي نفسك .
-أين ؟
ارجعت رأسها إلى الوراء وقد تملكها الصداع في حين انطلق آدم بالسيارة إلى أقرب متجر لبيع الألبسة،
ابتاع لها قميصاً وعاد إليها حيث كانت تحلس في السيارة تركن رأسها على الزجاج..ثم انطلق بها مجدداً إلى مقر الشركة، كان الحارس يجلس على الكرسي تناقش معه قليلاً وأكد عليه بألا يخبر رضوان أو غيره عما بها ثم دخلا وتوجها مباشرة ناحية الحمامات فقال : سأنتظرك أمام الباب غيري ثيابك ونظفي نفسك جيداً *******
خرجا من المستشفى بعدما تم تضميد يده
فسأله مراد بانزعاج: ارتفع ضغطك !! إلى الآن لم أفهم سببًا لذلك ! ما الذي جرى ؟
أشاح كريم ببصره إلى النافذة مجيبا : كنت غاضباً واستفزتني نور بعنادها "
- فقط!
-أهو تحقيق ؟!! .
هتف بها كريم ليرفع مراد حاجبيه ويجيب ساخطا ً: -نعم ، عندما يتعلق الأمر بأختي سيكون تحقيقاً وأنت مطالب بالتفسير حتماً ولا يغرك بأني سمحت لك بإيصالها فتخون ثقتي "
-لم أخن ثقتك !
ثم زفر كريم بقوة وهو يرجع رأسه إلى الوراء وأجاب بكريقته المستفزة : سأقدم لك التقرير في وقت لاحق "
حدجه مراد بنظرة غضب واكمل القيادة .. اغمض كريم عيناه باستسلام حتى

ركن مراد السيارة وقال : وصلنا " فتح كريم عيناه ثم قال بصدمة : لما لم تكمل إلى منزلي ؟
ترجل مراد من السيارة ثم التف وفتح باب مقعد كريم ليقول بحدة : لم ينتهي الموضوع بالنسبة لي ، سنصعد الآن إلى شقة آدم لنتفاهم "
ترجل كريم وأجاب ساخطاً : لن أخطو داخل شقته ، إن كنت تريد تبريرات لما قمت به سأخبرك هنا أو بأي مكان خارجاً",دفعه مراد بعنف الى الداخل ليقول بغضب : بل سترافقني فله دخل في الموضوع كذلك ولا نريد لأحد من العائلة أن يعرف وطبعاً هذا لمصلحتك أولا ",جز كريم على أسنانه بغيظ وتبعه على مضض ليصعدا، طرق مراد الباب ففتح آدم بعد لحظات وانفرجت عيناه على كريم وقبل أن يحرك شفاهه قال مراد بحدة : إن فتحت فمك أنت الآخر سأضربك بالحذاء على رأسك السميك ، هيا تقدما أمامي إلى الداخل ولا أريد لصوتيكما أن يرتفعا مفهوم " ,ترك آدم الباب مفتوحاً ودخل إلى الصالة ليرتمي على الأريكة وعيناه لا تنزاحان عن كريم الذي جلس على الأريكة المقابلة وأشعل سيجارا ليدخنه بعصبية وما زالت نظراتهما مشتعلة من الغضب "
قلب مراد بصره بينهما وتمتم بنفاذ صبر : لا حول ولا قوة إلا بالله ، هل انتهت حرب النظرات الآن أم انتظر ساعة أخرى ! .
قال كريم بحدة : يا لدماثتك يا أخي ! "
فأجاب مراد وهو يجلس كذلك :
-حسناً سيد كريم تفضل وارمي ما بجعبتك وأخبرني ما سبب المشكلة ؟
حدق كريم على الأرض ليهدأ نفسه ثم أجاب : اختك مستفزة بأجوبتها " ,فنهض آدم وهتف به : لا تتحدث عنها بهذه الطريقة افهمت " فقال مراد وهو يسحب آدم بعنف ليرتد جالساً على الاريكة : ولا تقفز انت كالقردة كلما نطق هو بحرف !
- احترم نفسك مراد لست أنقصك " قالها آدم فأجاب مراد بسخرية : حسناً احترمتها اصمت ودعه يكمل حديثه "
أردف كريم بعد لحظات : تشاجرنا غضبت وسحبتها لداخل السيارة لإيصالها

فلم تصمت عن ثرثرتها الاستفزازية توقفنا وأكمل شجارنا التافه فضربت الزجاج ، هذه هي المسألة .تقدم منه آدم ليقول بحدة : لما اشتم رائحة كذب بحديثك ؟
-بل رائحة الخداع والكذب تفوح منك أنت لا من حديثي "
فصررخ بهما مراد وهو يبعد آدم بكفه : اللعنة عليكما كفا عن العراك للحظة فقط !!*******

19((1980))دلف عابد لمنزل العجوز بعد يوم طويل قضاه خارجاً وهو يتواصل مع رجاله لمعرفة آخر التطورات، تركت رغد المطبخ وهرولت ناحيته تسأل بلهفة : متى سنغادر ؟ هل هدأت الأوضاع ؟
حاول جعل تعابير وجهه طبيعية قدر المستطاع كيلا تشعر بشيء وقال وهو يرتمي على الأريكة : معنا بضع أيام أخرى الأمور معقدة "
جلست على الأريكة المقابلة بيأس وقالت : ولكنك وعدتني !
حدق فيها وقال بصدق : أنا عند وعدي لكن ستسافرين إلى مدينة أخرى "
! لما لن أسافر وأترك جامعتي هنا وأبي !
قاطعها قائلاً بنفاذ صبر : قلت لك أن الأمور معقدة والبقاء هنا خطرٌ عليك"
- وأبي هل هو بخير ؟
عند هذا السؤال تلاقت عيناهما، شعرت بانقباضة قوية داخل صدرها فعاودت السؤال بلهفة أكبر، نهض من مجلسه فتطلعت به العجوز من أمام الباب وقد فهمت ما الذي جرى لكنه ظل صامتاً، هرعت رغد بجنون وتمسكت بياقة قميصه وصارت تصرخ بهستيريا : أخبرني ما الذي جرى له ؟ رجفة زلزت كيانه ولأول مرة يشعر بالضعف يجتز صلابته أمام أحدهم بل أمام عينين واسعتين بلون الرماد المصفى ! ،لم يكن سابقاً بهذا الضعف ما الذي جرى الآن، هل يشعر بالشفقة ! تلك الكلمة كان قد محاها من قاموسه والآن أمام عينيها يشعر بالضياع، بالشفقة ، بالألم، هو ذاته الشعور الذي لسعه حينما

قبضوا على والده قبل أن يقتلوه..،ذات الألم الذي اكتوى به حينما قتلوا والدته، عادت تلك الحادثة تطرق ذاكرته، بل صارت تضرب ذاكرته ضرباتٍ عنيفة كخبطات الموت الذي يحيط به من كان جانب ، ,قبض على كفيها القابضين على قميصه : نطق حروفها المميتة : آسف، مات والدك ،قتلوه " انفرجت عيناها بصدمة ترسخت على تقاسيم وجهها، وكأن تلك الكلمة قد صارت شياطين تتراقص بينهما ، مات ،.
اقترن نطقه لحروفها بحروف قالها إحدى رجال عمه وهو يسحبه معه ...مات والدك ، أعدموه "
ردموا قبر والديه بالتراب وروحه منذ ذلك الحين ظلت حبيسه قبريهما ولم تخرج تلك الروح إلا هذه الليلة ! صارت تضربه على صدره بعنف وهي تصرخ بهستيريا شاتمة إياه وقد خارت قواها وبلحظة وبدون وعي أو إدراك منه صارت حبيسة ذراعيه، دفنها بصدره رغم مقاومتها العنيفة له، على الرغم من أنها لسعته بشتائمها،إلا أنها تشبثت بقميصه انهارت دموعها لتروي صدره كأمطار من نيران تحرق فؤاده، تعالت وتيرة نبضات قلبه الحاقدة على الحياة بحد ذاتها، على عمه ،على والدها الذي أصر أن يسوقه قدره لمجابهة الوطواط ! على القدر الذي ألقاها بين يديه، وعند هذه الفكرة لم يستطع التخلي عنها ،بل شد بذراعيه عليها أكثر : همس بصدق : ما الذنب ذنبي " لم يكن ذنبه أن الحياة اختارت له هذه المعيشة، ولم يكن كذلك ذنبها أنها الآن حبيسة ذراعي من كان سبباً في مقتل والدها .
ولربما كفت ساعة الحائط عن احتساب الزمان ، كف قلبه عن ضخ الدماء بل مهمته الآن انحصرت في أن ينبض فقط، ينبض بعنف وإصرار نبضات على الرغم من قسوتها إلا أنها بثت السكينة في ثنايا روحيهما لتستكين على صدره بصمت ،تراجع إلى الوراء خطوين ليرتد جالساً على الأريكة ولم تبتعد عنه بل ظلت متمسكة بقميصه وكأنه صار المخدر بالنسبة لها، صحيح أنها فقدت والدها لكنها وبهذه اللحظة لم تشعر إلا بالأمان، الأمان مع جلادها ..الذي قدم لها كأس الموت فشربته دفقة واحدة..*****الوقت الحاضر,دلف مراد إلى

المنزل فهرولت أليسا كعادتها لتستقبله ببسمة عاشقة تبرعمت على يديه، بفرحة طفلة صغيرة تتعلق بساق والدها عند مجيئه من عمله، حدق فيها بنظرات حانية كعادته، لف ذراعه على خاصرتها وهما يدلفان إلى الصالة ليلقي السلام على الجميع وفيما بينهم يجلس آدم ونور التي التصقت بوالدتها وهي تتابع فيلمها المفضل، جلست أليسا بجانب مراد وهي تثرثر كعادتها عما فعلته بهذا اليوم وهو يستمع إليها، ما زالت فعلا طفلة لم تكبر ، مسحة البراءة والبريق النقي بعينيها لم ينطفآ بعد ولم يرغب أبدا في أن ينطفآ، كذب حين قال أن يريدها امرأة ناضجة ، كذب حينما أخبرها بأن تنخلع عن عالم الطفولة ، بل يريدها كما هي... بهذه البراءة والعفوية التي تتفقدها روحه

تطلع رضوان في مراد قائلاً بجدية : هنالك موضوع قد تم فتحه منذ فترة، والآن أظنه الوقت المناسب للحديث فيه "

قدمت الخادمة القهوة للجميع فتناول مراد قهوته وحدق به باهتمام فقال رضوان :

-تقدم كريم منذ فترة بطلب نور للزواج واليوم فاتحني عمك بالموضوع مجدداً

" عند هذه اللحظة سقط الفنجان من يد آدم لتتناثر شظاياه على الأرض وهو يحدق بصدمة بوجه رضوان "

فقالت عسل بتذمر : كسرت فنجاناً من الطقم الجديد يا مغفل !!

- عيب يا عسل ! " قالتها عبير بعتاب لابنتها و انفرجت عينا نور بصدمة على آدم الذي تنبه بارتباك لعيون الجميع التي حطت عليه، اتسعت عينا مراد وقد فهم الآن سر الشجار الذي لم يخبره كريم إياه... قال بجدية: لم تخبروني بهذا سابقاً، لكن اظن نور ما تزال صغيرة على هذا الموضوع .ابتلع آدم لعابه بصعوبة وهو يستجدي مراد بعينيه اللتين احتقنتا من الغضب، بينما عمه لم يرحمه بل لسعه بسوط كلماته مجددا : يطلبون إقامة خطبة مبدأيا، وأظنه أنه مناسب لنور فهو خلوق ومحترم "

ثم استدار ناحية آدم ليردف : ما رأيك يا آدم ؟ - رأيي !! نطقها آدم بمرارة وبالكاد خرجت حروف كلمتها ،.

- أنا...لا رأي لي... عن اذنكم" وغادر الشقة حانقاً ودفع الباب بيده " انفرجت عينا رضوان على انفعاله الواضح وعاود الحديث :
-ما يهم الآن هو رأيك يا نور " تبسم مراد ونظر الى نور التي دمعت عيناها بذهول فحاولت مداراة دموعها ...يستحيل أن تتفاهم مع كريم العصبي حاد المزاج، على الرغم من أنه صديق طفولته لكنه يستحيل أن يسلم شقيقته لحقل ألغام ! ..قال بهدوء :
- أظن أن الوقت ليس مناسباً الآن للحديث بهذه المواضيع يا أبي، ما تزال نور صغيرة أليس كذلك ؟
قالت إليسا بعفوية: ليست صغيرة إن نور أكبر مني..
حانت من مراد التفاتة إلى اليسا وحدجها بنظرة قوية جعلتها تصمت وتنكمش على نفسها خوفاً من أن تكون قد أخطأت. .تعلقت عيني نور بأخيها وهزت رأسها بخوف ثم قالت بتلعثم: آسفة يا والدي ، لكني لا أريد الآن سوى أن أدرس " - أفهم منك الآن أنك لست موافقة عليه أم أنك تودين تأجيل الموضوع بضع سنوات لحين استكمال دراستك كي أعرف بما أجيبه ؟ .اطرقت نور برأسها إلى الأرض واعتصرت كفيها ببعضهما بارتباك فقال مراد بجدية : لن نجبرك على شيء، أجيبي بصراحة دون خجل "
فاومئ رضوان مؤيداً كلمات ابنه، رفعت بصرها ناحية والدها وتمتمت بخفوت : لا أريده "
هز رضوان راسه بتفهم وقال بوقار : سنبلغهم قرارك "
تنهدت بارتياح و هربت من أمامهم لتصعد إلى غرفتها ..
استدارت عبير تجاه رضوان وقالت : أشعرت بشيء غير طبيعي ؟
حدق بها رضوان بعدم فهم وتسائل : مثل ماذا ؟
أطرقت عبير براسها بتفكير عميق ثم قالت له : أنا أشك بموضوع ، وما إن أتيقن منه سأخبرك "
- حسناً كما تشائين " دفع مراد الباب ودخل ليرى نور متربعة على السرير كمن يمارس اليوغا !

تبسم وهو يمد كفه ناحيتها: أتسمحين بأن ترافقيتي إلى الخارج...الجو جميل .
حدقت بعيني مراد وقد أدركت أنه يريد أن يستنطقها..حسنا فليفعل لا شي أخاف منه..
همهمت بينها وبين نفسها ثم مدت كفها ليقبض مراد عليها ويخرجان ناحية حديقة المنزل ..توقفا بعدما استجمع مراد توازن تفكيره وقال بهدوء وهي يحدق بعيني شقيقته:
- والآن أيتها الصغيرة ...لنحكي القصة منذ البداية.
-أي..أي قصة مراد؟
حك جبينه محاولا انتقاء كلماته وأردف: منذ عامين وأنت تعملين عند كريم بالتصوير، وكنا نسمح لك كي تجربي ...لكن وعلى ما يبدو أن الموضوع اتخذ منحا آخر من ابن عمك.
احتقن وجهها خجلاً وارتباكا وهمهمت: و...وما ذنبي.
- هل فاتحك بالموضوع من قبل أن يطلب من والده خطبتك!
كانت عيني مراد كعيني الصقر. ..حادتان مخيفتان وواثقتان وهو يستنطقها، لا تصدق أن أخوها الآن يستنطقها بعيداً عن الجميع!
ابتلعت ريقها وأجابت بجلادة : نعم.
- فرفضته و تشاجرتما لذلك السبب في السيارة منذ عدة أيام أليس كذلك؟
-أخي...أقسم لك أنني..."
اغتال كلماتها وهو يربت على كتفيها: أنا لا أطالبك بتبرير أي شيء، والملام ليس أنت، أنت ما تزالين صغيرة والمستقبل أمامك .
صمت هنيهة وأردف : لنأتي الآن للموضوع الأهم: لماذا رفضتي كريم؟
-انت قلتها أريد أن أستكمل دراستي..لا أفكر الآن سوى بالدراسة .
اقترب منها أكثر مازحاً ليخفف من توترها: يعني..لو تقدم لك عريس آخر سترفضيه كذلك أم أن الأمر متعلق بكريم فقط!
- سأرفض كل من يتقدم.
-لنأتي للشق الآخر من الموضوع...هل فاتحك أحد غير كريم بمسألة الزواج؟

اشتدت قبضتا يديها على جانبيها وتمتمت بنفي فاعتصر كتفيها براحتي يديه:
حدقي بعيني لنرى...ما سبب انزعاج آدم اليوم؟
شحب وجهها وامتقع فالتمعت عيني الصقر وابتسم بزاوية فمه وقد فهم الموضوع:
-هل تكنين أية مشاعر له؟
- مراد ما هذه الأسئلة الغريبة ؟!
رفع مراد حاجبيه ثم غمغم: يراقبنا الأحمق من شرفة غرفته إنه خائف ومتوتر
أدارت نور عينيها قليلاً لأعلى لترى آدم واقفاً فأشاحات بوجهها فوراً ناحية مراد وقد تلفت أعصابها ..لتعطيه ما يريد سماعه ولتنهي المسألة ..فشددت على حروفها : لو طلب (براد بيت) يدي شخصياً هذه الفترة لن أوافق...أريد أن أدرس..نقطة انتهى.
اعتصر مراد عنقها من الخلف بكفه وغمغم باسما: -إذن...من الآن فصاعدا ستكفين عن معاملة الجميع بأريحية و لن تذهبي لمتجر كريم ..جلسات التصوير ستتوقف...حتى آدم لن يوصلك بعد الآن لأي مكان بمفردك منذ هذه اللحظة..مفهوم.
اغمضت نور عينيها وقد ارتعدت أوصالها...تغييرات جذرية ستحصل في القريب لكنها لم تستطع رفض تعليمات شقيقها..بل لعلها أفضل، هزت رأسها موافقة فقرصها من وجنتها وقبل أن يغادر قال بهدوء :
-اعترف لي آدم كما اعترف لك....أنه يكن مشاعر لك...
تعالت نبضات قلبها بالتزامن مع اتساع حدقتيها
قال مراد.محذرا: لن تتواصلي مع آدم حتى يتخذ خطوة جدية ...وإن كان لا بد ستتم خطوبتكما وانت حرة بعدها إن أردت الزواج منه أو استكمال دراستك..أنا أمنحك ثقتي كاملة فتعاملي على هذا الأساس..
وغادر من أمامها بعد أن رأى معالم الذهول مرتسمة على وجهها...,رن هاتفها بعد دقائق قليلة وهي مرتمية على المقعد في حديقة المنزل لا تقوى على النهوض...كان آدم. يهاتفها ليعرف ما حدث لكنها تجاهلت اتصالاته..فلا قدرة

لها على مواجهة أخرى يكفيها هذه الليلة ما جرى ! ******
بعد اسبوعين من اختفاء كريم من حياتها اختفاء جزئياً...ومع رفضها القاطع له إلا أنها شعرت بالألم على اختلاع شخص كان من أقرب المقربين لها ..
هو من جعلها بدفعة منه تتناسى دراسة التصوير وتتفتح على آفاق كانت غائبة عنها ،
كفيديو لطبيبة كانت ذات يوم ظاهرة وهي تسعف جريح .. لا تعلم لماذا رنت كلماته كأجراس بأذنيها...
تخيلي أنك طبيبة ترتدين المريول الأبيض وتقومين بعلاج المرضى... دكتورة نور ..ياه ما أجمل هذا اللقب"
حدقت فيه بتمعن وصورة الطبيبة لا تزال تعرض على شاشة التلفاز ،
الدكتورة نور! أعجبها هذا اللقب..أعجبتها جرأته في تحوير اهتماماتها المحمومة في التصوير إلى عمل أكثر إنسانية وواقعية ...التصوير
هواية ..هواية ما كانت تطلب منها إلا إبراز كل جميل..موهبة سترافقها طيلة حياتها ..كالرسم أو ممارسة الرياضة ..أما أن تكون طبيبة ...يعني أن تساعد على أرض معركة الحياة..أن تداوي، أن تعالج ..أن تعطي أملا لإنسان في الحياة بمشيئة الله..ومن حينها انكبت على الدراسة بجهد وتصميم...وكأنها اختلعت افكار نور القديمة لتحل محلها أنثى أخرى ،
حينما تنظر إلى الوراء...ترى أنها صنيعة أفكار كريم دون أن تدرك ذلك بوقتها .وكأنما استدراجها لتقع في الفخ ...وحين وقعت ألقى لها حبل الإنقاذ بشروطه هو ،
والآن تشعر بالخيانة ...بخيانته وخيانة شعور جميل لم يستطيع كريم أن يحافظ على براءته تحت مسمى الحب الذي استحوذ على تفكيره تجاهها ...أما آدم فقد فهم حتماً فحوة الرسالة التي أرسلها مراد له...بل قالها علانية ،
لن يعود شيء كما السابق إلا بعد أن تتخذ خطوة جدية تجاهها..,اتصلت عبير بآدم ذات مساء وأخبرته بأن يقل نور من منزل صديقتها بعد عودته من مقر الشركة فالليل قد حل ولن تستطيع العودة بمفردها، كان يتخذ الدراجة

الكهربائية وسيلته الرئيسية للتنقل كونه اعتاد على حريته وهو يستقلها، يعشق السرعة العالية ولسعات الهواء التي تشعره بحريته بعيدا ً عن قيود السيارة، ولم يأبه لكلام مراد عن أهميه استقلاله السيارة معه على الأقل أمام عيون موظفي الشركة ..لم تكن المظاهر ولا الاستعراض من ضمن تفكيره ولا الثراء الذي يتنعمون فيه ...فما هو إلا شاب طموح يحاول شق طريقه وسط ضباب ماضيه.

وماهي إلا دقائق حتى لبى آدم نداء قلبه واجبه وتوجه ناحية منزل صديقة نور، فهذا كان طلب خاص من خالته ولن يرد مطلبها حتماً .. فلتحترق تعليمات مراد هذه الليلة!

توقف امام منزل صديقتها في الوقت الذي خرجت فيه..

-إن كنت جاهزة فلنغادر "

استقلت الدراجة النارية فهمهم بابتسامة:

-تمسكي بي جيداً ،

-هكذا جيد .

-نور ستقعين هكذا ...تمسكي الآن وبعدما نصل بإمكانك مخاصمتي من جديد!

تمسكت بقميصة أكثر دون أن تتفوه بحرف فانطلق بدراجته وبعد دقائق من الصمت المزعج سألها :

- أستخاصمينني مطولا نوارتي ؟

ليس من عادة نور أن تصمت لأكثر من خمس دقائق متواصلة، وخاصة عندما تكون برفقته ،لكن جرى بينهما منذ عدة أيام وعلى ما يبدو قد فهمت معناه أخيرا لتتخذ منهجاً آخر لتعامله به، أجابت دون أن تكلف نفسها عناء النظر إليه :

- سأخاصمك أبد الدهر ..شق وجهه عن ابتسامة عريضة وشد بقبضة يديه على مقود الدراجة وهو يحارب ضحكاته من التصاعد وأزاد من السرعة وعاد يسألها :

-وما الذي أخبرتك به ؟

-من ؟
-إليسا بيت أسرارك "
عقدت حاجبيها بغضب وخجل وتمتمت بسخط :
- بأنك وقح و ...
-وماذا أكملي !
زفرت بقوة وأجابت باندفاع : انت وقح وغبي و...تستحق الحرق ...وسأخبر ماما ومراد عما قلته لي ذلك اليوم .,تمالك نفسه أخيراً من نوبة الضحك التي اجتاحته ليوقف الدراجة على الجانب الطريق حينما لاحت له حديقة صغيرة
-انزلي لنتحدث...لم اعرف أن اتكلم معك كلمتين منذ ذلك اليوم:
هزت كتفيها برفض فسحب المفاتيح قائلا بحزم : -إذن لن أبرح مكاني "
وتقدم ناحية المقعد الخشبي ليرتمي عليه ويعقد ذراعيه على صدره باستمتاع ليزداد غيظها منه وتهتف : ماذا تريد ؟ ,- تعالي " انصاعت لمطلبه على مضض ونزلت من على الدراجة لتجلس بجانبه على المقعد تأملها قليلاً قبل أن يتحدث : -لا أعرف صراحة ما الذي أزعجك؟
رفعت حاجبها بدهشة : ألا تعرف...الذي جرى طبيعي برأيك بعد أن نهاك أخي عن التواصل معي إلا لشيء ضروري..!
حك حاجبيه ثم استطرد وهو يستدير ليواجهها بجسده كاملاً:
-وضعفت اعترف ..أنت لماذا لم توقفيني وأغفلت تعليمات مراد.
عضو شفاهها وغمغمت: كان على أن أضربك ..
- صحيح..أصبحت ناضجةً كفاية لتضعي حدوداً لا يجوز لأحد اختراقها حتى أقرب الناس إليكِ ...خاصة الرجال وأيا كانت علاقتك بهم لاتكوني أبدا بتلك العفوية احمي نفسك منهم، محيطك ليس بتلك البرائة التي تتخيلينها .
فقالت بعناد :
لكنك تعرف جيدًا بأني أضع الحدود للجميع وبجميع الأحوال هذا ليس موضوعنا !
قالتها بعناد ليجيبها بثقة وبجدية: بل هذا هو موضوعنا الأساسي، لا تعطي

الفرصة لأحد بالتمادي معك " - لكنك تماديت معي..
هتفت بها وهي تتطلع بعينيه بعتاب كبير فرد بجدية : حتى أنا ،.أو لأكون واضحاً أكثر أو وقحاً ، خاصة أنا احمي نفسك مني، فبالنهاية أنا رجل "
أردف بذات الأسلوب وهو يبتسم بحنو ويميل بجذعه أكثر ناحيتها : حتى ولو كنت أحبك ولي مكانة خاصة بقلبك، وأعترف أني تجاوزت حدودي بذلك اليوم في الحديقة، بإرادة مني أو بدون إرادة... لا أستطيع في كل مرة السيطرة على مشاعري.،
كان عليكِ أن تمنعيني ..لكنها عادتك... لا تتنبهين للخطر بلحظتها بمن تثقين بمن حولك ثقة عمياء"
احتضن كفها بيده وشد عليها قائلاً وهو يتأمل عينيها الصافيتين : أنا خائفٌ عليكِ، أخافُ عليكِ حتى مني ، أتفهمين ذلك .-آدم...أنا ...أثق فيك أكثر من نفسي وأعرف أنك لن تؤذيني بقول أو فعل ولولا هذه الثقة ما رافقتك لأي مكان..ما كان أحد من عائلتنا استأمنك علي ، "
تنفس بعمق مجيبا: وأنا لن أخون هذه الثقة ...كيف لي أخون نفسي وشرفي ..,تبسمت بسعادة وهي تستمع لكلماته الصادقة، ابتسامة جعلت ضربات قلبه تتواثب من مكانها فقال وهو ينهض ويسحبها معه : أعطني القليل من الوقت ...فقط القليل لأستجمع نفسي ولأرى وضعي الجديد في العمل وبعدها سنبدأ حياة جديدة .
- لا زواج قبل أن أنهي دراستي" قالتها بحزم فضحك ملئ صوته: الزواج يسبب لك عقدة على ما يبدو!
غمغمت بخجل وهي تتحاشى النظر إليه: هذا الوقت لاستجماع نفسك...أحتاجه أنا أيضاً..لمعرفة وضعي الجديد إن قبلت بكلية الطب .
- تحت أمرك...هيا نتكلم بهذا الموضع لاحقاً كيلا نتأخر حبيبتي" ,لكم صارت تعشق حروف هذه الكلمة التي وعلى الرغم من أنه نطقها مئات المرات حتى الآن إلا أنها وكل مرة كأنها تسمعها منه للمرة الأولى ! تقدما ناحية الدراجة وجلس على مقعده متنهدًا بعمق، تمسكت بقميصه قبل أن ينطلق من جديد وعاد

بذاكرته لسبب غضبها منه منذ لثلاثة أيام مضت ،,فعلى طاولة العشاء وحينما قالت له بابتسامة مصطنعة :
-تذوقها إنها لذيذة " وأطعمته بالملعقة لتزداد ابتسامة انتصارها، بصق آدم ما بفمه على المنديل هاتفا بغيظ :
- نووووور !
هربت نور من أمام طاولة الطعام وهي تمد لسانها بشقاوة لتتعالى ضحكاتها لتثير حنقه وهرولت إلى الحديقة الخارجية وكان مراد قد وصل لتوه من العمل بعدما طلبت إليسا منه أن تقضي الليلة بمنزل عائلتها، ترجل من سيارته فصرخ آدم بحنق وهو يحاول اللحاق بها : إمسك تلك الفأرة قبل أن أجتزها بأسناني ! دارت نور خلف مراد وتشبثت بقميصه تحتمي به فعاود آدم الهتاف مجدداً : إن لم تكبل تلك الفأرة سأخبر إليسا عن صولاتك وجولاتك يا زير النساء .,اتسعت عينا نور وهي تستجدي أخيها العطف لكن الأخير قام بحملها على ظهره معتذرًا : مع الاسف يا فأرتي إن ما بجعبته ضدي كفيل برميي وراء القمر ما زلت عريسًا !
رمى مراد نور على الكرسي الخشبي في الحديقة وكبل يديها وسط صراخها لكن آدم دلف الى الداخل فهمس مراد معاتباً أخته : ما المصيبة التي فعلتها هذا المرة بالمسكين ؟
عاد آدم من جديد ومعه طبق الملوخية خاصته وهدر صوته من جديد، ملوخية بالسكر يا لئيمة !
ملوخية بالسكر !
ضيق عينيه مقترباً منها وهي تحاول فك قيدها من قبضة مراد وسط ضحكاته المجلجلة .
-لا لا صدقاً الملوخية طيبة بكافة أشكالها !
قالها مراد ضاحكاً ليهتف به آدم :
- افتح فمها .
-آدم رجاءً توبة.،.توبة لن أكررها "

نور تتلوى ومراد يضحك ملئ حنجرته فما كان من آدم إلا أن يمسك نور من فكها ليقحم ملعقة الملوخية بالسكر بفمها وهو يجز على اسنانه بغيظ :
- ألم تتعظي من المرة السابقة هاه؟
تسائل مراد وسط ضحكاته عما فعلته تلك الصغيرة فأجاب آدم بمكر :
- أأحكي قصة القهوة بالملح ! .
جحظت عينا نور وبهتت ملامحها مشيرة له بأن يصمت لكن آدم غمزها وعاود الحديث من جديد وهو يقحم ملعقة أخرى بفمها :
- كي تتعلمي أصول اللعب مع الكبار نوارتي .,بصقت نور الملوخية من فمها وهتفت بعدما فاض بها الكيل : مراد إن لم تتركني حالًا فأنا من سيحكي لإليسا عن تلك الهدية التي وصلتك بعيد الحب قبل زواجك بشهر فقط .
- يا شيطانة تفتشين بأغراضي ! ، أتبتزونني يا أحمقين !
تطلع مراد بآدم بقلة حيلة حين تعالى رنين هاتفه فشتم هذين الاستفزازيين مفلتا نور من قبضته يتوعدها ويقول:
- لا هدية عيد الحب تغلب بكل تأكيد، ليرحمك الله يا ابن خالتي .
ثم أخرج هاتفه ليجيب على الاتصال وانشغل فيه.. ضيقت نور عينها على آدم وبلحظة انتشلت منه صحن الملوخية فهرول مبتعداً لتلحق به :
- انطق بالشهادتين فنهايتك قد اقتربت "
بقيت نور تحاول اللحاق بآدم الذي التف إلى الجهة الخلفية من الحديقة ليختبئ خلف إحدى الاشجار الضخمة وقد صار يلهث بتعب وهي تتنقل و تنادي عليه، اقتربت من الشجرة التي يختبئ خلفها فانتشلها على حين غرة ليسندها على الشجرة حاولت جاهدة ابقاء الطبق بين يديها كيلا يسقط فقال آدم ضاحكاً: أتبحثين عن أحد فأرتي ؟ ,لوت نور شفتيها مجيبة : أبحث عن وحش الملوخية هل رأيته " وبلحظة كان طبق الملوخية مقلوباً على رأس آدم الذي جمد بمكانه بصدمة إثر فعلتها المجنونة و ضحكاتها التي تعالت من جديد وهي تقوم بدعك الملوخية فوق شعره بكلتا يديها وقالت بمكر : تستحقها أيها الأحمق "

تناسى كل ما يدور حوله الجمته ضحكتها العابثة وسط التماع ضوء القمر عليهما ليسقط على وجنتها الناعمة فتترقرق ببريق خلاب، رسم ابتسامة على ثغره وقال من جديد وهو يحاول كتم غيظه واضطراب صدره :- كنت أعرف الملوخية بالأرانب ..الملوخية بالدجاج لكن ملوخية برأس بشري ! هل هو صنفٌ طعام جديد !

-نعم صنف جديد وخاصة للمتخلفين أمثالك .

شد على ساعديها الممدودين على رأسه لينزلهما ويجيبها بمكر وبصوتٍ شرير :

- نحن الآن في الحديقة الخلفية وسط الشجر حيث لا يرانا أحد ،.تحت ضوء القمر الشحيح ...وبهذه العتمة التي تلتهم كل ما حولنا ...هاه إسمعي,ابتعلت لعابها بصعوبة وهي تنظر إليه بخوف : استمع إلى ماذا؟

ليتابع بذات المكر :

صرصار الليل يترنم بألحانه الرومانسية.،،.! والملوخية بالسكر فوق رأسي! ,انطلقت منها ضحكة عاليةٌ بعد كلماته الأخيرة ليضع كفه على فمها لتصمت وأردف بذات العبث :شش سيسمعوننا!

ابنة خالتي الغبية ذات التفكير المحدود كعقل العصفور بين يدي و تحت رحمتي، ألا تشعرين بأن هنالك شيئاً ما خاطئ بهذا الموضوع؟

هزت رأسها بغباءٍ سيصيبه بالجنون حتماً ثم أشاح ببصره عنها : سأصاب بأزمة قلبية بسبب غبائك أقسم بالله ، اسألي اليسا وأنا متأكد بأنها ستفهم ما الخاطئ فما شاءالله هي تربية مراد...نور...نور سأعد إلى خمسة وإن لم تهربي بسرعةٍ من أمامي فأنا وبكافة وعيي وإدراكي ،. وعن سبق الإصرار والترصد مستعدٌ لارتكاب جنحة يا ابنة خالتي " ,افلتها من بين يديه لتقول مجدداً بغباء : فعلاً لم أفهم آدم ،هل غضبت كوني أغرقت شعرك بالملوخية أنا آسفة "

-واااحد

-آدم!!

-إثنااااان ،..
- أفهمني ما الأمر ؟
ثلااثة ،،فكان لا بد لها من أن تطلق ساقيها للريح بسرعةٍ بين الشجيرات لتهرب إلى داخل الفيلا وما زالت تستمع لعدّه :
-أربعة....يا غبية
بعد اختفائها عن مرمى نظره جلس على الحشائش مستندًا على ظهر الشجرة وتعالت ضحكاته بشكلٍ هستيري وهو يمسح وجهه ويتنفس بعمق ليهدئ من ضربات قلبه المجنونة
تنهد وهو يلتقط ورقة ملوخية من رأسه
- ملوخية بالسكر ،!
وتعالت ضحكاته من جديد ،.ضحكات عاشق مستعدٌ لأن يأكل الملوخية بالسكر طوال حياته إن كانت نور هي من تعدّها . ,دلفت إلى الداخل تتلاحق أنفاسها الضاحكة فتسائلت عبير بعدما لمحت تلوث يدي نور :
- ماهذا الذي على يديك ِ
نظرت نور بتلقائية إلى يديها وساعديها الملطخين بالملوخية لتقول ضاحكة :
لقد دعكتها على رأس آدم "
لطمت والدتها صدرها وهتفت فيها:
-يا بنت المجنونة!
تعالت ضحكات مراد وهو يخرج من غرفته بعدما استبدل ملابسه : فتحتِ على نفسك باب الجحيم يا صغيرة.
ضحكت وهي تراقص أصابعها و تجيب : اه قال لي إن لم أركض من أمامه سيرتكب جنحة لأن الأءؤ,وكفه من جديد غطت وجهها ليمنعها من البوح بعدما سمع كلماتها وهو يصعد درجات السلم الخارجي فركض بسرعة الى الداخل وهو يلعن غبائها المتزايد لأنهم سيفهمون تلميحاته فور نطقها .
تعالت ضحكات الجميع على شكل آدم الغارق بالملوخية وعلى تلويثه لوجه نور فيها فضاعت السيرة من الأساس ..,*****

20,كان كريم في بهو الفيلا التي جهزها كمركز رياضي مبسط يقوم بتدريباته على كيس الملاكمة بشكل عنيفٍ جدًا بعدما أخبره والده بقرارها مجدداً : الفتاة لا تريدك يا بني لعل الله يكتب لك نصيباً أفضل " ,تعالى لهاثه وازدادت غزارة عرقه وكلمات نور ما تزال تعيث فساداً دخل رأسه، تذكر كيف قال لها آدم كلمة حبيبتي، كيف ارتمت على صدره وكأنما تحتمي بآدم منه " تحتمي بآدم منه هو !!!
صرخ مجددًا ولكم بكل قوته حتى انهار على الأرض واستكان عليها وعينيه تقدحان شررا ً، طرقت رهف الباب وقالت وهي تخطو إلى الداخل : هل انت بخير ؟ "
حدجها بنظرة جمدت الدماء في عروقها وصرخ ملئ حنجرته : لا أريد أحدا هناا أخرجي "
اعتصرت قبضتيها بألم وتركته بمفرده وهي تصعد درجات السلم بيأس فتلاقت مع والدتها التي هتفت بغضب : طبعا لم يهدأ، كل ذلك بسبب تلك الفتاة المدللة، لعنة الله عليها " ,ربتت رهف على كتف والدتها وقالت بعتاب : الم تكن نور منذ بضع أيام فقط حبيبتك الغالية ! كل ذلك لأنها رفضته وبالمناسبة من حقها أن تختار شريك حياتها "
حدقت بها أمينة ونهرتها قائلة بألم : تعرفين حالة اخوك المتدهورة منذ أيام وتقفين في صفها ! ما به كريم لترفضه ؟!
- رجاءً يا أمي جميعنا نعرف أن هذه الامور لا تؤخذ على هذا النحو "
-اصلاً حتى ولو وافقت مستقبلاً، انا لم أعد اريدها له لا تناسبنا وليلعني الله إن عبرت عتبة باب دارهم "
-أمي كل شيء قسمة ونصيب !! ,-هيا اذهبي الآن وأعدي لي القهوة رأسي سينفجر "
تنهدت رهف بقلة حيلة وتوجهت إلى المطبخ لتحضير القهوة لوالدتها فعلى ما يبدو ليست مستعدة لخوض نقاش متزن " ,*****
إلى متى ،

ظل هذا السؤال يراودها...فإلى متى ستصمت وهي تدرك نظرات مراد جيداً كنظرات طفل ينظر لطبق من الشكولاه الشهي لا يقدر على إزاحة عينيه عنه ..مع أنه ومنذ زواجه لم يعد يزعجها بقول أو فعل ،
حاول المحافظة على رابط الزواج ظاهرياً ...على ذلك السحر الذي تملكه ببراءة إليسا ..لكن نظراته لجمانة كانت تفضحان كل مافي صدره..
وجمانة ببساطة مجنونة من طراز خاص !
كان منهمكا في عمله حينما نادى على جمانة وقال ولم يرفع راسه عن المخططات أمامه :
-أحضري المخطط التمهيدي لعمارة الضاحية من الرف الخامس "
التفت من جانب الطاولة البلورية ونظرت لأعلى تنحنحت بارتباك فهو عال على قامتها القصيرة، التفتت واتجهت ناحية كرسي المكتب المدولب وجرته لأمام الخزانة وصعدت عليه لتجلب المخطوطة، التقتطه وهمت بالنزول فأصدرت عجلات الكرسي صريرًا تلاها صرخة مكتومة منها، تنبه مراد لتلك الضوضاء فرفع رأسه بتلقائية ليجد الكرسي قد انزلق على الأرض الخشبية...
تحرك مراد بسرعة عندما صرخت جمانة أكثر وتمسكت بالرف العلوي لتثبيت الكرسي فوقع الرف بما يحمله من مخطوطات وانزلق الكرسي أكثر على الأرض تزامنا مع وصول مراد الذي أمسكها في اللحظة الأخيرة لكنها ركلته على معدته بغير قصد فسقطا أرضاً و تساقطت باقي المخطوطات عليهما، جمدت الدماء في عروق مراد الذي انفرجت عيناه على الفوضى من حوله، بقي مبهوتاً للحظات وقد أخرسه الذي حدث للتو حتى قطعت هذا السكون جمانة وهي ترفع المخطوطة المطلوبة بيدها و تقول ببراءة :
-الخبر الجيد أني أحضرتها لك "
بقي صامتا يحدق بها بذهول وقد تبعثرت الأوراق وانتشرت...ة استطاع ترتيب جملة مفيدة محاولا كبح جماح ثورته : أخرجي الآن من أمامي قبل أن اسحق عظامك "
- كيف تجرؤ

هتفت بها بحنق لكنه اغتال باقي حروفها وهو ينهض وصدع صوته بجنون ليسمعه اغلب موظفي الشركة : - جمااااااانة أخرجي " ,نهضت بعنفوان وحدجته بنظرة استحقار وغادرت المكتب في حين كان آدم متوجها إلى مكتب مراد ليستطلع سبب صراخه المفاجئ فالتقت به في مكتبها، اغلقت باب مكتب مراد بعنف ليرتج الزجاج فتسائل آدم بقلق : ما الذي جرى ؟!! ,- إسأل ذلك المجنون"

فتح الباب فجاة من خلفها وظهر مراد هاتفا بغضب : - من المجنون أيتها الهمجية !!

استدارت ناحيته وقد تعالى صوتها وهي تشير له مهددة : احترم نفسك ولا تنعتني بالهمجية !

قالها وهو يضغط على كفها التي أشارت إليه لينزلها :

-انا احترم نفسي مع العقلاء ذوي التفكير السليم...كرسي مدولب!! تصعدين على كرسي مدولب فوق أرض خشبية ! "

- إهدآ قليلا "

قالها آدم وهو يتقدم باتجاه مراد لتهدئته لكن جمانة هتفت مجددًا به : الحمق كله يتجسد بقامتك الطويلة !

-جمااااانة إحفظي لسانك ولا تتطاولي على أسيادك "

- أسيادي !!

بهتت ملامحها لهذه الكلمات التي سحقت كرامتها

ليستدرك مراد نفسه أخيراً، تقدم منها ليعتذرعلى ما تفوه فيه فنفضت يدها بشراسه عنه و لملمت أغراضها وقالت بحنق : ,- وذلك العقد الذي ألزمتني به إرمه لأقرب مركز شرطة ،...يا سيدي المبجل " ,حملت حقيبتها وغادرت، ضرب مراد المكتب بقبضة يده بعصبية بينما آدم هز رأسه بغضب و شعر باضطراب داخل صدره ،كاد مراد أن يلحق بها فأوقفه آدم بحدة، أعطني مفاتيح سيارتك، تطلع فيه مراد بقلة حيلة وسلمها له فانتشلها على عجل ولم يدر بنفسه إلا وهو يلحق بها ؛ ضغطت زر المصعد بعصبية وخطت داخله

فهرول آدم ورائها مسرعاً ودلف المصعد هو الآخر حدق بعينيها المحتقنتين لكنه آثر الصمت حتى خرجا من مقر الشركة، سار بجانبها ثم قال وكأنه مان خائفاً من اختفائها...شعور خفي طالبه بالتشبث فيها : دعيني أوصلك "
-شكرا لك لا داع لذلك "
- أنا مصر يا جمانة "انصاعت له جمانة واستقلت السيارة
املته العنوان فانطلق وقال بعد فترة وجيرة : أعترف أن ابن خالتي مجنون في بعض الأحيان، لكنه حتماً لا يقصد إهانتك "
فقالت بسخط : في كل الأحيان ليس في بعضها فقط ! .
شد بقبضتيه على المقود قائلاً بابتسامة : حسناً في أغلب الأحيان ، لكن فعلاً لا يستحق الأمر كل ذلك الانفعال منكما "
فحدجته جمانة بنظرة استنكار : وهل تعرف ما الذي جرى لتقول أنه لا يستحق ؟
انفرج حاجبيه عن بعضهما وقال : حسناًا لا أعرف أصل الموضوع، وبصراحة أكثر لا يهمني أن أعرف ، خذي اليوم إجازة لتهدئي وغداً بإمكانك مزاولة العمل من جديد "
عقدت يديها امام صدرها بعناد وأجابت :لن أعود لمكتب ذلك المغفل، انحرف إلى اليمين ثم تابع يسارا "
تنهد مستجيبا لها هو يتطلع إلى هذه الشوارع العتيقة وقد شارفا على الوصول : لن نقبل باستقالة موظفة نشيطة مثلك ، كما اخبرتك إهدئي اليوم وعاودي العمل غدا بشكل طبيعي "
-قف هنا "
استجاب لها وتوقف فالتفتت إليه قائلة بابتسامة : شكرا لك أستاذ آدم "
تطلع فيها بابتسامة حانية وأطال النظر بطريقة أربكتها : عن إذنك " ,وترجلت من السيارة لتصعد إلى عمارتها وهو يراقبها بعينيه حتى اختفت ثم اعتصر قلادته بقبضة يده قائلا لنفسه : وكأنك تتمثلين أمامي من جديد ! ثم مسح وجهه بكلتا يديه متنهدا وقد سأم من ذاكرته القوية التي لا تفتأ ترسل له صورًا

وذكريات عن والدته ! دقق النظر في تفاصيل هذه الحارة العتيقة والتي تدل على بساطة أهل الحي انتفض على صوت طرقات على زجاج السيارة ، اخفض الزجاج ليطالعه مسعود بشك من توقفه وشروده بهذا الشكل وقال : هل تريد شيئاً ؟
هز آدم رأسه نافياً وقد اعتذر بلباقة وشغل السيارة مغادراً هذا المكان وفكره معلق بتلك الحورية التي تجسدت على شكل والدته ولم ترحمه طيله فترة عمله في الشركة ! ,****
تراجع إلى الوراء ليسقط على الكرسي من هول الصدمة بعدما تلقى هذا النبأ من مأمور السجن :
-هنالك عفو عام وقد شملك القرار "
تعالت وتيرة نبضات قلبه وصار يتدافع داخل صدره وكأنه سيخرج من مكانه، فأردف الضابط قائلاً : طيلة العشرون عاماً التي قضيتها هنا كان الجميع يشهد بحسن سلوكك ، اذهب وانعم بحياة طبيعية في سنواتك المقبلة " ,تحامل على نفسه ليقف وقد ألجم لسانه عن النطق ، وغادر برفقة الحارس للملمة اغراضه لحين استكمال أوراق خروجه ، ,******
((1980)),مرت بضعة أيام على تلقي رغد خبر مقتل والدها ، لم تعد تتكلم مع عابد، بل تحبس نفسها في الغرفة ولا تخرج منها سوى نادرا ، امتنعت عن الطعام سوى لقيمات قليلة فقط كانت العجوز تجبرها على أكلها تبقيها على قيد الحياة،,عادت وحيدة من جديد ، بعدما توفت والدتها منذ سنوات وسافرت شقيقتها عبير إلى مدينة أخرى وتزوجت...لم يتبقى لها سوى والدها والآن قد فارق الحياة...بل قتل على يد تجار اسلحة ! وها هو أحد افرادها ما يزال يحتجزها ، ما أقسى الوحدة والشعور بالضياع ، كان عابد في هذه الأيام يقدر حزنها ومأساتها فآثر الصمت ، قطع وعداً على نفسه لحمايتها وهاهو ذا يفي به، كان يجهز لإيصالها إلى المدينة التي تقطن بها شقيقتها بطريقة لا يعثر بها عليهما عمه الوطواط ولا رجال الشرطة، اتفق مع مهربٍ محترف للتجهيز للرحلة وها هو ينتظر يوم الجمعة للانطلاق ، ,طرق باب غرفتها لكنها لم

تستجب له ، نادى بصوت جاد : هل لنا أن نتحدث قليلاً :
فصرخت به من خلف الباب بلوعة : ما الذي ستتحدث به بعدما أحلت حياتي إلى جحيم !
-رغد اسمعيني "
قالها بهدوء ودفع الباب ليدلف إلى الداخل وهي جالسة على السرير تضم ركبتيها على صدرها ..تنظر له بعيون قد أنهكها البكاء "
-سنسافر مساء الغد إلى المدينة التي تقطن بها شقيقتك ، رجال الشرطة يقومون بدوريات مكثفة للبحث عن الوطواط ورجاله، سأوصلك بنفسي إليها وبعدها سأخرج من حياتك إلى الأبد "
رفعت بصرها تجاهه وقالت بحقد : لا أريد منك شيئا يكفي ما جرى لي الآن بسببك "
ضرب بقبضة يده على الباب وهتف ساخطا بألم: كفي عن تحميلي ذنب كل مأساة في حياتك ! كفي عن ذلك...كنت معك حين حصل ما حصل .. " ,تعالى لهاثه وهو يحدق بها بثبات فأشاحت بوجهها عنه وعادت للبكاء مجدداً فركل الباب بعنف بعدها وقال بصوت خشن وهو يغادر : تجهزي، سننطلق بعد ساعات قليلة,كان مستلقياً على الأريكة بانتظار أن تمضي تلك الساعات القليلة المتبقية وفكره مشغول بكيفية خوض هذه الرحلة بأقل الخسائر الممكنة،
تجهزت رغد متسربلة بعباءة سوداء ووشاح خفيف غطت به شعر رأسها كانت قد سلمتهم لها العجوز كيلا تظهر أمام اهل القرية أو القرى التي سيمرون من خلالها بأنها غريبة عن المكان ، تنحنحت أمامه وقالت بخفوت : أنا جاهزة "
تطلع فيها بجمود ثم اعتدل ليقف على قدميه فقالت العجوز وهي تحتضنها : اعتني بنفسك جيداً يا ابنتي " ألقت السلام على عابد الذي قبل جبهتها بحنو وقبل أن يفتح الباب طرق بشكل عنيف ليرتجف جسد رغد بخوف، قال عابد بصوت هامس وهو يشهر سلاحه ويتخفى وراء الباب ليشير للعجوز بفتحه بينما تخفت رغد في الغرفة " ,فتحت العجوز الباب ليتبين لها رجل ذو تقاسيم غليظة ، تعرف عابد على صوته فتقدم منه بسرعة وقال : ما الأمر ؟

قال الرجل بارتباك : الوطواط عرف مكانكما ورجاله في طريقهم إلى هنا سيصلون بأية لحظة "
شهقت رغد من خلف الباب بفزع وهي تتجه ناحيتهما و شد عابد على قبضته بعنف فقالت العجوز فوراً : صار حتى الذهاب لمدينة شقيقتها خطر عليها في الوقت الراهن فهم سيقتفين أثركما .. ،سأدلكما على منزل لرجلٍ طيب أعرفه يقيم في قرية قريبةٍ من هنا، سيساعدكما بكل تأكيد "
شكرها عابد فقال الرجل مجدداً وهو يعطيه مفاتيح سيارته : خذها وابقيها معك لن يتعرف رجال الوطواط على هذه السيارة أما سيارتك القديمة سأقودها على الطريق العكسي وأركنها قريباً من البساتين لأبعدهم قدر الإمكان عن تتبعكما " ,شكره عابد بامتنان وأملته العجوز عنوان الرجل في القرية واسمه الكامل وقالت : سأهاتفه حالاً لإعلامه عن قدومكما إليه انطلقا في حفظ الرحمن يا بني ******, "

21,لم يستطع مراد صبراً لأكثر من ثلاث ساعات وهو يعيد بذاكرته أحداث ما جرى، شعر بوخز عميق داخل صدره وضميره على نهرها بتلك الطريقة الفظة ، اتصل بها لعدة مرات لكنها لم تجبه بل اكتفت بتجاهل اتصالاته أحياناً وبقطع الاتصال أحيانا أخرى بطريقة استفزته فلم يعتد سابقاً على تجاهله بهذا الشكل من أنثى ! ، أرسل لها بعد أن نفذ صبره من عنادها رسالة : أنا في طريقي إليكِ ، ليس مراد من تتجاهلينه يا وقحة "
ثم قال لراغب وهو يستقل السيارة : انطلق إلى منزل جمانة وبسرعة " ,كانت جمانة تدور داخل منزلها كاللبوة وهي تفكر بطريقة تستفزه بها فقد أغضبها ذلك الأحمق اليوم بشدة ، تمتمت بحنق قبل أن تخرج من منزلها : -أقسم ان أجعلك تبيت ليلتك بقسم الشرطة " ,وما كادت تندفع لتغيير ألبستها حتى رن جرس الباب فتحت الباب ظنا منها أنها زوجة مسعود فصرخت وقد فوجئت به يقف أمامها كالمارد..,تنبهت لما ترتديه ...وفي نظرة واحدة التهمها مراد بعينين

متسعتين فما كادت تغلق الباب بوجهه حتى اندفع وأغلق الباب واستند عليه، تراجعت إلى الوراء بذعر من نظراته التي ارتكزت عليها ..كانت ترتدي كنزة لأحد الأندية الرياضية وصلت لما قبل ركبتيها بقليل ..حجمها الضئيل يتنافيان مع شراستها ،..
-اخرج أيها الأحمق من تظن نفسك لاقتحام منزلي بهذا الشكل ..
-يجب أن نتحدث"
تجاهلها وارتمى على الأريكة قائلاً بعنجهية:..
-حلوة كالعسل.،
اعتصرت قبضتي يديها كيلا تفلتهما على وجهه المستفز فأردف : قهوتي.
اندفعت إلى المطبخ تعارك لإعداد القهوة ..أنا مراد فجال بعينيه محتويات الصالون ...منزل متهالك فوضوي كشخصية من تقطنه حدق بقطعة ثياب مرمية على الأرض...فأمسك ما بين عينيه باسما بيأس...إنها كارثية، حياتها كارثية...وجمالها كارثيا!
شعرها القصير الأسود ...عيناها السوداوان الواسعتان كارثيتان!
نهض بحذر ناحية المطبخ يراقبها وهي تحرك القهوة على الموقد بشرود وغضب ظاهر ..
- هل هذا هو السيناريو الذي يتكرر كل مرة تعملين فيها؟
انتفضت على صوته لكنها جاهدت للتحكم في اعصابها واستدارت ناحيته وهو يقترب مع كل كلمة تنطقها: لأنه...وفي كل عمل يخرج شاب أحمق غير محترم ...ولا أخلاقي..يتحرش بنظرة..بلفظ أو يتواقح.
همس بشرود فيها: تظنين نفسك قوية لكنك ضعيفة جداً، ما تزالين صغيرة على مجابهة العالم الشرس خارجا "
قالت بغيظ: تلك الصغيرة التي تتحدث عنها عانت ما لا تستطيع أنت كرجل أن تتحمله "
تلك الصغيرة جابهت قذارة الرجال خارجًا واستطاعت أن تحمي نفسها منهم طوال سنوات ، دائما ما اطرد من العمل لكن لا يهمني ما دمت على

صواب...أخسر ألف عمل ولا أخسر كرامتي.
ابتسم لا إراديا وهو يهمس: كرامتك محفوظة..ماعاش من يهينك..أحرقه حيا.
اقترب منها أكثر ومد ذراعه بجانبها وأطفئ الموقد هامسا: القهوة كادت أن تنسكب "
فأجفلت من اقترابه الشديد لكنها تمالكت نفسها سريعا حينما ابتعد وعاد أدراجه ناحية الصالون فصبت القهوة في فنجانين وتقدمت منه فقال وهو يتناول الفنجانين من الصينية بذات الوقت ووضعهما على الطاولة :
- من أين اكتسبت هذه التناحة و القوة بالله عليك!
وضعت الصينية الفارغة جانباً واجابت بجمود؛- لم أكتسبها سوى من مجابهتي لك ولأمثالك من الوحوش البشرية .,ثم اردفت وهي تجلس بجانبه : أنت وأمثالك ممن تظنون أنفسكم أنكم بنقودكم تستطيعون شراء أي امرأة، أنت قوي فعلاً يا مراد بك و قوتك تستمدها من نقودك ونفوذك أما أنا فقوتي استمدها من فقري ...قوتي استمدها من وحدتي و تجاربي وضعفي السابق ولأنني فتاة ميتم... ظننت أنها لقمة سهلة ورخيصة حتى تجرأت للحضور إلى منزلي في هذا الوقت..يبدو أنك تحريت جيدا "
كان جالساً مكتفا ذراعيه وهو يستمع اليها...قال بعد قليل: هل انتهيت!!
احتضن وجهها بيديه فجمدت لثوان قبل أن ينطق برقة : ومن قال بأني قويٌ جمانة ! أنا ضعيف ،.ضعيفٌ أمامك "
ارتبكت من نظراته المنكبة عليها فقالت بتلعثم "
-ابتعد عني !!
-وإن لم أفعل !
-أستاذ مراد لو سمحت لا يصح ذلك "
افلتها وارتشف من فنجان قهوته ببراءة: ما الذي لا يصح بالضبط؟
مسح بنظراته وجهها نزولاً إلى عنقها وكنزتها الرياضية ثم توقف على صدرها ، وتحديداً على سلسلة فضية تنتهي بقلادة يعرفها حق المعرفة!
ضيق ما بين حاجبيه وأمسك قلادتها في ذهول استطاعت رؤيته بوضوح..أعاد

رفع وجهه ناحيتها وسأل باضطراب:
-أين والديك ؟
-ولما تسأل الآن ؟
إرمي كل ما جرى بيننا سابقا وأجيبي عن أسئلتي بصدق رجاءً "
-انت تعرف أني يتيمة، لا أعرفهما "
-ألا تذكرين اسم الميتم الذي كنت فيه ؟
-وهل ينسى! لا شيء عشته بالميتم استطعت نسيانه"
اغمض عينيه بألم وهو يطرق على ركبتيه في توتر فسألها وقد عصفت الأفكار في رأسه:
- قلادتك الفضية من أين حصلت عليها ؟
سمح ليده بأن تمتد إلى سلسلتها مرة ثانية ليتأمل تفاصيلها بدقة وبالتاريخ المدون خلف قلاتها فتنهدت جمانة مجيبة بخفوت : كل ما أعرفه من السيدة التي اعتنت بي ...أنها والسلسة كانت معلقة في عنقي منذ استلمتني من الميتم وأوصتني بأن أحتفظ بها لربما أفادتني في المستقبل فهي تحمل اسمي
" ,-هو ...تاريخ ميلادك المدون عليها أليس كذلك ؟
-على الاغلب نعم " ,أغمض عينيه بعد أن انتابت جسده قشعريرة من كلماتها قالت برجاء : ما الأمر..أ..أتعرف شيئاً ؟
قالتها بضياع وببارقة أمل أدركها فأخفض ببصره وهز رأسه: إن..إن شكلها جميل لذلك سألت..
"
فانكسر بريق عينيها الذي اختطف قلبه للحظات
وهو كان خائف من أن يكون مخطئ في توقعاته ولم يرغب في أن يعطيها أملا كاذباً مع أنه كان يغلي من الداخل..حائرا مذهولا..
قال بصدر مضطرب: منذ زواجي..حاولت أن أبتعد عنك...حاولت أن أمحوك من تفكيري ولم أقدر، تعبت تعبت جمانة أشعر تجاهك بمشاعر أقوى من أن أتجاهلها.

همست بغضب: أنت متزوج.
احنى جذعه إلى الأمام متكئ بساعديه على ركبتيه وقال بغصة: شكراً لهذه المعلومة.
أردفت بغضب أكبر: وزوجتك فاتنة...رائعة ومستعد لخيانتها إن جاريتك واستجبت لك!
اعتدل وهو يصرخ :
-لم أطلب أن تجاريني...لا أطلب منك شيئاً.
هب واقفاً ومشى ليغادر فتوقفت كذلك تنتظر مغادرته..توقف بعد بضع خطوات كمن يحارب نفسه والتف ناحيتها بسرعة واختطفها بين ذراعيه بقوة جعلتها تشهق..غمغم يهدر: -أحبك .هذا القلب ينبض لأول مرة جمانة...ينبض إنه ينبض بعنف عندما أكون برفقتك...
ثم تركها بسرعة وهرب قبل أن يتحامق أكثر..ضرب الباب بعنف فنظرت إلى الباب المغلق في ذهول وما تزال منكمشة على نفسها ..كلماته..نظراته عيناه .. شعرت بهذه العاصفة التي اجتاحتها..بحماية وسكينة رغم جنون الموقف...رغم جنون أنفاسها واضطرابها...شعرت بأنه الآن يحتقر نفسه..كان واضحاً في حديثه وصوته المرتجف..,حدقت حولها من جديد وأدركت أنها ما تزال في شقتها البائسة...على البساط القديم نفسه تقف وابتسمت بجمود...فهذا هو واقعها الذي لا مفر منه..وشتان ما بين واقعها وواقعه، عالمها وعالمه ! ,جلس بسيارته لاهثا بعنف وما يزال صدره يضطرب.. ما زالت أنفاسه تهدر لشناعة اعترافه وهو متزوج...كان قد أقسم ألا يخون اليسا بعد الزواج...والعقد...العقد يا الهي ! غمغم بتوتر واخرج هاتفه على عجالة و اتصل بأحد معارفه من الضباط ليقول باندفاع :احتاجك بخدمة هنالك فتاة يتيمة أريد معرفة جميع المعلومات عنها ، كل شيء رجاءً يا أكرم وبأسرع وقت" ,********,كان كريم جالساً برفقة صديقه ماجد في أحد المقاهي وعينيه محمرتان، يستكين على يده وبيده الأخرى يتلمس فوهة كأسه بأنامله حتى رفعه ليفرغ ما تبقى منها في جوفه دفعة واحدة ..وأمسك الزجاجة مباشرة ليصب لنفسه كأسا آخر

فانتشلها منه صديقه قائلاً بقلق :
- كفى يا كريم ، لقد أكثرت من الشرب ثم من متى وأنت تشرب! أمن أول مشكلة تواجهك ستلتجئ إليه! لا اصدق أنك وصلت لهذه الحال"
اختطف كريم القارورة مجددا ليتجرع منها وقد سالت دموعه مسحها بعنف وهو يهتف بألم : لا أصدق ..لا أصدق أنها
"
هرع ماجد لإسناده عندما نهض كريم فجأة مغادراً قبل أن يستكمل حديثه..
وهو بالكاد يتوازن، استلم ماجد منه مفاتيح السيارة فارتمى كريم على المقعد بجانبه ولم تعد قدماه تحملانه وهو يبكي بألم ويطلق الشتائم المتكررة على كل شيء حوله، فأسرع صديقه به إلى المنزل وفي الطريق اشترى له زجاجة ماء وقال له بضيق: هيا اشرب و اغسل وجهك لن تستطيع الدخول إلى منزلك بهذه الحالة المزرية ! ,تناولها منه على مضض وشرب القليل منها ورشق بالباقي على وجهه ليمسح آثار دموعه ثم قال بوهن : - الغبية تفضل ابنة المجرم علي !
زفر ماجد بقلة حيلة وقال له : لست واعيا لما تتفوه به، ادعو لها بالسعادة إن كنت فعلاً تحبها احترم مشاعرها واختيارها "
ضرب على صدره وهتف بلوعة : -ومشاعري..مشاعري من يطفئ لهيبها..!
حدجه ماجد بنظرة اشفاق ثم قاد مجدداً ناحية منزل كريم ليغادر
بعدها، استطاع كريم بعد جهد الوصول إلى غرفته ..بالكاد خلع كنزته التي شعر بأنها تخنقه وانكب على سريره، فتح الهاتف يقلب بالصور ...ظل يقلب بمئات الصور لها ،
ثم قلب بين جهات اتصاله...يريد أن يتصل بأحدهم..أن يحكي مع أحد ممن كان يساعدهم دائماً ويلبيهم على الفور والآن من وصلت علاقته به لحد أن يفشي له ما يثقل كاهله...
لا يوجد سوى مراد...شقيقها مراد الذي لا يعرف حتى اللحظة حجم مأساته..ومدى حبه.

أيتصل فيها! تلك التي كانت تسمعه وتبوح له بما لا تبوح لغيره! نور التي خانت حبه ومشاعره أيتصل فيها ليشكيها لنفسها..
ضحك دامع العينين وضغط بكفيه على عينيه وكأنه يريد إرجاع تلك الدمعات لمكانها..حتى شعر بتثاقل جفنيه وراح في سبات,******,كان آدم يجلس شارداً متأملا تلك السحب التي تخفي القمر تارة وتارة أخرى تحيد عنه بانسيابية ورقة حتى قررت احتضانه بشكل كامل فتجمعت بعد هنيهة لتتساقط حبات المطر وكأنها قبلات تهديها السماء له، تنهد مستنشقاً الهواء المحمل بعبق المطر الذي باتت قطراته تداعب وجنتيه
، لكم كان يعشق المطر، رائحته ، الركض تحت قطراته المنهمرة بحرية، المطر هو الحرية بنظره ، وهو يعشق لحظات حريته تحت المطر فيتوارى الجميع ويحتجبون بمظلاتهم ، إلا هو ينتظر هطوله ليركض تحت قطراته الندية مهما ازداد توحشها ...وكأنه ملك المطر ، زعيم السحاب كما لقبته نور ذات يوم ! ,رن هاتفه معلناً عن مكالمة منها ! ومن سواها تلك التي سلبت قلبه وعقله وتفكيره منذ سنوات حتى اللحظة أجاب بلهجة عاشق : طال غيابك عني "
قهقهت بمرح وقالت بصوت خفيض : أنسيت أوامر مراد"
فأجاب بخضوع : لننساها للحظة فقط...لحظة.
اشتعلت وجنتاها خجلا لكنها نهرته :
-ادخل كيلا تمرض أصبح الجو باردا !أعرف جنونك حينما يهطل المطر",نظر لأسفل فرآها تقف في شرفتها وتطالعه بابتسامةٍ عذبة فقال بحب كبير وهو يستنشق الهواء : أتعلمين ...أعشق الأيام الماطرة لأنها تجلب معها رائحة السماء ..ورائحتك أنتِ كرائحة المطر ، كالماء ، ندية وناعمة والابتعاد عنها يعني موت مؤكد" ,توارت قليلا بنظراتها خجلاً من كلماته واختلج صدرها بضربات عنيفة فقال : سأنتظرك على السطح لا تتأخري خمس دقائق فقط أريد فيها أن أنسى تعليمات أخوك.، " ,"كادت أن ترفض لكنها لم تستطع حتى معاودة الاتصال فقد هرول بسرعة ليصعد درجات السلم ناحية

السطح وفرد ذراعيه ناحية السماء لتتساقط عليه قطرات المطر.. ,عشر دقائق مرت عليه لتبتل ملابسه بينما هو ما يزال باسماً يتطلع ناحية السماء مستنشقاً عذوبة المطر، سمع نداءاً خافتا صادراً من الباب ليتطلع ناحيتها بابتسامة اتسعت فور تلاقي عينيهما، قالت بصوت خفيض وهي تشير لقميصه الخفيف : ادخل ستصاب بالزكام ، ستمرض الجو بارد !
فقال وهو يسحبها من يدها : المطر يشفيني ، يعيد التوازن لنفسي " انكمشت على نفسها إثر زخات المطر المتساقطة فقالت بسعادة : أنت مجنون سنمرض كلانا هكذا !
فقال وقد قربها له أكثر : أتسمحين لي بهذه الرقصة يا ملكة المطر ؟
هزت رأسها بنفي وهي تتمتم له والمطر يغرقهما سويا: أنت مجنون ما زلت تذكر ذلك اللقب !
فقال وقد بدآ بالرقص تحت ألحان قطرات المطر :
-منذ عام حتى اليوم ...و في كل صباح
حين استيقاظي ،.وفي المساء قبل أن أنام
كنت أنتظر لتمطر، لأراقصك تحت زخاته كما اتفقنا منذ عام، سنرقص عند أول مطر ، لم تبالي حينها بوعدي لكني أذكره جيدا ..أتذكره وأعترف مع كل قطرة تتزل أنني أحبك أحبك أحبك "
احتضنها بعنف بين ذراعيه وصار يدور فيها مرددا تلك الكلمة .

*********,

((1980))22,استقل رغد وعابد السيارة لينطلقلا في رحلتهما في طريق ما بين البساتين بينما أخذ صديقه سيارة عابد ليسلك الاتجاه المعاكس قريباً من محطة القطار، ركنها في شارع قريب من المحطة وترجل منها ليستقل القطار عائدا ً إلى مدينته بينما في منزل العجوز ، طرقات عنيفة على باب دارها

جعلتها تنتفض بفزع قبل أن تهدأ نفسها وتنهض لتفتحه، فإذا بأربعة رجال مدججين بالأسلحة ، سألها احدهم : أين ضيوفك ؟ ,حدقت فيه بثبات وقالت : لا ضيوف عندي ،
تطلع فيها الرجل بنظرة ازدراء ودفعها بغلظة ليتجاوزها بينما شهر مرافقوه اسلحتهم في تأهب بينما يفتشون المنزل ،اللعنة لقد هربا !
قال الرجل بغيظ بعدما تأكد من خلو المنزل وهو يتمسك بتلابيب العجوز : أين أختفيا عليك اللعنة يا خرفة !
رفعت العجوز راسها بثبات وواجهت عيناه بقوة : قلت لك لا ضيوف عندي !
رفع مسدسه وصوبه ناحيتها قائلاً بحقد : وإن قتلتك الآن ورميتك للكلاب !
أجابته بقوة : لن يسلب الروح إلا من خلقها "
- اذن ستقابلين خالقها قريباً ! كاد أن يضغط الزناد فمنعه أحدهم قائلاً بجمود : دعك من العجوز الآن ولنبحث عنهما لم يبتعدا حتماً "
افلتها لتسقط على الأرض بعنف بينما خرج الرجال من منزلها مغادرين
فتنهدت العجوز وهي تدعو الله على أن يحمي عابد ورغد من هؤلاء الوحوش
" ,******وصلا أخيراً بعد قيادة ثلاث ساعات متواصلة لمنزل الحاج داوود الذي أخبرته تلك العجوز عن عنوانه، رحب بهما الرجل بحبور ودعاهما للدخول، دلفا إلى الداخل لتجلس رغد بجانبه بقلق ونظراتها ترتكز على وجوه الجميع فقال الحاج فورًا لزوجته : أكرميها وحضري لنا طعام العشاء يا أم جابر" ,أومأت له بطاعة وطلبت من رغد أن تلحق بها لتدلفا إلى غرفة أخرى لتستريح بينما تقوم بتحضير طعام العشاء ، كانت هنالك ثلاث فتيات يجلسن على البساط المتواضع بمنتصف الغرفة أكبرهن بعمر الخمسة عشر عاماً ، تبسمت لهن بخجل واضطرال فبادلنها البسمة ، غابت زوجة الحاج لعدة دقائق ثم دلفت حدثتها وهي تقدم لها العصير : تبدين وزوجك متعبين من السفر دقائق وستجهز الغرفة لكما " ,جحظت عينا رغد بصدمة تداركتها فوراً وأطرقت رأسها على الأرض وهي تلعب بطرف ثوبها متمتمة بخفوت : شكراً ! ,ربتت أم جابر على كتفها وخرجت من الغرفة بابتسامة

مرحبة ورجعت مجدداً بعد دقائق قليلة وبيدها صحفة طعام ، تناولت رغد لقيمات قليلة فقط واكتفت وهي تشعر بالحرج من تواجدها ومن هذه الظنون التي ظنتها بها ، خشيت من أن تقول لها أنه ليس بزوجها كي لا تظن بها المرأة السوء فآثرت الصمت والحرج يتملكها، ومرت ساعات قليلة تتحادثان بها بشتى الأمور و تلاعب الفتيات أحياناً حتى نادى الحاج داوود على زوجته مرة أخرى غابت ورجعت بعد دقائق قليلة وهي تهيء لها الفراش لتنام قائلة بترحاب :
يبدو أنهما سيسهران قليلا بعد، إن كنت تعبة فها هو فراشك بنيتي وإن احتجت إلى الحمام فهو في الباب المواجه مباشرة لغرفتك "
-شكرا لك خالتي ونأسف على إزعاجك "
بادلتها ام جابر ابتسامة صافية وأجابت : على العكس يا ابنتي مرحباً بكما دائماً وآسفة لمقولتي لقد أفهمني أبا جابر أنكما لستما بزوجين " ,احمرت وجنتاها خجلاً وارتباكا فقالت المرأة ببسمة حانية : لا تخجلي يا ابنتي ، كل شخص وله ظروفه في هذه الحياة ، ليرفع الله عنكما البلاء "
غادرت أم جابر وأغلقت الباب خلفها لتخلع رغد عبائتها وتستلقي على الفراش لتأخذ قسطاً من الراحة . ,انقضى على وجودهما ثلاثة أيام في منزل الحاج داوود ، هي تنتظر الذهاب لتهنأ بحياة استقرار مجدداً حتى ولو خارج حدود وطنها مؤقتا ً ليكف الوطواط ببحثه عنها فقد تعبت من الترحال والتنقل منذ أكثر من شهرين حتى اللحظة، وعابد يجمع المعلومات ليخرجها من ملاحقة عمه الذي أعلن و بكل صراحة تمرده عليه حينما ساعدها على الهرب، كانت تلاعب الصغيرة على الأرجوحة المعلقة على إحدى الشجيرات وهي شاردة بما تخبئه لها الأيام .,وفي الغرفة المقابلة انفرجت عينا عابد بصدمة عندما قال له الحاج داوود : هذا هو الحل الأمثل يا بني لتحصن نفسك وتحميها "
-لكن لا اعرف إن كانت ستوافق !!
قالها عابد عاقدًا حاجبيه فربت داوود على فخذ عابد قائلاً بوقار : لمصلحتها أن توافق لا حل آخر لكما ، فرحلتكما طويلة وأنتما بمفردكما، لا يجوز لك مرافقتها بها تلك المدة " ,أطرق عابد رأسه إلى الأرض موافقا كلمات الحاج

فتبسم الآخر بحبور ونادى زوجته : يا أم جابر نادي الضيفة إلى هنا "
انصاعت الزوجة لمطلب زوجها لتنادي عليها من الحديقة الخلفية للمنزل واقتادتها إلى الصالة لتلقي رغد السلام بخفوت وتجلس فقال الحاج داوود بابتسامة حانية يخاطبها : لقد أخبرني عابد عن مشكلتكما ، سنجد حلاً إن شاءالله لتهريبكما خارج البلاد يا ابنتي فالمنطقة الحدودية صارت قريبة جدًا من هنا ، يحتاج الأمر القليل من الصبر " ,اومأت له رغد وقالت : شكرًا لك يا عمي هو معروف لن انساه لك "
- استغفر الله يا ابنتي هذا واجبي " ثم أردف بعد فترة صمت قصيرة : لكن هنالك مشكلة صغيرة " رفعت رغد بصرها اليه بقلق ليردف حديثة : تعرفين أن الطريق طويل وآسف لقولها لك يا ابنتي ألسنة الناس لا ترحم واختلائه بك كل تلك المدة لا يجوز، فلن يرافقكما أحد طوال الطريق " ,أطرقت رأسها ارضاً بارتباك وخجل وقالت : ما من حل آخر !
-بلى يوجد حل والله سيبارك به حتما وستتيسر رحلتكما إن شاءالله "
تطلعت به بعدم فهم ليردف بابتسامة وهو يربت على فخذ عابد : سنزوجكما على سنة الله ورسوله
نهضت رغد بصدمة وهتفت بهما : أتزوج من مجرم!!,أطرق عابد برأسه على الأرض وقد تعالت وتيرة تنفسه في حين ترقرقت عينا رغد بدموع على وشك الهطول فقال داوود لعابد : اتركنا لمفردنا يا بني لو سمحت " نهض عابد من مكان وقد اومئ له الرجل بابتسامة مطمئنة وقال بعدما غادر عابد : بغض النظر عن كل ما جرى سابقاً ، رحلتكما هذه ستكون طويلة جدا ً، وفيها من المخاطر ما يستوجب منه البقاء بجانبك دائماً لحمايتك لذلك درءاً للسوء واجب أن تكونا زوجين شرعاً "فقالت وقد اطلقت العنان لدموع كافحت لكبحها طويلا : انت لا تعرف ما الذي فعله بي سابقا، لا أستطيع الوثوق فيه بعد كل ما جرى " تنهد الرجل قائلا بحنو : أعرف ...أعرف كل شيء ومنذ الليلة الأولى لكما هنا "تطلعت فيه رغد بصدمة فأردف الحاج داوود قوله : لقد أصر على أن يعرفني بنفسه وعمله ومما أنتما هاربين وقالها حرفياً : لست مضطراً

لمساعدة رجل خارج عن القانون "
فقالت وهي تمسح دموعها : وبعد كل ما أخبره لك تستقبله بمنزلك - يا ابنتي إن عمري هذا يخولني أن أميز الخبيث من الطيب ، وعابد رجل بحق ، لا بد و أن الأيام أجبرته على مزاولة هذا العمل لكن القوي فعلاً هو من يحاول جاهداً الخروج من مستنقع أخطاءه ولربما كنت أنت طوق النجاة له ليبتعد عنهم وبإرادته ، وها هو الآن وبسبب اختياره لحمايتك صار مطارداً من جماعته كذلك ناهيك عن رجال الشرطة..
اسمعيني جيداً ...الله سبحانه وتعالى يغفر لعباده مهما كثرت ذنوبهم وأخطائهم ، فمن نحن كي لا نغفر ونسامح ! يرسل إشارة للعاصين بأن يتوبوا ويرجعوا إليه ولربما كنت أنت تلك الإشارة ، ليبتعد عابد عن عمله وحياته السابقة ، رمى كل شيء وراءه ولحق بك فقط ، اتدركين عظمة ما قام به ولأجل حمايتك ! ألا يستحق تنازلاً بسيطاً منك وطبعاً هذا لمصلحتك أولاً وأخيرًا " ,ثم نهض قائلاً بعدما لمح اللين بعينيها : توكلي على الله يا ابنتي ودعيه يكمل واجبه تجاهك والأهم من هذا أن يقوم به بما يرضي الله وبعد أن تصلي إلى المدينة المطلوبة لتستقري بها بإمكانك اختيار البقاء معه أو أن تطلبي منه الانفصال وسيفعل بكل تأكيد " أومأت له بجمود وهي تمسح دموعها وخرج من الصالة بعدما فهم موافقتها وغادر ليحضر المأذون لعقد زواجهما " ,والغريب فعلاً أنها وعلى الرغم من رفضها القاطع له إلا أنها شعرت بطمأنينة وسكون حينما نطق كلمة أوافق ،ظلت حينها تنظر إليه ، يبدو مرتاحاً جدًا كانت تعابير وجهه تعبر عن ابتسامة يحاول كبتها ولا يستطيع ، وكأنه قد نال اخيراً مبتغاه بأن تصبر هذه الفتاة ملكه، حتى ولو بهذه الطريقة فالمهم عنده انها بجانبه تلاقت عيناهما لوهلة فأشاحت بنظرها فورا عنه " ,بعد مغادرة المأذون استأذنت وانصرفت إلى الغرفة التي تنام بها عادة وداخل صدرها هنالك احتجاجات عنيفة ، بقي عابد واقفا في الحديقة خارجاً يشتم عبير المساء فربت الحاج داوود على كتفيه وقال :اذهب وطمأنها يا بني أنك ستكون دائمًا بجانبها ولحمايتها ، لا تتركها وحيدة خاصة اليوم فهي تشعر بالضياع والخوف "

أومئ له عابد قائلاً : شكرا لك أيها الرجل الطيب على كل شيء "
غادر عابد ناحية غرفتها بينما ظل داوود واقفا ينظر إليه باسماً وهو يتذكر الاتصال الأخير مع تلك العجوز التي أقام عابد عندها سابقًا ((اجمعهما سوياً يا داوود وبطريقتك ، يبدو أنه معجب بها، بل تحدى الأمر حدود الإعجاب وهو لن يحرك ساكناً حتى تضيع من بين يديه ..توبته وانفصاله عن الجماعة مرتبط بزواجه منها..))*******,وصل مراد المنزل في وقت متأخر جداً من الليل كان ما يزال مشدوهاً من الصدمة وهو يفكر ، لكن مستحيل أن يكون ما يفكر فيه صحيحاً ومستحيل أيضا أن تكون تلك القلادة منتشرة في السوق ، فهي وعلى حسب ما يعرف صممت خصيصاً لهما ؟
حدق بأليسا النائمة فدمعت عيناه ..شعر بدونيته وحقارة ما فعله بلحظة ضعف...بل إن نفسه ضعيفة دائماً وزوجته لا تستحق ! ,أطفأ المرش وأحكم لف المنشفة على خصره وخرج من الحمام ارتدى ملابسه وشرع بتمشيط شعره أمام المرآة حينما فتحت إليسا عيناها المنتفختان : سألت ببرود غريب على غير عادتها :متى عدت!؟ "
استدار ناحيتها بابتسامة تلاشت فور رؤيته لها على هذا الشكل وقال متسائلاً : هل أنت على ما يرام ؟ ,رمت غطاء السرير و قالت وهي تخطو ناحية الحمام لتشطف وجهها : لن أكون بأفضل مما أنا عليه "
أمسكها من ساعدها وهتف بتفاجئ : إليسا ما بك ؟
نفضت يدها عنه وقالت بألم : أين قضيت ليلتك ؟
-ألم اخبرك أني كنت مشغولاً!
-لا تكذب "
شعرت بالألم من قبضته التي اعتصرت ساعدها بعنف فهتفت وهي باكية : أتركني "
تنبه عل انفعاله بهذا الشكل المبالغ فتركها وزفر بعصبية قائلا بسخط : بدأنا حلقات النكد !
انتشل جاكيت بذلته وغادر الغرفة لتنهار اليسا باكية على الأرض وقد كبرت

اليسا...كبرت فعلا لترى وتفهم مرتد وتصرفاته...هرول مراد درجات السلم فتلاقى مع رضوان أمام السلم القى السلام عليه فهدر صوت والده : إلى مكتبي "
زفر مراد بضيق فها هو اليوم واضح منذ بدايته ! ولحق به إلى غرفة المكتب مغلقاً الباب خلفه فهدر صوت رضوان مجددا وهو يضرب بكفه على الطاولة بعصبية: ألن تكف عن عبثك واستهتارك ؟
-خيبا ؟
اين قضيت ليلتك يا ولد ؟ تزوجت وما زلت على ضلال ، ما ذنب تلك الصغيرة ان تقضي ليلتها باكية وانت والله أعلم مع من تعبث !" تنهد مراد بنفاذ صبر و قال مقترباً من والده : أولاً وإن كنت تشك بأني كنت برفقة امرأة فلا تقلق لأني لم أفعلها بعد زواجي ولن أفعلها ابدا بعد الآن اتفقنا ، لقد تزوجت لأني مللت من حياتي القديمة وأنت تعرف ذلك جيدًا " كبح رضوان جماح غضبه وقال أين كنت إذن ؟
- لا أظن أنني بعمر يسمح لك باستجوابي فيه
حدجه رضوان بنظرة غضب وقال ساخطًا : كبرت على ذلك ...كبرت على والديك ! ,وضع يديه بجيب بذلته الرمادية مجيباً ببساطة : -معاذ الله ..لكن ليس منطقياً أن تتهموني في كل مرة اختفي فيها ..أنني أكون برفقة امرأة.,تراخى رضوان على مقعدة وسأل : هل أثق فيك ؟
-يجب ان تثق بما أقوله لأنكم تعرفون جيداً عندما أرافق امرأة لا أخفي ذلك وحتى بعد زواجي إن رغبت بمرافقة امرأة _ وطبعا إن حصل ذلك _سيعرف الجميع وأولهم إليسا ؛ والآن عن إذنك لدي عملٌ مهم اقوم به " ,وغادر تاركا والده وراءه يحدق فيه بغضب بسبب صراحته التي تصل إلى حد الوقاحة في أحيانٍ كثيرة !

******

23

((1980))دلف عابد إلى غرفة رغد بعدما طرق الباب، انكمشت على نفسها عندما تقدم منها قائلا ً: هل لنا أن نتحدث قليلا ؟ أومأت له بقبول فجلس على البساط بجانبها ليتطلع في تفاصيل وجهها بجبين منعقد فتسائلت تحاول كبح ارتباكها من وجوده : احضرت إلى غرفتي لتصمت ؟
حك ذقنه قليلا ثم قال : سننطلق غالباً خلال يومين
ثم صمت مجددا ًوقد ضاعت الكلمات من فمه فاغتالت هي صمتهما قائلة بثبات :اسمع يا عابد ومهما كان ما تفكر فيه، لن يتغير شيء بيننا، لقد قبلت بالزواج بك فقط حتى نخرج من البلد وبعدها سأذهب في طريقي لقد اكتفيت منك"
احتضن كفها بين كفيه قائلاً بصوت أجش :
-لن يتغير شيء لكن تأكدي بأني سأحميكِ حتى آخر لحظةٍ بحياتي ، سأكون دائماً بجانبك وحولك إن رغبت بذلك وحتى إن لم ترغبي سأبقى أراقبكِ ولو من بعيد ...صعب أن تجدي نفسك عالقة أمام خيارين...وكل خيار فيهما أصعب من الآخر..بالنسبة لي أحد هذين الخيارين هو الموت...والآخر كان اختطافك

والمضي نحو المجهول.،" ,ارتعشت أناملها بين يديه وهي تحدق بكفه القابضة على كفها بينما هو يتطلع بوجهها الشاحب يتمنى منها أن تشعر به، وترفق بحاله..
فاغتالت سكونهما لتسأل : لما تفعل هذا ! لما تصر على حمايتي ، سألتك سابقاً وسأسألها مجدداً " تبسم وأجاب ببساطة : لأن من واجب الرجل أن يحمي زوجته، أن يصونها ويحفظها من كل سوء "
حدقت به باستنكار واجابت : لكني لست زوج.،
وضع إصبعه على شفاهها مقاطعا كلماتها برجاء : -لا تنطقيها ، لن يتغير شيء كما قلتِ قبل قليل ، لكن لا تنطقيها على الأقل في الوقت الراهن ،دعيني أعيش تفاصيل هذا الحلم وحتى لو في مخيلتي.، لن أكذب عليك رحلتنا لن تكون بهذه السهولة...وهروبنا لن يكون لوقت قصير، كان تركك بين أيديهم يعني الموت..كانوا سيقتلونك انتقاماً لموت رجل مهم جداً في جماعتنا قتله والدك قبل أن يقتلوه...والآن أنا أمضي بك نحو المجهول بعد أن اعتبروني خائنا..لست فقط من تدمرت حياتك ...و أنا تدمرت حياة لم أعرف غيرها .****
ونعود إلى الوقت الراهن

حين استعاد مراد القليل من توازنه عاد إلى الفيلا، صعد إلى منزل آدم وحين فتح له الباب ودون أن يتفوه بحرف مد يده بتلقائية ليخرج السلسلة المعلقة حول رقبته وليتأملها من جديد ، حدق فيه آدم متسائلا : ما بك "
وكأنه أخيراً تنبه لوجوده فرفع عينيه بتلقائية ثم ربت على كتفه مجيبا بابتسامة صافية وهو يحدق بمعالم وجه آدم يحاول استشفاف أي تشابه بينه وبين المدعوة جمانة ثم قال بابتسامة مرتعدة : لا شيء يا ابن خالتي...ثم تركه باستغرابه وهبط درجات السلم ليدلف إلى طابقهم ألقى السلام على الجميع وتوجه إلى غرفته، كانت إليسا تجلس وهو تسرح شعرها أمام المرآة، انحنى تجاهها ليحتضنها قائلا بإرهاق : آسف عما بدر مني صباحاً، تأكدي من أني

أريدك معي وبجانبي دائما "
فاستدارت بتلقائية وقد اتسعت ابتسامتها لعودته وقالت بخجل : آسفة مرادي لما تفوهت به من حماقات !
أخرج لها من جيب بذلته خاتمًا، رفع يدها ليحيط اصبعها بالخاتم ثم قبل باطن كفها قائلاً :
-لا تعتذري أرنبتي، فمن حقك أن تغاري على زوجك الوسيم "
فقهقهت ببراءة وهي تحدق بالخاتم بسعادة واحتضنته قائلة بعتاب : لست أرنبة أيها المغرور ،على العموم شكرا لك ، انه جميل جدا "
فتبسم قائلا : بل أرنبة جميلة ومشاكسة ،لكن ليست تلك مشكلتنا ...بل المشكلة الحقيقية أنك عرفت شعور الغيرة أخيراً لتصدعي رأسي ، وستتوالى الهدايا من الآن وصاعدًا ، لقد كبرت يا بنت !!
وتعالت ضحكاته مجددا لتضربه على صدره بغيظ .*******
تعاقبت نظرات جمانة على الحائط المهترئ، الدهان الذي تقشر في مواضع كثيرة وعلى الأثاث البسيط، تنهدت بسخربة وهي تحدق بالأريكة...حيث كان جالساً قبل دقائق وعلى الفارق الفج الذي بدى مؤذيا للعين وهو جالس بأناقته وفخامة ما يرتديه... بدا شاذا وفي محيط لا يناسبه .. ندت دمعة من عينيها وهي تضحك بيأس وهمهمت بشرود وهي تحتضن ساعديها ببعضهما:كل شيء بيننا مختلف، متعاكس، نظافة حياتك وبريقها لا يتماشيان مع مستنقع حياتي البائسة!
لست بأكثر من نزوة عابرة بالنسبة لرجل يحب التغيير ، وأي تغيير ستجده معي ! ، نهضت من على الأريكة وتقدمت بخطى بطيئة ناحية المرآة المكسورة المعلقة على الحائط : أنا حتى...لا أنتمي لعالم الأنوثة !
انزلقت على الأرض بجانب المرآة وصارت تكمل تقشير بقعة الدهان بأصابعها مردفة بمرارة : -سيجد عندي البؤس، الشقاء، العفن !
مسحت دموعها مردفة وهي ترمي قشرة الدهان على الأرض: أنا أعيش كالقطط، حياتي ومنزلي الذي تتآكله الرطوبة حتى تصرفاتي الخرقاء

كالقطوتراءت بذاكرتها صورة إليسا، بفستانها الأبيض، بعينيها الجميلتين وضحكتها البريئة، أحست بسكين اخترق صدرها لذلك الشعور ، هي لم تعرفها سابقا ولا تريد معرفتها عن قرب كيلا تزداد معاناتها تجاهها، لكنها كذلك لم تعد تريد لمراد أن يتمادى أكثر بتصرفاته كيلا يغرقها به أكثر ،
شعور جميل كان يدغدغ قلبها لوجوده بجانبها في الفترة الماضية، لاهتمامه بها، لكلماته الغير منطوقة...لنظراته التي أشعرتها بوجودها وأنا مرئية لأول مرة بحياتها ..، كان بالنسبة لها كالسمكة الذهبية التي ظهرت للصياد البائس لكي تحقق أمنياته ! لكنها لن تقبل استغلال هذه السمكة الذهبية، لن تستطيع ذلك أبدا،
طرق باب شقتها فمسحت دموعها ونهضت بتثاقل لتفتحه، فإذا بهما مسعود وزوجته ..
افسحت لهما المجال للدخول فدخل مسعود و مسعود وهو يراقبها بشفقة ثم قال بعتاب كبير: -مراد بك ، كان في شقتك قبل قليل يا جمانة.
زفرت جمانة بعصبية وهتفت به :
-وما الذي تقصده بكلامك ؟
ظهر امتعاض جلي على سحنته وأجاب :
-نحن نعرف أخلاقك جيدا، لكن الناس والجيران سيستمتعون وهم يلوكون سيرتك عندما يوصلك بين فترة وأخرى بسيارته الفارهة إلى هذا الحي التعس أتدركين معنى ذلك يا جمانة وبحينا تحديدا !؟ وبالنسبة لك ولحالتك؟ لوحت بيدها بانزعاج وصرخت به:
-فليذهبوا إلى جهنم، آخر همي ما سيلوكه الناس، لقد اكتفيت من منهم",ربتت زوجة مسعود على كتفها قائلة بلطف: تعلمين أننا نتكلم لأجل مصلحتك فقط ياجمانة، أنت أمانة في أعناقنا، وصية الغالية قبل وفاتها.
اعتصرت قبضتيها ببعضهما وغمغمت بقهر :
-لقد تعبت ...تعبت من هذه الحياة ومن نفسي ومن ملاحقته لي،ومن اتهامات الناس القاتلة، جريمتي الكبرى أني فتاة يتيمة تعيش بمفردها أي ذنب اقترفته

حتى تتم محاسبتي بهذا الشكل!

******

24

دق جرس الباب...
استجابت عبير وتوقفت بوجها بوجه مع هذا الرجل...الذي بالكاد تتذكر ملامحه..
أعادها سنوات طويلة جداً إلى الوراء...تمسكت بمقبض الباب ونظرات الذعر قد أطلت من عينيها
فشد عابد بقبضته على حقيبة يده وحدق بعبير يحاول التماس طيف تشابه بينها وبين شقيقتها الصغرة رغد، ظلت صامتة مبهوتة من صدمة لم تستفق منها حتى تقدم رضوان من الباب متسائلا بعدما توجهت عبير لتفتح الباب ولم يصدر منها أي صوت : من الطارق ؟
قطع كلماته حينما رأى عابد أمامه..الصدمة قد تملكت منه أيضا لكنه تجاوز عبير وتقدم منه محتضنا إياه وهو يقول بحرارة وعيناه معلقتان على أعلى السلم : أيعقل!!! حمدا لله على سلامتك،
كيف خرجت ؟ متى ! يا الهي!!
تلاحقت أسئلته فتبسم عابد متسائلا : ألن تدعوني للدخول ؟
تنتح رضوان بارتباك معتذرا : آسف، اعذرني تفضل بالدخول، الصدمة أربكتني .
تنحى رضوان ليدلف عابد وهو ينظر حوله بينما عبير دمعت عيناها وهي تراقبه لتذكرها شقيقتها، فقال رضوان : ادخلي وأغلقي الباب .
وقبل أن تتابع المسير تقدم منها رضوان قائلا يهمس : أرسلي بناتك ليشغلاه

عن النزول إلى هنا وبسرعة.
هزت برأسها موافقة وهو تدعو الله أن يمر الأمر بسلام وتوجهت مسرعة نحو غرفة نور لتقول بلهفة : نادي عسل واصعدا لشقة آدم واشغليه عن النزول حتى أتصل بك بسرعة "
حدقت بها نور بعدم فهم وتسائلت : لما ؟ ومن الذي حضر "
-هيا هيا لا تكثري الحديث ونفذي ما أخبرتك به فورا"
- ماما؟؟ ما الأمر من الذي حضر .
ارتدت عبير على السرير جالسة بقدمين ترتجفان وقالت بخوف: والد....آدم، هرج من السجن.
شهقت نور فغطت يدها على فمها وهرعت من فورها ناحية عسل لتقبض على كفها وتصعدا ناحية شقة آدم.
أغلق رضوان باب غرفة مكتبه وجلس بجانب عابد على الأريكة متسائلا بلهفة : كيف خرجت ومتى؟
-شملني قرار العفو العام "
تبسم عابد بسعادة :سبحان الله! و الحمد لله على سلامتك، ألم أقل لك أن فرج الله قريب"
هز عابد راسه موافقا وفكره مشغول وهو يتلفت حوله ثم سأل بلهفة وقلق: أين هو الآن؟,عرف رضوان مقصده فأجاب : في شقته في الطابق العلوي "
أغمض عابد عيناه بفرح لم يستطع كبحه فقال رضوان فورا : اصبر قليلا وستخبره بنفسك كل ما جرى لكن دعها للغد حتى ترتاح قليلا، ربما يعرفك إن رآك، ملامحك لم تتغير كثيراً عن ذي قبل " ,تنهد عابد قائلاً بقلة حيلة :
عشرون عاماً قضيتها صابراً يا رضوان، عشرون عام!
- والله سبحانه قد رأف بك، من المؤبد إلى العشرين عاماً فاصبر حتى الغد على أقل تقدير لنخبره بذلك.
أغمض عابد عيناه ثم قال وهو ينهض إذا سأغادر كي لا يراني الليلة "
-لا لن تغادر طبعا، أرسلت ابنتي نور وعسل لإلهائه عن النزول هذا المساء

وغداً سنرى ما علينا فعله "******
حدجها آدم بنظرة تشكيك وسأل مجددا :استمكثين طويلا عندي؟
رفعت حاجبيها دهشة وأجابت: هل مللت مني سيد آدم !؟
تبسم قائلاً وهو يحدق بعسل المشغولة بالرسم وأجاب يهمس: و هل يمل المرء من روح تسكن جسده !
أشاحت نور بنظراتها عنه وقالت بارتباك : كن مؤدباً يا ولد قلت لك لن أنزل حتى يغادر الضيوف"
- ومن عندكم ؟
- صديقات والدتي من الجمعية ...و كي لا تشاغب عسل أمامهم صرفتها والدتي وصرفتني معها .
قهقه آدم عندما صاحت عسل باستنكار: أنا مشاغبة يا ملاك الحي العاقل !
-حسنا لا تتشاجرا الآن " ******
هبط مراد درجات السلم وخطى إلى داخل المكتب بعدما أعلمته والدته عن قدوم عابد، تهللت أساريره وهم صافحه بحرارة : أهلا بك يا عمي وحمدا لله على سلامتك"
ربت عابد على كتف مراد مجيبا بفخر : ماشاءالله كم كبرت يا مراد، ومبارك زواجك أخبرني رضوان بأنك تزوجت منذ فترة وجيزة "
-ليبارك الله بعمرك، نعم منذ بضعة أشهر فقط ما أزال حديث العهد بهذه المعركة " ارتسمت ابتسامة حانية وشرد مجددا يغالب غليان صدره للقاءه بابنه خطت عبير لداخل المكتب وقالت بحبور :جهز طعام العشاء، تفضلوا" وجلس الجميع أمام طاولة الطعام، وافتهم إليسا بعد لحظات قليلة وهي تلقي السلام على عابد وتتخذ مجلسها بالقرب من مراد .,التفت عابد ناحية مراد وتسائل بشغف : هل هو بارع في عمله؟ حدثني عنه، عن تصرفاته والدك لم يكن يروي فضولي عندما كان يزورني في السجن "
تبادل رضوان وزوجته نظرات شفقة على لهفة عابد الجلية لمقابلة آدم فقال مراد باسما :

لن أستطيع أن أصفه لك يا عمي، مهما تكلمنا عنه لن ننصفه، انتظر قليلاً حتى نحادثه بشأن وجودك وحينها ستراه كما هو .,لاحت مسحة حزن على وجه عابد فقال مراد معقبا بابتسامة ليزيح غمامة الحزن عنه : لكن أتعلم ...إنه دونجوان، سبحان الله ما إن خطت قدماه أرض الشركة حتى سلب عقول الفتيات هناك"
حتى الموظفة- فرح- أبي...تعرفها حتما، حدقت به كالمخابيل حينما قابلته .
تبسم عابد وأردفت عبير بحنو بعدها: ولدك شهم يا عابد، محترم، أستأمنه على عائلتي ولم يخذلنا يوماً أو يستغل الأمانة....إنه كأحد أبنائي.
تنهد عابد وقال بامتنان صادق :
-الحمد لله والفضل في ذلك يعود لك ولتربيتك الحسنة له لاحتضانه واحتوائه، لن أنسى فضلكم ما حييت.
ربت رضوان على كفه بابتسامة فتسائل مراد عن نور وعسل فقالت عبير: بشقة آدم..هل تريدهما بشيء ؟
-لا .. الحمد لله لقد شبعت ! عن أذنكم سأصعد إليه إذن "
وهرول مراد درجات السلم وهو يتمتم بسخط : طبعا سيروق له ذلك حتماً فحبيبة القلب عنده " ,كانت عسل ماتزال منشغلة بالرسم برفقة نور بينما آدم خرج إلى الشرفة لربما هرباً من الانفراد بها بينما يكتفي باختلاس النظرات عبر الزجاج بين فينة وأخرى،
صعد مراد درجات السلم ليتبسم من فوره عندما استدرك أن الباب مفتوح على مصراعه، خطى إلى الداخل :مساء الخير .,رفعت نور رأسها ناحيته وردت السلام فناداه آدم بعدما سمع صوته: أنا هنا.,اتجه ناحية الشرفة بتؤدة ثم اتكئ على الباب الزجاجي : عودة سريعة أليس كذلك "
فقال آدم مجيبا : جميعكم غريبون هذه الليلة، هل تحضرون لحفلة عيد ميلادي قبل شهرين مثلا !
قهقه مراد وهو يجلس على الكرسي بشكل معكوس قائلاً : لربما من يدري.
ثم رفع صوته جاهرا لتسمع شقيقته:

ولربما سيختارون لك عروسا بهذه المناسبة
على كل حال، المفاجآت جميلة كيفما كانت .راقب مراد تعبيرات الانزعاج البادية على سحنة نور وهو يطللعها عبر الزجاج فأردف بهدف إغاظتها :
سمعت أنها جميلة جدا "
تطلع فيه آدم مجددا وسأل : من هي ؟؟
-العروس "
غمز آدم وهو يحدق في نور من خلف الزجاج إلعب غيرها...انفرجت أسارير نور لترتسم ابتسامة استحياء على وجنتها فأطرقت برأسها أكثر ناحية عسل بينما قال مراد بغيظ وبصوت خفيض : تأدب يا ولد، على الاقل احترم كونك تتحدث عن شقيقتي! ,قال آدم بجدية:سيتغير كل شيء في القريب إن شاءالله .
ليدحجه مراد بنظرة ذات مغزى وهو بالكاد يكبح جماح نفسه عن الافصاح بصدمتين متتاليتين ينتظر فقط أن يتأكد من الثانية! و قال بشرود : فعلا ستتغير الكثير من الأشياء في القريب العاجل .,خطت نور إلى الشرفة وهي تقدم كأسا من الشاي لمراد فقال : تجهزي وأخبري إليسا سنسهر سويا هذه الليلة
******"

لم يفشل كريم طوال حياته، لطالما حصل على كل ما يرغب به لكن وبسبب نور...خسر كل شيء، دلف إلى غرفته بخطى بطيئة ليرتمي على السرير من فوره حتى دون أن يهتم بتبديل ملابسه، صار يعبث بهاتفه حتى أخرج صورة نور.، ندت من عينيه دمعة مسحها من فوره وهو يتمتم : أحبك
ثم تنهد وهو يحادث صورتها: تعرفين أنه لا قدرة لي على إيذائك، وها أنذا أموت كل يوم أي جنون هذا !؟ .
صرخ بعنف ورمى بالهاتف على الحائط بعنف واستدار إلى الجهة الأخرى ليدفن وجهه بالوسادة .,خطت والدته أمينة لداخل حجرتها وقالت لزوجها محمد: يكفي، لن أسمح له بالتمادي أكثر بسبب تلك المدللة، سيضيع بسبب عشقه لها.
تنهد محمد وهو يرجع راسه إلى الوراء قائلا بضيق: -وما العمل! أجبرته على

العودة لفتح متجره صباحاً كي يشغل نفسه عنها، لكن ليلا لن أستطيع الضغط عليه أكثر من ذلك .پش
جلست على حافة السرير ثم قالت قب : لكن انا أعرف ما علي فعله، لن ينساها إلا إذا زوجناه .
رفع محمد حاجبيه قائلاً : لا تتسرعي، لا نريد أن نزيد الامر سوءا...ليست ضغطة زر و ينساها...يحتاج وقتاً .
- بل هذا هو الحل الوحيد لمشكلته، انتظر وسترى ما الذي سأفعله .,******
هرولا درجات السلم فقال آدم وهو يهم لطرق باب منزل مراد : سألقي السلام عليهما وأعود سريعا لم أرهما الليلة "
لكن مراد سحبه بسرعه وقال وهو يدفعله ليهبطا السلم : لن تتناقص ساعات حياتك إن لم ترى خالتك لليلة واحدة هيا هيا تحرك أمامي .كان ثوبا أسودا ناعما طويل الأكمام يضيق على جسدها ويصل إلى ما أسفل ركبتيها، تألقت به نور بينما حملت معطفها الأحمر وتقدمت منهما ، تاهت نظرات آدم وهو يطالعها بانبهار ولم يشعر إلا بلكمة اخترقت معدته من مراد الذي همس حانقا: إكسر عينيك !
-غبي !! هذا مؤلم "
فرك معدته بكفه بينما رفع مراد حاجبه الأيمن قائلا بلا مبالاة: عندما تصبح حلالك حدق كما تشاء"
فتمتم آدم بوله: قريباً إن شاء الله... قريباً.*****

25

,هنالك من نكتشف بأننا نحبهم منذ لحظة اللقاء الأول, منذ أول خفقة من خفقات القلب، ومن النظرة الأولى.. من أول همسة.. وهناك من نكتشف بأننا غرقنا بحبهم لكن ...بعد فوات الأمان.,كان يعقد ربطة عنقه أمام المرآة يستعد للذهاب إلى شركته وهو يدندن كلمات أغنية ...وبدا شارد في عينين رآهما صريحتين وواضحتين وضوح النجوم في ليلة صافية...أما إليسا كانت تحدق فيه

ببسمة ..فهو البداية والنهاية ...عيناه الوقحتين وكلماته الأوقح..ضحكت وهي ما تزال مستلقية على السرير، تنبه على نظراتها وضحكتهت فقال يشاكسها : وسيمٌ أليس كذلك "
اعتدلت بمجلسها :أنت مغرور .
اقترب منها واحنى جذعه تجاهها وقرصها من وجنتيها بينما يقول مداعباً وهو يتأمل شعرها الأحمر الفوضوية المتناثر حول كتفيها النحيلين : كيف لي ألا أصاب بالغرور وأرنبتي الحمراء معي !
-هووف مراد كف عن مناداتي بأرنبة لم أعد صغيرة.
رفع حاجبه متسائلاً وهو يمسح على شعرها : هل تزعجك كلمة أرنبة؟
هزت رأسها موافقة فانحنى تجاهها أكثر وبدأ بدغدغتها وهو يعيدها مراراً : يا أرنبة.. أتزعجك كلمة أرنبة يا أرنبتي الجمراء!!
تعالت ضحكات إليسا وهي تبعد يديه عن خاصرتها هاتفة برجاء : كفى رجاءً لم أعد أحتمل ابتعد أخيراً عنها وما زالت البسمة لا تفارق شفتيه، قبل جبهتها مودعاً وكأنما انتهى من وداع طفلته ثم انتشل جاكيت بذلته السوداء وقال وهو يخطو خارجاً: سأحضر لك الجزر عند عودتي "
تعالى غيظها منه فقفزت عن السرير ولحقت به وهي تجز على أسنانها بغيظ: سأشكوك لبابا رضوان وسترى"ولم تكد قدماها تخطوان خارج باب غرفتهما بخطوتين حتى دفعها بعنف إلى الداخل مغلقاً الباب خلفه وقد تبدلت لهجته مئة وثمانون درجة : كيف تخرجين بهذا الثوب وهنالك رجلُ غريب يقيم هنا الآن !حدقت فيه بارتباكٍ واضح وأجابت بلعثمة وهي على وشك البكاء : أسفة لم أنتبه"
قال محذراً : أول مرة وأخر مرة،التساهل الذي كان ببيت والديك عليك نسيانه.. إن تكرر الأمر مجدداً حتى لو بالخطأ لن يحصل خيرٌ أبداً يا جمانة"
جمدتها الصدمة فقالت تعيد : جمانة ؟!
تنبه لنفسه فقال متغافلاً عن هذا الخطأ: هل كلامي واضح يا إليسا ؟ ولن أعيد تحذيري مرتين,خطى خارجاً ليغادر بينما جمدت دمعة إليسا بمقلتيها من

صراخه المباغت ومن هفوته بذلك الاسم الذي بدا وكأنه معتاد على نطقه مراراً وبأريحية ..مسحت دمعتها بكفيها ثم جلست على السرير بينما هو اعتصر قبضة يده بغيظ من جنيته التي لم تعد تغادر تفكيره مطلقا وخاصة بعد شكوكه التي تنامت داخل صدره عن هويتها..بل والأهم من ذلك العناق الذي ما يزال منقوشا على صدره..لم يعانقها بذراعيه فقط بل بنبض قلبه ...بروحه التي استكانت رغم جنون الموقف.. شعور لم يألفه مع امرأة قبلها، نفخ بضيق وهو يتمتم : اخرجي من تفكيري يا جمانة،اخرجي ...هذا الطريق لا خير فيه ..,وصل ناحية مكتبه محاولا تجاهلها..لكنه لم يرها خلف مكتبها نظر إلى ساعته التي تجاوزت التاسعة والنصف صباحاً، خطى الى الداخل ليجلس خلف المكتب يحاول الانشغال بعمله بينما ما يزال تفكيره معلقاً بها وهو يهدد ويتوعد بعقابها على تأخيرها المتعمد حتماً، تجاوزت الساعة الحادية عشرة
فاتصل بفرح ليقول بلهجة أمرة إصعدي إلى مكتبي حالاً" ازدردت ريقها بصعوبها وقد استشعرت غضبه فتمتمت وهي تصعد اليه : الله يستر.
طرقت الباب بخفة ودلفت الى الداخل :
-مراد بك طلبتني"
أبلغي المحاسب بخصم عشرة بالمئة من راتب تلك الجنية تأخرت كثيراً عن العمل ؟
رفعت حاجبيها لتقول بعدم فهم: الجنية ؟؟!
-هووووف فرح، جمانة اقصد جمانة .,شهقت فرح وضربت على رأسها بخفة بينما قالت بلعثمة: مراد بك نسيت أن أخبرك أن جمانة جاءت في الصباح الباكر وء...
ضرب على سطح مكتبه بغيظ وهتف: جاءت!
-تركت لك مظروفاً و...
-فررررح تكلمي بوضوح.
-قدمت طلب استقالة .,أطلقت كلماتها بسرعة و أغمضت عيناها بخوف وكأن الشرر قد يتطاير من شدقيه بأية لحظة فقال صارخا: أين المظروف، ولما لم

تخبريني منذ الصباح.
-أقسم لك استاذ مراد انشغلت فـءء
-لا أريد سماع المزيد أحضري المظروف حالاً وحسابك لاحقاً.
-حاضر عن إذنك.اغلقت الباب خلفها وهرولت لتحضره فنهض مراد من على الكرسي بعصبية وأخرج هاتفه ليتصل بجمانة ليلسعه رد المجيب الآلي (الرقم المطلوب خارج نطاق الخدمة) اعتصر الهاتف بقبضة يده بينما أطلقت شفاهه سبةً حانقة، حضرت فرح مجدداً ومدت يدها بالمظروف لينتشله من بين يديها ويقول ساخطاً: اخرجي وأغلقي الباب ولا أريد للجن الأزرق أن يخطو مكتبي
-حاضر..عن إذنك.
فضه بلهفة ليقرأ تلك السطور التي زلزلت كيانه فارتمى على الكرسي بعينين هلعتين. ,((لربما مجيئك إلى المقهى الذي كنت أعمل فيه كان مصادفة، لكن عملي معك كان غلطة، وملاحقتك لي غلطة، حتى تلك المشاعر التي بدأت أشعرها تجاهك هي إثمٌ كبير ولن أقوى على تحمل نتائجه، بدأت الموضوع بعناق وكلمة أحبك ...ولا اعرف صراحة ما الذي اعجبك بفتاة مثلي...لا تنتمي لعالم الأنوثة.. فتاة لا تعرف الحب ومعناه..الحب لم يخلق لأمثالي سيد مراد ، سواء أكنت تتسلى أو كنت جادا انساني.. انسى جمانة التي لخبطت كيانها منذ دخولك لحياتها...
اعذرني فزوجتك لا تستحق ما تفعله بها سيد مراد))اعتصر الورقة بين يديه وهو يصرخ: غبية! غبية!!انتشل جاكيت بذلته وهرول إلى الخارج فاستوقفته فرح قائلة بتلعثم : استاذ رضوان يريدك بمكتبه !
-سيد مراد !!
تجاهلها وخرج من البوابة متجها الى سيارته وانطلق بها بسرعةٍ ناحية منزل جمانة، صعد السلالم واندفع ناحية بابها يطرقه بعنف دون استجابة: افتحي جمانة، أعلم أنك بالداخل، جماانة!
ظهرت زوجة مسعود وهي تهتف بانزعاج : من أنت وماذا تريد؟ لا يوجد أحدٌ بالداخل.تقدم منها متسائلاً بقلق: ما أدراكِ أنتِ.

تطلعت فيه زوجة مسعود وقالت بجمود: غادرت هذا الصباح، تركت المنزل.هل توقف قلبه عن الخفقان أم هو يتهيأ ذلك، هل انسابت من بين يديه بهذه البساطة؟ هل توقف ذلك الحلم الجميل الذي عاشه معها لعدة أشهر؟ أيعقل ذلك... رحلت! لا مستحيل هنالك خطأ حتما! -إلى أين؟ إنها...إنها يتيمة لا أحد له! تسائل بصوت بالكاد أخرج حروفه، لتجيبه برتابة : لا أعلم لم تخبرنا. ,تاهت نظراته وهو يتجاهل المرأة ونزل الدرجات ببطء مميت، يجر قدميه جراً وكأنهما يزنان أطناناً، لا يعلم لما انتابه هذا الشعور القاتل بالفقد بالحرمان..استقل سيارته وسار بها دون أن يعرف إلى أين يقود..رن هاتفه ليقرأ اسم صديقه الضابط ركن السيارة بجانب الطريق وأجابه خوفاً من أن تكون فعلا كشوكه...ليستمع إلى كلمات صديقه وينقبض صدره، شعر بتقلصٍ في أمعائه، بضربات صدره التي تضاعفت عن معدلها الطبيعي، أغلق الخط وجمدت ملامحه على الطريق أمامه، صار خاوياً فجأةً، صحراوياً قاحلا رغم اكتظاظه بالسيارات وقت الذروة! ضرب على المقود بعصبية وضحك.
ابنة خالتي! ..إنها...ابنة خالتي!!
صرخ بجنون وهو يضرب المقود...
(أنت شقيقته يا غبية، أنت ابنة عابد، ابنته! كنت مستعدٌ لانتشالك من بؤسك، وعدتك بفرحٍ قريب أيتها الأنانية لما رحلت ؟!

****

استيقظ كريم صباحاً على وقع خطوات والدته التي ترتدي حذائها ذو الكعب العالي وهي تسحب الستائر لتغمر الغرفة أشعة الشمس الذهبية فتأفف بانزعاج وهو يغطي عينيه بساعده:
-ما هذا الإزعاج منذ الصباح، أغلقيها!
تبسمت أمينة وهي تقترب منه قائلة:

هيا استيقظ أيها الكسول لقد تخطت الساعة الثانية عشر ظهرا، تأخرت عن متجرك .
نفخ بقوة وهو يغطي وجهه بالوسادة وقال مغتاظا: لا رغبة لي بالذهاب اليوم.
سحبت أمينة اللحاف من فوقه وقالت بمكر : هيا انهض وكفى كسلاً، ثم قالت بلهجة ذات معنى : -تجهز سيحضر ضيف بعد قليل .
-وما شأني بضيوفكم أمينة هانم ؟ ,فلد....لا تقابلهم انت حر لكن استبدل ملابسك واحضر لي بعض الطلبات التي أحتاجها .
-ولد..ولد، فوق الإهانة ..إهانة بحروف مغلوطة!كل هذه السنوات ولم تعرفي حتى الآن نطق حرف الواو كخلق الله !
ثم نهض بانزعاج وتجاوز والدته ليدلف إلى الحمام فقالت وهي ترفع صوتها:

-حضرت لك ثيابك، إنها على الأريكة .
تمتم بامتعاض واضح : حسناً.
-لا تنسى إحضار العصير ..
-حاضر أمي .
خلع ملابسه فعاودت أمينة الصياح من الخارج : -والمثلجات يا كريم ،
-حاااااضر ، حااضر، أمرك ،.اعتقيني
قهقهت بصوت خفيض و تأملت تلك البذلة الرسمية التي وضعتها على الأريكة ليرتديها وتبسمت بمكر وهي تتمتم بتحد: لنرى آخرتها مع عنادك ، إن لم أنسيك إياها لن أكون أمينة يوزوغلو",خرج من الحمام بعد دقائق ليستبدل ملابسه، جفف نفسه ثم استدار ليرمق البذلة بانزعاج :منذ متى وانا ارتدي بذلة رسمية ؟ هووووف أمي مابك اليوم ! ,سمع صوت جرس باب المنزل فتمتم بتذمر من ضيوف الغفلة بهذا الصباح وشرع بانتقاء بنطال رياضي أسود وكنزة قطنية زرقاء ضيقة نحتت عضلاته بشكل جلي و هم بتسريح شعره أمام المرآة، كان وجهه شاحبا والهالات السوداء أثبتت نفسها وبجدارة تحت عينيه المرهقتين جراء سهره المتواصل لكن ذلك لم يخفي وسامته،

خرج من غرفته ليستمع إلى أصوات ضحكات نسائية متفاوتة، شعرت والدته على وقع أقدامه
توقف أمام باب الشقة وكاد أن يمسك المقبض فنادته والدته بصوت عال باللغة التركية : تعال يا كريم وسلم على ضيوفنا .,لاا..هذا كثير ؟نفخ بضيق
واستجاب لمطلب والدته على مضض وسار تجاه غرفة الضيوف وهو يحاول رسم ابتسامة مجاملة،
-صباح الخير" نطقها بسرعة بلغته التركية المتينة وهو يدخل ففوجئ بخالته نازلي وابنتها جيرين.
حدق بحبور وتوجه ناحية نازلي التي انهالت على ابن اختها بالقبلات فتفتم باسماً: نازلي هانم...نورت ...والله نورت .
- نورك حبيبي...يا ابن الغالية .
قبل جبهتها وتوجه ناحية جيرين ومد يده لمصافحتها لكنه تعلقت فيه وقبلت وجنتيه ليجمد مكانه! جيرين لم تعد صغيرة على هذه التصرفات ..أبعد نفسها عنها وتحاشى النظر إلى ملابسها التي لا ترى بالعين المجردة!
مجرد شورت قصير مع كنزة سوداء قصيرة بلا أكمام !
كانت جيرين بيضاء البشرة ذات شعر متماوج مصبوغٍ أحمر اللون ووجه ناعم وعينان بنيتان كحيلتان،
ألقى بضع كلمات مجاملاً
ثم استدار ناحية والدته قائلا بسرعة بالتركية : عن إذنكم سأغادر الآن .,خرج بينما اكتفت والدته بالتحديق فيه وهو يغادر ببساطة فشعرت بالحرج من تصرفه وقالت وهي تتبسم بإحراج لشقيقتها: مشاغله كثيرة في هذه الفترة..
-ليكن الله في عونه " قالتها نازلي ثم أردفت: الأيام قادمة العطلة ما تزال في بدايتها ونحن هنا..لن نهرب.
ضحكت أمينة تتوعد كريم: ايه..الأيام قادمة حبيبتي..الأيام قادمة.*******,تلمس عابد بيده رخام القبر وكأنها ما تزال بجانبه، تستمع إليه.. ذلك القبر الذي لم يخبر عنه أحد لآدم الذين كذبوا عليه وأخبروه أنه

بمدينة أخرى ..حيث توفيت .
جلس عابد على الحافة الحجرية وهو يداعب بأصابعه باقة زهور البنفسج :
أتذكرين ...كنت تحبينها جدا، تعشقين البنفسج ورائحته، ومن اليوم وبعدما صرت حرا أخيرا، سأحضرها لك دائما.,تنهد وهو يكبت دمعة تناضل لتجتاز حاجز عينيه:
-عشرون عاماً مرت لكن عيناك في في كل ليلة كانتا تهويدة غفوتي، مخدر لأنام بأمان، أشعر بأنك تسمعينني، أريد أن أصدق ذلك يا رغد، ست سنوات فقط كانت هي حصيلة ذكرياتنا لكنها ستظل محفورة أبد الدهر،
صمت قليلاً وهو يستجمع كلمات وأخبارا ليبثها لها :
-تعرفين ...سأقابل آدم اليوم ولأول مرة، انا خائف فعلا من ردة فعله، أفهموه بأني ميت منذ طفولته، لا أعرف كيف سيتقبل هذه الحقيقة، اشتاق لاحتضانه يا حبيبتي، اشتاق للإحساس بمشاعر الأبوة الحقيقية وهو بين ذراعي، وكم أتمنى أن يتقبلني)),وتذكر عابد أحداث الحادثة في العام 1990
قالها الوطواط بعدما استطاع الوصول إليهما : أتعلم يا عابد.، بوجود رغد على سطح السفينة استطعت ضرب عصفورين بحجر واحد.، القضاء على ذلك العقيد الذي يحفر ورائي منذ مقتل حماك المصون " ثم اقترب منه أكثر وشد بقبضته على شعر عابد المقيد على الكرسي وقد أنهكته آثار الضرب المبرح الذي تعرض له من رجال الوطواط، أردف ولهيب انفاسه الخانقة تغتال روحه: والقضاء عليك بعد خيانتك لي، خيانة عمل العائلة والجماعة. ,بصق عابد عليه بكل حقد فركله الوطواط بعنف على صدره وقال جازا على أسنانه:
-الخيانة ...تستحق الموت عابد الآغا.
لكن عقوبتي لك ...لن تكون الموت حتما،
لأن الموت رحمة....وانا لا أحب أن أرحم، ,اغتالت روحه كلمات الوطواط بعدما سلب منه أعز ما يملك، فأردف الوطواط ساخرا : ست سنوات وأنا أبحث عنك، من بلد لآخر ..وأنت كالفأر تتوارى بزوجتك ولم تكتف بذلك، بل أعلنت صراحة محاربتي، ومن حينها وقعت على صك موتك بيديك يا ابن

أخي",انحنى تجاهه وضغط إصبعه على صدر عابد وقال بمكر شيطاني:
الرصاصة اخترقت صدرها، بهذه النقطة تحديداً ،وبهذا خططت النهاية .
والآن انتهى دوري في مسرحيتك السخيفة، وحان دورك أنت في مراجعة التفاصيل لتتسلى فيها حتى آخر أيامك .
صرخ عابد بجنون..أولادي...أولادي أيها الحقير!
لكنه كان قد غادر تاركا إياه مكبلا على الكرسي، زأر عابد كالوحوش، صرخ حتى كفت حنجرته عن إطلاق المزيد، شعر بسكاكين تخترق صدره على فقدها، وبالألم على مصير طفليه آدم وجمانة، ملاكيه الصغيرين اللذين لم يرتوي بعد منهما، ,وبعد صراع عنيف مع نفسه وآلام روحه، سمع صوت سيارة الشرطة، ولتداهم الدورية ذلك المنزل المهجور الذي احتجزه في الوطواط وكان أحد رجال الوطواط قد اتصل بالشرطة للإبلاغ عن احتجاز تاجر السلاح عابد الآغا.
أحيل من بعدها فورا إلى المحاكمة بصفته تاجر سلاح، ليصبح سجيناً على أرض الواقع وسجين ماض تنهش ذكرياته رغد دون رحمة، وصدق الوطواط حينما اخبره بأن الموت رحمة له، الموت رحمة بالنسبة لرجم ذكرياته القاتلة، وحاضره خوفاً على مصير طفليه بعدما فجعه المحامي حينما أخبره بأن الصغيرة توفيت في الميتم على أقوال المديرة المسؤولة، وآدم تسلمته خالته بعدما عرفت متأخرة جدا بالفاجعة التي حلت بشقيقتها وابنتها
الرضيعة.. .,ربت رضوان على كتفه لينتشله من شروده بالماضي وقال : هيا يا عابد لنغادر "
تطلع فيه عابد بعينين حمراوين كانتا تشتاقان للبكاء، لكن عابد لن يبكي حتما، تعود منذ طفولته أن الرجال لا يبكون، فلم يذرف دمعة بحياته، لم يسمح لها بتجاوز حاجز رموشه، حتى عندما توفيت رغد في ذلك الحادث لم يذرف دمعة واحدة، بل شعر بنار تتأجج في صدره، بحريق لهيبه اكتسح قلبه لتحوله إلى رماد،
طرد تلك الذكريات التي احتلته شر احتلال و

أومئ لرضوان موافقا وعاود ارتداء نظارته السوداء ليغادر مدفن ذكرياته الموجعة .,**********

26,جلست نور برفقة عبير في الصالة بينما انشغلت عسل بمتابعة التلفاز، تقدمت الخادمة لتعلمهم : -طعام الفطور جاهز .
أومات لها عبير شاكرة واستدارت ناحية نور وقالت بهدوء: إن إليسا لم تنزل حتى الآن اذهبي إليها وأيقظيها لربما ما تزال نائمة .
انصاعت نور لمطلب والدتها وطرقت الباب على إليسا التي أجابتها بوهن: تفضل .
مسحت دموعها بسرعة حين فتحت نور الباب ودلفت إلى الداخل لتفاجئ باحمرار عيني إليسا فتسائلت بقلق: هل أنت بخير ؟ أكنت تبكين؟!,هزت إليسا رأسها نافية بينما دموعها بدأت بالإنهمار مجدداً فغطت وجهها بيديها لتهرع نور ناحيتها بقلق وتتسائل : ما بك إليسا؟ لما تبكين ؟
هدأت نفسها قليلاً لتروي لنور ما فعله مراد صباحاً حينما أخطأ باسمها ونادها جمانة، لتضغط نور على كفيها بحنق من شقيقها فهي تعرف أنه لعوب محب للنساء قبل أن يتزوج، لكنها لم تتوقع أنه ما يزال يلاحق الفتيات حتى بعد زواجه، رسمت ابتسامة مطمئنة وقالت محاولة لتهدئتها : ألهذا تبكين الآن؟ هيا امسحي دموعك فأنت تعرفين أنه يحبك وإن أخطا فهذا لا يعني أنه يخونك" ,تطلعت فيها إليسا بغضل: كفى تبريرات يا نور، لقد تغير معي كثيرًا، بات كثير الغضب ولم يعد يتكلم معي كما السابق، لم يعد يشتري لي الشوكولاه .,رفعت نور حاجبيها دهشة وأطلقت ضحكة عالية قبل أن تقول :طلقيه وتزوجي بي سأشتري أنا الشوكولاه لك كل يوم "
تبسمت إليسا من كلماتها وهي تمسح اثر الدموع
فأردفت نور : صدقيني أنا لا أدافع عن مراد، أنا متأكدة أنه خطأ غير مقصود وهذا ليس دليلاً قاطعا ًعلى خيانته، لا تسممي حياتك بهذه الأفكار إن لم تشهدي خيانته بعينيك، اتفقنا" ,-إن شاءالله" قالتها إليسا وهي تنهض من على

السرير فهتفت نور بسرعة : اسمعي ما رأيك أن نذهب بعد الفطور إلى السوق يلزمني شراء القليل من الالبسة والأحذية، سنتسلى وسأشتري لك الشوكولاه .
ضحكت الفتاتان وهما تهبطان درجات السلم فقالت عبير بعتاب: تجاوزت الساعة الواحدة ظهرًا يا ابنتي وما تزالين نائمة ؟ ,أشاحت إليسا بعينيها وهي تتمتم باعتذارات فقالت نور ضاحكة :لا لم تكن نائمة مراد بك صرخ بها صباحا لأنها تجاوزت حدود الغرفة بفستانٍ قصير .
لكزتها إليسا بحنق بينما اشتعلت وجنتاها خجلاً فابتسمت عبير مخاطبة إياها: لم يخطئ إذن ، يغار عليك وهذا حقه لا سيما بأن لدينا ضيوفًا هذه الفترة، وآدم غالباً ما ينزل في الصباح.. عليكِ الانتباه أكثر من الآن وصاعداً .,هزت إليسا رأسها بتفهم ثم شرعوا بتناول الطعام .
فقالت نور باستئذان: سنذهب بعد إذنك انا وإليسا إلى السوق اليوم
هزت عبير رأسها موافقة وبعد صمت قصير قالت : ما رأيك إن إتصلت برهف كذلك لاصطحابها معكن. .
شردت نور بكلمات والدتها وقالت بحزن: أتمنى ذلك لكن المشكلة ليست برهف بل بزوجة عمي أمينة، لم تتكلم معي منذ ذلك الحين .,- أمينة قلبها طيب جدا ستنسى لا تشغلي بالك أنت لم تخطئي، إنه النصيب .
ثم أردفت بعد فترة صمت : لكن كريم شاب خلوق ومحترم جدًا كنت سأسعد بزواجك منه .,حدقت نور بوالدتها باندهاش وأجابت بخجل : لا أريد التفكير بهذه الأمور من الآن سأستكمل دراستي وفقط .,تطلعت عبير بابنتها نظرات ذات معنى ثم قالت بطريقة غير مباشرة : أو لربما القلب قد اختار طريقاً آخر .
تنحنحت نور بارتباك وقالت بخجل وهي تقف: لا أمي، اي طريق تقصدين، دراستي هي الأهم حالياً، الحمد لله لقد شبعت، عن إذنك.
هربت نور من أمامها بينما تبسمت إليسا وقد أطرقت راسها أرضاً لتتسائل عبير : آدم أليس كذلك .
رفعت إليسا رأسها بصدمة لتجيب بلعثمة :ماما عبير ! أنا....لا .,شابكت عبير أصابعها على الطاولة وقالت برزانة: -لو كان شابا آخر ما كنت لأقبل حتماً بأن

تخفي نور علي هذا الأمر، لكن مع آدم ...الأمر مختلف، هو تربيتي وأعرف أخلاقه جيدا، لا تستهيني بقلب الأم يا ابنتي..,هزت أليسا رأسها بإيجاب ولم تعرف بما تجيبها بل اكتفت بابتسامة هادئة.. فاستأذنت كذلك ونهضت ..
أما عبير فتنهدت براحة وقد تأكدت شكوكها..آدم هو قطعة من قلبها..كيف لها ألا تعرف مشاعر ابنها الذي ربته كيف لها ألا تفهم نظرات الحب بينهما ..بين قطعتين من قلبها !
كادت نور أن تخرج قبيل المساء فتعلقت عسل بها وصاحت بتذمر: أريد الذهاب أيضا.
-عسل!! قالتها نور بنفاذ صبر فقالت عبير لابنتها: -اصطحبيها معك لتتسلى قليلا ،
-حاضر ماما" قالتها نور بقلة حيلة فصفقت عسل بمرح وهرولت لتستبدل ملابسها .
بعد ساعة من الزمن وصلت الفتيات إلى السوق بعد أن أوصلهم راغب فطلبت منه نور الرحيل لأنهن سيتأخرن، جلسن في أحد المقاهي بانتظار رهف التي قد وافتهم بعد مدة وجيزة، لم تكن رهف قد اتخذت موقفا سلبياً من نور لأنها تؤمن بالحب فلا ذنب لنور إن لم تستطيع تقبل كريم لكن ذلك لا يمنع أن تحزن على شقيقها الوحيد وخاصة أنه لم يستطع التنازل عن مشاعره العاشقة لنور حتى اللحظة..لكنها لم تأتي بمفردها بل حضرت برفقة(جيرين) ..
رحبت بها نور أما إليسا فضحكت وهي تشاهد جيرين وهمست لنور: إنها تركية تركية !
ضربتها نور بخفة : اخرسي..
-لا تعرف العربي أليس كذلك؟
-لا.
- حضرت اليوم صباحاً مع خالتي نازلي لقضاء الإجازة ..أنا سأتكفل بالدبجلة اليسا لا تقلقي.
-واين ملابسها؟ أنسيت ارتدائها!

قالتها اليسا هامسة وهي تحدق بذلك الثوب القصير الذي ارتده جيرين لتغطي نور وجهها بيأس من إليسا!
سألتها رهف بعد أن خرجن من المقهى : ما الذي تريدين شراءه بالتحديد
اجابت نور : أحتاج لحذاء جديد وبعض الأثواب
فقالت رهف :
أتعلمين ،.ماجد صديق كريم لديه هنا متجر أحذية وحقائب بضاعته جميلة جداً "
تطلعت إليسا بها مستفهمة : أتقصدين ماجد صاحب متجر - الليدي-؟ .
هزت راسها بإيجاب فقالت نور بارتباك :أعرفه، لكن لن استطيع فمتجر شقيقك قريب منه، لا أريد مزيداً من المشاكل يا رهف يكفيني ما حصل حتى اللحظة" ,تنهدت رهف و هي توافقها الرأي لكنها قالت مجدداً: سيتفهم كريم موقفك حتما، لن تختبئي منه إلى الأبد ، المسألة تحتاج القيل من الوقت فقط، كما إننا عائلة واحدة يا نور لن يحصل خلافات لأجل هذا الموضوع فلا تقلقي" -أتمنى ذلك فعلا"
قالتها نور وهي ترجو ألا يحصل مشكلة من ذهابهن إلى هناك مع أنها فعلا شعرت بأن أمرا ما سيحصل حتما..
لاحقتهم اعين المارة في فضول بسبب جرأة ثوب جيرين فتطلعت نور بضيق وغمغمت لرهف: ستفضحنا ابنة خالتك..استريها حبا بالله!
لنذهب لمتجر ماجد إنه هناك .لعلنا نجد عنده ثوباً طويلا لاقنعها بأن ترتديه وإن لم يكن عنده سأصحبها لمتجر كريم لتستبدل ملابسها.
اومأت لها نور ودلفن إلى متجر ماجد الذي
رحب بهن بحفاوة بعدما عرف رهف شقيقة كريم وأوكل لأحد الموظفين بأن يساعدهن في انتقاء ما يرغبن فصعدن للطابق الثاني لانتقاء الحقائب ورافقتهن عسل، بينما نور تجاوزتهن للداخل وقد لفت انتباهها حذاء رياضي أبيض اللون بشرائط ملونة، تقدم ماجد ناحيتها لتأمين متطلباتها.. كانت قد ترددت سابقاً لمتجره وأعجبته لكنه لم يدري أن لها صلة قرابة بصديقه كريم،

- ذوقك جميل يا آنسة، جربيه ولن تندمي" التفتت نور بتلقائية ناحيته لتتبسم بحرج وقالت موافقة: فعلا إنه جميل أريد مقاس سبعة وثلاثين بعد إذنك .,-
تحت أمرك" نطقها واتجه ناحية الصناديق
صار يبحث عن المقاس المناسب وجاء بعد فترة وجيزة ليسلمه لها، تسلمته منه بامتنان وتراجعت إلى الخلف لتجلس على إحدى المقاعد الجلدية لتجربته، خلعت حذائها وانتعلت الحذاء الرياضي وشرعت بعقد شرائطه الملونة، انهت الاول سريعا بينما الفردة الثانية عانت معها قليلا فانحنى ماجد على الأرض قائلا بلباقة: دعيني أساعدك آنستي إنها متشابكة قليلا لأنه جديد ",ولم يكمل جملته حتى شعر ماجد بقبضة فولاذية اعتصرت كتفه، هتف كريم جازا على أسنانه
-شكرا لك يا صديقي سأعقده أنا.، لابنة عمي الغالية.,رفعت نور رأسها بخوف من كريم الذي ظهر فجأة أمامهما ، نظراته اكتسحت روحها بينما تراجع ماجد بدهشة عندما أحس بأنها هي ذات الفتاة التي يحبها كريم.,انحنى كريم على الأرض ليعقد شرائط الحذاء الملونة بينما يغلي ويفور من داخله، قالت نور بارتباك: أنا...أنا أحل الأمر .
حاولت إبعاد كفه بأصابعها فتعالت وتيرة تنفسه وهو يستنشق رائحة عطرها، رفع نظراته ناحيتها واغتصب حروفا بالكاد كونت جملة مفيدة : ما تزالين لا تعرفين عقد الشرائط بشكل جيد.
ازدرت لعابها بتوتر ولم تجبه فقال هامساً:
- كيف حالك.,-بب....بخير وأنت "نطقتها بلعثمة واضحة بينما أنهى عقد الشرائط ونهض قائلاً :
- تعرفين حالي جيدا.
نهضت من على المقعد وقالت بألم وقد تجلى بشكل واضح شحوب وجهه :
-آسفة كريم، أنا فعلا...لا أريدك أن تتعذب بسببي"
-وضع إصبعه على شفاهه قائلا: شش.
ثم أردف بمرارة: ليس المكان مناسباً لتعرية المشاعر,نزلت إليسا ورهف برفقة

جيرين وعسل لتجحظ عينا رهف بصدمة من تواجد كريم اما عسل فصفقت بمرح وركضت ناحية كريم وتعلقت بساقه قائلة بمرح: كرومي أنت هنا!!
انحنى تجاه الصغيرة وقد تبدلت ملامح وجهه للبشاشة ليحملها بخفة بين ذراعيه مقبلا وجنتيها: أهلا بقلب كرومي، كيف حالك عروسي؟
-بخير..ثم أنا لست عروسك بل عروس آدم.,اشتدت قبضته بغير إرادة منه على جسد الصغيرة وحدق في نور بألم شطر صدره لنصفين لتتحاشى نور نظراته ..قالت عسل مجدداً :
-اشتقت لك لم تعد تزورنا لتلعب معي
هز رأسه بأسف وقال وهو ما يزال يحدق في نور: انشغلت بالعمل حبيبتي.. العمل يأخذ وقتي..وتفكيري وعقلي .العمل يأخذ نهاري وليلي..أرهقني التفكير فيه! ,اقتربت رهف منهما بسرعة لإنقاذ الموقف: مرحبا .
تطلع كريم بشقيقته وهو ينزل عسل على الأرض وقال باستغراب : أنت أيضا هنا!
-نعم أخي،نحن نتسوق تريد الفتاتان شراء بعض الملابس.
ثم انزاحت نظراته تجاه جيرين وامتقع وجهه بخجل وغضب.
تعالوا إلى متجري حالا...
قالها بهسيس غاضب ثم غادر متجر ماجد..
أشاحت نور ببصرها عنه بينما تطلع فيها نظرة أخيرة واتجه ناحية ماجد وتحدث معه قليلا ثم جلست نور واستبدلت الحذاء مجدداً واتجهت لتدفع ثمنه فقالت المحاسبة بلطف:
تم دفع مشترياتكن كاملة آنساتي.
تبادلت الفتيات نظرات فيما بينهن ليفهمن أن كريم قام بالسداد .
توجهن ناحية متجر كريم الذي سبقهن للمكتب الذي يقع بالطابق العلوي وما إن دخلن حتى أخرج كريم عباءة سوداء وقذفها وجه جيرين..قائلا بغضب وبلغة تركية متينة؛

-اخبرتك مراراً أنك هنا في بلد عربي...وعندما تكونين في بلدي تحترمين عاداته..ارتديه.
احتقنت عينا جيرين لهذه الإهانة وتناولت العباءة من بين يدي كريم وارتدها فوق ملابسها ثم صرخ في رهف: وأنت ...لم لم تمنعيها!
-أخي...آسفة لكن لم أظن أنه من حقي أن أتدخل.
-بل ستتدخلين..هذه مكتوبة على اسمنا...عندما يتعلق الأمر بالأخلاق العامة ستتدخلين وتمنعينها إن كانت خالتك لا تحرك ساكناً.
ارتمى على الكرسي الجلدي وقد بدد القليل من غضبه تأمله لوجه نور الشاحب ثم أدار وجهه للجهة الأخرى ليحدث إليسا.
-انتهيتن من التسوق؟
- أنا...لا اعرف إن نور تشتري.
هز رأسه بتفهم فقالت عسل بحماس : إشتري لي البيتزا انا جائعة"
هتفت بها نور باستنكار : لا يا عسل سأشتريها أنا بعد أن ننتهي يجب أن نخرج الآن
ضيقت عسل حاجبيها وصرخت : لا أريد ان يشتريها كريم لي، ألن تفعل!!
قالتها مجددا لكريم وهي تحدق فيه ببراءة ليقول بارتباك: نعم ...سأشتري لكن جميعا تناولنها هنا ثم تابعن التسوق.
واتصل بأحد المطاعم القريبة التي يتعامل معها لإرسال الطلبات...كانت جيرين تجلس على المقعد وهي تحارب دموعها من هذه الإهانات التي يتعمد كريم أن يهينها فيها كلما التقاها...
ازاحت نظراته مجددا ناحية نور
كيف للمغناطيس أن يرأف بحال قطعة الحديد كيلا يلتصق بها!
لكزت رهف شقيقها وهي تتناول الطعام بعد أن وصل.. ليتنبه كريم على نظراته بينما دعت بسرها أن يمر اليوم بسلام، رن هاتف نور التقطته وجحظت عيناها بينما فهم كريم أن آدم هو المتصل اعتصر الشوكة بيديه فقال راسما ابتسامة ساخرة : أجيبيه لربما يرغب في المجيء.,ضغطت على خيار

الرفض متجاهلة كلمات كريم المتأججة بالغيرة وشرعت بتناول الطعام متحاشية خوض حديث معه و نظراته المرتكزة عليها، قالت بعد فترة : سأذهب إلى الحمام"
-تفضلي...تعرفين كل شبر هنا" قالها ساخراً
فنهضت رهف وتمسكت بساعده لتقول برجاء : رجاءً يا كريم، أرجوك كف عن هذه التصرفات"
دلفت الموظفة تنادي على كريم فنهض من خلف المكتب وقال لشقيقته:انهين الوجبة سريعاً لأقلكن إلى المنزل تأخر الوقت.
وهبط السلالم ليتحدث مع الزبونة ،
انتهى وجال ببصره المكان ..لا يعقل أن تكون نور حتى اللحظة بالحمام ..فتح ستارة الرواق المؤدي إلى المخزن ليجد أن نور بداخل الرواق تتحدث عبر الهاتف فاغلقته فور رؤيتها له وحدقت فيه بانزعاج، خطت لتتجاوزه فقبض على ساعدها وجرها بجانبه حتى فتح باب المخزن وأغلقه على كليهما فهتفت محذرة
-كريم !! ليس من حقك أن تفعل هذه التصرفات رجاء أطلق يدي"
أغمض عينيه بألم لكنها لم تصمت بل هتفت بحدة اكبر: إتركني كريم .
تصاعدت وتيرة أنفاسه الحانقة فضربها على الحائط ليحاصرها بين ذراعيه قائلا بألم: وما الذي يخيفك من الإعتراف له ،.أنك الآن برفقتي، لم كذبتي عليه؟ ,-كريم ابتعد ولا شأن لك !" قالتها بحدة ليقبض على ساعديها بقوة أكبر قائلا : لما ترتجفين! تخافين مني؟ أتظنين أنه باستطاعتي أذيتك؟ ,كريم !
نطقتها برجاء وقد سالت دموعها
حدقت فيه بفزع وحاولت أن تتجاوزه لتفتح الباب لكنه استد عليه مانعا إياها من إمساك المقبض، وأردف بذات الألم: لم نتحدث بعد قرار رفضك..
طيلة سنوات وأنا أحلم بك، أغفو على صورك اللعينة التي ملأت بها هاتفي وجدران غرفتي، عشقتك حد الهوس، أحببتك ولم أتخفى بحبي عن أحد، أخبرت الجميع عن مشاعري.، طلبتك للزواج كي يتوج حبي بالحلال، لكنك

اغتلت حلمي، أغمضت عينيك متجاهلة وجودي بحياتك، صممت أذنيك عن سماعي وانجرفتي وراء حب تتوارين فيه عن أعين الجميع، شهر مر علي بعذاب، شهر لم أصحى فيه من الثمل بسببك، .
قالت بتحد:
-مشاعري ألا تهمك من اختاره قلبي قبل عقلي.
ضرب الحائط براحة يده وغمغم بغضب وهو لا يقدر على رفع صوته: لماذا اعطيتني أملا...كنت ..كنت أخبريني من قبل كيلا اتعلق فيك...كنت غادرت ببساطة ..
-لم أعطك أملا لم أتذكر أنني أعطيتك أملا...أنا ...أنا هكذا تصرفاتي هكذا كنت أعاملك كما أعامل آدم كما أعامل مراد وكأي أحد من أبناء أعمامي..,انكسرت نظرة عينيه وضرب الحائط مجدداً براحة كفه فقالت باكية:
-كريم أنت تخيفني...
همس بألم وهو يقترب منها مغمضا عينيه: أنت..أنت لا تعرفين تأثيرك علي...ما كان عليك أن تتساهلي معي..ماكان عليك أن تقحميني بكل تفاصيل حياتك.
همست بألم وهي تحدق بعينيه المجنونتين:
-لا أريد خسارتك .. أنت لك فضل كبير جداً فيما أنا عليه اليوم..أنت صنعت قوتي ..خلقت في هدفاً وطموحا لم يكن لولاك..
لنعد كما السابق...لتعد ابن عمي الذي التجأ إليه وقت الحاجة..لتعد كما كنت أخي .أنت أخي.كنت أشعر بأمن رهيب ونحن نتحدث..
أعادت الكلمة كتأكيد لتشطر قلبه فاتكأ بجبينه على الحائط بغضب قبل أن يحدق فيها بألم : لست أخوك..لست أخوك أيتها اللئيمة الأنانية ..لست وسادة راحة تذرفين عليها دموعك حين تكونين بحاجتها ثم ترمينها تحت أقدامك بأي وقت تشائين..
ابتعد عنها مردفا بجمود : لن يعود شيء كما السابق بيننا..إن اخترته وكنت مصرة على إكمال حياتك معه..تأكدي أنها نهاية الطريق بيننا..إن رأيتك على

بعد شارع سأغير الطريق.
ثم فتح الباب وخرج غاضباً بينما بالكاد استطاعت أن تسيطر على كبح ارتجاف جسدها، هدأت من نفسها قليلا ومسحت دموعها لتنضم إليهم من جديد..,جلس أمام شاطئ البحر يستمع لصحب الموج الهادر ..سالت دموعه وهو يتذكر بكائها على صدره ذات مساء حينما تلقت صفعة من رضوان ..
كانت طائشة ..وقحة في أحيان كثيرة وكان كريم من يسيطر على وقاحتها..حديثه معها..راحة وأمان كمخدر يحقنه بأوردتها حتى تهدأ ..
قاد سيارته ذات يوم وهي برفقته تبكي بسبب صفعة والدها التي اعتبرتها وقتذاك إهانة كبيرة ..جلسا أمام شاطئ البحر في ذات البقعة الذي يجلس فيها حالياً...كان الموج يتخبط بعنف على الشاطئ..شعرها حر ويتطاير على كتفيها وهي ببيجاما المنزل ..هرعت بعد الصفعة خارجة من منزلها ركضا ناحية منزل عمها محمد ..فتح كريم الباب ليجدها أمامه ..أخذها معه لتهدئتها بعد أن طمأن والديها و جلسا أمام البحر ..
توسدت كتفه وهي تهمس شاكرة
-: ما أجمل الحديث معك...أراحني كثيراً..معك أشعر بحرية الحديث دون خوف..أنت تفهمني كريم تفهمني أكثر من والدي ومراد..تفهمني حتى أكثر من أمي .
التف ناحيتها وصار يمسح على شعرها..شعر بلحظتها أنه يمسك العالم بكفه...شعر أنه يحتضن نجوم الكون...يشتم عبير زهور الأرض مجتمعة ويرى التماع الماء الغدير الذي تنعكس عليه اشعة الشمس في عينيها الدامعتين : عديني يا سمو الأميرة ألا تركضي مجدداً بهذا الشكل بالشارع لوحدك..مهما كان الخلاف بينكم.. لن تجدي من يحبك أكثر منهم، هم عائلتك وسندك.
-وأنت كرومي.. لم لم تذكر اسمك بينهم ألا تحبني..ألست من عائلتي.. ألست سندي"

قالتها ببراءة فحدق فيها باسما وصدره يصرخ محتجا: -حبي لك له نكهة خاصة لن تفهميها الآن .,*******,رجع آدم مساء من الشركة، كان الجميع بحالة تأهب فهاهي لحظة تعري الحقيقة ستظهر الليلة لا محالة،
طرق الباب لتفتح له الخادمة فحياها بابتسامة ودلف الصالون، وقف عابد بتلقائية وقلبه يخفق بشدة بينما شد رضوان على كتفه بقبضة يده ليهدئ من روعه.
خطى آدم إلى الداخل قائلا بابتسامة : السلام عليكم .
وتلاشت ابتسامته تدريجياً حتى اختفت وهو يحدق بعابد ! .,*******,

27,
تعالت وتيرة تنفس عابد وهو يطالع ابنه، طفله الصغير الذي شاءت الأقدار أن يبتعد عنه ولم يتجاوز عمره ست سنوات حينذاك، والآن أصبح رجلا، كانت الحياة فيما مضى قاسية، قسمت ظهر عابد وامتحنته بأعز ما يملك، زوجته الغالية وولديه، لكنها حتماً علمته معنى الصبر، أدخلته في الحزن ولاكت الساعات أوجاع روحه لكنها في النهاية ابتسمت ! كطفل شقي يتعالى صوت صراخه ليزعج والديه، و في النهاية يصمت ...يحدق بوالديه ليقهقه بعدها بعذوبة تنسي الوالدين غضبهم منه ! ,هذه هو حال عابد هذه اللحظة، تناسى عشرون عاماً انقضت من حياته وبهذه اللحظة ولد من جديد، أحس بروح رغد تمثلت خلف آدم، لتبتسم في اطمئنان، وبدوره عابد تبسم لآدم، ابتسامة حب ولهفة وشوق.، بينما خطوتين فقط ..خطوتين وكاد يحطم ذلك الحاجز الجليدي الذي كان محاصرا إياه.
عشرون عاما ليست بالزمن البسيط، لكن الحياة كذلك لم تسأم بعد من اللعب بهم، تلاشت ابتسامة آدم تدريجيا ثم تنحنح قائلا بارتباك وهو يحدق برضوان: عفوا لم أعرف ان لديكم ضيفا !
ابتلع رضوان ريقة بصعوبة بينما قال عابد بثبات : عماد ممدوح، صديق قديم لعمك رضوان .,اقترب منه آدم بلباقة وصافحه فارتعشت يدا عابد وهو

يحتضن بكفه كف ابنه آدم، عانقه بأصابع يده فقط، اكتفى بضغطة بسيطة على أصابعه وهو يحدق فيه، بحب كبير وبألم أكبر، ونسي نفسه وهو يقبض على كفه لم يفلتها مما أثار شعوراً غريباً بصدر آدم.. شعوراً لم يفهمه وهو يحدق بعيني عابد.,وترك كفه أخيرا. واتجه ناحية رضوان مجددا ببشاشة ليعانقه بحرارة بينما يحدثه بفرح: سلمت المشروع يا عمي وأعجب به مدير الفندق السياحي، إنه نجاحي الأول في مجال الهندسة المعمارية والحمد لله ! ,جمدت ملامح عابد وعادت رياح اليأس تلطم روحه، شد بقبضة يديه بينما جمدت نور وعبير ورضوان بمكانهم، جمدوا لدرجة نسوا فيها التنفس للحظات .
لكم لاعه أن آدم لم يتذكره، طمست ملامحه من ذاكرة ابنه الوحيد، لكنه تبسم بتهكم، فهاهي الحياة لم تغير طباعها في لطمه، اعتاد على تمزيق الحياة لروحه فلم يعد يتأثر من لطماتها، لم تعد موجعة البتة !
ربت رضوان على كتفه وهو يتمتم بصوت بالكاد نطق حروفه وبعينين دامعتين: مبارك يا بني ..تستحق ذلك.جلس عابد على الأريكة وجلس آدم بتلقائية بجانبه، كان قد شعر بأن له ملامح من والده المتوفي الذي رآه بصورة واحدة حين كان شاباً فتيا...فضحك بسره، يبدو أنه فعلا سيرى من يشبهون أفراد عائلته أينما ذهب، أولا تلك المدعوة جمانة والتي تشبه والدته كثيراً والآن هذا الرجل . تطلعت فيه نور بشفقة جلية، لدرجة أن عيناها قد دمعتا لهذا الموقف الصعب،بل ليومها الأصعب الذي خسرت فيه جديا كريم ..هذه المرة .,الجميع كانوا يشعرون باحتراق عابد بينما آدم يضحك بمرح ويروي لهم تفاصيل اللقاء مع مدير الفندق وقت تسليمه المشروع وثنائه عليه .
تنبه آدم أخيراعلى انعقاد حاجبي نور وعينيها الدامعتين فاغتيلت ابتسامته ، أخرج هاتفه وأرسل رسالة نصية يقول فيها: اذهبي للمطبخ، قرأت نور الرسالة بعد لحظات لتنظر إليه فأشار لها مجددا بدون أن يتنبه أحد.. لكن عابد يتابعه بنظراته الحنونة، أحس بما فعل لترتسم ابتسامة هادئة على شفاهه عندما اومئ لنور بأن تتوجه إلى هناك، نهضت نور بعد لحظات لتدلف إلى الداخل وبعد دقيقتين نهض آدم ليلحق بها .كيف شعر عابد بذلك، كيف فسر أن تصرف ابنه

لا ينم إلا عن حب عاصف تجاه تلك الفتاة؟ لأنه ببساطة يفهم هذه النظرة، نظرة القلق التي اطلت من عين ابنه تجاهها استطاع قرائتها بوضوح، بل تيقن منها وهو يراقب كل رمشة يرمشها آدم بل أحصى كل نفس أطلقه صدره.,توارى آدم في ذات الرواق الذي اختفت فيه نور ليتطلع عابد برضوان قائلا بصوت هامس : لربما لم يحن الوقت بعد، سأخبره لاحقا " ليومئ له رضوان بألم وهو يربت على فخذه..

دلف آدم إلى المطبخ من بعدها متسائلاً بقلق: -مابك؟ لست على طبيعتك أبدا .,تعلقت عينا نور عليه لتقول بارتباك: أبدا لا شيء

ضيق نظراته بعدم تصديق، وقال مجدداً بصوت هامس: هل أزعجكن أحد و أنتن في السوق؟

هزت رأسها نفيا وهي تتحاشى التقاء عيناهما اشعر بالتعب فقط مشينا طويلاً ..أريد أن أنام.

فهمس مرتاحاً: اشتقت لك كثيرا...أتدركين هذا.تعلقت عيناه عليها لتشيح بنظرها بعيداً عنه بخجل وتتمتم باسمة: آدم أرجوك"دلف مراد وألقى السلام على الجميع فاستغرب من جلوس آدم الطبيعي مع عابد، تعلقت عيناه بعيني عبير فعالجه رضوان قائلا بابتسامة ذات معنى: تعال وألقي السلام على سيد عماد يا بني .

رفع حاجبيه دهشة ثم سرعان ما تماشى مع الجميع بكذبتهم ليتقدم من عابد بخطى واثقة ويشد على كفه وهو يصافحه: تشرفت بعرفتك يا عم عماد....أنا مراد .

-أهلا بك يا بني .

شاركهم المجلس لفترة وجيزة ثم استأذن للصعود فهو مرهق جدا الليلة، مرهق فكريا ووجدانيا وعقليا ! فتح باب غرفته فاخفت اليسا وجهها باللحاف واستدارت ناحية الحائط ، دلف مراد إلى الغرفة وتنهد بعمق وهو يتذكر ما الذي فعله صباحا، استبدل ملابسه وتمدد على السرير متنهدا بعمق ,مسح على شعرها بحنو وقال هامسا وقد أيقن أنها مستيقظة: آسف على ما بدر مني فقدت

السيطرة على أعصابي لكنك تعرفين أن الموت أهون عندي من أن يلمحك رجل غريب بثوب مكشوف.
قالت بصوت واهن : إنه رجل كبير، كما أني لم أخطو خارج الغرفة سوى خطوتين .
-حتى ولو كان طفلاً، أو عجوزاً على شفى حفرة من الموت.
ثم اقترب منها أكثر مردفا : أغار عليك من نسمة الهواء أرنبتي .
صبغت وجنتيها حمرة الخجل لكنها تسائلت مجدداً:
-اخطات باسمي وناديتني جمانة .
توقفت يده قليلا عن المسح على شعرها ليجيب بعد برهة وهو يغمض عينيه : زلة لسان، سكرتيرتي اسمها جمانة ومعتاد على مناداتها .
اعتدلت بمجلسها فورا وقالت بغضب : تعجبك حتى زللت باسمها أمامي أليس كذلك .
قهقه محاولا السيطرة على انفعاله ليقرصها من وجنتها قائلا بخبث : لا يعجبني سوى الأرانب الصغيرة, ذوات الضفائر الناعمة, والعيون الواسعة...آكلات الشوكولاه.بينما في الأسفل قال آدم بعد معرفته بمكوث عابد عندهم: بعد إذنك يا عمي، أود لو استضيف العم عماد ليبات في شقتي العلوية ،
لايعرف آدم كيف نطق هذه الكلمات وكأن أحدهم قد دفعه دفعا إليها...
تعانقت نظرات عابد ورضوان ليقول عابد برصانة : فعلا سأشعر بالراحة أكثر عنده يا رضوان، ليبارك الله بك يا بني، سأزعجك لبضعة أيام .
ربت آدم على كتف عابد قائلا بابتسامة صادقة .
معاذ الله يا عمي ...على العكس"
*******دلفا إلى شقة آدم بعدما تجاوزت الساعة الثانية عشر ليلاً واقتاد آدم والده بشكل تلقائي إلى غرفته : ستنام في غرفتي سيد عماد وإن احتجت لأي شيء أنا في الصالة.,تلكئ عابد قليلاً : لا تزعج نفسك سأنام على الأريكة خارجاً.,ربت آدم على كتفه باسماً : لن تزعجني على العكس، أنا معتاد على النوم على الأريكة نظراً لأني أحب السهر فأنام غالب الأوقات وأنا أتابع

التلفاز"
واتجه ناحية الخزانة ليخرج لحافاً إضافياً ووسادة، انتشل بيجامته ثم خرج مغلقاً الباب خلفه، جلس عابد على الأريكة لتحتقن عيناه بدموع لن يسمح لها كما العادة بالنزول وما يزال مصدوما...مصدوما لخروجه بعدما استسلم للموت المؤبد في السجن..مصدوم لعدم تعرف ابنه عليه ولا يلومه! بالكاد قد سيطر على أعصابه أمام آدم نهض عن السرير وتقدم بخطى بطيئة ناحية مكتب ابنه، تلمس الخشب بيديه، أوراقه، كتبه، صورته المعلقة على الجدار، تنهد تنهيدة عميقة واتجه ناحية خزانته لينتشل قميص آدم ويشتمه بألم وبشوق لم يستطع من خلاله احتضان ابنه...وحيده الذي فرقتهما الظروف..,عاد أدراجه و استلقى على الفراش قائلاً بألم: ساعدني يا الله، ساعدني على تحمل هذا الألم.**********,نهد مراد بعدما غطت إليسا بنوم عميق وقد جافاه النوم... اعتدل بجلسته ومسح وجهه بكلتا يديه وهو يشعر باختناق رهيب، تناول هاتفه وخرج من الغرفة ليعاود الاتصال بجمانة لربما للمرة العاشرة هذا اليوم ...ولا يهمه أن الوقت قد تأخر، اعتصر الهاتف بيديه عندما أجاب مجدداً المجيب الآلي أن الرقم خارج نطاق الخدمة ..طرق بقبضة يده سور الشرفة مراراً
يفكر بطريقة يجدها فيها..يفكر أين عساها أن تكون...
خلال اليوم ذهب لدكان مسعود الذي لم يتحدث
مدرك أنه يعرف مكانها لكنه لم يخبره..
أخرج هاتفه واتصل في كريم ...صديقه في حل الأزمات..لعله يلتقيه يبدد السقم الذي يتملك منه
لكن صوتاً أنثويا أجابه جعله يتلكئ قليلاً مستغرباً
كانت فتاة تتكلم التركية لكنه لم يفهم حرفا!
تنحنح مراد متحدثاً بالانجليزية في اللحظة التي حدق فيها كريم بجيرين بانزعاج وهو يتقدم ناحيتها حيث كانت جالسة على الكرسي بالحديقة وغاب هو لدقائق فقط استبدل فيها ملابسة ليعود حيث كانت تجلس رهف برفقة جيرين ..

اختطف الهاتف من يدها مجيبا..
-انا كريم ..من معي؟
-حبيبي!!! من هذه
قالها مراد ساخراً ليجيبه كريم ببلادة: ابنة خالتي جيرين.
تبسم مراد وشرد بإضاءة مياه المسبح : ما هذه العلاقة الوطيدة كي تجيب على هاتفك!
- دعك منها الآن ..وأخبرني صوتك لا يبدو بخير.
-عندما أراك نتحدث...سلم على ضيوفك .
أغلق مراد الخط فاعتصر كريم الهاتف بقبضته وعاد أدراجه ناحية جيرين وقبض على جانبي الكرسي وانحنى ناحيتها بغيظ: ألن تكفي عن هذه التصرفات المستفزة!
أجابت ساخرة: تؤ .
ثم همست وهي تكابح بسمتها ..أمك وأمي على الشرفة تأكلان الفستق وتراقباننا .
عض شفاهه بانزعاج لكنه لم يستدر ..همس بتساؤل: علام تخططان هذه المرة؟ .
-لا جديد...تريدان تزويجنا يا ابن المنصور .
- هالله هالله ...لا تقوليها!
وتراجع إلى الوراء مرتميا على الكرسي ليهز قدمه بعصبية... نهضت جيرين وازحات كرسيها لتضعه بجانب كرسي كريم لتولي والدتها وخالتها ظهرها وقالت بجدية : لنقم بحفل خطوبة هذه المرة .
حدق فيها كريم بانزعاج فأردفت : آسفة على فظاظتي...والدتي لن تعتقني حتى أرضى بهذا الارتباط ووالدتك أيضاً..وخاصة بعدما فشل زواجك من نور.
جيرين اصمتي! صرخ فيها ونهض بعنف دافعاً الكرسي ليسقط وغادر ليخرج من البوابة الحديدية لكن جيرين لحقت به مسرعة وتأبطت ذراعه ..: ما الذي جرى بينكما في المتجر رأيتك تبكي في السيارة وأنت توصلنا.

-لم أبك.
-بل بكيت ..وكنت ستمسح مخاط أنفك بكم القميص .
شد قبضتي يديه وكاد أن يلكمها على فكها فابتسمت وهي تنكمش على نفسها وأردفت بعد أن خرجا من بوابة الحديقة ناحية الشارع ..وصارا يتمشيان على الممشى الذي تحوط جانبيه الأشجار ،
-اسمعني كالخلق وكفى جنوناً، لننتقي فستاناً جميلاً من متجرك ارتديه ونلبس خاتمين ثم نرقص ونغني وتمضي عطلتي بهناء ودلال وقبل أن أسافر ببضعة أيام نتشاجر فتضربني...وصراحة لا داع للتخطيط مسبقاً فأنت مجنون بطبيعة الحال وربما ضربتني بدون تخطيط..المهم أني بعدها أخلع الخاتم وأرميه في وجهك ونقطة انتهت المشكلة وستعرف والدتانا أن اجتماعنا مستحيل...والله تعبت من رفضك...تعبت، ألم تتعب أنت ايضا!
توقف كريم وهو يهز رأسه بعدم تصديق: -أتشاهدين الدراما التركية كثيراً!! ألوثت عقلك!
استدارت بجسدها كاملاً ناحيته وصارت تمشي بالمقلوب وهي تردف: -خذها نصيحة من أرملة تزوجت فيمن لا تحب بسبب ضغط والديها..وحين بدأت تحبه هووب صدمته سيارة ومات، ارأيت فتاة منحوسة اكثر مني!
-رحمه الله ارتاح منك .
قالها ساخراً فأردفت جيرين بحيوية:
وها أنا أمامك .لم ابقى طويلاً ابكي على الأطلال ! عش قصة حب جميلة..لكن إياك أن تتزوج بمن أحببتها...فسواء اتزوجت بامرأة تحبها أو لا تحبها سيتلاشى الحب من أول بضعة أشهر وإن كنتما محظوظين...سيستمر الحب لعام أو اثنين قبل أن يختفي لتغرقا بروتين الحياة وربما قتل أحدكما الآخر...,توقف كريم هذه المرة يحدق فيها ..يتمنى أن يقوم باعتصار هذا العنق أو قطع هذا اللسان الذي لا يحتوي إلا على سموم الكلام!
اقترب منها هامسا: أشك أن هذا الدماغ فيه عثة صغيرة تلتهمه..لا يعقل أن تكون هذه أفكار آدمية! انت ابتلاء..جيرين..ابتلاااء"

-تفكيري سليم ومنطقي...أنت من يعيش في كوكب مواز...يا بني إن نور لا تناسبك إنها لطيفة ..رقيقة ..عقلانية ..تشعر وكأنها بسكوته مغطسة بمسحوق السكر ..وأنت!
أنت يفصلك عن الجنون شعرة واحدة! ضخم ..تتحول إلى وحش في لحظات كما فعلت معي في المتجر ...والله أرعبتني ..لولا وجود البنات لرأيت وجهي الحقيقي.
جمدت ملامحه ...رغم سخرية ما تتفوه فيه جيرين ..أردفت : والمجنون لا يحتاج إلى عاقلة بل يحتاج إلى مجنونة مثله كي يتعايشا بموازنة.
تنبهت لدموع الكريم التي تجمعت بمقلتيه فلوت شفاهها بابتسامة باهتة.. تريد مداواته ولا تعرف لذلك طريقة سوى بالسخرية!
ركعت على الأرض أمامه وقالت ضاحكة وهي تمد خاتماً وهميا: أتقبل أن تتزوج بي كريم المنصور بشرط أن نتشاجر فتضربني وأرميك بالخاتم بعد حين؟.
-مختلة مختلة انهضي!
قالها وهو يتلفت حوله و يرفعها وقد أبطأت بعد السيارات لترى هذا الزوج من المجانين! ,*******

28,* بعد مرور شهر *,اعتاد آدم على أحاديث عابد وذكرياته التي حرص عابد على انتقاء ما يصح الحديث بها ليخبره إياها، يوماً بعد يوم تعلق به آدم بشكل واضح بعد مدةٍ حدثه عن حبه لابنة خالته (نور) واسترسل بالحديث عنها إليه، كان يبثه ما يعتمر داخل صدره من هموم، بفقدانه والديه وشقيقته، بالضياع الذي أحسه بدون عائلته، وكذلك لم ينسى أن يذكر فضل رضوان وعبير عليه, فتح له قلبه ليبثه كل ذكرياته وماضيه ..,كان يحدثه وصدر عابد يتمزق على ابنه، يتمزق ولا يستطيع أن يأخذه بين ذراعيه ليطبطب عليه.. ليخبره أني هنا...معك .

شهرٌ كاملٌ مر وكأنه كالحلم بالنسبة لعابد، حلمٌ وكابوسٌ بآنٍ معاً، متى سيعترف؟ وهل سيتقبله إن اعترف له؟! مئات الاحتمالات والأفكار اجتاحت عابد طيلة الوقت وهو يراقب آدم بتصرفاته، بأخلاقه الحميدة،تبسم بشكرٍ جلي لرضوان وزوجته لتنشئة ابنه هذه التنشئة الصالحة, ولربما اهتما به أكثر من اهتمامهما بمراد الذي يختلف عنه مئة وثمانون درجة، بأخلاقه، بالتزاماته الدينية حتى بعمله. ,**********ظل مراد جالساً أمام البحر لمدة لم يحتسب ساعاتها، ينظر شاردًا إلى الأمواج المتلاطمة وهو يشعر باختناقٍ رهيب، حل ربطة عنقه واستلقى على الرمال لتلفحه الريح الباردة، ضغط على عينيه بأصبعيه كي يكبح دموع فقدها ثم رمى زجاجة المشروب بعدما تجرعها كاملة، رماها من يده لتتهشم على الصخور، اختفت جمانة ببساطة كما ظهرت، لم تفلح محاولاته في البحث عنها طيلة شهرٍ كامل, ظهرت كجنية لتسلبه عقله واختفت بعدها كساحرة ألقت بلعنة على حياته لتحيلها جحيمًا في غيابها.,شهرٌ تعاقب فيه الليل بالنهار، زهد بإليسا، سحق قلبها بتجاهله المميت ، وكأنها مجرد أثاث في شقته، بل وكأنها مجرد طفلة مسئولٌ عن إطعامها وإلباسها، سحق روحها البريئة دون أن يبرر ما الذي به، كانت إليسا تشعر بالحزن يفتك بروحه كذلك ولن تفهم السبب وكأنه رجلٌ غريب ليس نفس الرجل الذي عرفته لمدة عامين، هو لم يكن مخلصاً لها طيلة الخطوبة وحتى بعد الزواج حينما خفق قلبه مرةً أخرى لجمانة، كان يريد فقط من يؤمن بأنها لن تخونه، كان يريد أمًا لابناءه، فتاة لم تقترف خطأ بحياتها، لم تتعرف على شاب قبله، ولم تشعر حتى بمراهقتها لذلك اختارها والمشكلة فعلاً أنه يحب برائتها ونقائها الجلي،,بآخر إسبوع ملت من سؤاله عما به، ملت عن سؤاله لما يطل الحزن من عينيه فلم يجبها سابقاً ولن يجيبها حتماً إن سألته مجدداً، يكتفي بمزاحه المتكلف معها وكأنها طفلة شقية يلهيها عن طلب ما تريد بعدة دقائق فقط يومياً.

كثرت سهراته الليلية و غالباً ما ينتهي به المطاف ثملاً ليرتمي على فراشه وسط حزن مطبق منها وهي تطالعه بقلة حيلة ،حتى كريم وهو أقرب شخص

إليه، لم يفهم ما به..لم يستطع أن يحدث كريم بعدما رآه غير متوازن في الآونة الأخيرة..فهو ليس بحال افضل منه! ,حطم مراد وح زوجته يوماً بعد يوم لتذبل أمام عينيه كالزهرة بعد أن تم قطافها، قضى ذلك الشهر بالبحث عن جمانة فقط دون جدوى، وكم تمنى أن يخبر آدم أنه عثر على شقيقته الصغرة، أن يخبر عابد بأن ابنته لم تمت بل كانت مجرد كذبه وضيعة من مديرة الميتم لتبيعها بسعر معقول لإحدى العائلات قبل أن يظهر احد من أهلها، بيعت الفتاة بالاتفاق مع أحد الأطباء معدومي الضمير لتزوير وثيقة تؤكد وفاة الصغيرة بسبب الحمى، لكن أوان هذه الجريمة قد فات عليه زمنٌ طويلٌ جداً، توفت مديرة الميتم وتوفي الزوجين اللذين تبنا جمانة بعد ثلاثة أعوام من شرائها وبهذا أخذت اسم الاب الذي اشتراها وعادت للميتم مرة أخرى لكن الشيء الذي كان لصالحها أن القلادة ظلت معها..وأنها ذكرى من أم لا تعرفها، لتؤكد هويتها على الأقل لديه، لكن كيف سيشرح لهم ماجرى؟ كيف سيفهمهم أنه وبسبب فساد موظفة وطبيب، دُمرت حياة أسرة كاملة !؟.

سأل آدم عن جمانة عندما رأى تلك الموظفة الجديدة قد اتخذت مكانها، أجابه مراد ببساطة: -استقالت

" بضعة حروف نطقها ليشعر آدم بحزن دفين لم يفهم له سبباً، وليشعر مراد بلطمةٍ موجعةٍ على صدره مع كل حرفٍ ينطقه بتلك الكلمة !,نهض بعد مدة مغادراً شاطئ البحر، لم تكن له رغبة في العودة إلى المنزل، اكتفى بالقيادة حتى توقف أمام فيلا عمه محمد، ترجل من سيارته وخطى إلى داخل الحديقة ليقابل كريم فهو الوحيد الذي سيفهمه دون أن يسأله عما به .. صديق طفولته...ملجأ أسراره، كاد أن يطرق الباب فسمع صوت ضربات عنيفة على كيس الملاكمة عرج إلى الجهة الخلفية ليدخل إلى البهو من الباب الخلفي، والذي اتخذه كريم مكانا ً لتدريباته..دفع الباب بهدوء وهبط الدرجات القليلة وقد بدأ المشروب بالتأثير على تركيزه، ليستند من بعدها على عتبة الباب الداخلية يطالع كريم وهو ينقض بشراسة على كيس الملاكمة، يلتمع جسده جراء العرق الغزير الذي يغمره وعيناه استحالتا إلى جحيمٍ مشتعل، تمنى مراد

بهذه اللحظة أن يفعل كابن عمه، أن يترجم غضبه بهذه الطريقه فقط لكنه لا ينفك بارتشتف السموم هرباً من الواقع، وهرباً من طيف جمانة !هو ضعيف جداً ، وكم كان يحسد كريم على صلابته وقوته، كيف له أن يرضخ لفكرة أن نور ستتزوج رجلاً آخر؟ خطرت له جمانة الآن، لربما هي على علاقةٍ بأحدهم لهذا هربت منه؟ لربما الآن قد تزوجت؟ مسح وجهه بيديه مطلقاً آهة ألم وشعوراً مميتا يمزق صدره فلم يكن ليتحمل أن تكون بين يدي رجلٍ آخر.,وقف كريم لاهثاً ليستريح قليلاً واستدار ببصره ليشرب من زجاجة الماء فرأى مراد مستنداً على العتبة وبالكاد يوازن نفسه",-ألم تتعلم الطرق أو الإستئذان؟,قالها كريم وهو ينتشل قارورة الماء ليتجرع منها بينما تقدم مراد وهو يلوي شفاهه ساخراً ليرتمي على الأريكة الجلدية وسط نظرات الاستنكار البادية على كريم - البيت بيتك على أي حال ! .,قالها كريم ساخراً، كانت نظراتهما مفهومة، وكذلك حديثهما الغير مسموع، كلاهما منصتٌ جيد، لكن الفارق أن أحدهما زير نساء، قضى حياته متنقلا من فتاة لأخرى، يعبث بقلوبهن دون شفقةٍ أو رحمة حتى اوقعته تلك الساحرة_ من وجة نظره_بشباكها ليغرق، ليحس بطعم الألم الذي كان يذيقه لغيره... والآخر تفتحت مشاعره على أنثى واحدة فقط لكنها كذلك أودته صريعًا جراء رفضها العنيف له,عاود كريم ضرباته على كيس الملاكمة متجاهلاً مراد المستلقي على الأريكة وهو يطالع السقف بشرودٍ وضياع، ومر الوقت بشكل بطيء على كليهما حتى تلفت مراد ناحيته وقال بصعوبة جراء ثمله : ألم تشفى ".,تطلع فيه كريم بجمود ينافي البراكين المتقدة في صدره ليجيب برصانة: هل جربت الحب الحقيقي، هل نستطيع الشفاء منه بيوم أو اثنين ، بسنة أوحتى اثنتين ؟ .

رفع مراد يده وأشار بتهكم ناحية رأسه: هو إحساس يشعرك بمدى غبائك وضعفك، الحب غبااااء، الحب ▪▪▪▪▪▪▪

أطلق سبة بذيئة فحدق كريم به باستهجان ليدرك أنه مسلوب العقل والإدراك فهتف به : أنت ثملٌ مجدداً يا رجل؟!

لوح مراد بيديه باستهتار متمتماً: هي السبب " لتتعالى ضحكات كريم العابثة

وهو يقول بتشف : -من تقصد إليسا!!! وقعت إذا يا صاحبي ! وقعت بشر أعمالك" ,ثم تقدم منه أكثر قائلا بقلق بعدما شك بأمر ما :
-خنت إليسا يا مراد؟ هل فعلتها حقاً بعد الزواج ؟!
غطى مراد وجهه بيديه ليتمتم كريم بحنق: غبي فعلاً !
ضحك مراد عالياً وقال وهو يعتدل بجلسته ويلوح بيديه
-هي جنية ...عشقت جنية مخادعة ،هووب ظهرت أمام قلبي ثم ،.هووب اختفت من حياتي .
جز كريم على أسنانه بغيظ من حماقة مراد وقال بحنق: ومن هي تلك الجنية يا ترى ؟
-جمانة ...شقيقة آدم.
جمدت ملامح كريم لثوان قبل أن تتعالى ضحكاته بشكل هستيري وهو يوبخ مراد :استغفر الله!! كم شربت الليلة يا أحمق !؟
-والله إنها ،.إنها شقيقته..جمانة شقيقته لست ثملًا !
جفف كريم نفسه بالمنشفة ثم ارتدى كنزته القطنية مجددًا وقال وهو يسحب مراد من يده ضاحكاً: -حسناً شقيقته، والدته، زوجة أبيه، لا يهم هيا لأقلك إلى منزلك شارف الفجر على البزوغ إلى متى ساتحمل حماقاتك، و الله ما في قلبي يكفيني ! .,أسنده بيده ثم سار به ناحية سيارته ليقودها تلك المسافة القصيرة فلا قدرة لمراد على التوازن .. وصلا ناحية الفيلا، كاد يريد أن يتصل بإليسا لتفتح له البوابة لكنه لا يمتلك رقم هاتفها، تناول هاتف مراد لكنه مقفل برمز خاص، زفر بحنق ثم تناول هاتفه مجددًا واتصل في نور مجبراً كي لا يقلق عمه رضوان وعبير على مراد بهذا الوقت المتأخر، وهو يعلم جيداً كيف سيكون شعورهما تجاه تصرفات مراد. ثلاث دقائق أو أكثرحتى أجابت نور بصوت ناعس وبتردد :
-ألو !!,أخذ نفسا عميقاً وهو يلعن بسره مراد وكأنه أرسله إلى التهلكة بقدميه!
أجاب بصوتٍ هامس: افتحي البوابة الخارجية مراد معي.
تسائلت بذعر وهي تعتدل: مراد !! ما به؟ .

-لا تقلقي هو بخير افتحي الباب .,نهضت من فراشها بسرعة وارتدت دثاراً طويلاً وعقدت حزامه لتغطي فستان منامتها القصير ونزلت بسرعة ناحية الحديقة وفتحت لهما البوابة ليسند كريم مراد ويساعده على المسير بينما تسائلت نور بقلق وهي تشد الدثار بيديها لتغطية نفسها: ما به ؟
-إنه ثمل "
زفرت نور بغضل من تصرفات أخيها التي زادت عن المقبول وتقدمت كريم ناحية الصالة وقالت له : أدخله غرفة الضيوف ومدده على الأريكة، رجاءً بلا صوت كيلا يشعر أحد لا نريد إثارة مشاكل الليلة .,أومئ لها موافقاً واتجه به ناحية غرفة الضيوف ومدده على الأريكة ثم تقدمت منه مجدداً لتتطلع به بغضب اشتم مراد رائحة الياسمين التي اعتادت جمانة أن تتعطر به، وكذلك نور، فصار يتمتم بخفوت : ج جمانة ...لا تتركيني مجدداً" تمسك بثوب شقيقته لتشهق بفزع وهي تمسك بيديه وتهتف بحنق:جمانة!!! مراد أيها الغبي اترك ثوبي !
رفع صوته اكثر مناديا جمانة
فغلت الدماء بصدر كريم غضباً فقبض على كف مراد الذي غاب عن الوعي ليضربها على صدره ويهتف ساخطاً : اصحى و كف عن هذه الحماقات !
صار كريم بجانبها مباشرة بعدما خلص دثارها من قبضة مراد, فغزا الخجل تقاسيم وجهها واصيبت بارتباك من تواجده، وسط نظرات كريم التي لم تنزاح عنها، تنبهت لنظراته المرتكزة عليها لتحكم لف الدثار عليها وتقول بلعثمة : ش..شكرا لك "
أشاح بنظره بإحراج ثم قال وهو يخطو إلى باب الشقة هرباً منها : لا تشكريني هذا واجبي"صرخ مراد مجدداً بصوت أعلى : جمانة .تعالت وتيرة تنفسها باضطراب خشية أن يستيقظ والديها أو أن تسمع إليسا كلماته فمسحت وجهها بتوتر وهمهمت: ما العمل الآن؟لا بد وأن أنادي لآدم ليصعد برفقته لعله ينام في شقته " ما إن نطقتها حتى استدار كريم بغضب وقال جازاً على أسنانه: لما تقحمينه بكل شيْ, ألن تأمني البقاء معي لثلاث دقائق؟ قلت لك أني

سأغادر؟!,أغلقت فمه بكف يدها بفزع وهي تهمس: أخفض صوتك أيها الأحمق، لا أقحمه لكني لا أريد أن أتسبب بمشكلةٍ لمراد فوالدي غاضبٌ منه في الآونة الاخيرة. وكمن صعقه تيار كهربائي جراء لمستها ليتطلع بها جراء اقترابها الشديد منه نفضت يدها عنه بسرعة فتمتم كريم بارتباك : س. سأناديه إبقي مكانك أنت"طرق كريم عدة مراد حتى فتح له آدم ليتفاجى من وجوده بهذا الوقت المتأخر وقال بقلق: -خيراً !! هل هنالك مشكلة ما؟أجاب كريم باقتضاب : مراد ثملٌ جداً، ساعدني بإسناده كي ينام في شقتك، لا نريد من عمي أن يراه بهذه الحالة.أومئ له آدم لينزلا بسرعة ناحية الشقة لتستقبلهما نور تعلقت عيناه عليها قليلا قبل أن يتقدما ناحية مراد ليسنداه مخرجين إياه إلى شقة آدم ثم أجلساه على الأريكة لتلحق بهما نور وهي ترى شقيقها بهذا الوضع البائس لا ينفك ينادي جمانة بين كلماته...حدق به آدم بعدم فهم لتنفرج عيناه بصدمة وقد أيقن أن المقصودة سكرتيرته جمانة حتماً، فهو على هذه الحال منذ استقالت من الشركة، تجاوزتهما نور بعينين دامعتين وقامت بخلع حذاء مراد وتصحيح نومه وتغطيته بلحافه وسط نظراتهما المنكبة عليها ليقول بعدها آدم بحزم: إنزلي إلى الأسفل نور...ولا تقلقي سيكون بخير.,هزت رأسها وغابت عن أنظارهما ليتطلع به كريم قائلاً : سأغادر الآن كذلك تأخر الوقت" هز آدم رأسه شاكراً ليهبط كريم درجات السلم بينما أغلق آدم الباب وارتمى على الأريكة الأخرى وفكره مشوشٌ ومضطرب من حال مراد الذي سيدمر نفسه حتماً بهذه التصرفات .كادت نور أن تغلق الباب فهمس كريم وهو يهرول بسرعة ناحيتها:

-بست انتظري.
فرجت الباب قليلاً لتتسائل : ما الأمر؟
أخذ نفسا عميقاً قبل أن يهمس : مضى ثلاثون يوماً لم أرك فيه.
هزت رأسها قائلة بخفوت: حقًا..مر ثلاثون يوماً ارتحت فيهم من ثرثرتي ومشاكلي..

أردف ببسمة باهتة: كيف هي علاقتكما ؟ متى سيتقدم لطلبك بشكل رسمي.
قالها بمرارة واضحة لكنها جابهته بحدة: ألا تلاحظ أنك تتدخل في خصوصياتي؟
- صحيح ..آسف نسيت أنه لم يعد لي الحق بالتدخل فيك"
رفعت كفها بتحذير: أنت فعلت هذا ...أم نسيت ما اخبرتني إياه في المرة الماضية !
ضحك بلؤم: صحيح...أنا حمار اعذريني،
ثم أردف:
ليت أحدهم يخرج الآن ..ليرانا ونحن نتحدث بعد.منتصف الليل ...وحدنا ‘‘
تعالت وتيرة غضبها من كلماته وتصرفاته المبالغة فرفعت يدها بتلقائية لتصفعه قائلةً بحنق : أنت مريض.
فأجاب وقد التقط كفها بسرعة ورفعها ناحيته شفاهه: مريضٌ بكِ" و لثم باطن كفها قبلة طويلة و بالكاد استطاع افلاتها ثم تراجع مغلقًا الباب خلفه ليجتاح روحه عاصفة مشاعر ..بينما ارتجفت نور بضياع حقيقي من جنونه وتهوره وتجاوزاته معها التي زادت عن المقبول هرولت ناحية غرفتها لترتمي على سريرها وهي تتلمس باطن كفها مكان قبلة كريم بخوف وصدمة !خرج وصار يسير ببطئ ناحية منزله غارق في التفكير فيها.، توقف بمنتصف الطريق وأغمض عينيه لتصرخ روحه صرخة ألمٍ خرجت من أعماق أوجاعه فخرجت من بين شفاه كبسمة خافتة. ********

صباح اليوم التالي ..كان يجلس في متجره بالطابق السفلي يتكئ برأسه على المكتب يستمع لفيروز فانتشله من شروده صوت فتاة تناديه: - بعد إذنك "
رفع رأسه من على المكتب ليطالعها بعينين حمراوين جعلتاها تجفل لا إراديا...قالت بارتباك:
- هل تحتاج إلى موظفة للعمل في متجرك .

تطلع بتلك الفتاة القصيرة ضئيلة الحجم، ناعمة الملامح ذات الشعر القصير الأسود والعينين الواسعتين وقال بلا اهتمام:
-تحتاجين إلى عمل.
- نعم.
عاد واستكان برأسه على الطاولة وغمغم بكلمات لم تفهمها فرفعت حاجبيها لتتسائل مجددًا: -يلزمك أم لا؟ لم افهم تكلم بوضوح !,وهل هو يفهم حقًا ما الذي يجري به ومعه، رغم ضياء شمس النهار الذي يكتسح الزجاج ليسقط على وجهه إلا أنه شعر بعتمة مفاجئة تستحوذ على روحه، لم يكد ينسى صورة نور ليلة البارحة حتى هجمت كقطة شرسة لتنشب مخالبها على صدره محدثة جرحاً لن يندمل، وكيف تمادى معها، بل كيف صار يتمادى في كل مرةٍ يراها ...كيف تحول إلى شيء قميء مثير للشفقة أمامها! ، أخذ نفسًا عميقاً يطرد الحزن المستوطن في قلبه فقالت تلك الفتاة مجددًا: ألم تسمعني!؟,تطلع فيها نظرات مستنكرة فلتتركه لوحده ولتكف عن اقتحام عالمه بحق الله ! قال بلا مبالاة لتكف تلك المتطفلة عن إزعاجه،
- حسنًا،نعم , نعم باشري عملك
تبسمت الفتاة بفرح شاكرة وقالت بحماس:
- سأباشر إذن من الغد .
- لا يهم.
أجابها ونهض متجاوزاً إياها ليقف امام الباب يدخن بينما هزت الفتاة كتفيها بلا مبالاة وخرجت من المتجر بفرح جلي فالمرتب الذي ذكره معقول، بل جيد جدًا .

29

,صحى عابد وخرج من الغرفة ليرى مراد ممداً على الأريكة وآدم نائمٌ على الأريكة المجاورة، تبسم بعطفٍ وتقدم ناحية مراد ليقوم بتغطيته وكذلك فعل لآدم ليقوم بتغطية جسده جيداً، تنهد بعمق وهو يتأمل آدم وملامحه الهادئة وهو نائم، لامس قلادته الفضية التي تدلت من عنقه بأطراف أصابعه و دغدغت صدره ذكرياتٍ قديمة لاحت أمام ناظريه عندما كان آدم طفلاً صغيراً،((دلى السلسلة أمام رغد التي حدقت بها بفرح : إنها جميلة جداً" قالتها وهي تنتشل القلادة من يديه فقال مازحاً وهو يستند بذقنه على رأسها : ليست الهدية لكِ هذه المرة، إنها للصغيرين" قهقهت رغد وهي تتأمل القلادة التي اتخذت شكل الشمس ودون عليها اسما آدم و جمانة وتاريخ ميلادهما. تناولها من راحتها عابد قائلاً: صممتها خصيصاً لهما؛ مصنوعة من البلاتين .
,حدقت به رغد باستغراب وتسائلت : إنها غالية جداً!,فقال بحنو: ليست بأغلى من اجمل هديتين وهبهما الله لي"

فقالت بعتاب: هديتين فقط!
غمغم وهو يقبل جبهتها: هديتين ..من أعظم شيء حصل في حياتي كلها،" ثم فصل القلادة بحركة من يده مردفاً : هاقد أضحت قلادتين ومبدئياً أسمح لك بارتداء قلادة جمانة لأنها ما تزال رضيعة" ثم قام بإلباسها القلادة وقبل رقبتها بهدوء، اعتدل بوقفته و نادى على آدم ليهرول الصغير ناحيته متسائلاً ماهذا؟ انحنى عابد تجاه آدم ليقول : هذه القلادة هدية مني إليك لا تخلعها أبداً اتفقنا يا بطل"
هز آدم رأسه ليحتضن القلادة بكفيه الصغيرتين ويهمس: جميلة ...شكراً بابا.))
*****
تنهد عابد وخطى تجاه المطبخ ليقوم بإعداد القهوة ولم ما تزال الذكريات تصر على مهاجمته هذا اليوم؟ تبسم بلا إرادةٍ منه وهو يراقب تراقص النار تحت إبريق القهوة وعادت به ذاكرته للعام (1981),حينها كان رغد وعابد قد تجاوزا الحدود للدخول إلى الدولة المجاورة، استقبلهم هنالك أحد عملائه القدماء مستضيفاً إياهما...كانت رغد طيلة أسابيع تشعر بالألم والوحدة على ضياع مستقبلها، تشعر بالألم على موت والدها وبالحزن على عدم رؤيتها لشقيقتها عبير وتعرف انها لن تلتقيها في القريب. وصلا إلى منزل العميل فارتمت رغد من فورها على السرير بعد رحلةٍ شاقةٍ استنفذت طاقتها على الصبر, بعدما استحم عابد ونظف نفسه من آثار الطريق، ارتدى ملابسه وهي ما تزال متقوقعة على السرير مغطية وجهها باللحاف تنشج بألم، جلس أمامها على الأرض ليمسح على شعرها بلطف: رغد
نادى باسمها بخفوت لتهتف بألم: أنا بخير, إتركني عابد, إتركني.,تنهد بقلة حيلة وهو يرى الألم يطل من عينيها، وقال بصوتٍ خافت: استحمي لتريحي أعصابك ثم خذي قسطاً من الراحة وأنا سأخرج كيلا يزعجك أو يأسرك وجودي في هذا الجناح .
راقبته وهو يخطو خارجاً والإنهاك باديا عليه، جلت حلقها قليلاً لتقول بخفوت: لا تتركني وحيدة هنا أنا خائفة" ضربت كلماتها القليلة قلبه بعنف ليتنفس بعمق

وشبح ابتسامة غزت محياه، اقسم بأنها ستصيبه بالجنون! لا تريده وتريده بآن معا، ترغب ببقائه ولا تريد منه البقاء! ,- لن ابرح مكاني" قالها وارتمى على الأريكة لتقول بخفوت وهي تنهض ناحية الحمام: شكراً.
أومئ لها وأغمض عينيه لينال قسطاً من الراحة فقد استنفذت طاقته كذلك بينما هي خطت لداخل الحمام لتغتسل مزيحة عنها آثار الاتربة والغبار، جففت نفسها جيداً وارتدت ملابسها وخرجت من الحمام لتراه يغط بنوم عميق على الأريكة،.. اقتربت بهدوء منه وبدأ ت تتأمل تعابير جلادها وتخشى هذا الشعور الذي بدأ يتسلل إلى فؤادها .. زفرت بعصبيةٍ من ضعفها تجاهه ودثرته بلحافٍ ثم ارتمت على السرير ودثرت نفسها جيدا باللحاف وراحت بسباتٍ عميق كذلك.,بعد عدة أيام وحينما استطاع تأمين منزلٍ لكليهما, وهو يقوم بغلي قهوته الصباحية ثارت مجدداً لتتخلص منه، وبذات الوقت لم تكن تريد الابتعاد عنه، تناقض غريب عاشته بين شعورها بالأمان معه، إخلاصه لها واحترامه لها وعدم اقترابه منها.. وبين نفورها من ماضيه كمجرم وتاجر سلاح. ,كان عابد قد استعاد قليلاً من توازن حياته بعد فترة من الزمن لكنها لم تستطع تقبل كونها زوجة مجرم ووالدها كان ضابطاً في الشرطة.. بعد شجاراتٍ متلاحقة ثار عليها حانقاً ليهتف:
كفى رغد...كفى لقد اكتفيت من محاربتك لي رغم حمايتي لك.. اكتفيت من كرهك رغم حبي تجاهك.. اكتفيت من مقاومة نفسي وكبحها دائماً على الرغم من أنك زوجتي كيلا أزعجك بقولٍ أو فعل وأنت لا تتفهمين ذلك..لا تفعلين شيئاً سوى البكاء وندب حظك التعس الذي أوقعك في طريقي.,هزها بعنف وهو يصرخ ملئ حنجرته : لماذا لم تهربي مني؟ كان أمامك مئات الفرص قبل زواجنا وبعده لكنك لم تفعليه تبقين بقربي وتقولين لا أريدك ! تلتصقين بي وتقولين ابتعد ! تحديت الجميع لأجلك.. حاربتهم لأكون بجانبك فقط. تريدين المغادرة، غادري أنا لا أمنعك عن ذلك، لم اقفل الباب عليك لاحتجزك! كان اختطافك غلطة، لعنة حياتي الازلية أنت، التعاون مع السلاح رغم قسوته أسهل علي من التعامل معك .,تعالت وتيرة تنفسها، صارت ترتجف بين يديه وسالت

دموعها بغزارة لتسحق روحه رفع وجهها بأنامله ليقول بألم: غادري إن رغبت لكن تأكدي أن روحي لن تتحمل مفارقتك... أحبك رغد..أتنفس وجودك.. تحملت كل ما مر بي لأنك معي فقط ومستعدٌ لأن أتحمل المصائب أبد الدهر إن ظللتِ بجانبي لكن كفاكِ تحمليني ذنباً طالني وجعه، لم تلسعك النار وحدك ، بل احرقتني حرارتها كذلك.,جمدت ملامحها وهي تحدق به..عصفت كلماته بقلبها كسهمٍ حارقٍ أذاب العذاب الذي نهشها سابقاً..تعانقت عيناهما بحبٍ واضح تشبثت بقميصه الأسود الذي يضيق على صدره راسماً عضلاته بشكلٍ جلي, وهو قابض على ساعديها وقد شل عقلها عن التفكير، هل تغادره لتبدأ حياةً جديدة ، أم هل تبقى بين ذراعيه أبد الدهر وكم كانت تتمنى ذلك هاتك اللحظة! لأول مرةٍ تشعر بمقاومةٍ عنيفةٍ لعقلها الذي أصر على الرحيل صرخ قلبها بعنف إبقي بجانبه، إنه يحبك، إنه أمانك. وهو ما يزال يحدق بها يحاول استشفاف الأعاصير التي تنشب داخل صدرها، ولأول مرةٍ تغلبه عاطفته عن التعقل، ليقلص المسافة بينهما ويهمس برجاء : أريدك معي" ولم تبد أي مقاومة تذكر.. سحرها بعينيه العاشقتين لتغرق بهما وليغرق هو باستسلامها العذب بين يديه ليتجرأ على الاقتراب منها ويدفنها بداخل صدره))

****

-عمي ،.. عم عماد القهوة !!

قالها آدم وهو يقترب من الموقد لإطفائه بعدما سالت القهوة على الموقد لينتشل عابد عن شروده، فتح عابد عينيه وقال بارتباك: اه عفواً شردت قليلاً، صباح الخير بني."

تبسم آدم قائلاً له : صباح النور ، لا بأس أنا سأحضرها لك لنشربها جميعاً، استرح بالصالة " هز عابد رأسه بامتنان وغادر المطبخ بعد هذه الذكرى التي ضربت ذاكرته بعنف.,جلس عابد على الأريكة ولحق به آدم بعد فترة بعدما جهز القهوة ووضعها على المنضدة واتجه ناحية مراد وهزه صائحاً: هيا انهض أيها العريس، نهارك اسود بإذن الله .

تململ مراد على الأريكة قبل أن يفتح عينيه قائلاً وهو يفرك صدغه: آه رأسي يكاد ينفجر"
ضحك آدم قائلا بعبث: بحق الله ! ما الذي هببته البارحة حتى انطفأ محركك بهذا الشكل؟! ,اعتدل مراد بجلسته ليتسائل بعدم فهم: وما الذي جاء بي لعندك؟ لا اذكر شيئا" ثم تنبه لعابد الذي يجلس على الأريكة المجاورة وقال : صباح الخير عم عالب...عماد،.,رفع عابد إحدى حاجبيه ليتبسم مراد بخجل وهو يخطو ناحية الحمام . ولم يكد يخرج منه بعدما شطف وجهه حتى تعالت طرقات عنيفة على الباب، نهض آدم ليفتحه فأزاحته نور وهي تقول بحدة : هل استيقظ ؟
كاد أن يجيب لولا أنها لمحت مراد وهو ما يزال يقف في الصالة ..
تعلقت عيناه بعيني شقيقته لتقول بلهجة آمرة وهي تدفعه داخل غرفة آدم: ادخل لنتحدث .
رفع مراد حاجبيه دهشةً من غضب نور الصغيرة لكنه انصاع لها وخطى إلى الداخل فاغلقت نور الباب من فورها فتسائل مراد: ما بك !,اقتربت منه مهددة وقالت بحنق : اسمعني يا مراد، اقسم بالله العظيم إن تكرر ذلك الموقف الذي وضعت نفسك به البارحة فلن أتوانى لحظةً واحدة عن إخبار أبي وإليسا عما تفعله كل ليلة، كفاك طيشاً لم تعد صغيرا على هذه الافعال .,فهتف بشقيقته :يا فتاح يا عليم ،.ما بكِ منذ الصباح ؟!
وقال وهو يخطو ناحية الباب مجددًا ليغادر : لا تقحمي نفسك بأمور الكبار ما تزالين صغيرة على خوض هذه الأحاديث .
فقالت وهي تحدق به بازدراء بعيون دامعة: أمور الحلال والحرام لا دخل لها بالكبار والصغار يا أخي !
وقف بمكانه مبهوتاً من كلماتها لتردف بذات القسوة: - لكنك اعتدت على الضلال والانحلال .
-نووور كفي عن الوقاحة ! " هتف مراد بحدة وهو يستدير ناحيتها و يقبض على ساعدها لتجابهه بثبات وتردف بذات الألم : هل أمور الكبار

تقتصر على شرب الخمر وملاحقة النساء ! .,اتسعت عيناه بذهول على جرأتها الفظة فصفعها بعنف وهو يصرخ : تأدبي ! .
اضطرب تنفسها وتلمست مكان صفعته ليدخل آدم بعدها بجزع إلى الداخل ليصرخ بمراد : ما الذي فعلته بحق الله !!
قالت نور وهي باكية : أنا اكرهك يا مراد، أكرهك " ,تجاوزتهما لتركض خارجاً بينما بقي مراد مضطرباً وهو يمسح وجهه بكلتا يديه ولم يتذكر شيئاً البتة بينما آدم ضرب الباب بقبضة يده بغضب ولحق بنور التي هربت ناحية السطح كيلا يشعر والديها بما جرى، لحق بها آدم مسرعها ليقول بجزع:ما الأمر؟ لما صفعك ؟,مسحت دموعها ولم تجبه، احتضن وجهها بيديه برجاء : ما الأمر حبيبتي اخبريني،
هزت راسها بألم رافضة الإفصاح ليدلف بعدها مراد ناحيتهما قائلاً بثبات: أتركنا آدم.
حدق فيه آدم وهتف بحدة : لن أفعل "
-آدم ...صرخ بها مراد بحدة وأردف بذات القسوة : أخرج ولا دخل لك في مسائلنا العائلية " جز آدم على اسنانه بغيظ ٍوقال مهدداً: سأفعل ، لكن وقسماً بذات الله إن تجرأت على ضربها مجددا سأكسر يديك .,تجاوزه مغادرًا ليجلس على أولى درجات السلم وهو يشد على قبضتي يديه بغضب، بينما اقترب مراد من شقيقته قائلا ًبخوف: اخبريني هل ..هل آذيتك بتصرف او بكلمة البارحة، أنا لا أذكر شيئاً، رجاءً اخبريني أكاد أجن.
أشاحت بوجهها عنه وما زالت دموعها تنهمر بألم
فقال مجددًا : نور أخبريني "
تعلقت عيناها به وقالت بصوت واهن:حينما .اوصل كريم بعد منتصف الليل ن...ناديتني جمانة" ضيق عينيه يستمع وقال بخوف : وبعد ! ,أمسكت بحزام الدثار الذي يغطي ثوب منامتي وصرت تناديني جمانة....من هي جمانة!؟,ضرب الحائط بقبضة يده وهو يشتم نفسه والتف مجددًا ناحيتها قائلا بجزع: هذا ما حدث فقط ! تكلمي .

هزت رأسها بإيجاب ليحتضنها بأسفٍ حقيقي: أعتذر، اقسم لك بأني لم أكن واعيا أو مدركاً لما فعلت.
مسح دموعها بيديه وقبل جبهتها وهو خجلٌ من نفسه فقالت له: لا تشرب مجدداً مراد، أرجوك كف عن ذلك،كنت خائفةً جدًا البارحة، وإليسا ما ذنبها أن تتحمل خيانتك، بماذا آذتك لتفعل هذا بها أنت تؤلمها جدًا، لا تتفك تحتجز نفسها في غرفتها باكية .,وضع إصبعه على شفاهها قائلاً بألم: بغض النظر عن إليسا، سامحيني حبيبتي، سامحيني أقسم أني لن افعلها مجدداً، أنت شقيقتي الصغيرة، الموت أهون عندي من أن أؤذيك بقول أو فعل" احتضنها مجدداً وعينيه دامعتين وصار يمسح على شعرها بلطف متمتماً باعتذراتٍ متلاحقة وهو يستغر الله، فتح باب السطح ودلف آدم فلم يعد يقوى على الانتظار أكثر، ضيق عينيه عليهما ليتسائل : هل أنت بخير نور ؟ ,كان مراد يدير ظهره لآدم، مسح دموعه بسرعة ثم أفلت نور متجاوزًا آدم ليهبط درجات السلم وعينيه ما تزالان محتقنتان بدموع أسف حقيقية.,******,دلف مراد إلى غرفته، كانت إليسا تتجهز امام المرآة وتمشط شعرها الكستنائي الطويل، جلى حنجرته وناداها بصوت خفيض: حبيبتي .
تطلعت فيه نظرة انكسار فقال معتذراً: سهرنا البارحة أنا وكريم ثم...صعدت لشقة آدم وغفوت على الأريكة "
لوت جانب فمها بسخرية وقالت بجمود وهي تطالعه عبر المرآة : لم أسألك أين قضيت ليلتك، صدقًا لم يعد يهمني مراد.
ثم أخرجت قلم الكحل لترسم خطاً رفيعاً على جفنيها طالت نظراته مرتكزة عليها ثم خطى ناحية الحمام ليقول : سآخذ حماما وأذهب إلى الشركة .
فأجابت بلا مبالاة: افعل ما يحلو لك .
كبت غضبه وآلام صدغه تزداد فدخل حانقا ًوأغلق الباب خلف بعنف ليرتج الزجاج ، كتمت إليسا شهقاتها الباكية وهي تقول بألم :
-ليحرق الله فؤادك يا مراد كما تحرقني كل يوم.
تطلعت بنفسها في المرآة أخذت نفسا عميقاً ثم انتشلت حقيبتها لتغادر .

خرج مراد من الحمام وقام بتجفيف نفسه وارتداء بذلته، طرق الباب لتدلف والدته وهي تطالع بجمود:
-صباح الخير .
صباح النور أمي
قالها وتقدم ناحيتها مقبلًا جبينها فابعدته عنها قائلة بعتاب: إلى متى؟ أنت تلاحظ أننا لا نحادثك ولا نتدخل بشؤونك الخاصة لكن إلى هنا وكفى .
مسح على شعره بعصبية وهتف : ألا يكفيني ما جرى حتى الآن !! اعتقوني بحق الله .
تجاوز والدته ليغادر فهتفت به : ابقى كما أنت يا مراد، لكن ما ذنب تلك المسكينة؟ أتناسيت انها زوجتك ولها الحق في أن تهتم بها؟!
استدار ناحيتها ساخطا ً : وما بها ست الحسن والدلال؟؟ تعيش بقصر وكل طلباتها مجابة لا امنعها عن الذهاب لأي مكان ألا يكفيها ذلك .,انفرجت عينيها بصدمة لتهتف به : بلى يكفيها مراد، يكفيها فعلا! لكن ينقصها اهتمام وحب ،.ينقصها رجل يا بني .
وهذه المرة هي من تجاوزت مراد لتغادر غرفته ، ,*******
اقترب آدم منها فرفعت وجهها ناحيته قائلة بثبات: لا تقلق، كنت غاضبة منه لأنه بات يزعج أليسا كثيراً مؤخرا .
-فقط ؟
تسائل لتجيبه بذات الثبات: نعم، أنا من علي الاعتذار منه لأني تجاوزت حدود الأدب مع أخي الكبير "
فقال وهو يتبسم لها بحنو ليزيل غمامة الحزن عنها: - أتدركين تاريخ اليوم .
تنهدت بابتسامة شاحبة لتجيب: نتائج الثانوية مع الأسف لم أنسى "
اقترب منها أكثر وشبح ابتسامة ارتسم على محياه: - إذن ألا تريدين معرفة النتيجة نوارة ؟
أطرقت برأسها بخوف وهزت رأسها بنفي وهي تتمتم: اه يا آدم لا لا أريد ،.سأموت من القلق...وانشغلت بشجاري مع مراد!

ضحك وهو يبعثر شعرها بعشوائية لتضرب يده بسخط: كف عن ذلك يا ولد .
حاضر " قالها باسماً ثم اخرج هاتفه ليعبث به قليلاً قبل أن يقول بصوت هامس: إقرأي .,تطلعت فيه ثم بالهاتف وقد بدأت ضربات قلبها بالتصاعد وقرأت ليتزلزل كيانها بأكمله :
نور رضوان المنصور / ناجح .
اتسعت عيناها بذهول وهي ترى نتيجتها النهائية وعلاماتها المرتفعة وصرخت بفرح جنوني : -نااااجح " حدقت به وصرخت مجدداً : نجحت، لقد نجحت ! هز رأسه باسماً لترتمي على صدره بعنف ليرتد إلى الوراء خطوتين ويتمتم بارتباك : يا مجنونة ستفضحيننا أمام خلق الله !! .
قهقهت بسعادة عامرة ثم تمسكت برقبته وطبعت على وجنته قبلة ً خاطفة و هربت تهرول درجات السلم وهي تصرخ بفرح : مامااا، بابااا نجحت ، أنا نجحت أيها القوم أين أنتم ؟,بينما آدم بقي مكانه للحظات وقد تدلى فكه كالبلهاء واصابعه تتلمس مكان قبلتها الفجائية ليخفق قلبه باضطراب لذيذٍ جداً، بل بصدمة لذيذة ! يا ليتها تنجح كل يوم بل كل ساعة تلك الحمقاء التي سلبته عقله ! ,لحق بها إلى الأسفل حيث ارتمت نور على صدر والدتها وهي تضحك فقالت عبير باسمة : مبارك حبيبتي، مبارك نجاحك.
قبلت والدتها ثم ارتمت على رضوان لتقبل يديه بفرح ليربت على كتفها باعتزاز ..
ركضت كذلك ناحية مراد الذي نزل للتو للذهاب إلى الشركة فقالت بفرح جلي : نجحت، ظهرت نتائج الثانوية "
قبل مراد جبهتها بفرح ثم احتضنها قائلاً بصوت هامس: مبارك حبيبتي، وآسف مرة أخرى.
ابتعدت نور عنه قليلاً ورفعت كفه لتلثمها قبلة وهي تتمتم كذلك : وأنا آسفة أخي لم أقصد التطاول بحديثي معك.,ربت على كتفها بحب كبير فقالت إليسا موجهة حديثها لآدم: إن كنت جاهزاً لنغادر الآن "
أومئ لها آدم موافقاً، تعلقت عينا مراد على عليهما ليتسائل وقد قضب حاجبيه

وقال بحدة : إلى أين ؟
تفدمت ناحية آدم وقالت بلا مبالاة : سيوصلني لمنزل صديقتي.
تقدم منها ليقبض على ساعدها زاجرًا : ألا يوجد لك زوجٌ لأخذ اذنه و لاصطحابك !؟ .
-مراد " هتف بها رضوان ليقول بثبات: أنا من اعطيتها الإذن للذهاب معه .
أفلتها ليتطلع بأبيه بغضبٍ مكبوت ليغادر الشقة صافقاً الباب خلفه.,ربتت نور على كتفها لتهدئتها بينما قال رضوان بغضب وهو يرتمي على المقعد خلفه : غبي ! سيقضي علي ابنك يا عبير "
قالت إليسا بخفوت وهي تحاول كبح دموعها من
الانهمار : آسفة بابا الخطأ خطأي.
هز رضوان رأسه بيأس وقال يخاطبها بحنو : لا عليك إليسا، اذهبي إلى صديقتك الآن .,هزت رأسها موافقة واستأذنت بأدب لتغادر ولحق بها آدم وفكره ما يزال مشغولاً بمراد وتلك المدعوة جمانة والتي على ما يبدو السبب بكل تلك المشاكل .,********

30,كان كريم يستمع إلى أغنية فيروز وهو واقفٌ أمام الواجهة الزجاجية في متجره يدخن بشرود حتى دلفت تلك الفتاة مجددًا ووقفت أمامه للحظات وقد ارتعشت بارتباك من نظراته الشاردة ناحية الواجهة الزجاجية، بدا كلوحةٍ فنيةٍ بديعة وسط التماع اشعة الشمس على جسده، انعكس الضياء على كنزته البيضاء التي تحتضن منكبين عريضين وعضلات واضحة وجسد رياضي منحوت.. تنحنحت لتجلي صوتها وقالت بثبات: صباح الخير",استدار بتلقائية تجاهها فأحست بضآلة حجمها أمام هذا الكيان العملاق، أجاب باقتاضب: صباح النور.
ثم نادى إلى أحد موظفاته: ساعدي الأنسة يا هند.,-عفواً " قالتها واقتربت أكثر قائلة : ألم تذكرني ..أنا الموظفة الجديدة، جئتك البارحة لأجل العمل" ضيق عينيه ثم ضرب على جبهته ليتذكر وكاد يقول بأسف حقيقي بأنه لا يحتاج

موظفة فما لديه يكفيه، لكنه كان البارحة شارد فعلاً لذا وافق ،لكن طبعا تلك الثرثارة اغتالت أفكاره قبل أن ينطقها قائلة بلهفة :
-فعلاً شكراً لك على العمل كنت أحتاجه بشدة، ظللت مدة شهرٍ كامل وأنا أبحث عن وظيفة مناسبة حتى قادتني قدماي لمتجرك " ,ابتلع حروفه التي كاد أن ينطقها ليهز رأسه متفهمًا وصمت باستسلام كي لا يحرجها، فعاودت تلك الفتاة الثرثرة مجددًا ولم يكن كريم معها على الإطلاق، استدارت أخيرا لتقول :
-حسناً إذن سأذهب لمباشرة العمل " وقبل أن تخطو خطوة أخرى سألها :
- ما كان اسمك؟,استدارت الفتاة بابتسامة مجيبة : جمانة " ,وغادرته وهي تضع يدها على قلبها المضطرب وتتمتم : اللعنة على وسامتك ! "
استدار كريم مجدداً ناحية الواجهة الزجاجية مشعلاً سيجاراً آخر ليدخنه، نظر إلى ساعته ثم عبث بحاسوبه قليلاً ليستطلع نتائج امتحانها وتتسللت ابتسامة عذبة لتغزو سحنته.,بعد ساعة من الزمن طرق باب الفيلا، أجابت الخادمة ليقول الموظف بلباقة: سلميها للآنسة نور بعد إذنك" . تسلمت منه الخادمة باقة زهور حمراء عملاقة فتبسمت وصعدت بها ناحية غرفة نور، طرقت الباب ودلفت إلى الداخل قائلة : إنها لك آنسة نور .
لتركض نور بلهفة ناحيتها متسائلة: يا لجمالها! ممن هي؟
-لا اعرف" شكرتها نور لتخرج الخادمة من الغرفة ، أغلقت الباب ثم وضعتها على الطاولة لتتبسم بسعادة وهي تتلمس تلك الزهور الحمراء حتى لمحت تلك البطاقة البيضاء : فتحت البطاقة لتقرأ تلك الكلمات القليلة :
((بعدد أنفاسك العطرة التي سلبت من روحي الحياة، بعدد ضربات قلبي المجنونة كلما التقيتك، مبارك نجاحك...كريم)) ,اغلقت نور البطاقة بأنامل ارتعشت من كلماته..
رمت البطاقة على الطاولة وقد تبدد مزاجها وشعور مقيت سيطر عليها... تحبه، تحترمه لكن كمراد تماماً، تحبه ولا تريد أن تؤذيه بكلمة أو تصرف، لا تريد أن تحكي لمراد أو آدم عن تصرفاته كيلا يتعرض للأذية بسببها وهي تعرف جنون آدم حينما يتعلق الأمر بها، بل وتعرف جنون كريم حينما

يغضب، تنهدت بألم واستلقت على الفراش لتتطلع بالسقف بشرود تام وقد بدأ كريم بلخبطة مشاعرها فعلاً ،,في المساء .. اتصل مراد بابن عمه كريم ليوافيه ناحية إحدى المقاهي عله يخرجه قليلاً من الاستياء المسيطر على كيانه، كان يريد من يتكلم معه بأريحية، من يشرح له ما يعانيه ولن يستطيع طبعا أن يتحدث عن جمانة لآدم أو لأحد من عائلته حتى يراها، وافاه كريم ناحية المقهى ليبدأ مراد بالشرح والتبرير، ولربما كان يبرر انفعاله وذكره اسم جمانة حينما كان ثملا لأنه يشعر بالذنب لإضاعته ابنة خالته! شقيقة آدم التي كان يعتقدها الجميع ميتة، اعتلت الدهشة ملامح كريم، ضرب كفا بكف وهو يقول: لا يعقل! ,قهقه مراد ساخراً وأجاب بألم : مع الأسف هذه الحقيقة، ومن حينها أبحث عنها كالمجنون، لا أنكرأنها اعجبتني ،.بل أعجبتني بشدة إنها نوعية فريدة فعلاً. ...لنقل مسترجلة، صوتها العالي، شعرها القصير ..تصرفاتها الصبيانية، كلامها اللاذع، كل شيء فيها لا يمت للأنوثة بصلة ومع ذلك أعجبتني بشدة !

-أعجبتك وهي بهذه المواصفات! فعلاً لم اعد أفهمك ! .

فقال مراد ضاحكاً : ولا أنا افهمني حتى !!

-لكن كيف عرفت بداية أنها هي جمانة ابنة خالتك؟

وقال : بسبب قلادتها، الشمس، هي الجزء الآخر من قلادة آدم لأن عابد قد صممها خصيصا لهما؛ وبعدها وكلت أحد معارفي من الضباط لجلب معلومات عنها لأتأكد وجرى ما حدثتك عنه.,ضربه كريم على ساعده قائلاً : لا عليك سنجدها إن شاءالله أولا أو آخراً، ومن يدري لعلي أساعدك بالبحث عنها، فقال مراد باسماً : أريد فقط أن أرى رد فعل آدم حينها، وعابد سيلتم شملهم أخيرا "

ومر شهر آخر سافرت خلاله نازلي وابنتها حيرين إلى تركيا... وكان كريم قد قابل فكرة الخطوبة من جيرين برفض تام رغم محاولاتها ومحاولات والدته ووالدتها...

خلاله كانت العلاقة ما تزال مضطربة بين مراد وإليسا لكنها تشاغلت

بالتحضير لدراستها الثانوية، ونجحت فغلا في الانشغال بها كي لا تفكر بتصرفات مراد التي زادت عن المقبول، وكأن حنانه الماضي وحبه لها قد تم طمسه تحت طبقات من الغبار والإهمال، كان جل تفكيره جمانة ومكان تواجدها...وفكرة أنها مع رجل آخر تخنقه بلا رحمة، بل وتنهش روحه، فعلاً كانت كساحرةٍ خرقاء ألقت بتعويذة غبية على قلبه ليصبح أسير ماضيه معها، و عندما سأله آدم عنها ذات يوم، أجاب بلا مبالاة: كانت نزوة عابرة كغيرها وانتهت" لكن آدم لم يصدقه، فالكذب في الحب ليس أمرا سهلاً البتة .,عابد خلال هذه الفترة استطاع تنظيم حياته وافتتاح مشروعه الخاص وهو ناد لتعليم تقنيات الدفاع عن النفس كما كان يعمل حينما تزوج رغد، و بما أنه ما يزال يحتفظ بلياقته البدنية العالية فلم يحتج الأمر سوى لتمرينات بسيطة لإعادة النشاط إلى جسده،

أما نور فبدأت بإجراءات التسجيل بكلية الطب وانتظرت بداية العام الدراسي على أحر من الجمر، وليال قضتها تتحدث بالهاتف مع من أنار شعلة الحب داخل صدرها الصغير، ولم يكن حب آدم لها سوى كجمرة لم تنطفئ، وقرر أن الوقت قد حان للتقدم لها رسميا، ولعله سيفعلها بعد الحفل المقرر لعيد ميلادها، ,وكريم ،. كانت أيامه المملة المميتة كسابقتها اللهم إلا تلك الجنية التي انبثقت أمامه لتحيل حياته ومتجره لفيلم آكشن متحرك، بفوضويتها ولسانها الطويل ...وتعثراتها التي لا تنتهي بل وإسقاطها للألبسة دائماً وهي تقوم بترتيبها !,ذات يوم وكما العادة كانت جمانة على السلم الحديدي تقوم بترتيب الرفوف العلوية، تقدم ناحيتها قائلاً بنفاذ صبر :ألم تنتهي بعد! قسم الفساتين بحاجة لتنظيف " استدارت ناحيته بحاجبين مقطوبين: حاضر حاضر انتهيت" قالتها وهبطت اولى درجة منه فانزاح السلم الحديدي صرخت بجزع وسقطت فتلقفها بين يديه، قالت بتلعثم وارتباك : ما الذنب ذنبي إنه السلم" أومئ موافقا ليقول بلهجة ساخرة وهو يميل ناحيتها : فعلا السلم قليل التهذيب يصر على رميك لأحضاني في كل مرةٍ، لا بد وان أجلب له شرطة الآداب ليكف عن ذلك .,تعلقت عيناها على نظراته العابثة فدفعته بعنف عنها واعتدلت واقفة :

السلم الحديدي يستمد طباعه من صاحبه بالمناسبة"
انفرجت عيناه على لسعات لسانها الذي لا ينفك يطلق الرصاص بين حروفه لكن لا يعرف فعلاً ما السر الذي يمنعه من ركلها على مؤخرتها خارج متجره !
تقدم منها حتى التصقت برف الألبسة وقال بحنق: جيد أن الأمر قضي بسقوطك، لو أوقعت الالبسة كما المرة الماضية فكنت سأضطر لخصم إسبوعٍ من مرتبك ! ,طالعته بنظرات تحدٍ واستندت بكفيها من خلف ظهرها على الرف السفلي وضغطت بعنفٍ ليسقط الرف بما عليه من بناطيل، جحظت عيناه فتطلعت فيه ببراءة الذئاب وقالت بابتسامة ساخرة : أوبس... وقع، اخصم لي اسبوعين إذن " ,كريم ...وما الذي يخرجه عن طوره سوى الوقاحة! لكن عينيه هذه المرة اتسعتا لتبتلعا تلك الجنية القصيرة وما تزال واقفة أمامه بثبات، صحيحٌ أنها اغضبته حد الجنون، لكن نجوم السماء اقرب لها من أن يظهر غضبه الآن، ابتلع غضبه وصحيح أنها ارتعشت خوفاً من ردة فعله لكنها كذلك وقفت بذات الثبات والتحدي، مد يديه من جانبيها فأغمضت عينيها بخوفٍ وباللحظة التي تليها كان الرف الأوسط على الأرض! فتحت عينيها على الصوت العالي الذي اصدره وقوع الرف على الأرض وما فوقه من ملابس، وأعقبها بذلك بأن ضغط على الرف العلوي الذي رتبته لتوها كذلك ليسقطه وسط نظرات الموظفين الذاهلة مما يجري بينهما.,ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفاهه وقال : مع الأسف لن تغادي المتجر حتى يعاد كل شيء إلى مكانه آنسة دبانة ،.آوه عفوا ًجمانة"
غمزها بعينيه وغادر وسط ذهولها وحنقها وغضبها منه ! ,ومرت بضعة أيام لينظم مراد حفلاً بسيطاً احتفالا بقبول شقيقته بكلية الطب ولعيد ميلادها بآن معا، زين حديقة الفيلا بمساعدة آدم بطريقةٍ أنيقة بسيطة، كان كريم جالساً خلف المكتب مساء يتطلع بشاشة حاسوبه على أحدث موديلات الفساتين وينتقي منها ما يريد شرائه لمتجره، رن هاتفه المحمول ليجيب على اتصال مراد: أهلاً بابن العم" قالها باسماً ليجيب مراد بضحكة خافتة: أهلاً بمصيبة حياتي. اسمع غداً

سنقيم حفلة لنور بمناسبة قبولها بالكلية وعيد ميلادها أحتاج فستاناً لأقدمه هديةً لها" ,- ألن تنتقي واحداً أنت؟ تسائل كريم ليقول مراد : - العمل متراكم علينا ولا أظنني أملك وقتاً لذلك، أثق بذوقك تكفل أنت بالموضوع لكن إن استطعت المرور مساءً سأستلمه منك .,-حسناً كما تشاء, لكنه غالٍ جداً هل تستطيع دفع ثمنه أم أكلم البابا " قالها كريم مازحاً ليجيب مراد بمكر: ثمنه صفعتين وركلة أيها الوقح " قهقه كريم ثم صمت قليلاً وقال باقتضاب: هل أنا مدعوٌ يا ترى؟
أجاب مراد : طبعاً أيها الأحمق ولما لا ندعوك هل قتلت جدتي دون أن أدري !؟,أغلق الهاتف ثم رماه على طاولة المكتب واتجه ناحية الفساتين ينتقي منها ما يعجبه، ثم نادى بصوت عالٍ لموظفاته: فزعة يا بنات، من منكن مقاسها بين الست وثلاثين و ثمانية وثلاثين ؟ ,تقدمت هند لتقول بضحكة : جميعهن كالنعجات السمان سيد كريم"
رمتها إحداهن بعلاقة الملابس لتتعالى ضحكاتهن, فقالت هند مجدداً وهي تشير ناحية جمانة : هذه الرشيقة الوحيدة بيننا" ,كانت جمانة على السلم تقوم بترتيب البضاعة في الأعلى، هي الرشيقة الوحيدة ..والوحيدة التي دائما تتعلق على السلالم لترتيب الملابس .. تطلع كريم ناحية جسدها النحيل ليبتسم ابتسامة واسعة وينداديها : جمانة.. جمااانة "
استدارت ناحيته فقال مازحاً: ألا تحسبين نفسك من صنف الحريم حتى لم تجيبي على سؤالي ؟,احتقن وجهها بانفعال وأجابت وهي تهبط عن السلم الحديدي: لم انتبه، ماذا تريد "
هز رأسه بيأس مرددا باستهجان لطريقتها الفظة " ماذا أريد يا منفلتة اللسان !! أجاب ببساطة وشبح ابتسامة ارتسم على ثغره : اتبعيني يا سندريلا الفساتين الفوضوية "
انصاعت له وهو يقوم باختيار بعض الفساتين ثم قال بجدية: اسمعي ابنة عمي ذات مقاسك تقريبا" ثم تبسم ابتسامة ناعمة وأردف: طبعاً إن استثنينا الطول ، والجمال المهم قومي بقياس الفساتين لاختار الأنسب .
رفعت جمانة رأسها بشموخ وقالت بثقة: لا أرتدي المكشوف أيها السيد.,رفع

كريم إحدى حاجبيه وأجاب بثقة: ومن قال لك بأن بناتنا يرتدين المكشوف ؟ جريبيهم جميع الفساتين مستورة "
ثم قذفهم ناحيتها لتتلقف الفساتين بين يديها، تطلعت بالفساتين نظرة سريعة لتطمأن ثم توجهت ناحية غرفة الملابس لتبدأ بتجربتهم .
جلس كريم بأريحية على الكرسي الجلدي بجانب غرفة القياس وما إن ارتدت أولهم وخرجت حتى انفجر ضاحكاً من هيئتها، كانت تغرق بالفستان؛ احتقن وجهها بغضب وكادت أن ترد عليه فوقف هاتفا : أريد حذاء ذا كعب عالٍ يا بنات .,آسف، جمانة لكنك قصيرة فعلًا،
جزت على أسنانها بغيظ وتمتمت تحدث نفسها: وأنت وقح فعلاً !
تقدمت منها هند لتسلمها حذاء فقالت جمانة بخجل : لكن ،. أنا لا أعرف المشي بالكعب العالي "
-نعم !!! نطقها كريم باستغراب لترفع جمانة طرف الفستان هاتفة به : لا أرتدي سوى الاحذية الرياضية إن لاحظت.
ضرب كريم كفاً بكف وقال بقلة حيلة : ارتديه هذه المرة لأجلي، حاولي، لن يكون واضحا الفستان بهذا الشكل " ثم أردف: لا ..ارتدي فستانا ًآخر بحق الله وبعدها جربي الحذاء. سأصاب بتلوثٍ في الرؤية.. تشوه الفستان! !..,زفرت زفرة قوية ودخلت لتجربة الفستان الثاني ثم خرجت كان كريم في حينها يتحدث بالهاتف، تقدمت من الكرسي الجلدي وارتدت الكعب العالي، استدار مجدداً ناحيتها عندما أحس بها وأشار لها بيده بأن تنهض، وقفت جمانة ليتطلع بها بتؤدة من الأعلى للأسفل ويبتسم شارداً، وكأن نور تمثلت أمامه هذه اللحظة، تقف أمامه، تتبسم له، خفق قلبه باضطرابٍ فنسي من كان يكلمه وأغلق الخط، رفعت جمانة حاجبها وتنحنحت ليتنبه على نفسه قائلاً
بارتباك :آءءء لا تقفي كالصنم تحركي ..,شحب وجهها وكان قد تقدم منها خطوتين للأمام، رفعت الفستان قليلاً وحاولت السير بضع خطوات ناحيته فتعثرت به وكادت أن تسقط فأسندها بيديه وهو يهتف: انتبهي" انكمشت على نفسها بخجلٍ بينما قال ضاحكاً : ألا تعرفين أن تخطي خطوتين بكعب عال؟!

أي صنف من النساء أنت بحق الله ! ,أفلتت نفسها من قبضته وجلست على الأرض بمكانها وسط نظراته المستغربة وقالت ساخطة وهي تخلع الحذاء ، لن اجرب لك فستانا آخر أيها المتعجرف" ,شهقت هند من حديثها بينما هتف كريم بجزع : الفستان سيتسخ يا مجنونة !
-بجهنم فليتسخ اخصمه من مرتبي ",قالتها وهي ترمي الحذاء ذا الكعب على الأرض بين قدميه ثم اتجهت وهي حافية تجاه حذائها الرياضي وجلست مجدداً على الأرض جكرًا به، لتنتعل حذائها وما زال كريم شاردًا بها، ضيق عينه وقد طرقت ذاكرته كلمات مراد حينما حدثه .,((صوتها العالي, تصرفاتها الصبيانية، كلامها اللاذع، حتى . .حتى انها لا تعرف ارتداء الكعوب جميع الموظفات كن يهتتمن بأناقتهن ومع ذلك كانت أجملهن.، !! كل شيء فيها لا يمت للأنوثة بصلة ومع ذلك أعجبتني بشدة !)) تمتم بعدم تصديق: مستحيل .. لا يمكن " ولم يدري بنفسه إلا وهو يتقدم منها بخطى مترددة حتى صار قبالتها تماماً، انحنى بركبته على الأرض ورفع وجهها بأنامله وعادت كلمات مراد تدق ناقوس ذاكرته((عيناها السوداوان الواسعتان، شعرها القصير الأسود..غضبها المجنون ..ابتسامتها الأجمل..صراحتها التي تصل لحد الوقاحة)) فحدقت به باستغراب شروده فيها بهذا الشكل، مال بنظراتها إلى الأسفل و تعلقت عينيه على عنقها لتنفرجا باتساع وهو يمد يده ليسحب القلادة ويقول بارتباك : أنتِ.. أنتِ هي جماانة.
-جمااانة !!.
نطقها صوت آخر كذلك من خلفهما !

,31
كان مراد قد وصل لتوه ليراهما على هذه الحالة، بعدما أغلق كريم بوجهه خط الهاتف حينما أخبره بأنه استطاع المجيء لاستلام الفستان ليقوم كريم بتجهيزه..

تطلع كريم بها مشدوها غير مصدقٌ أن جمانة التي اختفت لشهرين عن مراد هاهي بهذه اللحظة بين يديه ! بينما تطلعت هي بصدمة بمراد الذي جمد بمكانه وكريم ما يزال ممسكاً بقلادتها بكف والكف الأخرى تلامس ذقنها، خرست أفواه الثلاثة ليعم الصمت المهيب المكان، بلحظةٍ تمالكت جمانة نفسها وتنبهت لالتصاق كريم الشديد بها بل وملامسته لوجهها بهذا الشكل فدفعته بكف يدها ليرتد إلى الوراء جالساً على الأرض بينما هتفت به بارتباك : ماهذه الوقاحة !,وقفت بمكانها مستعدة للهرب بينما تقدم منها مراد وقد أعمي بصره عن كل من حوله، بلحظةٍ كان قبالتها مباشرة، بل وكأنه رأى شياطين الأرض أمامه قد اجتمعت، هي بهذا الفستان على الأرض وأمامها كريم! كريم! ما هذا بحق الجحيم أي كابوسٍ لعينٍ هذ؟! تمسك بذراعها بعنف دون أن ينبس بكلمة وجرها ورائه ليصعدا درجِ المتجر للطابق الثاني.. وعينيه قد استحالتا لجحيم مشتعل،صرخت به محاولةً أن تحرر ساعدها من قبضته ليصرخ بصوتٍ جلجل جدران المكان: ابتلعي لسانك" فهتفت بلعثمة وهي تحاول السيطرة على خطواتها: مراد الفستان طويل سأتعثر، أيها الغبي" استدار ناحيتها فوراً لترتطم بصدره فانحنى ورماها على كتفه وأكمل خطواته التي تضرب الأرض وكأنه سيسحق البلاط تحت وطئ قدميه.,تدارك كريم نفسه ووقف متنبهاً لنظرات الزبائن والموظفين الذاهلين حوله لأن ابن عمه المجذوب قد حمل الفتاة كشوال الأرز! تنحنح بارتباكٍ وخطى صاعدًا ورائهما...

رماها مراد على الكرسي الجلدي وضرب الباب خلفه وقد تعالى صياح الشياطين خلفه ومن حوله.. تطلعت بعينيه برعبٍ جلي .. توقفت أمامه محاولة استجماع قوة تظنها ستظهر حتماً ، تعالت وتيرة أنفاسه، كان يريد فقط إطفاء لهيب صدره المتوقد جراء اختفائها، لا بل يريد أن تنالها حرائق صدره، لتلتاع كما لوعته طيلة شهرين كاملين، صفعها بعنف لتشهق بصدمة بعيون تحجرت الدموع فيها ابعدته بعنف لتغادر عنها لكنه أخذها بين ذراعيه، شدها بقوة إلى صدره وهو يشتمها ساخطاً...اعتصرها بين زراعيه وأردف بضعف: يا مجنونة، بحثت عنكِ بكل مكان.,انكمشت على نفسها وهو يشد بذراعيه على

جسدها حتى كاد تنفسها أن ينقطع، قالت بلعثمة وبحروف بالكاد خرجت:
ابتعد..س... سأختنق !
لكنه لم يستمع لكلماتها، لم يفهم ما تنطقه تلك الجنية القصيرة، كان بعالمٍ آخر تماما ً وكأنه حظي بكنز ثمين طال بحثه عنه ..ولم يشعر إلا على قبضة عنيفة تعيده إلى الواقع مجدداً، ضغط كريم على ساعده قائلا بحدة :
- اتركها يا مراد..هل جننت! . ,عاد إلى رشده أخيراً وابتعد عنها مجبراً بينما احتقنت عينيها بدموع ألمٍ وغضب ونقلت بصرها بينهما بتفاجئ وغنغمت :
أنتما متفقان إذن !؟
وأردفت بحدة وهي تخاطب مراد : إن تعرضتما لي مجددًا أقسم بالله العظيم أني سأقدم بلاغاً لرجال الشرطة "
صرخت بهما بصوت هادر ثم رفعت الفستان بكفيها وركضت خارجة من الباب لتهبط درجات السلم حتى خرجت إلى الشارع، حاول مراد اللحاق بها فأوقفه كريم قائلًا بثبات:
- لن تتجاوب معك، سأعيدها لا تقلق"
أومئ له مراد برجاء: لا تجعلها تضيع مني مجدداً ،
فأسرع كريم الخطى راكضًا ورائها، كانت قد وصلت ناحية الشارع المقابل، قطع المسافة بسرعة وشدها من ساعدها قائلاً :
-قفي لحظة، هنالك سوء فهم بالموضوع.,حاولت أن تتملص من قبضة يده وصرخت به: -الموضوع واضحٌ جدًا أيها المحترم .
ضيق كريم عينيه قائلاً بثبات وهو يجذبها ناحيته بعيداً عن السيارات: أنا أخبرتك أن هنالك سوء فهم، كوني عاقلة كي أشرح لك، لا يصح بأن تسيري بهذا الفستان ليلاً خصوصاً وأنت بهذه الحالة ! ,حدقت به وكأنه قام بامتصاص الغضب من داخلها، هزت رأسها موافقة بخضوعٍ تام ليقوم برفع كفها ليقبض عليها كيلا تباغته بحركة مجنونة وتهرب...فقال بوقار : جيد جداً ، تفضلي الآن لأشرح لك الموقف كاملاً .
انصاعت له وعادت برفقته إلى المتجر ليهب مراد بحنق عندما وجده يقبض

على كفها. كاد أن ينطق لكن جمانة اخرسته بمقولتها لكريم : -سأتحدث معك شريطة ان يخرج هذا الكائن من هنا.
- انتقي ألفاظك يا وقحة ! قالها مراد حانقاً لتزداد ابتسامة كريم وهو يخاطبه:
حسنا أيها الكائن اخرج وسأناديك لاحقاً"
غمز له كريم دون أن تتنبه عليهما جمانة ليجز مراد على أسنانه بغيظٍ ويستدير ناحية البوابة ويخرج ليقف خارجاً فجلست جمانة على الكرسي أمام كريم تنتظره أن يتكلم .,تبسم بلطافة ثم قال هامساً: الزبائن تحدق بنا" لنصعد إلى المكتب كي نتحدث بهدوء" جالت ببصرها قليلاً تطالع وجوه النساء الفضولية ثم نهضت لتتبعه على مضض ليصعدا السلم للطابق الثاني، جلست على الكرسي الجلدي فقام بإغلاق الباب ثم تقدم منها وهو يضع يديه بجيبي بنطاله، تعانقت نظراتهما لوهلة فتبسم قائلا :
-إذن أنت هي السندريلا الهاربة !
-سيد كريم لو سمحت "
-حسنا آسف، لكن يا جمانة لا افهم حقا، كيف لي أن اتفق معه وأنت من قدمت للعمل عندي ولا اعرفك سابقا حتى !.
أطرقت رأسها أرضا وهي تهز قدميها بعصبية فأردف بذات الأسلوب وهو يجلس على الكرسي مواجهاً لها :
-وثانياً وآسف يعني لأقولها؛ ألم تنتبهي إلى اسم العائلة ؟ رفعت رأسها ناحيته ليقول وقد مال بجذعه ناحيتها: كريم المنصور ...مراد المنصور ! أنا ابن عمه أيتها الجميلة وجاء الليلة لاستلام الفستان لحفل شقيقته فرآك مصادفة، هذا هو الموضوع فقط " شهقت جمانة بصدمة ليردف ساخراً : ألم تقرأي بطاقة واحدة من عشرات بطاقات المتجر التي على مكتبي والتي تحمل اسمي!؟
هزت رأسها وتمتمت بسخط :البشر يهرولون هاربين من المشاكل وأنا أعشق الركض لأقع فيها، وكأنني عاشقة بالفطرة لها، مجرد فتاة ٍغبية ! ,قهقه كريم مرجعاً بجذعه للخلف مجيباً : بل أنت طيبة جدًا جمانة، وما أراه فتاة رقيقة ترتدي ثوباً لا يليق بها البتة، تتخفين بقناع الفتاة المسترجلة لتستطيعي التعايش

مع البشر .
ضيقت عينيها واجابت : ومن طلب منك دراسةً لشخصيتي ! ,نهض من مكانه والتف حول المكتب ليصب لها كأساً من الماء وقدمه لها فتناولته وتجرعته دفعةً واحدة لشدة عطشها ثم أردف : أتعلمين، مراد بحث عنك طويلاً، لقد قلبت كيانه وبسببك ساءت علاقته بزوجته"اتسعت عيناها فنهضت وضربت بكفيها على الطاولة وهتفت بحنق: لا دخل لي بمشاكله، أنا هربت من ملاحقته وإزعاجه الدائم لي. أفهمته أن كلانا من عالمٍ مختلف، لا اناسبه.. لكنه لا يفهم.,احنى بجذعه على الطاولة حتى صار بمستوى بصرها وقال باسماً: لربما تطلعتِ فيه ذات النظرات التي تحديقنها بي هذه اللحظة حتى أضحى أسيراً لعينيكِ" رمشت بعينيها كالمخابيل أمامه كمن صعقها بكلماته.. فقال وهو يعتدل بوقفته ويشيح ببصره نحو الواجهة الزجاجية ليتدارك تلك الحماقة التي خرجت منه : على كل حال أنتما فعلاً لا تناسبان بعضكما، وطبعاً أنا لا أقصد إهانتك بكلماتي، إنه متزوج حديثاً، وزوجته تحبه.اخذت نفساً عميقاً تملئ به رئتيها ثم قالت بثبات: -أعرف ذلك و لست مفتونة بجمال أمه بل أريده أن يتركني وشأني فقط",فقال مراد من خلفهما وقد دفع الباب وتقدم ناحيتها : أنت مخطئة..بعد الآن لن أستطيع التغافل عن وجودك بحياتي..حتى ولو لم تكوني لي بالمعنى الحرفي لكني لن أسمح لكِ بالهرب مجدداً"استدارت ناحيته فأردف بذات الثبات: لن أستطيع التغافل عن وجودك بحياتي بعد الآن مهما حاولت.,تقدمت منه بإصرار وهتفت: أخبرتك أننا ننظر باتجاهين مختلفين أيها السيد" مد يديه ليسحب القلادة من عنقها ليقرب وجهها منه وهو يطالعها بعينيه العاشقتين وأجاب : طبعاً لأننا ننظر إلى بعضنا",سحبت القلادة من بين يديه محتضنةً إياها بكفيها وتسائلت بحنق: وما بالكم مع قلادتي بحق الله أيها القوم!؟ تعانقت نظراته بنظرات كريم فقال الأخير من ورائها: هذا موضوعٌ آخر سنتحدث فيه لاحقاً حتماً"استدارت ناحية كريم الذي أردف مجدداً: وأظنك بهذا الموضوع تحديداً ستكونين راضيةً جداً" نظرت له باستغراب فتطلع كريم إلى ساعة يده وقال لإنهاء الحديث: تأخر الوقت الآن علي إقفال المتجر سنتحدث

لاحقاً.. لكن رجاء يا جمانة لا تختفي كالمرة السابقة اتفقنا" ,هزت رأسها باستسلام وتجاوزت مراد دون أن تضيف كلمة لتهبط درجات السلم ..تطلع مراد بكريم نظراتٍ ذات معنى فهز كريم رأسه موافقاً وخرج ورائها.. استبدلت جمانة ملابسها وخرجت من المتجر ليلحق بها كريم دون معرفتها بذلك,توقفت أمام الموقف على الشارع المقابل للمتجر اوقفت ميكروباص وصعدته، فاستقل سيارته وقاد ورائها حتى ترجلت ودخلت بإحدى الازقة القديمة، ترجل من سيارته وسار ورائها حتى دلفت لإحدى العمارات القديمة المتهالكة، انقبض صدره بعنف على الفرق الشاسع بين معيشتها ومعيشتهم، صعدت للطابق الثاني ودلفت إلى منزلها، راقبها بعينيه وتمتم بانبهار وتعجب : فعلًا كما قال؛ أنثى من نوع آخر !

صباح اليوم التالي كانت جمانة قد حضرت فعلاً إلى المتجر لتقوم بعملها كما طلب كريم منها، اتفق مع مراد لاصطحابها إلى الفيلا كي يقوما بتلك الخطوة لتتعرف إلى شقيقها ووالدها..فلا ظاع للتأجيل كيلا تتصرف إحدى تصرفاتها الحمقاء

مساءً وحينما شرعت الموظفات بالمغادرة، ناداها على مكتبه فاتجهت إليه، تطلع فيها قائلاً بجدية: -كنت تريدين معرفة ما سر تعلقنا بقلادتك أليس كذلك يا جمانة؟

هزت راسها موافقة وأجابت: طبعا، أريد أن أعرف"

ازدادت ابتسامته ليقول وهو يمد لها بفستان ناعم :إذن ارتدي هذا الفستان لأنك سترافقيني إلى حفل ميلاد ابنة عمي"

-نعم.! أنا اذهب !! ولما سأرافقك ؟

حك أرنبة انفه قائلاً بلهفة جلية : ستعرفين السبب هناك، وصدقيني هذا لمصلحتك اولًا وآخراً .

-لم أعد أفهم شيئا!

تنهد مجيبا وهو يضع الفستان بين يديها : ستفهمين كل شيء هناك لكن اولا يجب أن نذهب إلى الحفل

هزت رأسها موافقة بتردد ثم هبطت درجات السلم ودخلت لحجرى تبديل الملابس لترتدي الفستان، كان فستانا أسود..ضيق بسيط التصميم يصل لركبتيها.. تطلعت بنفسها في المرآة وتبسمت..بدت متناسقة بشكل ملفت رغم بساطتها..بشعرها الأسود وكحلها الأسود الذي تطابق مع لون عينيها الواسعتين وأهدابها الكثيفة.. لا تذكر انها ارتدت فساتين سوى بحفل زواج مراد والآن بحفل شقيقته، شردت بالمرآة وهي تتسائل بعدم فهم: ما السر وراء هذه العائلة والتي يصر القدر على إقحامها بحياتي! تنحنح كريم خلف الستار متسائلا: هل انتهيت جمانة؟

تنبهت لتأخرها بالداخل فسحبت الستار وخرجت، كان مديراً ظهره للستار يدخن ولا ينكر انه أحس بنوع من الفرح وكانه يشاهد بعينيه نهاية فيلم شيق... شعر بخطواتها تقترب ليستدير متطلعا بها...لهذا التناغم العجيب الذي يلفت العين و يقتحم القلب بلا استئذان لترتسم ابتسامة هادئة على شفاهه، لكن ابتسامتة ازدادت حينما قال: والان يا سندريلا ستنتقين إحدى هذه الأحذية، فتطلعت إلى تلك الاحذية المرصوصة بجانب بعضها البعض أطرقت براسها إلى الأرض وقالت بخفوت: لكني اخبرتك أني لن استطيع انتعال الكعب العالي"

-جميعهم قليل الارتفاع وسأسندك كيلا تتعثرين لا عليك "

أومات موافقة وانصاعت له لتنتقي واحدا وتنتعله ليخرجا من باب المتجر، انتظرت حتى قام بإغلاقه ليتوجها ناحية الفيلا ..ناحية نهاية الحكاية كما كان يفكر كريم طيلة الطريق الذي قطعاه في صمت مطبق لا يقطعه سوى صوت الموسيقى التي شغلها كريم ..وصلا ناحية فيلا رضوان ترجلت من سيارته لتتطلع بانبهار مرة ثانية لهذه الفيلا التي ستغير حياتها حتما، مد يده ناحيتها وأومئ لها لتتأبط ذراعه وليدلفا سويا إلى الحديقة حيث أشعلت الأنوار الملونة بين الشجيرات وبدأت الموسيقى تنبعث لتبدد هدوء المكان.،استقبلهما مراد من البوابة ليخفق قلبه باضطراب عنيف، مد يده لمصافحتها فاومأت له بابتسامة طفيفة وجلست على إحدى القاعد المجاورة، نفخ بضيق من هذه الجنية ومد يده

لمصافحة كريم وسارا حتى توقفا على بعد عدة حطوات منها، شد بقبضته على كريم وهو يصافحه وقال : لا داع لالتصاقك بها بهذا الشكل الفج"
ظهرت ملامح الضيق على كريم فأجاب : وما ذنبي هي لا تعرف السير بكعب عال !
-حسنا إسمع إصعدا على السطح ريثما أخبر والدي عنها وسنوافيكما سريعا لنرى ما علينا فعله لا أريد لأحد ان يراها الآن..إنها ترتدي القلادة ؛ على الأغلب سنجمعهم مباشرة
هز كريم رأسه متفهما وعاد حيث تجلس جمانة بانتظاره واصطحبها معه لأعلى ،

32,وكما هو مخطط صعدا درجات السلم حتى وصلا ناحية السطح، تقدم كريم من السور الحجري واستند بمرفقيه عليه ليتطلع إلى الحديقة التي اكتظت بأصدقاء العائلتين، أشعل سيجاراً و شرع بتدخينه ريثما يصل مراد إليه.. كان الجو أميل للبرودة والقمر مكتمل يغمر بضياءه الموجودات حولهما.. تجولت جمانة قليلاً وضحكت ببلاهة فالسطح يلتمع أكثر من ذلك الزقاق الذي تعيش فيه! توالت الدقائق وكلاهما في عالمه الخاص حتى قفزت لتجلس على السور الحجري تنبه كريم لتلك الجنية التي جلست على السور فأمسك بساعدها وهتف بغيظ: إنزلي يا متخلفة ستقعين !
- إنه عريض..كنت أسير على سور أضيق منه في الميتم أتريد أن أريك ؟,نفخ بضيق وقال بجدية: لا شكراً. انزلي لا ينقصني أن أبتلي بك في هذه الليلة"
انصاعت لمطلبه وبقفزة واحدة كانت على الأرض, شرعت بالحديث مجدداً لولا أن كريم سمع خطوات سريعة تصعد على السلم..تقدم بهدوء ليتأكد من أنه مراد فجحظت عيناه وركض من فوره ناحية جمانة وهو يشير لها بأن تصمت دفعها ناحية الغرفة التي على السطح وأغلق الباب بهدوء وقد أدرك ان آدم قد صعد : هس هنالك أحد قادم ",تقدم بخطى بطيئة ناحية النافذة ليدقق النظر, لحقت به جمانة وحشرت نفسها وتمتمت بابتسامة لم تستطع إخفائها:

استاذ آدم"
-هس, هس" قالها كريم ولكزها بكوعه بخفة لتصمت وعاود مراقبة آدم الذي أخرج هاتفه وصار يعبث به.,تناولت نور فستانها الوردي الناعم الذي وجدته على سريرها
قرأت على بطاقة كانت معلقة به : هدية لأجمل دكتورة .. مراد " ,تبسمت بسعادة وارتدته وتأملت نفسها في المرآة: كان فستاناً طويلاً صدره يتزين بأزهار هفهافة بيضاء وأكمامه طويلة من الشيفون، رفعت شعرها الكستنائي بطريقة بسيطة لتتزين بخيط رفيع من الماس،وقبل أن تخطو خارج غرفتها بعث لها آدم رسالة نصية : لاقيني على السطح نوارة ",خطى مراد تجاه إليسا وهي تتزين أمام المرآة، حاوطها بذراعه وشدها إليه قائلا بخفوت : فاتنةٌ كعادتك يا وحس الشوكولاه" تبسمت إليسا بتهكم ثم أجابت بقوة لم يعهدها بها : فاتنة ! نعم لكنني أتزين لأجل أن أشارك نور فرحتها وفقط"
قربها منه أكثر ليردف : لا تكوني قاسية، أعرف بأني قصرت بحقك كثيرا في الآونة الأخيرة "
ضحكت باستخفاف وهي تطالعه عبر المرآة وأجابت : أتعلم ما الفرق بين جراح الروح وجراح الجسد يا مراد ؟ " حدق بها عبر المرآة لتردف بذات الثبات: جراح الجسد قد تلتئم وتشفى بسهولة مع الزمن، أما جراح الروح فهي كشقوق الزجاج لن تلتئم "
أرواحنا كالزجاج إن تهشمت لن تلتصق أبدا"
أدارها ناحيته فجأة ليهتف باستغراب : من علمك هذا الكلام بحق الله !
ندت عيناها بدموع قهر لتجيب وهي تصفق بفرح مفتعل : مفاجأة أليس كذلك" ثم دفعته بصدره لتردف بقسوة: أخبرتك أني لم أعد أرنبة صغيرة، لقد كبرت أرنبتك يا مراد بك والفضل يعود لك... فشكراً"
اضطربت روحه إثر كلماتها الملتاعة فدفنها بصدره ليقول بصوت مرتجف: أليسا ! حبيبتي !،
قالت وهي جامدة كصخر بين يديه: حبيبتك! أشك بذلك فعلاً...طيلة الشهرين

الماضيين لم تصحى فيهما عن ثملك، سمعتك مراراً وأنت تهذي باسم جمانة، لم أتوهم ذلك، وقبلها كنت مجرد طفلة حمقاء وصدقت أكاذيبك، تتسلى مع النساء كمراهق ثم تعود لأرنبتك الصغيرة بعدما تنال ما بشبعك منهن " ,أبعدها عنه قليلا ليحدق بعينيها الواسعتين بحزن دفين..صعقته كلماتها.. بل أحرقت روحه، ليست تلك البريئة التي تزوجها،ليست تلك الصغيرة العاشقة للشوكولاه والألعاب، من أمامه الآن أنثى أخرى تماماً همس بصوتٍ مرتجف : لا أريدك بأن تكبري إليسا، أريدك طفلة، طائشة مجنونة، أريد تلك البرائة التي كانت تطل من عينيك، أظهريها من جديد، أريد ذلك النقاء الذي عشقته فيك"
دفعته من صدره بغلظة لتهتف به :
ـ لقد سحقت برائتي بقدميك، كبرت بهذه الاشهر التي قضيتها معك عشرات السنوات"
هز رأسه بندم وهو يقول بلوعة : لا تكبري أرجوك، لا تدخلي مستنقع الكبارلتغرقي فيه، بل اسحبيني لأعود طفلاً من جديد، إسحبيني لنقاء روحك " طالعته بعيون كالفولاذ وقالت : ,- طلقني مراد " ,******,ضحكت نور بخجل من رسالة آدم وصعدت درجات السلم لتجده واقفاً بانتظارها وخرجت إليه ...ليتوقف بآدم الزمن وهو يطالعها بعشق لم يستطع كبحه، وليحدق بهما كريم بغضب أحرق روحه لينقبض حاجبيه حتى كادا أن يلاصقا
بعضهما..,تبسم آدم، قتلته نور بفتنتها هذه اللحظة ليقترب بهدوء قائلاً بافتتان: سبحان من أبدعكِ"احمرت وجنتاها خجلاً وتهربت من عينيه لتتسائل : لما طلبتني؟,تهدجت أنفاس كريم، تعالت وتيرة تنفسه كثورٍ هائج, صارت أنفاسه المتسارعة تلفح جمانة كريحٍ عاتية، رفعت وجهها تجاهه لترى تجهم وجهه بطريقة مخيفة، أرعبتها نظراته لكنها أشاحت ببصرها عنه مرغمة عندما سمعت همسات آدم :,-أعشق رائحة الياسمين التي تفوح من شعرك" استند كريم بكفه بجانب النافذه ليزداد تقضب حاجبيه وهو يستمع اليهما
جثى آدم أمام نور ليخرج علبة مخملية اللون فتحها ليبان خاتم زواج.. شعرت بالدماء تغزو وجهها ليصطبغ بلون أحمر ،قال بابتسامةٍ عاشقة : -هل تقلبين

بأن تشاركيني مستقبلي وحياتي لتكوني عشقي الأول والأخير" دمعت عينيها بصدمة فرح، واحتقنت عينا كريم بدمعة غضب من وراء النافذة...,طال تحديق نور به فقال مازحاً: أسرعي بالتفكير لأن البنطال ضيق وسيتمزق إن ظللت جاثياً طويلاً "

كادت جمانة أن تصدر صوت ضحكة فاغتالتها كف كريم التي غطت فمها لتمنعها عن الضحك.,تدلى فك نور قبل أن تتعالى ضحكاتها فقالت بغضب : أضعت شاعرية اللحظة يا مغفل. لن أوافق" قهقه بعفوية ونهض قائلاً: علي الطلاق بالثلاثة ستوافقين "

عقدت يديها أمام صدرها وقالت بدلال: وإن لم أفعل؟,أدارها ناحيته قائلاً بمكر : إذن ستعيدين تلك القبلة التي قبلتني إياها حين أطلعتك على نتائج الامتحان .

شحب وجهها من مطلبه فضربته على صدره وهتفت بحنق : أنت قليل التهذيب "

حاصرها بيديه على سسور السطح الحجري ليقول مرة أخرى: أنا طلبتك بالحلال وأنت تتكبرين. فتحملي النتيجة" ثم قال مجدداً: أعيديها وإلا أنا من سيعيدها.، لكن بفارق بسيط .,شعرت جمانة بتشنج جسد كريم بجانبها وعيناه اللتان استحالتا لجحيمٍ مستعر وتناسى هو كفه التي تغطي فم جمانة بقوة بسبب الحرب الطاحنة التي تنشب داخل صدره .,هتفت نور بخجلٍ وعتاب: آدم ! -روحه .

شعرت بنفسها تذوب خجلا منه فقالت مجددا بلعثمة وارتباك : آدم !!" ليجيب بذات الطريقة العاشقة : حياته "

وضعت كفيها على صدره لإبعاده لكنه لم يتزحزح :

أطرقت برأسها أرضا بخجل مغمضة عينيها : آدم كفى " ليقول بذات اللهجة المتيمة : هل تشعرين بضربات قلب آدم هذه اللحظة ؟! يا عشق آدم و روح آدم وحياة آدم " رفع وجهها بأنامله ليردف بذات الشغف: ضاع آدم بسبب قبلة خرقاء منك لم تحسبي حسابا لعواقبها "أشار على وجنته قائلا بثبات: مفتاح

تحريرك هنا وإلا فستبقين الليل بطوله هكذا أسيرتي.،.يا أجمل أسيرة قابلتها" ,استكان كريم بجبهته على الحائط فلم يعد قادراً على التحمل.. تطلعت به جمانة بجزع بعدما تشنج جسده لكنها آثرت الصمت فلو كان يريد إظهار نفسه لفعلها حتماً.. ربتت على كتفه فلم يتحرك بل ازداد اضطراب تنفسه .,ونعود لما وراء النافذة... لعند نور تحديداً عندما تراجع آدم إلى الوراء خطوتين لتتطلع به بخجل، تعاظمت ضربات قلبها المضطرب منه، تناول يدها ليلبسها الخاتم ثم قال : غدا سأكلم والدك،
ثم اردف مازحاً :
-أنا وجنتي شريفة بالمناسبة، لن أسمح لك بأن تقبليها مجدداً قبل الزواج"
ضربته على صدره بعنف وهتفت: أنت غبي" فتطلع بها ليقول باسماً: وأنت تعشقين هذا الغبي..هيا...هيا إلى الأسفل" أشاحت بوجهها عنه تكتم ضحكاتها، وتجاوزته مغادرة لتهرول درجات السلم وسط ابتسامته التي لم تفارق محياه لحظة واحدة ولحق بها مسرعاً..,استدار كريم لينزلق على الأرض مستنداً على الحائط وكأن مئات السكاكين قد اخترقت صدره بل وتلذذت بنحره بحقدٍ وغل، غطى وجهه بكفيه ففتحت جمانة الباب ليسقط عليهما الضوء ويبدد العتمة: أنت لخير؟ تسائلت بقلق وهي ترى انهياره لكنه كان بعالمٍ آخر كلياً، تخللت أصابعه خصلات شعره ليطلق صرخةً مدويةً فأجفلت في مكانها برعب.. رفع عينيه لتلتقيا بعينيها الفزعتين وبصق حروفه بحقد: اخرجي من هنا ",لكن س.. سيد كريم أنت ءءء" اغتال بقية حروفها وهو ينهضت كثورٍ هائج ويدفعها بغلظة حتى كادت أن تقع ويغلق الباب بعنف حدقت مشدوهةً بما جرى وبدون إرادةٍ منها تساقطت دموعها لتهرول كذلك مغادرةً السطح وتهبط درجات السلم...
كان آدم وعابد هذه اللحظة قد خرجا كذلك من باب شقته ليطالعا عيون جمانة الباكية...رفعت عينيها بضعفٍ ليلتصق عابد بالباب وقد عصفت به ملامح رغد بكل وحشية...حدق بها كم رآى شبحاً وقال آدم بصدمة : جمانة !,لكنها لم تعرهما أي انتباه بل اكملت هبوط السلم.. تدارك آدم نفسه بعد لحظات ليلحق بها نزل الدرجات بسرعة حتى دلف الحديقة فلم يرها بين الوجوه وكأنها اختفت

بلمح البصر
جال ببصره الأنحاء لكن لم يكن لها وجود وبقي فكره مشغولاً بها وما الذي كانت تفعله على السطح, هل كان مراد برفقتها؟ هل كانت هناك عندما كان برفقة نور!! مئات الافكار والاحتمالات غزت رأسه حينها ولم يجد لها إجابات.,دلف عابد مجدداً ناحية المنزل وشطف وجهه ليهدئ نفسه، فمن هي تلك الصغيرة التي تشبه زوجته بهذا الشكل ! وكأنها نسخة مصغرة من رغد! تمالك نفسه قليلاً ثم خرج لينضم إلى الجميع خارجاً ومرت ساعة من الزمن.. كل شخصٍ بهم كان هائماً بعالمه الخاص. وكأن هذا الحفل أقيم لسحق أرواح الجميع دون استثناء..فجأة تبددت الأضواء لتخفت تدريجياً، وسُلط الضوء على الفرقة الموسيقية ليصفق الجميع لهم بتشجيع وهم يعزفون مقطوعات موسيقية متفرقة ووسط العتمة تقدم أحدهم ممسكا المايكروفون من أحد الزوايا.. كان مخفيا بسبب العتمة وقال بصوتٍ أجش : هدية خاصة لنجمة الحفل"
وبدأ بالغناء بصوت هادئ وهو يقترب بخطى بطيئة ليقف أمام المدعوين...,لم يحدثْ أبدًا .. أنْ أحببتُ بهذا العمقْ
أنّي سافرتُ مع امرأةٍ .. لبلادِ الشوقْ
وضربتُ شواطئَ عينيها كالرعدِ الغاضبِ أو كالبرقْ
فأنا في الماضي لم أعشقْ بل كنتُ أمثلُ دورَ العشقْ
لم يحدثْ أبدًا .. أنْ أوصلني حبُ امرأةٍ حتى الشنقْ
لم يحدثْ أبدًا سيدتي أنْ ذقتُ النارَ وذقتُ الحرقْ
لم يحدثْ أبدًا .. أنْ أوصلني حبُ امرأةٍ حتى الشنقْ
لم أعرفْ قبلكِ واحدةً غلبتْني
غلبتْني .. أخذتْ أسلحتي
هزمتْني .. داخلَ مملكتي
سيحبُكِ آلافٌ غيري وستستلمين بريدَ الشوقْ
لكنّكِ لن تجدي بعدي رجلاً يهواكِ بهذا الصدقْ
لا في الغربِ .. ولا في الشرقْ,ثم سسلم المايكروفون لأحد العازفين و

غادر ...غلت الدماء بعروق آدم الذي سيتفجر من الغيظ فثبته عابد بكفه ممسكاً بكتف آدم وهمس له: دع الليلة تمر بسلام يا بني" اطلق آدم سبة بذيئة واستدار إلى الخلف لتبهت ملامح نور وهي تحدق فيه بارتباك،،
بكت أمينة على حال ابنها بينما اكتفت رهف بمسح دمعتها التي اصرت على النزول لأجل أخيها الوحيد، تطلعت نور بالخاتم الذي زين اصبعها تعالى الغضب داخل صدرها فهرولت بسرعة بالاتجاه الذي اختفى فيه كريم
خرج من بوابة الفيلا ومشى عبر الشارع فصرخت به : كريم",توقف في مكانه دون أن يستدير ، بإصرارٍ منه حتى صارت خلفه وهتفت : لماذا؟! لمَ تصر على اغتيال فرحتي كل مرة، لمَ لا تكف عن هذا العبث !؟,استدار ناحيتها مستنكراً: عبث! إنها مجرد أغنية "
ثم أرف ساخراً: لا تخافي...سأكف حتماً بعد اللحظة، مبارك يا عروس..,اغتيلت كلماته بلكمةٍ عنيفة جعلته يتراجع خطوتين إلى الوراء لتشهق نور بفزع من آدم الذي ظهر بينهما فجأة.. تمسك آدم بتلابيبه وقال جازاً على أسنانه: أتراقبنا أيها المريض، أوصلت بك الوقاحة أن تراقبنا "
تبسم كريم ساخراً وأجاب وهو يمسح فمه من الدماء : بل كنت قبلكما هناك.. ورأيت هذا العرض المبهر" ,لكمه آدم مرة أخرى بعنف فصرخت نور بفزع وحاولت انتزاع ساعد آدم الذي تشبث فيه وأبى أن يفلته وكريم مستسلم له ...وكأنها لا يحدق به بل تعلقت عيناه على نور ولم يزحهما...
خطى عابد مسرعاً ليفض بينهما:
-كفى يا آدم،كف عن هذا" ,انخلعت عينا كريم أخيراً عن نور تجاه عابد وقال بابتسامةٍ ساخرة : -أهلا بعابد أهلاً بوالد الغالي آدم.. اشتقنا لك يا رجل"

33,استدار كريم تجاه عابد وقال بابتسامةٍ ساخرة: أهلا بعابد، أهلاً بوالد الغالي آدم...اشتقنا لك يا رجل" ,بهتت ملامح آدم و تبدلت نظراته بينهما لا يفهم...عقله لم يستوعب عءه الكلمات التي اخترقت أذناه....أردف كريم بحقد

وهو يخاطب آدم : آه عفواً ،.ألم يخبروك بعد أنه والدك؟!,-اخرس أيها المجنون: نطقتها نور وضربته على صدره باكية بينما تقدم آدم خطوات متباطئة ناحية عابد وقال بجمود: هل ما يقوله صحيح؟!,نطقها بحروف بالكاد خرجت من فمه، طال صمت عابد ليغمض عينيه بألم مفجع ليردف كريم وهو يخطو بعيداً عنهما: سأترككما الآن لتحلا مشاكلكما العائلية "
ثم حياهما ببسمة لئيمة وغادر ،.مسحت نور وجهها بكفيها بخوف وتقدمت ناحية آدم وتمسكت بذراعه: آدم ! نطقتها بلوعة لينفض يدها عنه بعنف ويهتف وقد نفذت طاقته عن الصبر ليعيد سؤاله لعابد : هل..هل ما يقوله هذا الرجل صحيح؟!,- آدم بني.،. كنت سأخبرك لكن " قالها عابد بلعثمة واضحة فأردفت نور باندفاع: اسمعه رجاءً كان ينتظر الوقت المناسب لإخبارك"
تطلع فيها كذلك نظرات خاوية..ضائعة ووقف مبهوتاً حتى هي كذبت عليه ! حتى نور شاركتهم هذه الدناءة!؟
هز رأسه وضحك ضحكةً متقطعة حانقة ورفع كفيه ليمسح شعره : والدي ! ولاهما ظهره وقد اضطرب تنفسه فربتت على كتفه لينفضها عنه بعنف ويهتف: أغربي عني" استدار وتقدم يضرب الأرض ضربا تحت قدميه ثم صرخ بغضب وهو يشير لعابد: قضيت عشرون عاماً بكذبة! ، عشرون عاماً يا عابد وأنا مستسلم لواقع أني يتيم، عشرون عاماً ويعاد ذلك الكابوس اللعين مراراً ومراراً يوم حادث السفينة حينما قتلت والدتي أمام عيني، وأنت...! أنت ببساطة تعود بعد تلك السنوات على أنك رجل آخر ! بل وتعيش معي بذات المنزل تراني كل يوم على أنك غريب ...ماهذه القسوة والأنانية التي تتحلى بها يا رجل !؟,آدم ! نطقتها نور بلوعة فاستدار ناحيتها وصرخ بجنون : اخرسي أنت "
غطت شهقاتها الباكية ليعيد آدم صب غضبه على عابد الذي توقف متحجرا أمام ابنه :
-طيلة السنوات السابقة ألم تشعر بالفضول ناحيتي؟ ألم تتسائل كيف قضيت سنوات عمري !؟ اغفلت روحك وبصرك عن ابنك الوحيد. ...أفهموني أنك

ميت ! لما ! واين كنت طيبة عشرين عاما؟! أين كنت مختفٍ !؟ تركتني لهم وغادرت.. هل تزوجت؟ هربت كيلا تتحمل مسؤولية ابنك ؟!,-كنت في السجن " نطق عابد تلك الكلمات بعيون جامدة ليتعالى لهاث آدم الغاضب وتتسع حدقتيه بصدمة فأردف عابد بجلادة: ,-عشرون عاماً قضيتها في السجن بتهمة تهريب السلاح ، وكنت مستسلماً لحكم المؤبد الذي أصدر بحقي، كنت فعلا ميتاً، ميتٌ بالنسبة لك وبالنسبة للجميع، ولم يجدر بي أن تعيش طوال حياتك بوصمة عارٍ تلاحقك " ,هز آدم رأسه بعصبية وصرخ به مجدداً : لاا.
ضرب على صدره بقبضة يده بعنف وصرخ : -أقسم بالله أنك أحرقت حيااتي بظنونك، وحتى لو كنت سجيناً، مسافرا ً، هارباً من العدالة ،.. سفاح ، أهون علي من أن تكون ميتاً، أتدرك شناعة هذه الكلمة ! أتدرك لوعة قلبي طيلة سنوات بسبب أنانية تفكيرك !؟ .
قبض عابد على ساعد آدم بقوة وقال مشدداً على حروفه : لن أدرك حتماً، لأن لكل منا أوجاعه وآلامه الخاصة .,-أي ألمٍ أقوى من أن يعيش طفلٌ بدار رعاية لسنوات وُيعامل بذلٍ وقسوة ؟ تموت شقيقته الرضيعة ليبقى وحيداً !؟ أي ألمٍ أقوى من ذلك!؟,تحجر الدمع بمقلتيه وهو يطالع والده الراسخ بثبات على الأرض، كجبل يقف شامخاً ولم تدمع عيناه حتى ! أي قسوة تحملانه عيناه بحق الله ! أي جبروت يتمتع به !
وكأنما الظلام قام بابتلاع كل ما حولهما هذه اللحظة، حتى نور كفت عن البكاء وشاركتهم لغة الصمت العنيفة، كسر آدم هذا السكون القاتل لترتسم على شفاهه ابتسامة ساخرة، تراجع إلى الوراء خطوتين وكأنما بذلك ستفك لعنة سحر الصمت بينهما ثم استدار مغادراً عبر الشارع...صار يمشي، هرول بسرعةٍ بعدها وخلع جاكيت بذلته ورماه أرضًا ليعدو راكضاً وكأنه يهرب من جحيم ماضيه ...وابتلعه ظلام الشارع.,شعرت نور بربتةٍ عابد على كتفها: تعرض لصدمة ٍعنيفة، لكن ...سيكون بخير " قالها عابد
بجلادة ,توقف آدم لاهثاً على أعتاب الحديقة التي تقع على بعد ليس بالقليل عن الفيلا، كاد يود لو يصرخ بعنف ليطفئ لهيب صدره، لكنه لمح شبحاً ضئيل

الحجم يجلس على إحدى المقاعد الداخلية للحديقة ويدير ظهره للشارع، هدأ من صوت أنفاسه اللاهثة ودلف إلى الحديقة ليرتمى على إحدى المقاعد لكنه تعرف على تلك الفتاة بشعرها القصير, أدركها جمانة فخطى بهدوء ليقف قبالتها، رفعت رأسها ناحية هذا الشاب الذي توقف أمامها وتطلعت بعيون آدم المحتقنة، تعانقت نظراتهما فطال السكون بينهما للحظات، شعر بألم اكتسح صدره من عينيها الباكية كذلك! وودت جمانة للحظات بأن ترتمي على صدره، شعرت بأمانٍ غريب تجاهه على الرغم من أنه يبقى غريباً بالنسبة لها، قطع هذا السكون الغريب آدم وهو يقول بنبرة جادة : ماالذي تفعلينه هنا بهذا الوقت من الليل !,أجابته بصوتٍ جاهدت لجعله متماسكاً: خرجت بعد الحفل لأعود إلى المنزل ولم أرى وسيلة مواصلات. ,هز رأسه بجمود وجلس بجانبها على المقعد يطالع القمر المتربع على عرش السماء، كان شعوره الآن لا يوصف،وكأنه عاد بالزمان عشرون عاماً إلى الوراء، لأول يومٍ رموه فيه بالميتم، يحتضن شقيقته الرضيعة وهو يرتجف بخوف، ألبسها عقدها ذلك اليوم وهو العقد الذي وضعته والدته بكفه قبل أن تتوفى ،,ندت دمعةٌ من عينيه فتطلعت فيه جمانة نظراتٍ مبهمةٍ ليأخذ نفساً عميقاً ماسحاً دموعه بسرعة، وبدون شعور منها انسابت دمعتها كذلك وهي تربت على كفه التي تتمسك بالمقعد وكأنه يحتمي فيه : أكان يومك سيئا أيضاً؟ تسائلت ببراءة غريبة تجاه رجلٍ لا يحق لها أن تسأله عما به حتى! تنبه عليها ثم تطلع على كفها التي ترتبت على كفه فقال بانزعاج ولربما كان يريد استكمال صب غضبه على أحدهم :

-ما الذي كنت تفعلينه برفقة كريم على السطح...لوحدكما ؟! أو أنك تريدين الإيقاع بأي أحدٍ من رجال العائلة الثرية وفقط بعد ابتعادك عن مراد؟,صرخت بعنف وهي تنهض: ما هذا الجنون الذي تتفوه فيه احترم نفسك",ضحك آدم ضحكة ساخرة وأجاب بقرف:

-مثلي الآن دور الفتاة الشريفة " وتلقى الإجابة من خلال صفعةٍ عنيفةٍ هبطت على وجنته لتتعالى وتيرة أنفاسه الغاضبه،قبض على كفها بعنف لتتأوه بألم :

ستدفعين ثمنها غالياً أفلتها فصرخت بوجهه باكية: كنت أظنك رجلاً محترماً ،.لكنك ، أنت " وابتلعت باقي حروفها عندما أدركت الجحيم المطل من عينيه..تركته وغادرت باكية إلى الشارع الرئيسي ليركل هو المقعد بعنف ويصرخ بصوتٍ هادر : هذا ما كان ينقصني ! ,******
طلقني...,نطقتها تلك الصغيرة التي اكتشف مراد أنها نضجت فجأة، طلقني.، كلمة كان وقعها كالصدمة عليه وهو يتطلع فيها بعيون قد تعالى جحيم غضبها، تقدم منها خطوات ثابتة وهزها بعنف وهو يصرخ: قسماً بذات الله إن نطقتيها مجدداً فسيكون آخر يوم بحياتك "دفعته بغلظة وهتفت بقهر: سأعيدها مرة ومرتين وعشرة ...لم أعد أريدك، أنا أكرهك مراد، أكرهك " صفعها بعنف لتجمد ملامحها على وجهه..تهدج تنفسها ليتدارك نفسه ويقول بارتباك : أليسا .. أنا" قطعت كلماته بأن نطقت بقهر : أخرج من غرفتي",-
سأخرج...لكنني حينما أعود ستكونين قد وضعت عقلك برأسك" ,وجلس في الصالة ورأسه بين كفيه ...حتى فتح باب الشقة لتدلف العائلة... كانت عبير دامعة العينين اعتدل بمجلسه وتسائل بقلق: ما الأمر؟ ما الذي جرى أمي؟,قال رضوان بغضب وهو يرتمي على المقعد: ابن عمك المحترم، خرب الحفل و أخبر آدم بأن عابد والده...كني سأعلمه الأدب سأعلمه كيف يتطاول ويتواقح بهذا الشكل",ارتمت عبير على الأريكة وبجانبها نور التي تمسكت بكف والدتها لتهدئتها..قال عابد بهدوء ينافي براكين صدره : سأحل كل شيء، كان لا بد له من معرفة الحقيقة عاجلاً أم آجلاً "
نهض مراد قائلاً بحذر: و... هل كان كريم بمفرده.. أقصد ألم يكن برفقته أحد ؟,تطلع فيه الجميع باستغراب ليقول : لا تهتموا، سيعود قريباً لا تقلقوا وكما قال سيد عابد كان لا بد له من معرفة الحقيقة.
تطلع فيه رضوان مجدداً وقال بتساؤل: وأنت لم نرك بالحفل ما السبب ؟,حدق فيه مراد بتعب وكاد أن يجيب لكن إليسا دخلت بهذه اللحظة وهي تجر ورائها حقيبتها تطلع الجميع ناحيتها هرعت ناحيتها نور وتسائلت عبير: مالذي جرى ببينكما؟,هزت اليسا رأسها بألم مجيبة:أريد العودة لمنزل عائلتي" تقدم رضوان

من مراد بغضب وهتف به: ما الذي هببته مجدداً.,تجاهل مراد والده وقال بصوتٍ متماسك وهو يطالع إليسا بغضب: عودي إلى الداخل.. الوقت ليس مناسبٌ لحماقتك.
فغمغمت بهسيس: كف...كف عن إهانتي..لقد اكتفيت.
نهضت عبير وطبطبت عبير على كتفها برجاء : -اسمعي كلام زوجك يا إليسا ...رأفة بي أرجوك رأسي سينفجر لا ينقصني مصيبة أخرى" اطرقت إليسا نظراتها على الأرض وقالت بعد لحظات وهي تلتمس الألم الواضح بكلمات عبير: حاضر د, لأجلك فقط.,وتوجهت نور لمساعدة اليسا في حمل الحقيبة لغرفتها فقال والده مؤنبا: ستحكي الآن ما حرى بينكما...الآن أشاح بصره عنه بغضب فقال عابد باستئذان: -سأغادر أنا الآن وتحدثوا بأريحية.,خطى ليغادر فصدع صوت مراد : قف يا عم عابد الموضوع يخصك كذلك.,توقف عابد بعدم فهم ليتطلع فيه والدي مراد باستغراب: الموضوع له علاقة أساسيةٌ بك، اجلسوا رجاءً.,تطلع الجميع ببعضهم وانصاعوا لمطلبه وما كاد أن ينطق حتى سمعوا صوت نور تصرخ "

34,كانت تصعد برفقة نور وهي بالكاد تستند على سور السلم ..عيناها محتقنتين وصدرها يرتجف اثر الصفعات الروحية التي تلقتها من مراد منذ زواجها....أما الصفعة الحقيقية على وجنتها فلم تشعر فيها...صار شريط حياتها يعاد أمامها وظنت أنها وبزواجها ستتفتح لها آفاق جديدة...ستهرب من جو عائلي متراخ ومفكك والآن لأدركت معنى الألم الحقيقي بالتجاهل...,التجاهل المميت الذي عاملها به مراد اللهم إلا مرات قليلة كان يعاملها فيها معاملة الطفلة...لم يكن هكءا قبل زواجهما أو ربما لأنه كان يراها لمرات قليلة في الاسبوع فيحاول جاهداً بث أشواقه ولهفته عليها ..
مسحت دموع عينيها المنهمرتين ونور تربت على كتفها مواسية حتى دخلتا الغرفة ...ولم تكد تصل السرير حتى سعرت بدوار مفاجئ..ترنجت قليلاً تستجدي نور بعينيها الزائغتين أن تساعدها فلم تقدر على النطق...وما شعرت

إلا بأنها تتهاوى .
وغابت على الوعي .
هب الجميع متجهين ناحية حجرة إثر صرخة نور : الحقوني...أغمي عليها..
هرع مراد فحملها مراد بين ذراعيه ليضعها على السرير بينما قام رضوان بالاتصال بالطبيب من فوره، ,بعد دقائق قصيرة استطاعت عبير بمساعدة مراد إفاقة إليسا من إغمائها، تنهد مراد بارتياح وقال باسما : الحمد لله على سلامتك،أقلقتني جدا" تطلعت فيه إليسا بعينين ذابلتين والتفتت ناحية عبير وخاطبتها بوهن بعدما استشعرت قلقها : أنا بخير لا تقلقي"
لتربت عبير على كتفها وتقول بابتسامة : الحمد لله على سلامتك" خطى رضوان برفقة الطبيب إلى الداخل ليخرج الجميع من الغرفة باستثناء عبير التي بقيت معها حتى استكمل الطبيب الفحص دقائق قضاها مراد يذرع الرواق جيئة وذهابا بقلق ونور تستند على الحائط المقابل للباب بينما رضوان وعابد توجها للأسفل ليجلسا على الأرائك بانتظار النتيجة .
فتح الباب أخيراً وخرج الطبيب من الغرفة ومن خلفه عبير الباسمة فتسائل مراد بقلق ظاهر : ما بها؟ هل هي بخير.
اومئ الطبيب له قائلاً : لا مشكلة ظاهرة الحمد لله لكن لنجنبها التوتر هذه الفترة وارجو مراجعة العيادة الطبية بأسرع وقت"
فقالت عبير بسرعة وهي تربت على ساعد مراد: -إنها بخير بني .
اومأت للطبيب ليهز رأسه ملقيا السلام ثم يهبط درجات السلم بينما قالت عبير لمراد الذي توقف أمام والدته بعدم فهم: أليست بخير؟! لما العيادة ؟
صعد رضوان وعابد درجات السلم ناحيتهم بينما ربتت عبير على كتف مراد قائلة بسعادة :
- يبدو أن كنتنا حامل "
تطلع فيها مراد مصدوما وهتف بعدم تصديق:
-نعم ! كيف ذلك .
تلقى صفعة على كتفه من رضوان الذي قال بحنق : ماهو الكيف ذلك يا

غبي !؟
لتتعالى ضحكات الجميع وليحتقن وجه مراد خجلا بعدما استفاق من صدمته لتتسع ابتسامته ويدلف الغرفة قائلا بلهفة : حسنا وداعا....آسف، اعذروني"
وأغلق الباب بوجه الجميع لتضرب عبير كفاً بكف وهي تتمتم : جن الولد ! ..أغلق مراد الباب متجاهلا ضحكاتهم وهم يهبطون درجات السلم وهرول ناحية إليسا التي احتقن وجهها بخجل.. جلس بجانبها على السرير قائلا بلهفة : حمداً لله على سلامتك، مبارك حبيبتي، مبارك لنا، أنا...أنا فعلا لا أصدق "
-لم نتأكد من شيء بعد"
ثم أشاحت بوجهها عنه ليردف بعدما احتضن كفها بيديه وقبله: وآسفٌ عما جرى لتكسر اليد التي مددتها عليكِ بلحظة غضب "
عضت أليسا على شفاهها بارتباك وقالت بعتاب: لا تقل ذلك ليبعد الله عنك السوء "
-بل ليقطع الله عمري إن فكرت بجرحك مرة أخرى، ليلعن الله الشيطان، لا تفكري يا أليسا انه بإمكاني التخلي عنك للحظةٍ واحدة .
تطلعت فيه بدموع وقالت بألم : وجمانة ؟
ضيق مابين حاجبيه ليجيبها وهو يتنهد: جمانة ، لجمانة قصة طويلة جداً "
انفرج حاجبيها بصدمة ليضربها بخفة على جبهتها قائلا بابتسامةٍ صادقة : الآن قلبي لا يتسع سوى لاثنتين فقط "
تعالى تنفسها وتهدج صوتها وهي تهتف فيه : نعم !! أتريد أن تتزوجها أيها ، !؟
تعالت قهقهاته وأجاب مصححا ً وهو يقرصها من أنفها : ما بداخل قلبي لا يتسع سوى لأرنبة حمقاء تحمل بأحشائها طفلي! طفلي الأول! .
أهدته ابتسامة عذبة لينهض مقبلاً جبهتها بحنو ثم شرع يحدثها عن هوية جمانة بأنها تكون شقيقة آدم ليقطع الشك بتفكيرها ولربما ليقنع نفسه أن جمانة أولاً وأخيراً ما هي إلا نزوةٌ عابرة كغيرها فبالنهاية هي ابنة خالته وربما كان

اهتمامه فيها ولهفته عليها لا تندرج تحت نسمى الحب..بل ذلك الرابط الخفي الذي جعله يندفع ناحيتها ليكتشف السر ! "
******,قارب الليل على الانتصاف لتيأس جمانة من رؤية وسيلة مواصلات لتقلها إلى المنزل واكتفت بإطلاق سيل الشتائم واللعنات على هذه العائلة التي لا تنفك تورطها بمشكلات متلاحقة ! خلعت الحذاء ذا الكعب العالي واكملت المسير بإرهاق فأوقفها صوت آدم الذي هتف وهو يتجه ناحيتها : - لن تري وسيلة مواصلات حتى لو بقيتِ الليل بطوله هنا عليكِ المسير حتى الموقف، سأقلك إليه .
تطلعت فيه نظرة غضب : لا دخل لك في شؤوني .
كظم آدم غيظه وقال مجدداً: لا يجوز أن تعودي بمفردك بهذا الوقت من الليل "
استدارت ناحيته مجدداً وقالت بحنق : أخبرتك قبلًا...لا دخل لك، بل فتاة لعوبٌ كحالي لا يهمها المسير بهذا الوقت، بل من مثلي يخرجن بهذا الوقت من الليل لاصطياد الفرائس "
ضرب الأرض بوطئ قدميه وهو يتقدم اكثر تجاهها وهتف بحنق : لا تستفزيني بكلماتك مجددا ً لست أنقصك بحق الله، تقدمي أمامي لأوصلك حتى الموقف بدون حرف تنطقينه، هل كلامي واضح .,تعالت وتيرة و تقدمته بما يشبه الهرولة ليتنفس بعمق مهدئًا من وتيرة غضبه ويلحق بها حتى الموقف المخصص للحافلات فهو فعلاً شعر بأنه مسؤول عنها ،
وصلا بعد مسير عشرون دقيقة تقريباً ناحية الموقف فتوقفت تنتظر مجددًا أن ترحمها إحدى الحافلات وتجيء لتقلها، لكن بعد فترةٍ اوقف آدم سيارة أجرى مرت وقال بلهجة لا تقبل النقاش : -اركبي سأوصلك بنفسي"
حدجته بغضب لكنها انصاعت لمطلبه فلا حل آخر لديها ليصعد هو بجانب السائق قائلًا بجفاء : أملي عنوانك للسائق "
أملته العنوان و ارتمت مرجعةً رأسها إلى الوراء تحاول فهم ما حدث معها هذه الليلة ، وبعد نصف ساعة تقريباً كانت السيارة تتوقف بالقرب من زقاق العمارة التي تقطن فيها، هبطت من السيارة وضربت الباب خلفها : شكرًا "

وولت لتدلف داخل الزقاق دون حتى أن تنتظر جوابه..,ظل كريم ساهداً لتتعاقب ساعات الليل الطويل حتى تسللت أولى خيوط الصباح ذات السحب الداكنة التي قررت أن تروي الآرض بدموع أمطارها، بينما أهدابه لم يستطع ان يغلقهما لحظة واحدة، تعالت ضربات الأمطار على الأرض احتجاجا ً على آلام أرواح سكانها فنهض كريم من على سريره ليعد لنفسه كوباً من القهوة عله يطرد آثار السهاد والأرق الذي سلب منه القوة، شغل اسطوانةً لفيروز كعادته الصباحية وجلس على الشرفة يشربه وهو يراقب سيول الأمطار البائسة، تنهد بقلة حيلة وهو يعبث بهاتفه يطالع صورها، ليعتصر قلبه ألماً وهو يتطلع بعينيها العسليتان بعتاب ويتسائل إلى متى يا نور؟ إلى متى بحق الله ستفعلين هذا بي" إلى متى سأتعذب بهذا الشكل.. إلى متى سأفني عمري جراء وهمٍ لن يتحقق ! بل وباتَ هذا الوهم كابوسٌ لعين يبعدني عن الواقع .,أطلق زفيراً حانقا ً مغلقا ً الهاتف وهو يتذكر ما حصل البارحة بينها وبين آدم على السطح. لربما وضعه الله بذلك الموقف حتى يتنبه لنفسه قبل أن يغرق أكثر ويُغرِق نفسه بألمٍ لن يصحو منه أبداً, ولكم تنمنى هذه اللحظة أن تغسل الأمطار أوجاع روحه وقلبه الأحمق الذي ما يزال مصراً على التمسك بابنة عمه...ليست ابنة عمه فقط ..بل شيء مغروس بأعماق روحه، مغروس بقلبه النابض...فكيف سيختلعها من صدره دون أن يؤذي نفسه!
إنها حالة من أعتى حالات الحب...,ووسط عاصفة مشاعره انتابته فكرةٌ كالبرق وتذكرها تلك المعتوهة التي شدته قصتها وحياتها مما رواه مراد عنها، تلك الجمانة التي تقتحم مسلسل حياته كفاصلٍ إعلاني مبهج رغم مرارة أجزاءه، فضرب بكفه على جبهته وهو يقول بانزعاج : جماانة !! نسيتها كليا، يا إلهي !!" ,ترك كل شيء بمكانة ونهض ببيجامته الرياضية السوداء ذات الأكمام القصيرة وخرج من منزله مسرعاً ليطمأن عما جرى لها في الأمس بعدما صب جام غضبه عليها،استقل سيارته وانطلق إلى منزلها متجاهلاً كذلك أن الساعة لم تتجاوز السابعة صباحاً !
ربما كان يود لشيء أن ينسيه ابنة عمه والتفكير فيها ..

وصل ناحية شقتشقة جمانة واتصل بها مراراً لكنها لم تجبه ثم طرق الباب بإصرار حتى استيقظت أخيراً لتطلق سباباً على قليل الذوق الذي يطرق بابها من الصباح الباكر .جاهدت لتنزع رأسها من على الوسادة، شطفت وجهها بسرعة ثم قالت بغيظ بصوت عالٍ : سأفتح أيها الأحمق ، لحظةٌ
فقط...لحظة !,تبسم كريم باطمئنان على كونها بخير، ارتدت مئزرها فوق ثياب منامتها ثم فتحت الباب وهي تتثائب كفرس النهر! اغتالت التثائب وهي ترفع رأسها وحدقت فيه بحاجبين معقودين بينما رمقها كريم بنظرات اعتذار وقال باسماً : صباح الخير .,صحيحٌ أن قلبها اضطرب بضرباتٍ خفيفةٍ لرؤيته... لكنها لوت فمها بسخرية متسائلة : هل تركت فيها خيراً ! ما الذي تريده منذ الصباح.,تنحنح كريم بارتباك لصراحتها الفجة وأجاب : -جئتك معتذرًا عن سخافة فعلتي البارحة معك..لم أقصدك أنت بغضبي.
تطلعت فيه نظرات طالت تجاهد وسامته الفتاكة لكنها عقدت حاجبيها تحارب اختلاج ضلوعها التي ستعلن انهزامها أمام عينيه ليهز رأسه بعدم فهم بعدما طال صمتها : أخبرتك أني جئت معتذرًا !
هزت رأسها كحرباء وقالت ببلاهة: سمعتك"
رفع حاجبيه باندهاش ونطق مجددًا : إذن ؟
رفعت كتفهيها متسائلةً كذلك : إذن ؟ هل تريد شيئًا آخر ؟
شعر بأنه بهذه اللحظة على أعتاب الإصابة بنوبة قلبية من هذه الفتاة المستفزة ليقول بنفاذ صبر : -ما تزالين غاضبة إذن ؟
- لا "
-إذن ؟! .
وقهقهت بطريقة عفوية وهي ترجع رأسها إلى الوراء مجيبة : أليس بقاموسك سوى كلمة إذن ؟ .
ضرب كريم كفاً بكف وقال بحنق:
-يا فتاح يا عليم، أتتعاطين الحشيش منذ الصباح الباكر يا بنت !؟
-لا اتعاطاه قبل النوم..

-نعم!!!
لم تستطع كبح ضحكاتها ثم هتفت : قطعت نومي الهانئ لتتفلسف أمام باب شقتي ألم يكن باستطاعتك تأجيل الاعتذار لبضع ساعاتً فقط لأشبع نوم على الأقل! ؟
-لأني فعلا شعرت بمدى سخافة فعلتي البارحة فحتى اللحظة لم استطع النوم وأردت الإطمئنان على أنكِ بخير و اخبرتك اني جئتك معتذراً ولكنك كالبلهاء تحدقين بي " ,-بعد الإهانة التي فعلتها البارحة تنتظر مني أن آخذك بالأحضان من كلمة آسف فقط !
-فكرة لا باس بها ! ,نطقها بغير وعي منه وصمت الإثنان لوهلةٍ وهما يحدقان ببعضهما ليتلاشى الكدر فجاةً وتتعالى ضحكاتهما العفوية على أعتاب الباب تنحنح كريم بعد لحظات قائلاً : هل سأبقى واقفاً طويلاً أمام الباب ؟ لم أشرب قهوتي بعد !
-اعذرني ..انت كاذب ..لقت شربتها، هناك بقعة قهوة على كنزتك"
كبح بسمته وهو يميل برأسها ليرى مكان بقعة القهوة وأردف برجاء: معك لها نكهة مختلفة"
تطلعت فيه جمانة نظرة استغراب : انتظرني بالأسفل وسأقوم بدعوتك على فنجان قهوة ٍ خارجاً ",جلى صوته بخجل وحك ذقنه قائلاً : آه, حسناً سابقى على عتبة بابك كما و تشائين سنحتسيها خارجاً برفقة المطر...لكن إن رأينا مقهى يفتح بهذا الوقت من الصباح..,أغلقت الباب بوجهه ليتبسم بطيب نية ثم نزل إلى الأسفل وجلس بسيارته منتظراً ..وشعر بأنه سينتظر دهراً كعادة الفتيات الأزلية لكنه تفاجئ أنها بعد عشر دقائق فقط كانت تجلس على مقعد السيارة بجانبه !! بل وتقول له انطلق في أمان الله !! حدق بلا إرادةٍ منه على كنزتها الخضراء القاتمة وبنطالها الجينز الكاحت، حتى حذائها الرياضي... ارتفع بنظره كذلك ناحية وجهها الطبيعي الذي لا يحتاج لذرة كحل ولا لخربشات البنات الاعتيادية ! ولشعرها القصير الذي تغطيه بقبعةٍ صوفيه تبسم بلا إرادةٍ منه شارداً بها..يحاول التماس بينها وبين شقيقها ..لكن هيهات هي

تشابه أحدا!
لتتسائل بحاجبين معقودين : هل هنالك خطبٌ ما ؟,هز رأسه نافياً ثم أجاب : لا لكن ، أشعر بالفضول ناحيتك " همس بها وهم بالتحرك بسيارته فتسائلت : فضولٌ من أي ناحية؟
قال وهو يحدق بالطريق :
- لا أعلم... كل تفصيلٍ بشخصيتك غريبٌ عني أو لنقل عن عالم البهرجة والمثاليات الذي ترعرعت فيه..أنت طبيعية بشكل يثير الإعجاب",أطلقت ضحكة خافتة مصححة: تقصد عالم السجن والمحظورات ",تبسم وهز كتفيه مجيباً : ربما ",-اعرج على الشارع الجانبي واكمل به حتى أول انعطاف " تطلع فيها فأردفت فوراً : ألم أقل لك أني سأدعوك لفنجان قهوة إذاً سيتنازل سيدي اللورد ليشربه في عالمنا الطبيعي" ,قهقه كريم عالياً وقد بددت هذه المعتوهة تعكر مزاجه بل وتبدده في كل مرةٍ يتواجد برفقتها. ليجيب بعدها وهو يرفع إحدى حاجبيه : تحت أمرك سأتنازل لكن إن لم تعجبني سأسكبها فوق رأسك أتساهل بكل شيٍ إلا بالقهوة ",أوقفته جمانة عند مدخل إحدى الحارات الضيقة : عليك أن تركنها هنا كي نسير إلى أن نصل للمقهى" واتجه برفقتها متوغلان في هذا الزقاق بعد أن ركن سيارته...شارع عجيب ببساطه..بأوراق نباتاته الخضراء المزروعة ببدائية بأحواض على جانبي بعض المنازل وأمام نوافذها.
وصلنا ..هاك هو" قالتها جمانة ليتطلع كريم عبر الزجاج ناحية هذا المقهى العتيق ..تقدمته جمانة وهي تصيح بصوتٍ جهوري : عم عبد الرحيم " أطل عجوزٌ من خلف الباب بابتسامة واسعة وهو يتقدم ناحيتها لتقول وهي ترمق كريم نظرات ذات معنى : يود السيد أن يتذوق القهوة من بين يديك الجميلتين ",تطلع العجوز بهما مرحباً : أهلاً بك بني تفضل..لكنني ما زلت..كما ترين " تقدمت جمانة وقد فهمت انه افتتحه لتوه ويحتاج للقليل من التوضيب وترتيب الكراسي فرفعت أكمامها بعفوية : هيا إذن سننتهي بوقت أسرع إن تعاونا معا" ودلفت باندفاع ناحية المقهى وشرعت بتوضيب الكراسي ومسحها ليضحك عبد

الرحيم ويلحق بها محتجا: -وضيفك"
تقدم كريم مازحاً: لست ضيفاً يبدو أنني سأصبح من أهل البيت!
وما زال الذهول من عفويتها وبساطتها مرتسم على وجهه...وسرعان ما انتهوا فاقتادهما
عبد الرحيم ناحية إحدى الطاولات الخشبية القليلة ليجلسا عليها، صار كريم يتلفت حوله وهو يدقق بتفاصيل هذا المقهى وقال بسعادة غريبة تسللت لتجتاح كيانه : على الرغم من بساطته وقلة إمكانياته إلا أنه يبعث الراحة في النفس !,هزت جمانة رأسها موافقة ثم أجابت : الراحة والسعادة لا ترتبطان إلزاماً بالثراء..
هز رأسه مجيبا بجمود : معك حق في ذلك، الثراء لا يجلب السعادة .
أردفت جمانة وهي شاردة بعم عبد الرحيم: هنا أنت بقلب المدينة، ترى الناس على حقيقتهم.. بعفويتهم، دون تملق ولا زيف ولا بهرجة ..حتى بشجاراتهم التي تشعر من خلالها أن أحدهم سيقتل الآخر لا محالة لكنك تفاجئ بعد يوم او اثنين أنهم يجلسون على ذات الطاولة يمرحون...الحياة بسيطة إن أردت لها أن تكون بسيطة .."
شرد بكلماتها....كلماتها التي ضربت على أوتار قلبه، ليته يأخذ الحياة ببساطة .
-صحيح..ماكان سبب دعوتي إلى الحفل؟
- كل ما اعرفه أن هناك شيء هام جداً كان على مراد أن يصارحك به .
بان الانزعاج على وجهها ليردف كريم مصححا وهو يضحك:
-ولا أقصد طبعا أنه سيطلبك للزواج لا تقلقي"
أدار عبد الرحيم المذياع العتيق وثبت على صوت فيروز الذي أشعره بأنه بداخل أحد الأفلام القديمة...وصارت جمانة تدندن معها..قبل أن تقول بمرح:
تعال ذات يوم مساء وأعدك أنك سترى أجواء تراها للمرة الأولى ..
-معك ...يبدو أنني سأجرب أشياء كثيرة أراها للمرة الأولى!
قالها مازحاً لتسرح جمانة بكلماته.. وبقطرات المطر التي بدأت بضرب الزجاج...قبل أن تسأل:

-هل تحبها لهذه الدرجة "أعادته جمانة إلى الواقع بشراسةٍ ليرتطم بوقع كلماتها ويحدق فيها مدعياً عدم الفهم:عفواً، من ؟تبسمت وهي تقول : تلك التي كانت برفقة السيد آدم"أشاح عنها بوجهه وقد عادت ذكرى الليلة الماضية تدق ناقوس قلبه وذاكرته ليغمغم بكلماتٍ غير مفهومة، تنبهت على كدره لتقول باعتذار: آسفة إن أزعجتك بسؤالي" هز رأسه بجمود وأجاب : لا عليكِ.لاحظت جمانة انقلاب مزاجه بشكلٍ حاد فصفقت قائلةً بابتسامةٍ مرحة: وها قد حضرت القهوة..تسلم ايدك.

انفرجت اسارير عبد الرحيم وهو يضعها على الطاولة : بالهناء والشفاء" كاد كريم أن يرفع الفنجان ليرتشف منه فوضعت كفها فوراً أمامه قائلة: مهلاً لحظة، إن لم يعجبك قلت أنك ستغرقني به، لكن إن أعجبك ما الذي ستفعله حينها؟"رفع حاجبه مفكراً وقبل أن ينطق قالت باندفاع: -إن أعجبك سأغرقك أنا بكأس الماء وليس القهوة كيلا يتسخ قميصك الأبيض أنا رحيمة، اتفقنا " مدت يدها ناحيته ليرفع حاجبيه مفكراً قبل أن يصافحها موافقاً بابتسامةٍ رقيقة : اتفقنا " وبعدها مباشرةً تناول كريم الفنجان وارتشف منه القليل ليتطلع بها نظرات حزن مفتعل قائلاً : -بالحقيقة إنها لذيذة " اتسعت عيناها بانتصار وأمسكت كأس الماء فرفع يديه ملوحاً لها : لا مهلاً لحظة، قالها برجاء فتعالت ضحكاتها قائلةً بعبث : -هل تراجعت ؟ هز رأسه نافياً ثم أمسك الكوب من بين يديها وأفرغه على رأسه لتشهق ضاحكةً بعدما ابتل بالكامل، تعالت ضحكاتها أكثر فقال وقد اتسعت حدقتيه لتأسره ردات فعلها العفوية : -من مبدأ اقتل نفسك ولا تدع عدوك يتلذذ بانتصاره "

ضيقت حاجبيها مجيبة: حسناً سيد فيلسوف غلبتني هذه المرة هيا فقد تأخرنا عن العمل "

وفعلا كانا قد غادرا ناحية المتجر بعد أن ابتاع بعض شطائر الجبن ليأكلاها على الطريق..ودخل متجره الفخم الذي يلمع بأفخر وأجمل أنواع الفساتين والأزياء..صار يحدق بوجوه زائراته من الطبقة المخملية الراقية ...وجوه رغم بريق ما ترتديه إلا أنها كالحة ...تركبها الهموم ربما و الكثير من التفاهة في

أغلب الأحيان ..وصار ينشغل عن التفكير في نور رويدا رويداً..يهرب من التفكير فيها...يهرب من صورها التي قام بمسحها ذات ليلة كيلا يضعف مجدداً..اختارت نور طريقها وقال القلب كلمته فلا يلومها على ذلك ..آن له أن يعيش ..آن له أن يتأقلم على أن قصته معها انتهت قبل أن تبدأ حتى ،;;ذات يوم وبعد أن غادرت جميع الموظفات وقبل أن تغادر جمانة إلى منزلها أوقفها كريم :

أتذكرين وعدك لي بزيارة مقهى العم عبد الرحيم والحارة في الليل.

ضحكت جمانة وأومأت له : وأنا عند وعدي"

-هيا إذن.

- الآن!

- الآن"

فقالت باسمة: لكنني جائعة .

فأكد كريم : وأنا جائع جدا..نأكل على الطريق بإحدى المطاعم.

فهزت رأسها بنفي..تعال إذا سأدعوك للعشاء عند مريم آكل عندها كل يوم .

ضحك وهو. يقفل المتجر متسائلاً: ومن مريم أيضاً!

رفعت كتفيها وما زالت صامتة فتوجها ناحية طريق البحر حتى طلبت منه التوقف ،

وترجلت من السيارة فتبعهاليتمشيا قليلاً حتى وصلا ناحية إحدى العربات لتتكئ جمانة مازحة على العربة وهي تخاطب البائعة : أربعة هذه المرة...وأكثري الشطة "

أعقبت وهي تسأل كريم: تحب الشطة أليس كذلك ؟

فصحك كريم : حسنا أحبها لكن على ماذا؟

وتطلع ناحية العربة إلى الخضار المقلية وأنواع من اللحوم المطبوخة ..

بعد حين ..تناولت جمانة الشطائر وأعقبت باسمة: -إن مريومة أعظم من تحضر الشطائر على الساحل لمحدودي الدخل ..معاملة لطيفة وأكلها نظيف "

ضحكت مريم وقالت تشاكسها: تتملقين لأخصم لك من ديونك أيتها الشقية !

-فضحتني مريومة سامحك الله"
ثم أردفت وهي تهمس: سأدفع آخر الشهر هشش"
شرد فيهما كريم ضاحكاً ثم أخرج ثمن الشطائر وأنقدهم لمريم وتوجه مع جمانة ليجلسا على أحد المقاعد الخشبية على الطريق أمام البحر...
رائحة الرطوبة والرياح المحملة برذاذ البحر ...ورائحة هذه الشطائر الغريبة عديمة المذاق...إلا أنها كانت أشهى شطيرة أكلها حتى اللحظة، شعر بتوازن نفسي غامض..براحة وسكون بعد أحداث مريرة عاشها طيلة أشهر كاملة بسبب حب مسموم لم تبادله إياه نور..
بعد دقائق ...كانت جمانة أمامه مباشرة قد انهت تناول شطائرها فقال ليداري ارتباك شروده من خلالها: انهضي قبل أن يتأخر الوقت لنذهب لمقهى العم عبد الرحيم" فحدقت فيه جمانة باسمة :
-أنا واقفة بالمناسبة ..محظوظة من أخذت عقلك"
نهض معتذرا: شردت قليلاً..لكن..لكن فعلا أنت قصيرة !
لست أنا القصيرة بل أنت الضخم ..والآن هيا
لنعيد إليك تركيزك ..لنتسابق ناحية السيارة .
فضحك وهو يحدق بجسدها الضئيل والفارق الشاسع بينهم ففهمت مغزى نظراته المستخفة في قدراتها.
-إن هزمتك سآخذ يوم غد كإجازة اتفقنا ؟
-وإن غلبتك أنا؟
-واثقة من قدراتي..لكن أيا يكن نفكر بشرطك لاحقاً لأنني واثقة من فوزي
أومأ لها بتحد: لا تنسي إذا كلماتك.
فرفعت كفها لتطرقها بكفه : اتفقنا.
اجتازا السور ناحية الرمال وبلحظة كانت تلك المعتوهة قد أطلقت ساقيها للريح والغريب أنها تركض بسرعة عالية لينطلق من خلفها بأقصى سرعته بعد مناورتها المفاجئة.. وبالفعل كان قد اجتازها ببضع خطوات فضرب براحتي كفه على حائط مبنى عند بداية الطريق الذي ركن قبالته سيارته واستدار لاهثا

والضحكة تعلو ثغره ..وبلحظة لم يحسبا لها حسابا تعثرت جمانة بإضاءة المقهى الأرضية التي تم غرسها على الرمال لم تستطع رؤيتها لأنها كانت مطفئة ..وبلحظة انكبت على وجهها وسكنت حركتها ليهرع كريم بقلق وخوف جثا بجانبها مناديا وحاول رفعها لتنقلب فجأة على ظهرها وتطلق ضحكات متواصلة مذهولة مما جرى...وضعت ساعدها على عينيها وظلت تضحك على الرغم من قوة ارتطامها وتمزق شفتها السفلى

ظل جاثيا بركبتيه على الرمال ذاهلا وقد طرقت كلمات جيرين جدران ذاكرته: عليك أن تتزوج بمجنونة كي تتحمل نوبات جنونك...العاقلات لا يناسبنك.,رفعت ساعدها عن عينيها لتراه محدقاً فيها .. محدقاً لا يرمش وصدره مضطرب بعنف فاعتدلت بجلستها وهي تنفض وجهها عن الرمال الملتصقة فيه ثم مسحت شفتها لتفاجئ بالدماء النازفة فقالت بعفوية : حالتي كارثية أليس كذلك؟

- كارثية فقط! تبدين كقطة شريدة ..!

أخرج منديلا من جيبه وطبقه على شفاهها مكان النزيف يمسح الدماء التي سالت فحاولت سحب المنديل منه إلا أنه أزاح كفها : هشش سأنتهي ..

أبعد المنديل ثم نهض مسرعاً : انتظري سأعود .

ثم نهض عن مكانه وتوجه ناحية المقهى وعاد بعد لحظات وقد اشترى الماء وبعض المناديل ..

لكنه كان قد اخفى المنديل الملوث بدمائها في كيس بلاستيكي اشتراه ثم وضعه في جيب معطفه وعاد ناحيتها ..بلل المناديل وعاد ليمسح أثر الدماء مجدداً وهي جالسة على الرمال أمامه..تنظر له باستغراب اهتمام تتلقاه لأول مرة بحياتها بهذا الشكل..كان اهتمامه رغم بساطته جميل جداً..اهتمام لا مشروط من شخص لا تعرف كيف أقحمه القدر بحياتها بهذا الشكل..ولا تعرف إلام سيؤول المستقبل ..ولم يكن يهمها سوى أن تستمتع بهذه اللحظات القليلة من الاهتمام..أغمضت عينيها باستسلام مخفية أثر دموعها التي لم تسمح لها سابقاً بالمرور من حاجز رموشها .ولن تسمح لها.. شعر كريم باضطرابها

فهمس بقلق: هل هل تؤلمك؟ هل يؤلمك شيء!.
فتحت عيناها لتحتضنها عيناه الدافئتين...بدون أدنى جهد منه تبث عيناه موجات جاذبية يصبح الفكاك منها أمر مستحيل .
أغمضت عيناها وهزت رأسها بنفي رداً على سؤال لا يعنيها في شيء..
حدقت فيه مجدداً وقد شعرت بحاجة صارخة للبكاء ..البكاء لأنها سقطت بهذه الحياة الغير منصفة، همهمت بتهكم:
-جمانة لا تتألم بسبب سقطة..هي تتألم دائماً..تتألم منذ سنوات..,صمتت هنيهة وهو أمامها..يستمع لكلماتها القاتلة التي تعرف كيف نطقتها لشاب لم تعرفه إلا قليلاً..لكنه اقتحم حياتها.. شعرت بأنها تعرت فجأة أمامه بأفكارها بالظلم الذي تعرضت له فجعلها بهذه الوحشية ...أردفت كالمغيبة :
-جمانة تتألم من أيام الميتم حيث كان الأطفال يدورون حولها صائحين ضاحكين:
-لقيطة لقيطة ،
كان الأيتام بالنسبة للقطاء يعيشون حياة رفاهية عالية ..يحصلون على الألعاب والثياب الجديدة ..يحظون باهتمام الإعلام والجمعيات الخيرية وحتى المدراء وآنسات الميتم...
أما اللقطاء فكان لهم معاملة خاصة..خاصة جداً.
لأن ابن الزنى ملعون...ملعون مجهول النسب والهوية ...يدفنونه وهو على قيد الحياة ..يهيلون على روحه الآدمية التراب ثم يحاسبون سوء تصرفاته وردات فعله...
تساقطت دموعها ونظراتها ما تزالان جامدتين مثبتتان على عيناه اللتين تأثرتا بشكل واضح..هاله تحولها المفاجئ..هاله هذا الماضي المريع الذي كانت فيه في الوقت الذي كان هو فيه ينام على وسائد الريش شعر بالخزي من نفسه باحتقارها على ثراءه الذي جعله بعيد كل البعد عما يدور بالخفاء خلف الأبواب المغلقة التي ما همه يوماً كيف يعيش سكانها ..ولأي ألم ينتمون...أردفت جمانة بذات الأسلوب وكأنها تشرح ما تراه عيناها الآن بشكل مباشر:

أخبروني دائماً هناك أنني لاشيء..مجرد جسد قميء هزيل بلا هوية ولا انتماء ..
أخبروني أنني أنتمي للقمامة ..انا ابنة القمامة وابنة الخطيئة ..
هز رأسه رافضاً ورفع ذقنها بكفه فأردفت بقهر:
- والآن...أنت لوثت يديك بهذه القمامة.
نظر بعمق داخل عينيها وقال بقوة:
-جمانة.. إياك والتفكير بهذه الطريقة.إن كانوا وحوشا هذا لا يعني أن عليك أن تتأثري الآن...أنت..جميلة، قوية، القمامة هي تلك النفوس المريضة التي تطلق الأحكام دون وجه حق"
مد أصابعه لينفض بعض حبيبات الرمال الملتصقة بشعرها.. هاله حاجبيها المنعقدين بهذا الشكل ..هاله حالة عدم الأمان التي تعيشها..قال باسما ليريحها من أفكارها السوداء :
- المهم أنني فزت عليك..لن تجاريننني مهما فعلت يا قصيرة القامة وطويلة اللسان.
حدقت فيه بنظرة ذابلة : لديك مطلب إذا بعدما طارت إجازة الغد!
همس بشرود مجدداً وهو يمسح دموعها بإبهاميه: - تذكري إذا..أن عندي مطلب وعليك تنفيذه"
ثم نهض ومد يده لمساعدتها :
- لا حاجة أنهض لوحدي"
فحرك كتفيه وبدأ ينفض نفسه وما كادت جمانة تنهض وتخطو خطوتين حتى تعثرت مجدداً بالإضاءة ذاتها للتتعثر وترتطم على صدره بعنف ليتلقفها بين ذراعيه وهو فاغر شفاهه..أطلق ضحكة رنانة : مجددا... مجدداً جمانة أيتها الحالة الميؤوس منها!!
أغمضت عينيها وعضت شفاهها وقد شعرت بإحراج شديد وغمغمت: برأيي أن أذهب إلى المنزل ..أخاف إن استمررت على هذا النحو أن ينتهي اليوم بكارثة غبية كتصرفاتي!

كادت أن تكمل لكنها قاطعها قائلاً بصدق وقد ارتبك من نظراتها: أتعرفين جمانة ، أنتِ حقيقية.. بكل شيءٍ ببساطتك بعفويتك، باندفاعك لا أعرف لكن... أشعر بالارتياح وأنا برفقتك...أنتِ كبلسمِ الشفاء تزيلين الكدر عني كل مرةٍ نتواجد فيها سوياً !..
بل أنت أجمل شيء حصل بحياتي ..أجمل وأنظف وأكثر بنت مجنونة قابلتها حتى اللحظة .
شعرت جمانة بالخطر يقتحم روحها من جديد..
اعتصرت كفيها بتوتر جراء إطراءه، لربما كان لا يعني شيئاً بكلماته لكنها شعرت بالحرج ولأول مرة بحياتها ولأنها تيقنت من مشاعره لابنة عمه لم ترغب في التمادي بأحلامها... فهي لن تكون مجرد مخدر مؤقت لأوجاعه...لن تقبلها على نفسها وعليه فالعواقب لن تعجب أحدا..، وكما قال سابقاً لها عن مراد ، هما من عالمين مختلفين تماماً .. طال صمتها فقال مجدداً : جمانة أنت معي !؟,تنبهت له أخيراً لترفع رأسها مجيبة : نعم معك ، لكن " نظرت إلى ساعتها وقالت لتتحاشى نظراته المضطربة كذلك
تأخر الوقت يجب أن أذهب"
- تأخرتِ عن ماذا؟ ألم نتفق أن نذهب لمقهى العم عبد الرحيم..
- علي أن استيقظ باكراً ..
-سأعطيكِ إجازةً غداً إن رغبت.
هزت جمانة رأسها بابتسامةٍ طفيفة وأجابت :
-ألم أخبرك بأني استقلت ,,*******

35,ومشت من أمامه وسط ذهوله وضرب كفاً بكف وهو يتمتم : أقسم أنها مجنونة !
لحق بها مسرعاً وهو يصيح: مهلاً جمانة ، جمااانة!!!,لكنها كانت قد اختفت عن ناظريه بسرعة البرق بعدما قطعت الشارع للجهة المقابلة وتوغلت بين الأبنية ! استندت عند الانعطافة لتراه وهو يقف ينظر بكل اتجاه باحث عنها

حتى يأس واستقل سيارته لينطلق...
تبسمت بألم وهي تتمتم: هكذا أفضل .,*******,كانت عبير تجلس على الأريكة وهي تحاول الاتصال في آدم... ونور كذلك كانت طيلة أيام تحاول الوصول إليه دون أن يجيب عن مكالماتها
مسحت دموعها وهي تتذكر نظراته ناحيتها...قبيل أن يغادر، نظرات غضب وخذلان...اعتصرت الهاتف بين كفيها قبل أن تبحث عن رقم كريم ...ذلك الذي نفخ سمه قبل أن يختفي كذلك..اتصلت فيه ووضعت الهاتف على أذنها تنتظر أن يجيب ..
أجابها صوته الأجش رغم استغرابه من اتصالها في هذا الوقت ...بل وبعد ما جرى !
واستمع لكلماتها وهو يحدق بأمواج البحر التي تشارك نور نواحها ..: أكرهك يا كريم, أقسم بأني أكرهك..على قدر احترامي واحتياجي السابق لك ...أكرهك من اللحظة ستبتعد عن طريقي أتفهم ...ستبتعد عني وعن حبيبي" ,تبسم كريم بقهر مغمضاً عينيه للحظات فلم تعد لسعات السكاكين التي تخترق صدره تؤثر فيه أو توجعه ظل صامتاً وهي تنتحب عبر الهاتف، لم يهتز له جفن على الرغم من شدة كلماتها الجارحة، بل بقي صامتاً محدقاً بالأمواج يعد مرات تحرك ماسحات الزجاج التي تشطف آثار المطر عن زجاج سيارته الأمامي وصمتت بعد دقائق.. جلى صوته قائلاً بجمود : إن انتهيتِ بإمكانك إغلاق الهاتف..وشكراً لاتصالك",رفعت حاجبيها بصدمة وقد صعقها برود تصرفه..تطلعت بشاشة الهاتف وكأنها تريد التأكد من أنها تحدثت مع كريم وليس أحد آخر
شدت بقبضتها على الهاتف ورمته على السرير وخرجت من غرفتتها لربما غرورها الأنثوي كان يريد منه التشبث بها أكثر إظهار لهفته ككل مرة وربما كانت لتتخذها ذريعة للشجار معه..حثه على الحديث أكثر ..لكن رده الجامد قد صفع كبريائها بعنف..,بينما كريم أغلق الهاتف وهو يضبط وتيرة تنفسه انطلق بسيارته مجدداً وشد على المقود بقبضتيه..بعد أن كان عائداً إلى المنزل بعد

يوم عمل طويل قرر أن ينحرف إلى مكان آخر...
خسر مرةً في حياته تلقى طعناتٍ عنيفةٍ على صدره مراتٍ ومرات وليس مستعداً لتلقي المزيد، سيشفى منها حتماً الليلة... ضغط على دواسة البنزين أكثر وانطلق، بهذه اللحظة كان شكره لنور صادقاً .. وهاهو الآن يردم رفات عشقه لها، يهيل عليه التراب، ضرب البرق مجدداً ليكتسح عتمة السماء وليكتسح عتمة قلبه بنورٍ مفاجئ، ولن ينطفئ هذا النور الجديد.. وقد قرر ذلك وحان وقت التنفيذ.,****
دلف آدم منزل خالته بعد اختفائه لأكثر من اسبوعين مكث فيهما في شاليه البحر بعيداً عن كل شيء، معزول عن العالم الخارجي ليرتب أفكاره... ليبتلع تلك الصدمة التي اكتشفها بعد عشر ن عاماً من استسلامه كونه يتيماً...متخبطا في ماض عنيف يلاحقه كابوسه كل ليلة ،. تلاحقه صورة اخته الرضيعة التي اختفت فجأة .. وتوفيت ولم يستطع الحفاظ عليها وفاءاً لوصية أمه...
عاد آدم وكأنما بمجيئه عادت الروح لسكان الفيلا، انطلقت عبير لترتمي على صدر آدم بعتاب وتلومه على الغياب الذي طال على الرغم من اطمئنانها عليه سابقاً عندما حادثها لمرة واحدة وطمأنها على مكانه فلم يقدر صبراً على تلويع فؤادها لكنه طلب منها أن تبقي الأمر سراً عن الجميع حتى يستطيع أن يواجه ظروفه الجديدة، قبل جبينها معتذرا قبل أن يتوجه ببصره ناحية رضوان..الذي ربت على كتفه واحتضنه بمودةٍ بينما : حمداً على سلامتك يا بني"
ليومئ له آدم بابتسامةٍ طفيفة وهو يبحث بعينيه عن والده، فقال رضوان مجدداً : سأدعو عابد ليراك"
وابتعدت عبير ناحية المطبخ بعد أن قالت بلهفة: -أنت جائع أليس كذلك ..وجهك شاحب يا صوء عيني .
وما كاد يرد حتى اختفت من أمامه ليبتسم ..نزلت نور بذات اللحظة التي استدار فيها ليجلس على الكرسي فتوجه ناحيتها : كيف حالك؟ ,ضحكت باستهزاء ونطقت بقهر: لن أكون بأفضل مما أنا عليه" وتجاوزته لتتوجه ناحية الحديقة لكنه أمسك بكفها ليمنعها همس بجانب اذنها : -اشتقت لكِ جداً .."

-ممم واضح"
مسح وجنتها هامساً: لم أكن بوعيي اعذريني...
-أقلقتني عليك جداً..,شعرت بقدوم والدها وعابد فابتعدت عنه خطوتين ليستدير آدم بتلقائية وهو يكبح ضربات قلبه المضطربة للقاءه بوالده، طالت نظراته على عابد الذي يتقدم منه بابتسامةٍ عاتبة وبدموعٍ متحجرة لا تفارق عينيه كعادته، تحدى آدم نفسه هذه اللحظه وغلبته عاطفته ليهرول ناحية والده ليرتمي على صدره، قبل جبهته ويديه باشتياق عشرون عامٍ، ولأول مرة تفتح الزنزانة عن سجن الدموع ليطلقها عابد، ليحررها فتغرق شعر ابنه، قبل جبينه بشوق وهو يحمد الله ويشكره تهدج صوته عندما احتضن وجه ابنه قائلاً : انتظرت هذه اللحظة طويلاً جداً يا بني",لأول مرةٍ منذ سنوات ينطق آدم بهذه الكلمة التي زلزت كيان عابد : اشتقت إليكَ يا أبي ..اشتقت للفظ هذه الكلمة التي حرمت منها",**********,كان كريم يتكئ على السيارة ينتظر جمانة بلهفةٍ قريباً من المنزل .. اتصل بها مراتٍ عديدةٍ سابقاً لكنها لم تهتم حتى بالإجابة على اتصالاته، كانت هذه الأيام من اسوأ أيام حياتها لكنها فهمت أن كريم لا يحتاجها سوى للملمة كرامته المهدورة من نور ..وكأنه يريدها أن تكون منصة للقفز ليتجاوز ماضيه..رجعت من العمل الذي بدأت فيه حديثاً لتراه جالساً وغير آبهٍ للمطر المنهمر عليه،غير آبه لهذا الجو البارد وهو يرتدي مجرد كنزة خفيفة قصيرة الكمين... تطلعت فيه بتوتر.. بكيانه الضخم الذي اغرقته مياه المطر
..أسرعت الخطى هرباً منه فهرول ناحيتها وأمسكها من كفها ليديرها إليه هامسا:
-هل من الممكن أن أعرف سبب هروب السندريلا عن الجميع في كل مرة ؟ لماذا تهربين ومم تخافين!؟
تنهدت جمانة وقد تعلقت عينيها عليه يريد الحقيقة إذن.. فلا مجال للكذب بعد الآن جلت صوتها وقالت : أتعرف ،. طيلة حياتي وأنا أسير على الطريق بثبات على الرغم من العقبات التي واجهتني كفتاةٍ وحيدةٍ ، يتيمة إلا أنني كنت أحاول

الوقوف من جديد وكنت أنجح في كل مرةٍ بذلك لكن عندما التقيت بإحدى محطات حياتي بابن عمك مراد، من حينها وأنا أتعثر بمشاكل متلاحقة وبعدها بك .. آسفة لما سأقوله لك لكن ما أريده فعلاً هو الابتعاد عن عائلتكم وكفى ما طالني من أذى بسببكم أو قد يصيبني..ما أريده أن أعيش حياة هادئةً فقط أهذا كثير؟!",-جمانة! من آذاكِ بالتحديد؟ لا يستطيع أحدٌ من عائلتنا إيذائك تأكدي من هذا" نطقها كريم فأردفت جمانة بذات الطريقة : حتى الآن لربما لم تؤذوني فعلياً لكن....يكفي الاتهام الذي طالني بأني ألاحق شباب عائلتكم الثرية وكأنني كأي فتاةٍ رخيصة أو لعوب بيد الرجل الثري أولا مراد وملاحقته لي والآن أنت! ",حدق بها بصدمة ليتسائل وقد اغرقهما المطر بالكامل : ومن أخبرك بهذا الكلام الغبي؟,لوحت بذراعيها قائلةً : وما الذي سيتغير إن أخبرتك؟ هل ستقطع ألسنة الناس؟ هل ستنفي التهمة عني ،,أجابها بامتعاض :وهل أنتِ ممن يهتم بما تلوكه ألسنة الناس ؟,-أن أكون مع شخصٍ من عالمي لا فارق بالنسبة لي ما يلوكه الناس لكنكم من عالمٍ آخر بعيدون كل البعد عنا " ثم حدقت بعينيه بجرأة وهتفت فيه: انظر حولك... أترى الوحل الذي غرقنا فيه جراء المطر! ؟ أترى البناء من حولك.. الناس.. حتى السيارات ممن يمتلكون سياراتٍ هنا!! وانظر لنفسك لسيارتك الفارهة، لحذائك الذي يتجاوز ثمنه أثمان أحذية سكان الحي بالإجماع ! لساعتك الباهظة التي نشتري بثمنها منزلاً بهذا المكان! ,- ماالذي تريدين الوصول إليه بالتحديد؟ ما هذه التخاريف ؟,تبسمت بمرارةٍ وأجابت : سابقاً جراء ملل ابن عمك اتخذني أداةً للتسلي..لملئ أوقات فراغه زرعني بلعبة رخيصة في شركته، كنوعٍ من التغيير عن روتينه الممل، في كل مكانٍ كان يظهر كاللعنة في حياتي...والآن فجأةً ظهرت أنت كما كان يفعل هو بالضبط ، واختفى هو من حياتي وكأن فصله في روايتي قد انتهى لتبدأ فصولك أنت للتسلية بي لا أكثر ! وكي تهرب من حبك لتلك المدعوة نور ,صرت تلاحقني كذلك أتريد توضيحاً أكثر !! ,ضحكت ضحكات متقطعةٍ حانقة مردفة : -ألبستني فستاناً كالسندريلا ذات ليلة لأكون برفقتك أو لأكون مناسبة لرفقتك ،. فستاناً احتاج لثلاث سنوات على أقل تقدير لدفع ثمنه هذا وإن

استطعت ادخار المال لذلك...اخذتني أنت والبستني إياه بذريعة أن هنالك أمراً خطيراً ستخبرني به ولم تفعل بل رميتنا على السطح كالقطط الضالة! لم تخبرني كما لم يفعل مراد من قبلك، بل تركتموني وحيدةً هناك وحيدةً لدرجةٍ مريعة, دهستني بقدميك حين رأيتها معه فأنا لست بذاتِ قيمة لكما ولن أكون...,تمسك كريم بساعديها قائلاً بعتاب: جمانة الأمر كما تتصورين.. هنالك الكثير لا تعرفينه عن ماضيكِ يجب أن نتحدث",لوحت بكفها صارخة : أي ماضي!!! ماهو هذا الماضي الذي تتكلمان عنه أكنت اختك بالرضاعة دون ان أدري! !,تبسم قائلاً : الله وحده يعلمن أننا نخطط لإخبارك ...,-أخبرني الآن إذن أو غادر "قالتها بحدة ليتطلع فيها مفكراً وقد تشتت تفكيره، هل يصح أن يخبرها الآن؟ هل يستطيع ذلك

أعادته جمانة للواقع مرةً أخرى وهي تتبسم باستهزاء : اصمت...هذا ما أجنيه منك ..الصمت فقط"

ثم تركته لتدلف العمارة وسط عجزه عن إيقافها",**********

,36

ازدادت برودة الجو ليتربع عرش الشتاء مملكة الفصول بكل جدارة لكن هذه الوخزة الباردة التي لطمت صدره غريبةٌ فعلاً ولم يكن سببها برودة الجو بل بسبب فتاةٍ لم يعرفها كثيراً ! تراجع بضع خطواتٍ قبل أن يتنهد تنهيدةً طويلة ويخرج من الزقاق للشارع ليستقل سيارته، أغلق النوافذ وجلس بداخلها دون أن يتحرك، كانت الأحداث المتلاحقة التي طرأت على حياته منذ بضعة أشهر تصيبه بارتباكٍ حقيقي، تلخبطت أفكاره ومشاعره هاتك اللحظة ! فما بين ماضيه وحاضره خيطُ أملٍ رفيع جداً وهو متأكدٌ إذا ما تمسك به سيسحبه لبر الأمان، ستسحبه روح جمانة تلك الشعلة المجنونة ستسحبه من مستنقع ماضيه الموحل، اتكئ بجبهته على المقود مغمضا عيناه

أما جمانة فاندفعت ناحية المنزل وضربت الباب بعنف لينغلق واستندت عليه بصدر مضطرب ...صارت تهمهم : إياك...إياك والبكاء. استجمعي نفسك ..

كبحت دموعاً كانت على وشك خيانتها والنزول وهي تعرف إذا ما خسرت اهتمام كريم ستخسر كل شيء...ستخسر شعوراً بالأمان أحسته لمدة وجيزة حينما عملت معه ..ستخسر أنوثة بدأت تشعر فيها بسبب نظراته التي أقل ما يقال عنها أنها فاتنة...قاتلة..كانت نظراته تذيبها حرفياً
جلست على الأريكة بعد أن كدست حبات التفاح لتتناولها على العشاء وصارت تأكله بنهم..فلم يدخل جوفها منذ الصباح سوى قطعة من البسكويت أعطتها لها بنت جيرانهم الصغيرة عندما قابلتها صباحاً قبل ذهابها إلى العمل، رن هاتفها المحمول لترى رقماً غريباً على الشاشة، تلكأت قليلاً قبل أن تستجيب ليقول لها ذلك الصوت الذي هربت منه سابقاً :
-كيف حالك جمانة ؟
- مراد؟!
- على الأقل ما زلت تعرفين صوتي...
-كيف حصلت على رقمي الجديد ؟
ليجيب ببساطة : يجب أن تكوني أذكى من ذلك, أعطتني إياه موظفةٌ من زميلاتك بالمتجر "
صمت مراد قليلاً ليقول بعدها بتردد: اشتقت لك"
اغمضت عينيها تحارب كلماته وحينها تعالت طرقات على الباب وضعت الطبق على الأريكة بجانبها وقالت وهي تنهض لتفتح الباب :
-حسناً و ما الذي تريده الآن ؟ ,فتحت الباب، ليقول كريم ومراد بذات اللحظة :
-يجب أن نتحدث. ,توقفت تنظر لكريم بدهشة وما زال الهاتف معلقاً على أذنها فاغتالها صوت مراد الذي تسائل مجدداً بغضب بعدما سمع صوت كريم : من معك وأين أنتِ ؟ جمانة ! جمانة!.
صرخ بها مراد على الهاتف بحنقٍ وغيرةٍ ليتطلع بها كريم بعدم فهم ! تبسمت بسخريةٍ وهي تجيب : إنه ابن عمك ..,رفع كريم حاجبه بفضول متسائلاً
فمدت الهاتف ليتلقفه كريم ويجيب بتردد
أغمض عينيه بنفاذ صبر وجمانة تحدق فيه بعدم فهم وقد تغيرت معالم وجهه

بينما مراد كان بهذه اللحظة قد أطلق ألسنة اللهيب لتحرق كريم على الجانب الآخر من الهاتف و تعالى صياحه :
-أقسم بذات الله إن عبرت خطواتك عتبة باب شقتها سأنسف رأسك، ما الذي تريده بالضبط ؟ ما الذي تريده منها في هذا الوقت المتأخر ؟!,قال وهو يتطلع بها : سأخبرها بالحقيقة "
تعالت ضحكات مراد العصبية وهو يكمل هتافه ولم يتنبه لمن كان يتقدم منه بهذه اللحظة ظناً منه أنه يحادث أحد موظفي الشركة :
- ومن أصلاً سمح لك بالتدخل بهذا الموضوع ؟ من أعطاك الإذن لذلك لتتدخل بحياة ابنة خالتي ؟ أم أنك تريد مزيداً من الخطط الدنيئة لحقدك الأعمى على آدم و ،
اغتال كماته تحديق آدم به والذي شحب لون وجهه وهو يطالعه بصدمة
صمت مراد فجأةً مما أثار استغراب كريم الذي قال بعد برهة : ألو"
لكن مراد لم يجيب وعينا جمانة تطالعانه بعدم فهم أمام الباب وترائى لمسامعه صوت آدم عبر الهاتف وهو يحادث مراد بحروفٍ بالكاد نطقها : من..! من ابنة خالتك التي ، ,ابتلع مراد ريقه بصعوبة وأغلق الهاتف وهو يعتصره بقبضته بينما اتسعت حدقتا كريم ..قضي الأمر! يجب ان يخبرها فوراً!,ما الأمر ؟ تسائلت جمانة بقلق ليقول كريم باندفاع : ولعت!
ضحكت باستغراب فقال مجدداً : هل .. من الممكن أن أدخل ؟ أريد محادثتك بأمرٍ هام "
-كريم!! آسفة, لا يجوز أن تدلف إلى شقتي " قالتها جمانة بحزم لينعقد حاجبي كريم وأردف برجاء : سيبقى الباب مفتوحاً إن كنت تخافين مني بإمكانك نداء أحد الجيران ليقف معنا، لكن يجب أن نتحدث...الموضوع هامٌ جداً .,تحاشت نظرات الإصرار المطلة من عينيه وابتعدت قليلاً قائلةً بخفوت وبقلة حيلة : تفضل "
دلف إلى داخل الصالة بينما تقدمت وراءه جمانة تقدمت من طبق التفاح وحملت السكين قبضت على السكين واخفته جانبها..وهي تتطلع فيه ولا تعلم

لما شعرت بانقباضةٍ قوية داخل صدرها وكأنها أدركت أن ما سيبوح به سيقلب كيانها.، وما كانت مخطئة ! رفع بصره ناحيتها وقال بثبات : - الموضوع يخص عائلتك "**********,دفعه آدم من صدره بعنف ليرتد مراد إلى الوراء وقال بهلع : من ابنة خالتك التي تتحدث عنها !؟ أمسك بتلابيبه وصار يهزه : -ما الذي تخفونه عني مجدداً، ما الذي يجري؟ من هي ابنة خالتك ؟!,أمسك مراد بساعدي آدم وقال باندفاع : اهدأ أولاً.. إهدأ وسأخبرك، أقسم بأني اكتشفت ذلك منذ مدة وجيزة ولا أحد من العائلة يعرف حتى عابد ولم أشأ بإخبارك حتى أتأكد من الموضوع .

أفلته آدم وتراجع بخطواته إلى الوراء وهو يهز رأسه وقد ارتعش جسده : ما الذي اكتشفته ! وما الذي ستتأكد منه .,اقترب منه مراد وشد على ساعده قائلاً بلهفة : -جمانة , جمانة سكرتيرتي هي شقيقتك يا آدم "

دمعت عينا آدم وتعاظمت ضربات فؤاده بعنف وقال بتلعثم : جمانة! شقيقتي إن ...إن جمانة ميتة...إنها ميتة مذ كانت رضيعة، ميتة منذ تسعة عشر عاماً "

هز رأسه وضحكةٌ مصدومةٌ تسللت إلى شفتيه : لا مستحيل، تمزح أكيد ! أهي مزحة لعينة ! ,هز مراد رأسه بنفي وقال مؤكداً : كانت كذبةً من مديرة الميتم الذي كنتما فيه، باعتها لرجلٍ ثري وزوجته وأخرجت وثيقة وفاة مزورة بمساعدة أحد الأطباء معدومي الضمير....عندما جئت مع اختك إلى الميتم تم الاتفاق لبيعها.، ثم سحبت جميع سجلات التحاق جمانة بالميتم لكن بعد وفاة الاسرة المتبنية التي سجلت جمانة على اسمها،قسم الميراث بين الورثة الشرعيين وتم

الكشف على أن جمانة ليست سوى لقيطة مجهولة النسب كي لا تحصل على الإرث وتتقاسمه معهم ...أعادوها للميتم مرة أخرى..وقبيل وفاة مديرة الميتم بأيام وهذا ما اخبرتني به جمانة شخصياً ذات يوم...سلمتها العقد وقالت أنه كان معلق على رقبتها...يحمل اسمها الحقيقي وتاريخ الميلاد...دون ذكر معلومات أخرى أو على الأقل ابنة من تكون لأن جميع ما يخصها من سجلات

قد اختفى ...وكي أقطع الشك باليقين قمت بعمل فحص DNA لجمانة عن طريق كريم الذي ساعدني في ذلك بعدما عثرت عليها وهي تعمل عنده كذلك أخذت عينة من دماء عابد لفحصها بحجة الفحوصات الروتينية .,سالت دموع آدم غير مصدق لما تفوه به ابن خالته.. فربت مراد على كتفيه مشجعاً : إنها معجزة فعلاً اشكر الله لأنك اجتمعت بعائلتك مجدداً يا أخي ",-هيا بنا إليها " قالها بحروفٍ متقطعةٍ وبصوتٍ متهدج ليعقد مراد حاجبيه بابتسامة : لكنها لا تعرف ذلك بعد...لا تعرف بوجودكما صدمتها ستكون أكبر لو عرفت الآن " ضحك آدم بعصبية وقال حانقاً : أنت مجنون !! وهل تريد مني الإنتظار حتى تعرف !,اندفع ناحية السيارة غير مدركٍ أنه بثياب المنزل هو و مراد ! , لحق به مراد مسرعاً فانتشل منه مفاتيح سيارته فتسائل مراد : إهدأ آدم نحن لا نعرف منزلها" فقال آدم بحدة : أعرف الشارع..لو اضطررت لطرق جميع الأبواب لن أتوانى عن إيجادها .,*******

تراجعت جمانة كمن لمحت عفريتاً لتسقط على الأريكة ولتسقط السكين على الأرض محدثة دويا عنيفاً وهي تحدق بكريم بذهول :

- أنا يتيمة...يتيمة ما هذا الجنون الذي تنطقه!!؟ "

ركع كريم أمامها وهو يقبض على كفيها :

- أنتِ شقيقته لذلك كان مراد يبحث عنك كالمجنون، أنت ابنة خالته، والدتك اسمها رغد ووالدك عابد... عابد الآغا، تأكدنا من ذلك...حتى انا رأيت الإثبات بعيني..رأيت الفحوصات بعد أن اخذت عينة من شعرك دون أن تنتبهي ..أخذت عينة من دمائك حينما جرحت شفاهك ونحن نتسابق على الشاطئ " ,غطت فمها بيديها تمنع شهقاتها المتواصلة وتسائلت بعيونٍ منفرجةٍ و برجاء وببراءةٍ سلبته عقله وقلبه وكأنها فتاةٌ لا تتجاوز الأربع سنواتٍ من عمرها :

- أنت لا تكذب صحيح ..أنت..أنت لا تتلاعب بي! ؟

لاحت ابتسامة مطمئنةٌ على شفاهه وأجاب وهو يشد من احتضان كفها بكفيه: واللهِ لستُ أكذب، هذا ما أردنا إخبارك به منذ زمن ومنذ لمح مراد سلسلتك

وهو يبحث ليستشف الحقيقة، وعرف من تكونين، ويوم الحفل كنا سنخبرك وسنجمعك بعائلتك لكن... تعرفين ما جرى حينها لكننا كي نتأكد أكثر قمت بأخذ عينة الدماء مجددا منك بسب تلك المصادفة التي جعلتك تنزفين حين جرحتك شفتيك",سالت دموعها بألمٍ ومرارة فاحنت نفسها ناحية حجرها مطلقةً صرخةً مكتومةً فخرجت كأنينٍ متألم, تعالى رنين هاتف كريم لكنه تجاهله منتظراً إفاقتها من هذه الصدمة، لتتوالى الاتصالات مراراً ومراراً وباتت الألحان كأنها موسيقى تصويرية لما يحدث، رفعها من ساعديها بيديه لتعتدل وصار يمسح دموعها قائلاً بابتسامةٍ عذبة : ستطوى -صفحة الماضي يا جمانة، لكِ عائلةٌ الآن، عائلةٌ تحبك، وأبٌ تحتمين فيه، لكِ شقيقٌ سيكون سنداً وعوناً لكِ، إنها هديةٌ عظيمةٌ من الخالق أن تكتشفي تلك الحقيقة بعد هذه السنوات ",هزت رأسها بفرحةٍ وألمٍ بآنٍ معاً همهمت بهذيان: عشت لسنوات طويلة..لسنوات أنا اتعرض للضرب والظلم لأنني لقيطة ...كانوا يحاسبونني لسوء لا ذنب لي فيه ..حتى اعترفت لي تلك الحقيرة التي باعتني...برأتني أمام نفسي وأمام الجميع لكنها لم تستطع أن تنطق اسم عائلتي ومن تكون...ماتت ماتت قبل أن تخبرني الحقيقة كاملة ..

وتعالت الموسيقى مجدداً جراء رنين هاتفه فتنبه له أخيراً ليجيب بهدوء قبل أن يصدع صوت مراد : لما لا تجيب أيها الأحمق، شاركنا الموقع وبأي بناءٍ وطابق بالتحديد، لقد أخبرته بكل شيء" ,تبسم كريم بسعادةٍ مجيباً:وهي كذلك باتت تعرف، البناء السابع عشر, الطابق الثاني"

ثم أغلق الهاتف وقام بمشاركة الموقع مع مراد ورمى هاتفه على الأريكة وتطلع بها مجدداً قائلاً بفرح وهو يمسح على شعرها القصير: انسي الماضي وكل ما يتعلق به فنحن معك من الآن وصاعداً، لن تبقي وحيدة بعد الآن..أنا معك ،" ,تطلعت فيه بإنهاك بعيونٍ ذابلة، فتشوشت رؤيتها وصارت نظراته هي منتهى الكون، كلماته هاتك اللحظة هي منتهى الوجود وبدا كفارس انتشلها من ضياعها ووحدتها، كطفلةٍ صغيرةٍ ارتمت على صدره وكأنها تريد فعلاً حضناً دافئاً تستكين عليه بعد هذا الزمن الذي بقيت فيه وحيدة، تقهقر الخوف

بداخلها ليغدو ماضٍ بعيد لا تريد استرجاعه، بينما كريم... كان بعالمٍ آخر كلياً وكأنه استلب من الحياة نفحاتٍ من ريح السعادة الخالصة، إن كان بالنسبة لها هو منتهى الكون هذه اللحظة, فهي بالنسبة إليه بداية السعادةِ الأزلية، أغمض عينيه وقد تعاظمت حدة ضربات صدره المضطرب لتعلو وتعلو وتعلو فصمت أذنيه عما يدور حوله ! كانت صغيرة جداً أمامه...صغيرة وهشة وضعيفة على عكس ما رآه منها طيلة فترة عملها برفقته...

اغمض عينيه مستسلما...باسما وقد سقطت من عينيه دمعة يتيمة تاهت بخصلات شعرها الأسود . وصل آدم ومراد و اقتحما الشقة التي ما يزال بابها مفتوحاً على اتساعه ليهتف مراد وآدم بذات اللحظة : جمانة " ,صدرت من آدم بلهفة ومن مراد بصدمةٍ قاتلة موجعةٍ لقلبه الذي لم يشفى بعد من مشاعره تجاهها" انسلخت عن صدر كريم هذا اللحظة وقد أغرقت قميصه بدموعها لتتطلع إلى شقيقها..,ابتلع مراد غصةً خانقة بحنجرته جعلته عاجزاً عن التنفس للحظات جراء ما شهدته عيناه وجعلته عاجز عن التقدم خطوة تجاهها... دفعها كريم بخفةٍ ناحية آدم الذي تسللت ابتسامة براقة على شفتيه قبل أن يتطلع إلى سلسلتها، تقدم بخطواتٍ بطيئةٍ ناحية شقيقته ثم حطت نظراته على كفها، تناول كفها بيده ورفعها ناحيته ليتطلع على باطنها لتظهر له تلك الشامة التي تزين أسفل إبهامها وضحك دامع العينين... عادت به ذاكرته لأكثر من عشرون عاماً حينما تأمل كف تلك الرضيعة وحدث والدته عن هذه الشامة الصغير, التي بدت كنقطة حبر بنظره حينها وتسائل ببراءة: إنها متسخة اغسليها " تعالت ضحكات رغد

وقالت بابتسامة : إنها شامة حبيبي، جوهرةٌ تتميز بها اختك "

-أي أننا إن اضعناها سنعرفها من هذه الشامة"

ضحكت رغد وهي تمسك كف صغيرها لتجعله يقبض على كف رضيعتها : إن أمسكتهت هكذا...وشدت على قبضتها لن تتوه عنك...

لافرقكما الله يا حبيبي" ,وتوقفت ذاكرته بمحطة الواقع ليرفع نظراته مجدداً ناحية جمانة، بلحظةٍ كانت بين ذراعيه لتجهش هي مجدداً في البكاء وهي

تتشبث بكنزة بيجامته السوداء وتقول : أخي..أنت حقاً أخي!!؟" تمتم هو بكلماتٍ غير مترابطة كذلك : ظننتك ميتة ! أخبروني بأنك ميتة " بينما هي لم تتحدث، لم تنطق بعد ذلك، بل كانت تبكي بألم تسعة عشر عاماً مضت وهي وحيدة، بضياع تسعة عشر خريفاً قضتها تتنقل ما بين ملجئ ومنزل وعمل وتهمة أنها لقيطة بنت زنا...
حياتها لم كن تحوي سوى على فصل الخريف الذي اقتنص طفولتها وشبابها بلا رحمة ! ,تدفقت من عينيها دموعٌ تراكمت على مدار تلك السنوات فلا حاجة للحديث بهذه اللحظة فلن تنفع الكلمات بشيء كان شعورهما حالياً لا يوصف لا تشمله قواميس اللغات..وطال صمتهما الذي لا يقطعه سوى شهقاتها الباكية لم تعرف هي سابقاً شعور أن يكون لها عائلة، الأب، الأم،
الأشقاء !جميعها كلمات غير محسوسة بالنسبة لها، لكنه حتماً شعورٌ جميل أن تكون بكنف عائلةٍ تحبك وتحميك، كشعورها الآن وهي بين ذراعي شقيقها الوحيد، هذا الأمان الذي أطل من حدقتيه وأحست فيه وهو يحدق بها، فكيف سيكون شعورها حينما تقابل والدها ولأول مرة ؟! هل سيكون شعورها بهذا الجمال والرونق ؟ أم سيكون شعوراً مختلف؟ أعمق وأجمل؟!..ظلت ملتصقة به حتى عندما استقلا السيارة ليصطحبها للفيلا، وكأنها تخشى عليه أن يحلق بعيداً عنها، وكأنها تشبثت بحلمٍ لا تريد أن تصحو منه أبداً، وهو كذلك ظل متمسكاً بشقيقته، بتلك الرضيعة التي احتضنها بين ذراعيه حينما فقد والدته منذ عشرون عاماً، فأضحت هي على الرغم من سنواته القليلة مسئوليته
الكبيرة..وعاوده ذلك الشعور بالمسئولية الشعور بحمايتها .,ووصلوا أخيراً إلى الفيلا بعدما اتصل مراد بوالده حينما خرجوا من شقة جمانة وأخبره باقتضاب :
-هنالك مفاجأةٌ لكم وللسيد عابد الرجاء بأن تخبر الجميع بذلك.. نحن قادمون..,*********

37,ظلت جمانة ملتصقة بشقيقها حتى عندما استقلا السيارة ليصطحبها للفيلا،وكأنها تخشى عليه أن يحلق بعيداً عنها، وكأنها تشبثت بحلمٍ لا تريد أن تصحو منه أبداً..وهو كذلك ظل قابضا على كف شقيقته بتلك الرضيعة التي احتضنها بين ذراعيه حينما فقد والدته منذ عشرون عاماً، فأضحت هي على الرغم من سنواته التي لم تتجاوز السبع حينذاك مسئوليته الكبيرة، وعاوده ذلك الشعور الكبير بالمسئولية..,ووصلوا أخيراً إلى الفيلا بعدما اتصل مراد بوالده حينما خرجوا من شقة جمانة وأخبره باقتضاب : هنالك مفاجأةٌ لكم وللسيد عابد الرجاء بأن تخبر الجميع بذلك، نحن قادمون.,وماهي المفاجئة التي توقعها الجميع بعدما تم إخبارهم !! لم تتجاوز توقعاتهم إلا أن يكون الشابين قد جهزا لمشروعٍ جديد، ولربما فعلاً وكما قال رضوان ممازحاً عابد : سيحضرون لك عروساً أيها الخِرِف"

لتتعالى ضحكات الجميع باستثناء إليسا التي قالت بفرحٍ وهي تتطلع بعابد : بل الموضوع أكبر مما تتصورون جميعاً ..أكبر من توقعاتكم " فقد كان مراد قد حادثها كذلك بأنه برفقة آدم و جمانة ليعرفها على عائلته قبل أن يتحدث مع رضوان، تطلع الجميع فيها حينذاك باستغراب لتسألها نور بلهفة ضاحكة: أيتها الماكرة ما الذي تخفينه؟ لترفع إليسا حاجبيها قائلةً بابتسامةٍ خجلى : لن أستطيع إخباركم، ستعرفون بعد قليل.,وماهي إلا دقائق قصيرة حتى وصلت السيارة إلى الفيلا وترجل الجميع منها، وكعادة جمانة ما إن ترى هذه الفيلا ينتابها هذا الشعور الغريب ككل مرة لكنها لم تتوقع سابقاً أنها ستكون منتميةً لها بشكلٍ أو بآخر ! تنبه آدم على شروها فربت على كتفيها: أهلاً بك في منزلك..والدنا ينتظر أن نبث له الخبر " انتشلها صوته العميق من شرودها لتتطلع فيه نظراتٍ ضائعة وكأنها فعلاً تعيش أحداث حلمٍ طال جداً، فلو كانت تحلم هذه

اللحظة،تتمنى أن تصحو كيلا تتزايد عليها أوجاع صدمة الاستيقاظ منه !. ,-
جمانة " نطقها كريم وقد أرهقه هذا اليوم جداً.. إرهاقاً روحياً تملكه من تلك القصيرة التي نبشت التراب المتراكم على قلبه بلا كلل وبلا معرفةٍ عنها بذلك ! ظلت تحفر وتحفر حتى بان قلبه وبدأت نبضاته تستعيد الحياة بعد أن كاد يتوقف جراء الهموم التي أثقلته.
وتقدم خطوتين منها متجاهلاً نظرات آدم الذي ينتظر لملمة شتات شقيقته : سأغادر الآن فلا داعٍ لوجودي انتبهي على نفسك، عن إذنكم "
تعانقت عيناهما للحظات ما بين حبٍ بدأت تتوهج شعلته وامتنانٍ لكونه أول من بث لها هذا الخبر السعيد والغريب بأنٍ معاً وطرفٌ ثالث بدأت النيران تمزقه فتتصاعد منه النيران لتنفث حمماً وبراكين فها هو مراد... بعدما غيرت تلك الجنية كل شيْءٍ فيه انتقمت منه بكل ما فعله بالنساء اللاتي تعرف عليهن بحياته,أومأت له جمانة بابتسامة شكرٍ وامتنان وهمست : شكراً لك على كل شيء " فليست صاحبة المنزل كي تدعوه للبقاء ولا مراد كان سيدعوه لأن يواصل تمزيقه في كل نظرةٍ يحدق فيها ناحية جنيته..,لكن من ضحد كل توقاتهم بل وصب الزيت على نيران مراد كان آدم الذي قال برصانةٍ لأنه كان كذلك طرفاً بتعرف شقيقته عليه دون عناء : لا يا كريم ستتفضل بالدخول كذلك..لربما نزيل الخلافات عنا فقد طالت كثيراً " ,انفرج حاجبا كريم دهشةً وانعقد حاجبا مراد بضيقٍ لكن آدم أردف : أليس كذلك يا مراد.,شد مراد بقبضتيه بعصبيه وتمتم : طبعاً.. طبعاً يا ابن خالتي " وتجاوزهم ليدلف إلى الداخل بينما تسائل كريم : هل أنت متأكد ؟
ربت آدم على كتفه قائلاً برحابة صدر : الأحداث التي مرت في الآونة الأخيرة غيرتنا جميعاً أليس كذلك ؟
ليجيب كريم برصانة : فعلاً غيرت الكثير يا آدم .
ثم أردف هامساً: يجب أن نتحدث في القريب"
ودلف الجميع الفيلا وآدم يحتضن كف جمانة التي ترتعش من الخوف والارتباك واللهفة والترقب جميلةٌ هي تلك المشاعر المتضاربة التي تصيبنا

وخاصةً في لحظات لقاء أحبائنا..نعم كانوا أحبائها دون أن تدري..كان رابط الدم هو ما جعل آدم ينجذب لها سابقاً، رابط التشابه بينها وبين والدته الراحلة، وهو ما جعلها تثق فيه بطريقةٍ غر يبة ومنذ لحظة اللقاء الأول ! والآن وبمنتهى البساطة عرف الجميع سر هذه الثقة الغير مفهومة.,كان الجميع جالساً وما إن دلفت جمانة حتى ذهل الجميع ما بين دهشةٍ وصدمة وغيرةٍ وعدم فهم. دارت آلاف الأسئلة من عقولهم جميعاً من نور التي شعرت بغيرةٍ قاتلةٍ من آدم الذي يدلف بعد منتصف الليل بقليل ببيجاما منامته! وهو يحتضن كف فتاة أخرى ! وما بين دهشةٍ وصدمةٍ من عبير االتي التمست ملامح شقيقتها الراحلة من تلك الفتاة ذات الملامح المرتبكة الخائفة كقطةٍ ترتعش والجميع يحدق بها، ورضوان الذي لم يعرف من هي ضيفتهم الشابة .

وعابد, عابد الذي هاجمته رغد دون رحمة ، دون إشفاق نهض عن كرسيه و تقدم بقدمين بالكاد تحملانه تجاه صاحبة هذه الملامح شد آدم بقبضته أكثر على شقيقته وهو يخرج السلسلة من حول رقبتها أمام أعين الجميع ويخرج سلسلته كذلك، وعلى الطاولة البلورية أمامه يلصق الشمس أمام نظراتهم قائلاً بلهفة : هدية جمانة وآدم , هديتك لنا يا أبي مذ كنا صغاراً قال مراد مكملاً حديثه مخطباً عابد وهو يعود أدارجه ناحية الصالة ليثبت تحاليل التطابق: لم تكن ميتة كما ادعت مديرة الميتم, بل باعتها مقابل مبلغٍ محترم" والتفاصيل سأرويها لكم لاحقاً..,عابد لا يحتاج لسلسلةٍ ليتأكد.. لا يحتاج لتبريرات ليعرف أن هذه الصغيرة من صلبه، هبت ريحٌ محملةٌ بعبق السنوات الغابرة، عبق التشتت والضياع الذي تلاشى بهذه اللحظة وهي تتقدم من والدها لتتأمل هذه الملامح الصلبة، الملامح الذي تسائلت طيلة سنواتٍ وسنوات كيف ستكون؟ لكنها لم تتوقع أن يكون بهذ الجمال والقوة والصلابة، لولا الشيب الذي أثبت نفسه وبجدارةٍ على شعيراته السوداء لما صدقت بأنه قد يتجاوز الخمسين من العمر، عبير شهقت بقوةٍ وقد تعالى بكائها في ذات اللحظةِ التي ارتمت فيها جمانة على صدر والدها الذي تلقفها بين ذراعيه.. تلك الصغيرة الناعمة التي بالكاد وصلت ناحية صدره، الصغيرة التي لم يرتو من احتضانها مذ كانت

رضيعة، لأن أنياب الغدر نهشته من عمه، والآن عادت تلك الرضيعة لأحضان وطنها الكبير، سقط لقب اللقيطة...سقط لقب اليتيمة وأصبح لها اسم وهوية ...جمانة عابد الآغا"
هذه المرة لم تبكي جمانة..لم تعد تريد البكاء بعد أن نفذت طاقتها من الدموع طيلة ساعتين وأكثر من الزمن، بل طيلة سنواتٍ وسنوات من الوحدة والخوف من المجتمع الذي لا يرحم من هم أمثالها رفع عابد وجه صغيرته بيديه قائلاً بلهفة : أنت... أنت نسخةٌ منها، أنتِ رغد الصغيرة" همست جمانة بصوتٍ متهدج : هل حقاً أشبه أمي !
أومئ عابد ودموعه تتلئلئ بمقلتيه ثم قبل جبينها وابعدها قليلاً ليفتح ذراعه لآدم الذي تبسم بسعادةٍ وارتمى كذلك على صدر والده الذي تنهد بعمق وهو يردد : الحمد لله، الحمد لله .,شد مراد على ساعد والدته التي تقدمت بهدوء من جمانة، تنبهت لها جمانة لتحدق بها فقال مراد بسعادة : إنها أمي... خالتك عبير"
ازدادت ابتسامتها أكثر وعانقتها ليتهدج صوت عبير وهي تقول مراراً : تعالي لحضن والدتك يا حبيبتي، -أنتِ، أنت فعلاً نسخةٌ منها، سبحان الله .,وكذا فعلت نور التي رحبت بها ترحيباً حاراً بسعادةٍ غمرت روحها لسببين، الأول أنها كانت شقيقته فقط وإلأ لكانت نسفت دماغه لدخوله وهو يحتضن كف فتاةٍ غيرها !! والسبب الثاني لأن شمل هذه الأسرة قد التم أخيراً، اسرة استسلم كل منهم ليأس ماضيه وظلام حاضره، يكفيها الآن هذه السعادة المطلة من عينيه بشكلٍ جلي...,وكريم اكتفى بالوقوف ساكناً يشاهد هذا اللقاء الحميمي بين أفراد العائلة... لم يبذل جهداً يذكر بتجاهل نور.. لأنها بهذه اللحظة لم تكن موجودة بالنسبة لقلبه، بل كانت تلك الجمانة فقط من استحوذت جل اهتمامه بل وكانت مركز اهتمام الجميع تقدم كريم بعدها ليقول لعابد بخجل : -آسفٌ يا عمي لكل ما حصل بسببي"
ثم جهر صوته : وأسفٌ منك كذلك يا عمي رضوان..لحظة طيشٍ ولن تتكرر " ليربت راضياً على كتفه قائلاً بطيب خاطر : لا عليك يا بني..ليسامحك الله، جميعنا نرتكب الأخطاء أحياناً "

وبعدها جلس الجميع وجمانة تتوسط عابد وعبير...يتبادلون الأحاديث وجمانة تقلب ببصرها بينهم جميعاً عائلتها الكبيرة التي وجدت نفسها فجأةً بأنها واحدةٌ منهم...كانت وحيدةٌ سابقاً والأن تبددت تلك الوحدة ومحيت.;,تجاوزت الساعة الثالثة صباحاً فقالت جمانة على استحياء تخاطب آدم : هل تستطيع إيصالي لمنزلي" تطلع فيها الجميع باستغراب لتتسائل عبير بعتاب :
- إن كنت تريدين احضار حقائبك غداً بعد أن ترتاحي سنحضرها لك، ستنامين الليلة بغرفة نور لحين أن نجهز لك أجمل غرفةٍ بهذا البيت" أطرقت رأسها أرضاً بارتباك..كانت نظرات الجميع مسلطة عليها قربها عابد منه مقبلاً جيهتها: -وهل تظنين أن بعدما اجتمع شملنا من جديد سأتركك تغادرين !
- ولكن..لا أريد إزعاج نور و...;,ضحكت نور باسمة وهي تجيبها : أنا أحب الإزعاج أزعجيني كما تشائين"
وأردف مراد وهو يسلط نظراته عليها: وهل تظنين أننا وبعد هذه السنوات سنتنازل عنك بسهولة ؟
ابتسم كريم باستهجان بعدما استشف خبث حديث ابن عمه فقال مؤكداً وهو يحدق بمراد بنظرةٍ ذات معنى : فعلاً لن نتنازل عنكِ بسهولة يا جمانة .
نهضت نور منهية النقاش: إذن تصبحون على خير سأصطحب جمانة لترتاح قليلاً "
ثم سحبت جمانة من يدها لتصعدا درجات السلم بينما نهض كريم قائلاً كذلك : بعد إذنكم الآن سأغادر...وإن احتجتم أي شيء فأنا في الخدمة " شكره عابد ورضوان ونهض مراد ورائه لإيصاله لباب الفيلا الخارجي وقال متمتاً وهو في الطريق: -لا أعرف حقاً إلام تريد أن تصل ؟
ليتوقف كريم قليلاً مجيباً ببساطة : إلى قلبها...ومن يدري لعلي أنجح في ذلك " أمسك مراد ساعده بحدة وزمجر حانقاً بصوتٍ هامس : لن تفعل هذا بي يا ابن عمي أليس كذلك ؟
حدق فيه كريم قائلاً: ألم يحن الوقت بعد لتحترم زوجتك وطفلك القادم.. وتكف

عن العبث والخيانة ؟!;,أطلق مراد زفرة قوية مجيباً : هذه حياتي وليس لك الحق بالتدخل فيها"
ليتبسم كريم مجيباً بانتصار : وهذه ما كنت أريد إيصاله بالضبط، لايحق لك التدخل فيها ولا بأي شكل.;,**********

38,دلفت جمانة غرفة نور التي قالت بترحاب: هذه هي غرفتي، اسمعي ستنامين على السرير وأنا على الأريكة" جلست جمانة على السرير بابتسامةٍ هادئة وهي تتأمل معالم غرفة نور ثم أردفت نور وهي تخرج بيجاما من خزانتها: أتمنى أن تكون على مقاسك"
فقالت جمانة : أشكرك يا نور" ثم أردفت ضاحكة : هنالك فارق طولٍ بيننا لن تناسبني حتماً، لا عليك سأنام بثيابي "
توقفت نور قليلاً تتمتم ضاحكة : معك حق سيكون طويلًا " أرجعت البيجاما لخزانتها وأخرجت فستاناً قطنياً ذو أكمامٍ قصيرة وقالت : هل سيكون مناسبٌ يا ترى بهذا الجو أم اسمعي سآخذ من أليسا..
قفزت جمانة من على السرير : لا لا مهلاً، تعالي لا أريد سأنام بملابسي لا عليك سأتدبر أمري ذاتا أنا أرتدي ملابس مريحة ..
-سأضعه هنا على كل حال وجهاز التدفئة بداخل الفيلا لا ينطفئ لذلك لن تشعري بالبرد "
ثم جلست نور على السرير بابتسامة واسعة : أنا اليوم أشعر بسعادةٍ كبيرة من كان يتوقع أن تكوني على قيد الحياة، سبحان الله !
تنهدت جمانة قائلةً بألم : فعلاً من كان يتوقع أن تظهر عائلتي بعد هذه السنوات !
قالت نور بفرح:
-نظرات آدم طيلة الأعوام السابقة كانت بواد والآن...الآن أصبحت بواد آخر..بتلك الساعات القليلة التي جلسنا فيها بإشراقة وجهه تعادل جميع ما عشناه...

فعلاً يا جمانة...السعادة الحق لا تظهر إلا بوجود عائلة تحبك .
ارتجفت شفاه جمانة ودمعت عيناها لتعض نور على شفاهها بتحرج فالله يعلم ما عاشته تلك الفتاة في الميتم وبعده...
طرق الباب ودخلت عبير غرفة ابنتها وهي تحمل بيدها قطعة ثياب وحدثت جمانة: توقعت أنك لن تجدي شيئاً يلائم نعومة جسدك..لذلك جلبت بك إحدى أثواب نور عندما كانت مراهقة..إنه طفولي قليلا لكنه يفي بالغرض حتى الغد...إنه نظيف.
-يا للحرج! نطقتها جمانة على استحياء فضحك عبير وسلمته إياها .
-لا أصدق أمي ألا زلت تحتفظين بأثوابي!
أومأت عبير لنور لتخرج قليلاً. فانصاعت لمطلبها وخرجت فجلست عبير على السرير أمام جمانة واحتضنت وجهها بكفيها: ماشاءالله...لا أصدق عيناي..قالوا أنك كنت بالحفل كيف لم أنتبه على وجودك! وقبلها كنت بحفل زواج مراد ! , كان مراد قد صعد لغرفته ليال قسطاً من الراحة فتوقف بجانب الباب حينما رآها...حينما رأى جمانة في مكانها الحقيقي بين ذراعي والدته...مع عائلته صارت أقرب إليه من حبل الوريد وضع كفه على صدره الذي صار ينبض بكريقة هستيرية متزامناً مع كلمات والدته:
-أنت ..أنت فعلا نسخة عنها بل نسخة أجمل !
ضحكت جمانة وقد تلبدت الدموع في عيناهما سويا فمسحت عبير دموع ابنة شقيقتها رافضة: -لا ...لا دموع بعد اليوم..من اليوم ستنادينني ماما يا جمانة .
ازدهرت نظرات جمانة الكسيرة وتمتمت: ماما!
أنا...أنا لم ألفظ هذه الكلمة ابدا...
قبلت عبير جبهتها : والآن لن أرضى إلا أن تناديني ماما يا صغيرتي..كان عندي بنتين والآن أصبحتن ثلاثة..
فأخذتها عبير لصدرها تخفي عنها دموعها التي سالت واستكانت نظرات مراد عليهما بتعاطف قبل أن يستكمل طريقه إلى غرفته القابعة بجانب غرفة شقيقته نور...

****

أُقبلت خيوط االشمس المحملة بحبيبات ندى الصباح، تمطى مراد قليلاً في فراشه قبل أن يعتدل بتكاسلٍ، تطلع على الساعة التي لم تتجاوز عقاربها السادسة صباحاً، مسح وجهه بيديه وقرر أن ينهض وقد اكفى بقدرٍ ضئيلٍ جداً من النوم بعد تلك الأحداث المتلاحقة التي شهدها ليلة أمس ولم يستطع فيها النوم ظل ساهداً .. قلقاً...يفكر بالمستقبل كيف سيكون وكيف سيكون تعامله معها من الآن وصاعداً بل والأهم من ذلك كيف سيتقبل كونها ستبقى أمام ناظريه دون أن يتنبه أحدٌ على مشاعره التي حاول إخمادها تجاه تلك الجنية ولم يقدر! طيلة أشهر... حانت منه التفاتةٌ على إليسا الراقدة على السرير وتبسم بحنوٍ كبير فعلاً ما تزال صغيرةً جداً كطفلةٍ فعلياً تكون وهي نائمة وما تزال مصرةً على احتضان دباديبها المحشوة ! وتنهد برأسٍ يكاد صداع التفكير يفتك به خرج ناحية الشرفة وهو يأخذ نفساً عميقاً ليملئ رئتيه بعبق نسيمات الصباح الندية هو يحبها بل ومتأكدٌ من ذلك... يعشق إليسا!! لكن لِمَ يخونها ؟ لمَ يسمحُ لنفسه في كل مرةٍ بالانغماس في الضلالةِ وزوجته تحمل الآن بأحشائها مولوده الأول...ماذا يريد بعد! سيصبح أباً أخيراً، بضع أشهرٍ فقط وسيتزين منزلهم بطفلهما ألا يجب إذن عليه أن يكف عن تصرفاته ! وأن يعيش حياة استقرارٍ وهناء ..لكن تلك الجمانة.. أسرته منذ الوهلة الأولى كذلك ! ومن حينها لم يعد ليفكر بالنساء بل وكأن تلك الجنية بسحرها قامت بمسح جميع النساء من قاموسه ماعدا زوجته بتركيبة عجائبية استطاع قلبه أن يتسع لاثنتين! ! هو يؤمن في قرارة نفسه أنها قومت سلوكه.. بل وزرعت بداخل قلبه بذرةً نقية غريبة الفهم على نفسه .. جال ببصره بأرجاء الحديقة ليفاجأ بذلك الجسد الضئيل الذي يجلس أسفل شجرة التفاح ! دقق النظر أكثر ليتبسم وهو لا يستطيع أن يشيح ببصره عنها..إنها هي! جمانة..لكن ما الءي تفعله بهذا الجو البارد ! تسائل بقلق قبل أن يأخذ وشاحا صوفيا كانت إليسا قد ألقته على الأريكة قبل أن تنام ..حمله واندفع كالمغيب ناحية المطبخ وأعد كوبين من النسكافيه الساخن وخرج إلى الحديقة الخلفية تقدم منها بهدوء منها...كانت تضم

ساقيها إلى صدرها وهي تستند على جذع الشجرة وشعرها مشعث قليلاً ..بدت ضئيلة جداً تلعب بإحدى أوراق الشجر اليابسة ...ترتدي ثوباً تذكره ما إن رآه .. ثوباً طفوليا بحتا يخص شقيقته ذا لون أزرق يشابه لون السماء ...وجورب صوفي طويل وصل حتى ركبتيها ،
صباح الخير" قالها بابتسامةٍ صافية فرفعت وجهها بتفاجؤ لترى مراد الذي مد يده بكوب النسكافيه فتبسمت قائلةً بهدوء : صباح النور" ثم تساءلت بعد أن التقطت الكوب من بين أصابعه : -ما أدراك بأني أفضله بالحليب؟."
اقترب منها وهو يضع الوشاح على كتفيها ثم
جلس قبالتها : أعرف أنك لا تحبين نكهة النسكافيه اللاذعة ..بل ترغبين بكل شيء حلو المذاق ",ثم احنى جذعه قليلاً تجاهها مردفاً: وأستطيع أن أخبرك بتفاصيل كل مشروبٍ وكيف تفضلينه" انشغلت عنه بتذوق النسكافيه فسأل : لمَ استيقظتِ باكراً ؟
ضحكت مجيبة بتهكم : فراش نور ناعمٌ وطريٌ زيادةً عن اللزوم..لم يناسبني",وعلى الرغم من بساطة ما تفوهت فيه من كلمات إلا أنها اخترقت روحه... ما الذي فعلته بك الحياة يا جمانة! إلى أي حالٍ وصل بك الفقر لتقولي مثل هذا الكلام ! كان حاجباه معقودان وهو يجاهد صراعاً كبيراً يراوده ليأخذها بين ذراعيه بهذه اللحظة ولتحترق الدنيا بعدها ! أخذت نفساً عميقاً واغتالت أحلامه بسؤالها : لما استيقظت باكراً أيضاً..وما أدراك أني هنا ؟ ,تنحنح قائلاً بحرج وهو يحك أسفل شعره: لم أستطع النوم ...وحين نهضت ..رأيتك من شرفة غرفتي" ثم أشار بإصبعه ناحية الشرفة قائلاً : هاك هي "تطلعت لما يشير واكتفت بابتسامةٍ طفيفة..ثم قالت وهي تحدق فيه: هل تعرف والدتي يا مراد ؟ ظل لثوانٍ حتى استوعب ما تفوهت فيه ليقول بصدق : لا أعرفها فقد كنا بغير دولة مسافرين وبعد الخادث...آثرت والدتي الاستقرار هنا "
أومأت له بتفهم ثم ابتسم قائلاً ليزيح مسحة الحزن التي ارتسمت على ملامحها :

لكن ما أعرفه من حديث والدتي عنها أنها كانت امرأةٌ عظيمة والداكِ يا جمانة تزوجا بظروفٍ استثنائيةٍ جداً..وصعبة تحملت والدتك الكثير لأجل عابد وهو كذلك " تعلقت عينيها عليه ببريقٍ آسر جمده فقالت بلهفةٍ وهي تستدير لتصير قبالته تماماً تكاد ركبتاها أن تلتصقا بركبتيه : احكِ لي عنها " أخذ نفساً عميقاً قائلاً بارتباك وهو يهز رأسه بنفي: لا أستطيع إفادتك أنا بذلك كثيراً فمعلوماتي محدودة والدتي وسيد عابد هما من سيحكيا لكِ .,هزت رأسها موافقةً وظلا صامتين بعدها منشغلين بكوبيهما...كان مراد يخشى إن تكلم أن يتفوه لسانه الأحمق بكلمةٍ تورطه أكثر وهو لا يريد أن يتورط على الأقل حالياً وجمانة أضحت ،. بعالمٍ آخير كلياً كانت عند والدتها.. ترسم معالمها، وتتلهف لاستيقاظ عابد وآدم، فلم ترتو منهما بعد تريد فقط أن ترتمي بين ذراعي والدها أن تشتم عبيره الذاكي، عبير الدفئ والحنان والحماية الذين افتقدتهما طويلاً جداً.,نهضت فجأةً من أمامه وقد أدركت نظراته السارحة فيها : إلى أين؟"
سألها فأجابت باسمة: لا أعلم صدقاً, لكن ، أريد الإنشغال بأي شيْ لحين استيقاظ والدي وآدم",ضحك وقد شعر بمدى لهفتها ثم اقترح : ما رأيك إذن أن نذهب لإحضار حقيبة ملابسك لحين استيقاظ الجميع"
ملابسي! تطلعت فيه مفكرة ثم أجابت بتلعثم: أنا .. لا أعرف حقاً"
ثم صمتت صمتت خجلاً من جلب تلك الملابس البالية التي لا تناسب حتماً هذا المكان الساحر الذي لم تره إلا من خلال شاشة تلفازها العتيق..,- لن أقدر الآن..سأذهب لاحقاً، عن إذنك... وشكراً لكل شيء فعلته من اجلي "
و مشت من أمامه ليتبسم ابتسامةً دافئة ..,******,وتعاقبت بضع ساعاتٍ استطاعت فيهم جمانة أن تغفو قليلاً بعدما نال منها الإرهاق مبتغاه طرقاتٍ خفيفةٍ على الباب تنبهت عليها نور لتنهض من على الأريكة بتكاسلٍ بينما دلفت والدتها وهي تتطلع بجمانة : ما زالت نائمة!
ثم أردفت مخاطبةً نور: هيا غيري ملابسك وتوجهي للصالة لحين أن يجهز الفطور فقد حضر عابد وآدم كذلك" أومأت لها نور بابتسامةٍ واسعة وهمت بالذهاب إلى الحمام بينما تطلعت عبير بجمانة النائمة بابتسامةٍ حانية وخرجت

",هبطت نور درجات السلم بينما يجلس الجميع مجتمعين في الصالة فتسائل عابد بلهفة: ألم توقظيها؟ تبسمت نور قائلةً : حاضر يا عمي سأذهب حالاً " لكن آدم نهض قائلاً بهلفة : بل أنا من سيوقظها.. عن إذنكم وسار بسرعةٍ ليصعد درجات السلم وسط ابتسامات الجميع الظاهرة وكان قلبه هذه المرة من يتصرف إحساس الأخوة التي دفعته دفعاً إليها.,كانت مستغرقةً في نومٍ عميق دفع الباب بهدوءٍ ودلف ناحيتها لينحني على الأرض بجانب السرير وصار يمسح على شعرها القصير..عصفت بذاكرة طفولته تلك الرضيعة هو بالكاد يتذكر خيالاتٍ عنها وعن ماضيه مع عائلته.. ترقرقت عينيه بدموعٍ ندية ولم يستطيع الاستيعاب بعد أنه وخلال بضع أيامٍ فقط قلبت حياته مئةٌ وثَمانون درجة،والده وشقيقته كانوا أمواتاً طيلة سنوات والآن وكأنهم بُعِثوا من جديد ! كانت نور تراقبه من خلف الباب دون أن تصدر صوتاً وهو جالس القرفصاء على الأرض أمام السرير على وهي كذلك تشعر بإحساسه, تنبهت عليه وهو يقوم بمسح دمعةٍ خانته ونزلت على خديه تراجعت أكثر خلف الباب فلن تستطيه إظهار نفسها..عرفت أن الرجال لا يبكون إلا لشيءٍ عظيم يكونون حينها بأضعف لحظاتهم وهي لا تريد أن تظهر أمامه بلحظة ضعف حتى ولو كان السبب مفرحاً هذه المرة ! ,أحست جمانة عليه لتفتح عيناها ثوانٍ حتى استوعبت وجوده لتنفرج شفتيها عن ابتسامةٍ عذبة ألقى عليها تحية الصباح وابتعد مفسحا المجال لكي تعتدل

- هيا الجميع بانتظارك بالأسفل..سأسبقك تجهزي وانزلي..

أومأت له جمانة ونهضت من على السرير لترى ثوباً آخر من أثواب نور القديمة الطفولية التي ارتدهم وهي لا تتجاوز الثلاثة عشر عاماً ربما..ذو ألوان زاهية بين الوردي الأزرق وله شريطة عريضة على خصره فضحكت وانتشلته وهي تتمتم: يبدو أنني سأعود طفلة من جديد في هذا المنزل! يا إلهي ما هذا الإحراج! ,خرجت من الغرفة بعدما تجهزت لتهبط درجات السلم فقابلتها تلك الصغيرة عسل ووقفت تحدق فيها بابتسامة واسعة وسألتها:

-من أنت أيتها الجميلة؟

تقدمت منها جمانة حتى أصبحت قبالتها وتأملتها وهي ترتدي ثوباً قريباً من ثوبها وتضع شرائط ملونة على شعرها فسألتها مازحة :
- أخبريني أنت أولا...من تكونين؟
- أنا شقيقة نور.
انحنت جمانة تجاهها باسمة؛
-وانا شقيقة آدم ..
-آدم! أنام واستيقظ فأرى أن عند آدم شقيقة صبية؟!
تعالت ضحكات جمانة بعفوية ليقاطعهما صوت مراد. الذي خرج من غرفته فاعتدلت جمانة بوقفتها لتشعر بعيناه تلتهمان كل تفصيل فيها ..فما أمامه الآن شابة عادت على أقل تقدير سبع سنوات إلى الوراء ..فتاة في أبهى مراحل المراهقة ..وربما الطفولة، تقدم منها مازحاً: لاق بك كثيراً..
فهمست جمانة بحرج: أبدو كحمقاء به لا تنكر"
فرج شفاهه لينطق لكن أليسا خرجت من الغرفة ليغلق شفاهه ويكمل طريقه للأسفل أما أليسا تقدمت من جمانة وحيتها بإيمائة بسيطة واندفعت تنزل درجات السلم..ومرت ساعات النهار بسرعةٍ كبيرة حيث توجه كلٌ منهم إلى أشغاله انطلق رضوان وعبير ناحية إحدى المعارض لتجهيز غرفةٍ لجمانة بينما آدم ذهب برفقة شقيقته لجلب أمتعتها أما نور فقامت بمساعدة الخادمة ولأول مرةٍ تفعلها في تنظيف إحدى الغرف الفارغة وتجهيزها لحين وصول الأثاث كان الكل بحالة بهجة في ذلك اليوم وكأن الشمس لأول مرةٍ تشرق لتنير قلوب تلك العائلة . تأمل آدم ذلك المنزل المتهالك الذي تعيش فيه جمانة فشعر بوخزٍ عميقٍ داخل صدره وهو يتخيل مقدار الألم والفقر الذي عانت منه ولم تكن آلامه على مر السنوات شيئاً يذكر أمامها على الأقل كان هو بكنف عائلةٍ تحبه يحيا حياةً رغيدة !.بعد مدة من الزمن أنهت لملمة متعلقاتها المتواضعة وخرجت إليه لتودع جمانة ذلك المنزل وما يحمله من ماضٍ مضنٍ نحو حياةٍ جديدة.*******وخيم الليل بنفحات الطمأنينة التي ظللت قلوب العائلة كاانت جلسةً على الأريكة بالقرب من والدها وآدم في شقة آدم ورأت

صور والدتها لأول مرة كانت فعلاً تشبهها جداً ذات العينين وتفاصيل الوجه لكن باختلافٍ في الطول والجسد والشعر ...كان شعر والدتها طويل جداً..ناعم جدا..جميل جدا..
وغاصت تلك الأسرة في ذكرياتٍ بعيدة... لمس عابد إحدى الصور بأصابعه وقال بخفوت: وهذه... حينما كانت حاملاً بك يا جمانة"
ندت عينا جمانة بدموع فرحٍ وعابد يتحدث كان يروي لهما قصة حبٍ لا تتحقق سوى بالأفلام, لكن ما بجعبته من ذكريات حتماً لا تكفيها جلسةٌ واحدة,تنحنح مراد من خلف الباب قبل أن يناديه عابد : تفضل بني" دلف بهدوء وخلفه نور بابتسامةٍ صافيةٍ ,-جهزت غرفتك يا جمانة.. بإمكانك رؤيتها: قالها مراد وهو يرتكز بنظراته عليها لتومئ له شاكرة: -شكراً عذبتكم معي,_على العكس, هذا أقل ما يمكننا فعله" قالها بابتسامةٍ فقال عابد: إنها فترةٌ مبدئية لحين أن نجد منزلاً لنستقر فيه,توقف مراد رافعاً حاجبيه دهشةً : لا أظن أن والدتي ستقبل بهذا الأمر...الموضوع منته بالنشبة إليها "
قالها منهيا النقاش فربت عابد على كافه:
-كيف لجمانة أن تنام بمنزلكم يا بني كي تتصرف بحرية دون قيود، وكي نكون جميعاً سوياً كذلك ",هز مراد رأسه متفهماً وقد فهم مقصد عابد الذي يتكلم برزانة فبوجوده طبعاً لن تتصرف بأريحية..وهو...هو في قرارة نفسه لن يكون مرتاحاً وجمانة قبالته..تفصل بينهما غرفة واحدة فقط...ستكون أمامه صباحا.. مساءً! أي جحيم سيعيشه..أي قوة جبارة سيمتلكها للابتعاد عنها وهي سترافقه من الآن فصاعدا تفاصيل حياته بأكمله..
تنبه على صوت الكاميرا التي انهمكت نور في تصويرها...بل تصويرهم جميعاً ثم جلست
جلست بجانب جمانة تشاركها رؤية صور والدتها و تلاقت نظرات نور بآدم مصادفة لتتبسم بخجل وتشيح ببصرها مجدداً عنه بصور رغد، وقالت لمراد وهي ترفع حاجبيها تعال انظر: بهذه الصورة تشبهها كثيراً !"
تقدم منهما بهدوء بيما آدم غرق بعيني نور العلسليتين الصافيتين.. شعر بأنه في

الفترة الماضية شُغِل عنها كثيراً، بل كثيراً جداً. ,تنبه عابد على نظرات ابنه ليأخذ نفساً عميقاً قبل أن يقول : تعال يا آدم أريد أن أحادثك "
نهض عابد و آدم متوجهين ناحية الشرفة فتقدم مراد ليجلس بجانب جمانة ليرى الصور تبسم وهو يطالع هذه المرة الدموع الندية التي تتلئلئ في مقلتي جمانة وقد انفصلت عن الواقع تماماً عقد حاجبيه ثم قال هامساً يحادث نور : خذيها إلى الغرفة لتراها"
هزت نور رأسها وهي تحث جمانة على النهوض فنهضت تلك الأخيرة وهي تحتضن الألبوم بكلتا يديها وهبطتا السلم أما مراد فصعد درجات السلم ناحية السطح.. توقف أمام السور وهو يحرر أول زرين من قميصه أشعل سيجاره وصار يدخن بشراهةٍ غير مسبوقة..كان يشعر باختناقٍ رهيب كيف سيتحمل ذلك الأمر، ليس بالأمر الهين أبداً بالنسبة له تواجدهما بنفس المكان وأمام ناظريه. أغمض عينيه بألمٍ وهو يسحب نفساً قوياً من سيجاره كان عابد محقٌ فعلاً يجب على أحدهما الابتعاد كي يحميها من نظراته..كي يحميها من نفسه من تصور أعمى قد يقدم عليه بلحظة ضعف وهو بالكاد جسور علاقته مع إليسا.. لكن كيف وهو كاد أن يحترق طيلة الشهرين الذين غابت فيهما عن ناظريه!
بينما بالأسفل ربت عابد على فخذ آدم وهو يقول له : أظنه قد حان الوقت يا بني"
تصنع آدم عدم الفهم ليقول : على ماذا؟ ,تبسم عابد مجيباً : سأخطبها لك يا آدم، سأحادث رضوان بشأنكما قريباً جداً " انفرجت أسارير آدم وحاول وآد مشاعره كيلا تفضحه قائلاً برصانةً خرجت واهيةً جداً :لكن الوقت غير مناسب لتلك الخطوة..ما زلت لم أستقر بالعمل يا أبي "
شرد عابد بارتباك ابنه لكنه احنى جذعه ناحية آدم قائلاً بابتسامة: ضربات قلبك تثبت العكس هذه اللحظة أيها المهندس إن كانت أساساتك متينة فلا تؤجل البناء "

لم يستطع هذه المرة إخفاء ابتسامته فاستدار وهو يحك أرنبة أنفه : الأساسات فولاذية.. مترسخة",إذن على بركة الله",**********

39,- كيمو كيمو كيموووو
ليست تلك صفارة سيارة إزعاج بل قنبلة إزعاج اندفعت مقتحمة غرفة كريم الذي انتفض من على فراشه بسبب صوتها المزعج ..
فتح عيناه بغيظ وضرب مؤخرة رأسه بتاج السرير وهو يعطيها ابتسامة مثلجة تنم عن انزعاجه:
-كفى كسلا..هيا انهض يا ابن خالتي الجميل "
رمي اللحاف بنزق وهو يشتم جيرين: والله..والله لم أرى أوقح منك حتى ببلاد الصين..ألا تقدرين كوني رجل أعزب حتى تقتحمين غرفتي بهذا الشكل!
أطلقت جيرين زفرة على تزمته الغريب! ثم هتفت فيه باسمة وهي تقرص وجنتيه الحليقتين: أنت أخي يا أحمق..
- نعم ...لذلك والدتك تصر على زواجنا! اعتقيني منذ الصباح ...هل حضرت والدتك برفقتك!
- جلست على السرير أمامه وهزت رأسها نافية: شعرت بالملل فحجزت على أول طائرة وحضرت ..وأشك أن نازلي هانم الآن تستشيط غضبا.
مسح وجهه بكلتا يديه ثم تمتم بنزق: أنت مصيبة..هيا انهضي وانقلعي من غرفتي...
كانت رهف واقفة على عتبة الباب تضحك من سخافة أفعال جيرين والتي حضرت لتوها من اسطنبول ...فحدق فيها كريم بانزعاج وكلمها بالعربية: خذيها من هنا ..الآن.
- والله يا أخي لو استطعت انت إخراجها فلا تنتظر.
قلبت جيرين نظراتها المغتاظة بينهما: هالله هالله! تتكلمان بالعربية حتماً عني أيها الوغدان!
ضحك كريم وهو ينهض من على السرير قائلاً بطلاقة باللغة التركية :

ماشاءالله فهيمة مع مرتبة الشرف نعم طلبت منها أن تطردك من غرفتي..هيا إلى الخارج سأوافيكما لاحقا .
اومأت جيرين وقالت بحدة: وستخبرني كل شيء.
-كل شيء عن أي شيء !؟
فهمس جيرين : عن السندريلا الهاربة.
تطلع كريم بشقيقته رهف مهدداً : فأدارته جيرين ناحيها : هيي قبطان حديثك معي..أنا من اجبرتها على أن تحكي لي آخر تطوراتك....لكن فعلاً.. فعلاً برافو! من تسبيلة عين واحدة من ابنة خالة ابن عمك وقعت في غرامها وشطبت نور ..
-جيرين!! إلى الخارج يا مختلة "*****,
داس مراد بقدمه بعنفٍ على السيجار السابع واتكئ بمرفقيه على السور الحجري وهو يميل برأسه لأسفل...لمن سيحكي عما يلم بقلبه هو يشعر باختناقٍ فعلي ! من سيخبر عن مشاعره الغبية الغير مفهومة !! قهقه بغضبٍ وعاد يتمتم: لآدم مثلاً! لشقيقها سأحكي له أم لعابد !! أو ربما لكريم الذي يحاول أن يشفى من مشاعره تجاه نور من خلالها!! سحقاً",ضرب بقبضته السور الحجري ثم اتجه ناحية الغرفة التي على السطح دفع الباب بعنفٍ وخطى داخلها ليرتمي على الأريكة واضعاً ساعده على جبهته داعبت أفكاره إليسا...بات يشعر بتأنيب الضمير تجاهها يشعر بالقرف من نفسه ولأول مرة على تصرفاته الماضية،على خيانته وضلاله، أخذ نفساً عميقا وأطلقه بينما يغمض عينيه لكنه فعلياً لم يخنها بعد الزواج !.,بعد العشاء وقبيل انتصاف الليل ووسط ضحكاتكم وأحاديثهم بقليل استدار عابد تجاه رضوان قائلاً بوقار:
-أظن أن الوقت قد حان يا رضوان لنستكمل أفراحنا"
تطلع فيه رضوان بعدم فهم بينما تبسمت عبير وقد فهمت علام يلمح عابد بحديثه،فالموضوع أضحى واضح جداً ...وهي كأم تدرك جيداً مشاعر آدم...وانقلاب حاله حينما تكون نور موجودة، أردف عابد بعد برهة:
-ومن الآخر...يشرفنا أن نطلب نور على سنة الله ورسوله ..فطبعاً الجميع باتَ

ملاحظاً أن المسكين غارقٌ حتى النخاع "
احتقن وجه نور وتعاقبت ألوان الطيف لتقبض على فستانها بارتباك بينما انفرج حاجبا رضوان دهشةً وكتمت عبير وإليسا ضحكتيهما.. ,شرد مراد بتعابير آدم المترقبة الحذرة وبجمانة التي أمسكت بكفه بابتسامةٍ واسعة تلك الجنية ستصيبه بالجنون حتماً...وطال شروده بها ناسياً كل ما حوله.. حتى زوجته التي تجلسُ ملاصقةً له، تنظر كذلك إلى جمانة...تتفحصها..ثم تنظر ناحية مراد وقد شعرت بألم داخل صدرها...وقد شعرت بأن هناك شيئاً بشعا ينتظرها ، بشع بطريقة لن تحتملها حتماً.
تنحنح رضوان قائلاً بهدوء: لنسمع رأي العروس أولاً يا صديقي" واستدار تجاه نور التي جمدت أمام والدها كجندي أمام رئيس الجمهورية ! فقال رضوان باسما : وكأنني عرفت الجواب أم أنا مخطئٌ يا نور ! ,هزت رأسها وقد اختنقت الحروف بحنجرتها فنهضت قائلةً بارتباك: لا ،.لا أعلم الرأي رأيك، عن اذنكم"
وهربت إلى غرفتها بينما ما تزال نظرات آدم
تلاحقها..هل حقاً انتهى الأمر بهذه البساطة! "
فقالت عبير وقد دمعت عيناها في تأثر: من عندي اعطيك الجواب يا أبا مراد....ابنتك موافقة" فلا أغلى من ولدي آدم أستأمنه عليها...
نهض آدم وقبل جبهة عبير وهو يهمس بامتنان : شكراً.. شكراً يا أروع أم في هذه الدنيا ..لا خرمني الله منك"
-إذن على بركة الله"قالها رضوان وشرع الجميع بقراءة الفاتحة وبعدها استدارت عبير تجاه آدم الذي جلس بجانبها وقد دمعت عيناها : مباركٌ يا بني " كان صباحاً مغايراً للجميع ..حتى لآدم الذي خطوة من نور...نور التي ستصبح ملكه في القريب ...كيف تحققت أحلامه بهذه البساطة ! كيف ردت لروحه الحياة بعد عشرون عاماً استسلم فيها لنصيبه من هذه الحياة...عقله لم يستوعب بعد أنه اجتمع بوالده وشقيقته الميتين بالنسبة اليه لسنوات وسنوات !
دلفت جمانة صباحاً إلى منزله شعر فيها آدم تجول خارجاً في الصالة قبل أن

تتوجه إلى المطبخ ...هذا المنزل فيه روح أخيراً...هذه الجدران الخاوية التي اعتاد على سكونها لأعوان طويلة عادت تنبض...تنبض بخطوات عائلته...عائلته هو ..والأقرب إليه .
طرقت جمانة الباب ودخلت لتلاقيها نظراته وهو ما يزال على السرير سارحا باسما وكأنه يعيش لحظات حلم لا يريد أن يصحى منها...
كيف ستعرف عليها من جديد...كيف سيعرف مالذي تحبه أو تكرهه كيف سيعرف عاداتها وكل ما يخصها...والمثل لوالده الذي رآه للمرة الأولى منذ مدة وجيزة ...رآه بعيني ابن ليزيل حاجز كونه غريبا شاركه منزله لعدة أشعر مع إخفاء عابد مشاعره بقوة وجلادة! ,نهض من على السرير أخيراً ليتجهز لشرب القهوة التي حضرتها جمانة بنفسها لهما ...وخرج من الحمام بعد دقائق ليسمع ضحكات عابد وجمانة التي تريح رأسها على كتفه...
تلك الصغيرة الرضيعة عادت تعبث بذاكرته من جديد...أمانة كانت كبيرة على كاهله ألقى التحية عليهما فمد عابد ذراعه الأخرى ليندفع آدم ناحية والده ويجلس على الجهة الأخرى منه وقد أخذهما عابد بين ذراعيه...
عاد طفلاه أخيراً...عاد أمله الذي ظل متشبث فيه لآخر لحظة بحياته بأنه سيجتمع مع ابنه في النهاية، لكن القدر لكف بع وأعطاه جائزة عظيمة كذلك...جمانة، تلك الشعلة المجنونة التي تشابه شراسة والدها وجاذبية والدتها..
أما جمانة فشعورها الحالي لا يوصف...تلقت في حياتها صدمات كثيرة ...صدمة أنها لم تكن ابنة العائلة التي ترعرعت في كنفهم أول سبعة سنوات...قبل أن ترتطم بشناعة الحياة باسم اللقيطة ،
اللقيطة التي تم تبنيها ثو تم رميها وسحقها كيلا تحصل على إرث لعائلة لا تعترف فيها..
وصدمة وفاة المرأة التي تبنتها مرة أخرى قبل أن تموت! جميع من أحبتهم وتعلقت يوماً فيهم ماتوا وتركوها...والآن تتشبث في عائلتها...عائلتها الوحيدة والحقيقية لتشعر براحة مؤقتة ..مخدر تتعاطاه بينهم ومن محبتهم لتنسى القليل من جنون الماضي ..

جهزت لهما فطورا سريعاً ثم نزلت بعدما غادرا إلى عملهما وقد تذكرت أن عليها ان تعيد الشال الصوفي الذي وضعه مراد على كتفيها في صباحها الأول ...وكان الشال يخص اليسا...
غسلته منذ عدة أيام وقامت بطيه ثم تقدمت من غرفة إليسا وطرقت الباب حتى سمعت صوت أليسا يدعوها الى الدخول...
دخلت جمانة الى الداخل بحذر فتلاقت عيناهما عبر المرآة .. لتنهض أليسا بكبرياء من خلف تسريحتها...بعد أن كانت تمشط شعرها الطويل الأحمر الذي سلب أنفاس جمانة لجماله...
-إنه...لك يا إليسا على ما اعتقد...تفضلي.
-تقدمت منها فتسلمته إليسا باستغراب:
-كان معك؟ كنت أبحث عنه لقد اختفى منذ عدة أيام!
- أعارني إياه مراد فقد كنت أشعر بالبرد بالحديقة .
غلظت عينا إليسا وازدادت قتامتهما عند ذكرها اسم مراد وصارت تحدق فيها ..تتفحص كل شبر من جمانة التي لا تجاريها بتلطول أو الجمال...بس هي نسخة مصغرة أنثى مسترجلة! تحاول استشفاف ما الذي لفت نظر مراد فيها وما السر الذي يجعله لا يزيح بنظراته عنها وكأنه مسلوب الإرادة والتفكير ! كانت إليسا تخاف عالم الكبار ..والآن توغلت بأسوأ جزء فيه...بأشبع صور الغيرة التي تنهش روحها..
رمت الشال على الأريكة ثم تطلعت فيها بكبرياء حينما دلفت الخادمة إلى الداخل لتوضب الغرفة فقالت أليسا بنفور: خذي.. يحتاج إلى غسيل.
أجابت جمانة بعفوية: لقد غسلته ونظفته جيداً.
فتجاهلتها إليسا و خاطبت الخادمة مشددة على حروفها: نظفيه جيداً وحضري لي الليمون...أشعر بالغثيان.
امتقع وجه جمانة وأكدت للخادمة: نعم نظفيه جيداً،
وخطت خارج الغرفة مكفهرة الوجه لتلاقيها نور قبالة غرفتها ولم تكد تدخل جمانة غرفتها وتغلق الباب حتى خرجت الخادمة وهي تحمل الشال بانزعاج

كذلك لتستوقفها نور التي شكت بأن شيئاً ما قد حصل !
وقد كان فعلاً...حيث شرحت الخادمة الحديث ببساطة وغادرت لاستكمال عملها..
وما هي إلا لحظات فقط ...لحظات حتى تعالى صوت ضربات عنيفة صادرة من غرفة جمانة لتهرع نور ناحيتها وتدفع الباب بعنف لتفاجئ بأن جمانة منكبة على كيس الملاكمة تضرب بقوة وعنف ...تنبهت عليها فتوقفت وقد تعالى لهاثها الغاضب الذي حاولت كبحه بابتسامة مزيفة :
اقتربت منها نور باسمة: توقعت كل شيء إلا أنك تلعبين الملاكمة!
-وحاصلة على الحزام الأسود في الكاراتيه. .
-نعم!!! جمانة أأنت جادة!
اقتربت منها نور بعدم تصديق فخلعت جمانة قفازاتها وقالت بجدية : لم أتربى بكنف عائلة تدافع عني...كان واحب علي أن أتعلم تقنيات الدفاع عن النفس.
-ابن عمي يمارس الملاكمة أيضاً..وهو محترف جداً بالمناسبة ..أظنك تعرفينه..كريم"
أومأت لها جمانة بجمود فأعقبت نور : بالنسبة لما حصل مع إليسا...لا تنزعجي منها يبدو أن الحمل مؤثر على نفسيتها جدا..
هزت جمانة رأسها بنفي: لم يحصل شيء بيننا على العكس تعاملني بقمة الاحترام..لم أر منها ما يسيئ
-لم تزد نور في كلماتها فأعقبت جمانة بهدوء لتغيير الموضوع : مبارك لك يا نور...لم يتسنى لنا الحديث سابقاً بشأنك وآدم....لكن ما أدركته ولاحظته أنه يحبك جدا.
اقتربت منها نور على خجل وهمست : أأخبرك شيئاً...وأنا أحبه ...اكتشفت أنني أحبه منذ زمن طوييل طويل ..
والآن...سعادتي لا توصف..,حل المساء وكانت جمانة تجلس برفقة الخادمة في المطبخ لتمضية الوقت الممل دون أن تفعل شيئاً فقررت مساعدتها

وسرعان ما انسجمت معها لتتعالى ضحكاتهما وهما تعملان يدا بيد لتحضير طعام العشاء ، دخلت عببر المطبخ باستغراب:
-جمانة! أما زلت هنا!
- أتسلى ...لا شيء افعله"
- تعالي إذا لدينا ضيوف... والدة إليسا حضرت.. تعالي وشاركينا لا تبقي هنا..
- حسنا...سأوافيك خالتي.
- ماما...ألم نتفق على كلمة ماما عبير؟
ضحكت جمانة وأومأت لها: حاضر ماما..ماما عبير.
انتهت الخادمة من تحضير العصير فتناولت جمانة الصينية : سآخذها أنا الحقيني أنت بالحلويات"
لكن آنسة جمانة! لا يجوز أن تخرجي وأ...
قاطعتها جمانة: اسمى جمانة فقط وثانيا أهو معيب أن أقوم بخدمة ضيوف خالتي...هيا الحقيني بالحلويات! .
وفعلاً تقدمت جمانة من الصالة وهي تحمل صينية المشروبات وتقدمت ناحيتهم ملقية السلام فتطلعت فيها بهية والدة إليسا بتعال : آه عظيم! جلبت خادمة جديدة يا عبير ؟ من أي مكتب يا ترى؟!
توقفت جمانة للحظات وأجفلت فسارعت عبير تقول بحدة :إنها جمانة ، ابنة اختي المرحومة .
شهقت بهية وتمتمت: لا يعقل! إذا هذه هي!!! بنت الميتم.
وكانت تلك الكلمة حين دخول مراد ليلقي التحية فتوقف في مكانه...وضعت جمانة الصينية على المنضدة وقالت بابتسامة باهتة: نعم سيدتي أنا ابنة الميتم...عن إذنكم ...لدي عمل أقوم به"
وغادرت جمانة الصالة وسط انزعاج الجميع من بهية التي لم تتنبه لذلك وأردفت دون أن تلقي بالا لجمانة التي ما زالت تستطيع سماعها :
- لا يعقل يا عبير! أتصدقينها ألم تفكري أنها من الممكن أن تكون نصابة! إنها مجرد لقيطة تربية ميتم .. اعذريني هذا كثير!

تقدم مراد بخطوات غاضبة تجاه والدة أليسا وهتف بحدة: عليك...أن تحترمي المكان الذي تتواجدين فيه...تلك ابنة خالتي وإن اعدت تلك الكلمة مجدداً سيكون لنا حديث آخر حينها"
توقفت أليسا بغضب: أتهين أمي يا مراد هل جننت!
تطلعت عبير بابنها بلوم وقالت بوقار: لا يصح ذلك بني يبدو أن السيدة لم تقصد إلا الخير بنا لا تعرف أصل الحكاية .
-ولسنا أطفالا هنا أمي لنزج بغريبة فيما بيننا لتقوم باستغلالنا أليس كذلك بهية هانم؟
- حتى ولو كانت فعلاً ابنة خالتك لكن انت لا تعرف أي تربية تلقت، بالنهاية هي تربية ميتم.
قالتها بهية بنفور فاندفع مراد تجاهها صائحا: أما زلت تتدخلين في هذا الموضوع! لتنهض بهية محتدمة:
-سأتدخل لأن ابنتي تعيش هنا...بل وجعلتها تتشارك ذات الطعام مع لقيطة أهكءا تحترمون مقامها! .
سمعوا صوت ارتطام الباب فتمتمت نور بقهر وهي تشير لجمانة : كانت تسمع.
اعتصر مراد قبضتي يديه كيلا يفلتهما على هذه الحرباء وقال بغضب:إذن احفظي مكانها كي تتشاركه مع لقيطة خذي ابتتك معك عندما تخرجين...وعندما تتعلمان احترام البيت الذي تعيش فيه أعيديها...بل وعندما تتعلم ابنتك أن اسرار البيت تبقى في البيت .
شهقت أليسا وانهمرت دموعها بصدمة وصرخت فيه عبير
-لا يا مراد لا.."
فهتف بتهديد:
- كلامي نهائي ...وعندما أعود سيكون كلامي قد نفذ.
ثم ولى عنهم وخرج من المنزل يدور بعينيه الحديقة فأدرك أنها قد خرجت للشارع....استقل سيارته واندفع كالمجنون باحثاً عنها...لن تضيع مجدداً..لن

تضيع من بين يديه بسبب تلك الحرباء اللعينة ..وهو يعرف حتماً جمانة أسرع بسيارته حتى رآها تسير على الممشى الذي تحوط جانبيه الشجيرات فتوقف بسياته ونزل مسرعاً متوجهاً ناحيتها...كان البرد محتدم في الخارج ..تتلاحق أنفاسها المضطربة ويرتجف جسدها نفورا و غضبا... نادها فتوقفت ولم تستدير كي لا يرى احتقان عينيها...اقترب منها ببطئ وهمس من خلفها: لن تهربي مجدداً.
استدارت ناحيته وقد ضربته عيناها الدامعتين في مقتل: ويبدو أنك عرفت سبب هروبي الدائم..نحن في مجتمع ينهش جسد الضعيف.
- أنا هنا جمانة...أنا معك بكل خطوة وكل لحظة وكل"
لا تكمل مراد ...أشكر مشاعرك النبيلة تجاهي، واشكر اهتمامك ودفاعك المستميت عني لكنها محقة بكل حرف نطقته...ما أنا إلا فتاة ميتم لم تتلقى تربية ولا أدب بل تلقت الضرب والهمجية ..حتى صارت تصرفاتي همجية وإجاباتي مجرد وقاحات متلاحقة عالمكم بعيد عني ...بعيد جداً، لعل الأفضل أن احترم هذا الأمر واكتفي بما كتبه الله لي .. سأعود إلى حياتي الماضية ولن امنع أحداً من زيارتي طبعاً،
ضحك مراد عاليا ثم وضع كفه على جبينها مازحاً: أأنت محمومة!! أأصابتك الحمى حتى الهذيان!
ضربت كفه بغضب: لا تتواقح "
الوقاحة ليست حكراً عليك "
ثم اقترب منها وخلع معطفه ووضعه على كتفيها الهزيلين وقد أدرك أنها ترتجف من البرد وشد بقبضتيه على ساعديها منحنيا بجذعه ليجاري قامتها القصيرة: الدرس الأول يقول ...إن تعرض أحد أفراد العائلة لمشكلة ، ستتضامن العائلة جميعا في سبيل إخراجه منها، من اللحظة التي دخلت فيها ذلك المنزل أصبحت جزءً منه، ولن تعودي حتماً لهذه التصرفات التي تدفعك بعد كل مشكلة للهرب والاختفاء لأنك لم تعودي وحيدة..أنت تنتمين لعائلتنا..أأعيدها مجدداً...تنتمين عدا عابد وآدم...تنتمين إلينا لعبير لنور وعسل

وإلي..ومستعد لأجلك أن أحرق من يتطاول بقول أو فعل
طبطبت كلماته على فؤادها لكنها أجابت:
- لن تبرر لكل من تقابله عن هويتي ومن أكون...وستصبح مجبراً على إعادة الماضي مراراً،
-لست مجبراً على تبرير شيء لأحد..جمانة افهمي جيداً..ليست عائلة المنصور من تهتم لحديث الناس... وخاصة أنا...
منذ اللحظة التي رأيتك فيها لم أكف ليلة عن التفكير فيك.
شردت في نظراته...في دفئ حروفه وصدقها...وفجأة ظهرت إليسا بينهما في مخيلتها أغمضت جسور التواصل التي تقتحم روحها وهمست باضطراب: عد لزوجتك يا ابن خالتي ولا تدعها تخرج منه مهما كان السبب...أرجوك، أليسا لا ذنب لها فيما حصل .
انكبت بداه على جانبيه وقال آمرا: اركبي السيارة إذا..وعودي إلى غرفتك ..سنتكلم لاحقاً.
-ورأيي لن يتغير ليكن بعلمك"
ضحك بقهر : لا تغيريه لا أنتظر منك شيئاً.
ثم همس بينه وبين نفسه: دعيني أحبك فقط ولو بيني وبين نفسي..,رجعا سويا إلى الفيلا حيث كانت عبير تجلس بالصالة بتوتر وما إن أقبلا حتى خلعت جمانة معطف مراد لكنه لم يستلمه منها بل توجه بنظراته لأمه وسأل: هل غادرت؟
- تعرف أني لن لها أسمح بالمغادرة " قالتها بتحد لابنها الذي هز رأسه: حسنا فعلت لكنها تحتاج إلى التأديب "
ثم تجاوزهما وصعد غرفته مقتحما إياها حيث كانت إليسا تبكي على السرير فقال بهسيس: -كلمتان فقط يا إليسا..تأكدي أن علاقتنا لن تعود كالسابق حتى تتعلمي احترام غيرك"
سألته من بين شهقاتها المتلاحقة: ما الذي فعلته!!
- بعد إيصال أسرار هذا البيت لأمك تسألين ماذا فعلت!. هذه الغرفة

لك...اشبعي فيها حتى تتعلمي احترام قواعد واسرار المنزل الذي تعيشين فيه.
وخرج مغلقا الباب خلفه بعنف"
لتنكب على السرير من جديد وقد تعالت شهقاتها الباكية .. وصدق مراد في تهديده لأسبوع كامل لم يطأ غرفته ليلا...ولم تفهم عبير ما الذي استدعاه للغضب بهذا الشكل..أو عرفت ولم تصدق وكذبت عيناها عما شهدته من نظرات ابنها ودفاعه المستميت عن جمانة ،
وإليسا لم تكن بأحسن حال بل زلت تختجز نفسها اغلب الأوقات في غرفتها لا تقدر علىمزاجه. أحد وخاصة جمانة أصل المشكلة ،
حتى طرقت عليها جمانة الباب ودلفت لتلاقيها عينا إليسا المحتقنتين بدموع لم تفهم جمانة كيف لهذه البنت أن تمتلك مخزونا كبيراً من دموع لا تنضب!
اعتدلت اليسا عن سريرها وهتفت فيها: خيرا!
فاقتربت منها جمانة وحدثتها بجدية : علينا أن نتكلم يا اليسا ..
لكن اليسا بعنادها الطفولي استدارت مجددا عن جمانة وغطت نفسها باللحاف : لا شيء نتحدث بشأنه اخرجي رجاء اريد أن أنام.
اقتربت منها جمانة وكتفت يديها على صدرها بتحد: اسلوب الهرب هذا لن ينفع ...استديري وواجهيني لنحل المشكلة.
-مشكلتي ليست معك جمانة "
قالتها بشكل هامس وهي ما تزال تذرف الدموع فقالت جمانة وهي تجلس بجانبها على السرير: -مشكلتك مع نفسك يا إليسا...اعذريني لكن هذا ما أراه...يدلا من أن تواجهي تتخذين الوسيلة الأسهل والأضعف.
اعتدلت اليسا وهي تمسح دموعها وهتفت بغضب : ماذا تريدين مني ؟
تنهدت جمانة وقالت مشددة على حروفها: -اسمعيني أيتها المدللة ..أنا لا أعرف لماذا وضعتني برأسك منذ مجيئي لكن لأقول لك كلمتين ،: لا خوف مني...اطمئني،
ضحكت أليسا بعصبية وهتفت فيها: ونظراته بماذا تفسرينها إذن!
أجابتها جمانة بجدية : نظرات تعاطف طبيعية جداً لفتاة ظن الجميع أنها ميتة

واكتشفوا بعدها بالصدفة أنها ما تزال على قيد الحياة...بعد عشرون عاماً كيف ستكون نظراتهم ..وبالأخص زوجك فأنا كنت أعمل لديه كموظفة قبل أن يكتشف الحقيقة...اسمعيني يا إليسا ولا أتكلم لأجل نفسي لكنني صدقا لست متفرغة لغيرة النساء...وأنا أصلاً لا أملك من مقومات النساء التي تجذب الرجال" رمقتها اليسا بانزعاج فسحبتها جمانة من يدها لتنزل عن السرير غصباً حتى وقفتا أماما المرآة...وقالت جمانة بجلادة :

- انظري جيداً ...يا عمياء القلب والعقل، هل سيترك هذا الجمال لأجلي برأيك! بدلاً من أن تحتجزي نفسك وتلوميني لذنب لم أعرف ماهو حتى اللحظة تحركي ناحية زوجك وحاولي استرجاعه..وأعيدها لك لا مصلحة لي مع زوجك الغالي اختفظي فيه لنفسك واشبعي به ولا تدعيني انشغل بكما ضحكت جمانة وتبسمت أليسا وهي تكفكف دموعها فأمسكت جمانة المشط وأجلست إليسا على الكرسي وبدأت بتمشيط شعرها ،

ثم همست وهي تناولها مساحيق التجميل:

هيا تجهزي وانزلي فزوجك ينتظرك في الحديقة الخلفية ،

انفرجت عينا إليسا وغنغمت بعدم تصديق: حقاً أيعني...أيعني أنه سامحني! لماذا لم تخبريني قبلا!

فابتسمت جمانة وهي تحدق فبها عبر المرآة ورفعت كتفيها ببلادة: وكيف سأخبرك وأنت كالباندا تنتحبين! تجهزي وانزلي هيا.,وفي الأسفل كان يجلس وهو يهز قدميه بتوتر .. يعيد قراءة حروفها المختصرة : لاقيني في الحديقة الخلفية بعد نصف ساعة"

أسرعت إليسا بوضع اللمسات الأخيرة فاكتحلت ثم نهضت وجمانة تراقبها بشفقة جلية ...دارت إليسا حول نفسها : كيف أبدو؟

- جميلة جداً...هيا كلا تتأخري..

فاقتربت اليسا منها وعانقتها : أنا آسفة آسفة لكل ما بدر مني يا جمانة ،

ابتسمت جمانة بتشجيع وغادرت الغرفة فلحقت بها إليسا بتوتر: تعالي

معي...رافقيني أرجوك ..إني..أشعر بالارتباك .
- أمجنونة أنت! أرافقك لتصالحي زوجك؟!
ابتعدي عني وإلا ركلتك وجعلتك تتدحرجين عن السلم ..
أخذت أليسا نفساً عميقاً تستعد لمواجهته بعد أن ابتعدت عنها جمانة وأغلقت باب حجرتها..
خطت الحديقة الخلفية وهي تضم الشال الصوفي على كتفيها وسارت بتؤدة ناحيته...
كان يقف شامخا يدخن... رافعاً وجهه يطالع السماء الملبدة بالغيوم الرمادية وسط السماء الداكنة لكنه شعر بخطواتها...اشتم أنفه عبير عطرها ليهمس باضطراب دون أن يستدير : تأخرت..أيتها الجنية العنيدة .
جنية! أغفلت إليسا هذا اللقب الغريب وتقدمت منه حتى وضعت كفها على كتفه .
- وهمست بخنوع: اشتقت لك... جدا
تمزق وتينه وانتفض مستديرا ليحدق فيها بصدمة شلت حركته فأردفت أليسا : آسفة لتأخري...وآسفة على كل ما جرى..
تراجع خطوة إلى الوراء عن مرمى كفيها عندما حاولت لمسه وهدأ من أعصابه المشدودة وتمتم باضطراب: المهم ..أنك قد اعترفت بخطأك.
-عرفته مرادي...سامحني.
واحتضنته ليستكين فؤاده وصار يمسح على شعرها الأحمر الثعلبي الطويل ..وعيناه مرتكزتان على نقطة واحدة فقط...تقف فيها جمانة بشرفتها تراقبهما كجنية وقحة لئيمة حقيرة ،
ظل يشتمها بما يحتمل قاموسه من شتائم وهو يغمض عينيه ويفتحمها...على ذلك المقلب السخيف الذي أعدته له حين لرسلت له رسالة بأن بلاقيها في الحديقة فأرسلت له زوجته مزينة ومتعطرة !
سأربيك يا جمانة...سأربيك من جديد"
صرخ عقله بهذه الكلمات قبل أن يرفع وجه إليسا بأنامله غير مبال باحتقان

وجه جمانة التي أخفضت رأسها خجلاً من قبلته لزوجته وهربت من الشرفة لغرفتها وأغلقت الستارة بعتف وهي تتمتم:
- الوقح....فعل فعلته وعينه بعيني! يستغل زوجته ! الوقح أمامي يستغلها! ,*******

,40
جلس الجميع على مائدة العشاء وبينهن جمانة التي تحاشت نظرات مراد الوقحة منذ أيام .. منذ ذلك الموقف الذي وضعها فيه دون خجل أو حياء...وكأنه يرسل تهديداً صريحاً لها.
ابتسم بلطافة الذئاب رغم آلام صدغه العنيفة ونهض مستأذنا ليستريح في غرفته بعد يوم عمل طويل ..
وبعد أن فرغوا من الطعام طلبت عسل من جمانة الخروج قائلة : تعالي لنلعب بالكرة"
استدارت جمانة ناحيتها مجيبة : حسناً أيتها الجميلة لكن سأغير ملابسي وأعود
فقالت نور: سنلعب جميعاً إذن",أما أنا فسأكون الحكم: نطقتها إليسا بابتسامةٍ واهنة جراء إرهاقها ثم أمسكت كف عسل قائلة : -هيا يا جميلة لنحضر الكرة ونخرج للحديقة "
توجهت جمانة إلى غرفتها لتستبدل ملابسها بأخرى مريحة لتستطيع التحرك بحرية ..
تطلع آدم تجاه نور الجالسة قبالته على طاولة الطعام قائلاً بمكرٍ وبصوتٍ خفيض : - الكل قد غادر ...تركونا بمفردنا نوارة ! "
حدجته نور بنظرة استنكار لتنهض من أمام الطاولة لتتبع اليسا فنهض ورائها فوراً : إلى أين ابتها الغزالة الشاردة؟ أنا لم أصدق أن نبقى بمفردنِا "
ضربته نور على كفه بحرج، فتطلع حوله قليلاً ثم ما لبث أن سحبها من يدها ناحية الحديقة لتنهره بصوتٍ خفيض:

-أيها الأبله اترك يدي !"
لكنه لم يستمع لها بل جذبها أكثر ليسيرا حتى ثم توقفت أسفل شجرة التفاح : أسبوعٌ يا ظالمة ولم أتحدث معك على انفراد ! اشتقت لكِ "أشاحت بوجهها عنه بخجل ليردف وهو يتطلع بإليسا وعسل اللتين تقفان على الجانب الآخر بجانب المسبح لتلعبا برويةٍ لحين نزول جمانة :
- تعرفين ما الذي يتحدث فيه حالياً والدي مع والديكِ ؟
ضيقت عينيها مستفهمةً ليهمس لهما بخبث :
-سيزوجوننا فوراً ليداروا الفضيحة " شهقت وهي تلطم صدرها برعب : ويلي!! فضيحة!! أي فضيحة أيها المعتوه ؟!"تبسم قائلاً : كنت قد أخبرت والدتك سابقاً برغبتي بإسراع ترتيبات الخطوبة والآن والدي يتحدث مع والدك بهذا الموضوع وربما نتزوج سريعاً أيضاً..من يدري"
جمدت تطالعه بارتباك : لكن دراستي ! الجامعة ستفتح أبوابها بعد شهرٍ فقط " قال بجدية:
-لذلك أريد أن نرتبط قبل أن تلتحقي بها كيلا تتفرغي لاحقاً" تطلعت فيه بعدم فهم ليردف : -وكيلا يتجرأ أحدهم على الاقتراب منكِ وإزعاجك، لا داع للتأجيل أكثر" "أخذت نفساً عميقاً قائلة برفض : اسمعني آدم.. لن أستطيع الزواج وأنا أدرس، لربما تكون خطوبةٌ فقط لحين انتهائي لكن زواج لا أستطيع مستحيل " بان الانزعاج على وجهه ليقول: أأنتظرك لخمس سنوات أأنت جادة !!
-لن استطيع التوفيق بين الدراسة و أعباء المنزل وهذا قرار نهائي لا نقاش فيه"
"استبدلت جمانة ملابسها لبنطالٍ رياضيٍ رمادي اللون وكنزةٍ بيضاء عريضةٍ ذات أكمامٍ قصيرة
فتحت الباب واندفعت خارجةً منه لتصتدم بهذا الجبل الجليدي أمامها" شهقت بفزعٍ وارتدت إلى الوراء وتمسكت بقميصه قبل أن تنزلق فأسندها براحه يده من خاصرتها...جمد هو بمكانه بتفاجؤ فقد كان متجهاً للأسفل ليجلب الماء كي

يتناول دواءه فآلام رأسه قد ازدادت"
-أنت! "قالها بارتباك فهتفت فيه وهي تدفعه من صدره بعدما استعادت توازنها :
-اللعنة على خروجك المفاجئ يا أخي ..أأنت جني!!
انفرج حاجباه مبتسماً: ماذنبي أنك أقصر من أن أراك !
فتقدمته بغيظ: وأنت أطول وقح قابلته.
- الوقح من يتلصص على رجل يقبل زوجته.
احتقن وجهها بخجل ولعثمة وهتفت فيه وهي تهبط السلم وراءه: لم اتلصص..كنت في شرفتي.
استدار فجأة قبل أن يصل للدرجات الأخيرة فقابلها وجها لوجه وابتسم..ابتسم ابتسامته الملتوية المقيتة التي لا تفهم ما يخفي خلفها...ما يزال يبتسم كمعتوه ءو عينين لامعتين ماكرتين مقيتتين فتمتمت بصوت خفيض: أتعلم ما اجمل شيء في كونك ابن خالتي ..
ازدادت ابتسامته وقد دغدغت هذه الكلمات قلبه لتردف جمانة بذات الصوت الهامس: أنني أستطيع شتمك بحرية ودون قيود...وعندي قاموس شتائم ستبهرك.
قال ببلادة وهو يفترسها بعينيه: هات...أبهريني
فتحت شفاهها وضمتهما مراراً مغتاظة منه ومن بروده ثم دفعته ومرت : مجنون...معتوه!
فضحك باستمتاع وهو يلحق بها :
-من عاشر القوم شابههم.,خرجت جمانة مسرعة لترمي لها إليسا الكرة فالتقطتها ببراعة وما إن رأتها نور حتى هرولت باتجاهها تاركةً آدم يغلي من الغيظ لموضوع كانت قد أغلقته دون نقاش، بدأت الفتيات باللعب وسط النظرات الحارقة العاصفة التي تنطلق من حدقتي آدم ومراد الذي خرج كذلك ليستند على الشجرة وهو يعقد ساعديه أمام صدره.. أخرج مراد لفافةً ليدخن فانتشلها من بين أصابعه آدم وأقحمها في فمه وقام بإشعالها لتنفرج عينا مراد

دهشةً : -مابك؟
حدق فيه نظراتٍ مشتعلةٍ وأجاب باقتضاب : ستصيبني شقيقتك بالجنون "
وعلى الرغم من مشاعر الغضب التي تظلل مراد كذلك بسبب جمانة إلا أنه أطلق ضحكةً رنانةً لا تناسب الموقف بتاتاً ليحدق به آدم بحنق : يا لبرودك يا أخي !!
-ما الذي جرى؟
- أقول لنتزوج الآن فرمت بي لخمس سنوات حتى انتهاء الكلية التي لم ترتدها بعد! أيوجد جنون أكثر من ذلك!
تمتم مراد بيأس: يوجد...والله يوجد.,دقائق مرت كانت نور وجمانة ما تزالان تلعبان بالكرة حتى بعدما جلست عسل بجانب إليسا التي تعبث بهاتفها... اقتربن سيارة كريم لتعبر بوابة الفيلا الحديدية ليتنبه مراد ويزفر زفرةً قوية ...كان قد أخبره بأنه سيحضر لكن لم يتوقع أن يأتي بهذه السرعة ,ترجل كريم وشقيقته رهف من السيارة برفقتهم جيرين ..لتتوقف الفتاتان لبرهة لاستقبالهم كان كريم كعادته يرتدي بنطالاً رياضياً و معطفاً تركه مفتوحا لتبان تلك الكنزةٍ القطنية الحمراء القاتمة التي تبرز عضلاته الجلية، انفرج حاجبا جمانة وهي تطالعه كعادتها بإعجاب شعرت بسعادةٍ تدغدغ فؤادها لاقترابه وهو بدوره انفرجت شفتيه عن ابتسامةٍ هادئة..كان قد مر وقت طويل مذ رآها آخر مرة ...في الليلة التي عادت فيها لعائلتها ولم يدرك أنها كانت تشتاق لسماع صوته لا مجرد رسائل قليلة يتبادلانها قبل النوم لأيام مضت ...وكان يشعر بالمثل ..وربما أكثر قليلاً..لكن الأوضاع لم تكن مناسبة لكليهما.,-مساء الخير, جمانة أليس كذلك؟
تسائلت رهف وبسطت كفها لمصافحتها فأومأت لها جمانة ليقول كريم بسرعة : شقيقتي رهف. اتسعت ابتسامة جمانة وهي تطالع رهف بترحاب ثم اتجهت بنظراتها لتلك الشقراء الجميلة التي تقف بجانب كريم فقال معرفت: إنها جيرين ابنة خالتي.
لترحب بها جيرين التي اتسعت ابتسامتها وهي تستدير ناحية كريم وتحدثه :

إنها جميلة جداً ياولد...لكنها قصيرة عليك!
حدجها كريم نظره غيظ وقال مخاطباً جمانة التي لم تفهم حرفاً مما نطقته جيرين وقال مصححا: تمدح بجمالك..إنها من تركيا وقادمة في زيارة .
ولكنك ..تعرف! قالتها جمانة باستغراب فهذه المرة الأولى التي تعرف أنه يتكلم التركية فأجابها: والدتي تركية كنا هناك حتى المرحلة الإعدادية ثم انتقلنا إلى هنا...في الوقت ذاته الذي كانت فيه والدتك هناك.
شردت جمانة بكلماته فأردف : سأشرح لك لاحقاً انتفقنا.
انزاح بنظراته على نور وحياها باقتضاب دون مصافحتها لترده له كذلك بابتسامةٍ هادئة بينما تقدم آدم ومراد ليلقيا السلام على كريم.
وجلس الجميع أمام الطاولة يتجاذبون أطراف حديث مبتور...لا مزاح فيه وكل شخص منهم يلتمس تهديداً خفياً من الآخر..كانت جلسة غريبة جداً .. باردة وليس كما اعتادوا أن تكون ..
وأيقنوا هءه اللحظة أنهم كبروا...كبروا لدرجة اختناق البراءة التي كانت تطل من عيونهم في الماضي...اوراق الجميع كانت مكشوفة جدا.. نظرات نور التي استهجنت تجاهل كريم المتعمد لها...بل هو تجاهل متعمد ومقصود فما عاد ذلك البريق الذي رأته مراراً يظهر في عينيه..بل صار شيئا آخر ..ولا تنكر أنها اشتاقت لأكثر شخص كان يسمعها ويساعدها ...افتقدته جدا.
وآدم كان ينتظر غلطة من كريم ..فقط غلطة أو نظرة خارجة تجاه نور كي يقلب الطاولة على رأسه لكنه كان طبيعياً بطريقة اثارت فضوله..ومراد لم يكن بأفضل حال منه وهو يتنبه على نظرات إليسا المتفحصة لي...تكاد تعد عدد رمشات عينيه وأدرك أنه محط مراقبة منها!
خلع معطفه حينما شعر بأنها ترتجف من البرد فوضعه على كتفيها زحدق تلقائيا في جمانة ولباسها الخفيف وتسائل باستغراب: وأنت ألا تشعرين بالبرد!
هزت جمانة رأسها لتضحك نور : أي برد يا مراد إنها تلعب الملاكمة والكارتيه..فأي برد ستشعر به وهي تلعب هذه الرياضات العنيفة!
حدق الجميع فيها باستغراب ليضحك كريم : أنت!

ظهر الانزعاج على وجهها لتسأل : وما الغريب؟
اشار بكفه قائلا : اعذريني لكن ..أنت شبر ونصف أي مباراة عادلة ستخوضينها! ولا أقصد الإهانة .
-لا تستخف بقدراتي .
-سنخوض مبارة ذات يوم إذن التجربة أكبر برهان ،
تعلقت عيناه فيها لم تنتبه على نور التي احضرت شالا صوفيا إلا حين دثرتها فيه فشكرتها وفكرها مشغول بما قاله عند حضوره... كان بتركيا!
تركيا حيث كانت والدتها...عائلتها جميعها قبل الحادث الذي بسببه تدمرت حياة الجميع...
سألته : أنت تعرف أمي..
اعادته جمانة للموضوع مجدداً واستدار تجاه آدم الذي حدق فيها كذلك ،.يستحضران ماض بعيد جداً، جداً لا يذكر منه آدم سوى خيالات .
أومأ لها كريم وابتسم ابتسامة دافئة وسط صقيع البرد....أعرفها...وأعرف جمانة الرضيعة بل وحملتها بين ذراعي ذات يوم...
ضحك وهو يشير لكفه : كنت هكذا ..صغيرة جداً، ناعمة جداً،
اضطرب صدر جمانة وهي تحدق فيه...بصدق حروفه وذاكرته المتينة حيث كان طفلا لا يتجاوز العشر أعوام...واسترسل بالحديث وكأن الجميع اختفى من حولهما عداها...ولم يكلف نفسه عناء إزاحة نظراته عن عينيها الدامعتين..
أردف : كانت أمك جميلة جداً يا جمانة ..جميلة وراقية ...وحنونة جداً.
أما هذا الأحمق فكان يعاني من فرط النشاط ودائماً ما كانت والدتك تشكو منه .ضحكت وهو يشير ناحية آدم الذي قبض على كف شقيقته باسما.
لتهمس باضطراب: أنتم...تفاجؤنني في كل يوم.
ليؤكد مراد بقلب منقبض وقد أدرك وفهم ووعي لنظرات جمانة جيداً تجاه كريم : الحياة مليئة بالمفاجآت.
اردف كريم بعبوس: رأيتكم لآخر مرة ...قبل موعد رحلة بحرية ...كانت ترتدي فستانا زاهي اللون وتحملك بين يديها . مددت يدي لألاطفك فقبضت

على اصبعي بكفك الصغيرة...وضربني آدم لأنه غار عليك مني ..وأذكر جيداً أننا تعاركنا ذلك اليوم.،,همست جيرين بغضب وهي تبكز رهف: هياااا اكملي الترجمة يا مختلة ! لم اعد افهم شيئاً!!
تجاهلتها رهف وابتسمت دامعة العينين ليردف كريم : لأنك كنت دائماً تكسب تعاطف الجميع..حتى صرت تحاول الاستيلاء على كل شيء...حتى لو يكن يخصك ..بل وليس من حقك.
اكفهرت معالم آدم وقال بهسيس: طوال عمري...لم أطالب بشيء ليس من حقي.
بدأ الجو بالتوتر من جديد لاحظته جيرين ورهف التي تمتمت الله يستر!
وسرعان ما نهضت جيرين مع أنها لم تفهم شيئاً مما يقولون وخاطبت جمانة على عجالة: تعالي..لنعد العصير ما رأيك .
لم تفهم جمانة ما قالته جيرين التي أردفت :
وأنت كريم أريدك للترجمة ...فلن أقدر على التفاهم مع أهل الدار .
حدجها كريم بانزعاج: رهف تتكفل بالأمر .
لكن جيرين تطلعت برهف محذرة لتتمتم رهف بامتناع: يفضل ان تذهب أنت... من بداية الجلسة وأنا اترجم لها جف حلقي! .,نهضت جمانة على مضض وكادت نور أن ترافقهم لكن رهف قبضت على كفها: أستتركيني لوحدي!
لترتد جالسة وقد جاءت تحذيرات عيني آدم واضحة لها كذلك...اجلسي مكانك!
وتحركت جمانة برفقة جيرين وكريم ناحية المطبخ لتبدأ جيرين بإعداد العصير بأريحية وبطء بينما توجهت جمانة لتحضير قطع الحلويات لتستدير ناحيتها جيرين بمكر وترفع صوتها
Jumana.. Karim seni seviyor
.Jumana..Karim seni çok ama çok seviyor
سقط الكوب البلوري من يد كريم واستدار ناحية جيرين التي تبسمت بشقاوة لتتسائل جمانة بعفوية: ما الذي قالته! لا أفهم.

لتحدق فيه جيرين بخبث هيا ترجم واعترف بأنك تحبها ، جداً،.ترجم بأمانة وصدق ،
ليجز كريم بأسنانه بغيظ: لا تتدخلي جيرين، الأمر لا يحتمل المزاح.
توقفت جمانة بينهما حائرة لا تفهم ما يقولان
فاستدارت جيرين ناحيتها وتحدثت بلغة عربية ركيكة جدا: كريم...يهبك !
ضيقت جمانة ما بين حاجبيها ثم توسعت حدقتا عينيها واستدارت ناحية كريم الذي ضبطته متلبساً وهو يحدق فيها ...بشرود وغيظ بآن معا من جيرين التي غمزت لها وأخذت صينية العصير بعدما صبتها في الكؤوس وخرجت وهي تحادث كريم: الموضوع بعد الآن عندك.
خرجت من أمامهما لترى جمانة نفسها وحيدة معه ..كانت هناك حرب شعواء بصدره..يريد الاعتراف لكنه خائف من أن تكون هذه المشاعر مجرد رد فعل طائش...يعرف مشاعره لكنه خائف جداً..خائف من تجربة فاشلة جديدة قد لا ينهض بعدها..
حملت جمانة الصينية وقد فهمت شراسة ما يعانيه ..لكنه توقف قبالتها أمسك الصينية ووضعها على الطاولة : لا تهربي...بعد كل مواجهة
أشاحت بنظراتها عنه قأردف مازحاً: لي عندك مطلب اتذكرين...حينما تسابقنا على الشاطئ.
فهميت بارتباك:
نعم..حينما حصلت على الحماقة بمرتبة الشرف
-حسنا اذا جمانة عرفت ما سأطلب منك...
-وما هو؟
-اقبلي دعوتي على العشاء ليلة الغد.
ثم أردف بابتسامة: نتناول الشطائر عند مريومة.
ضحكت بصوت عال وهزت رأسها بنفي...شطائرها بلا طعم كما اخبرتني.
إذا نذهب لمقهى العم عبد الحكيم...اشتقت لشايه.
- لكنك لم تتذوق الشاي عنده بل القهوة.

فاقترب منها هامساً : إذا نشرب القهوة...الشاي الكمون الليمون...أي شيء ترغبين فيه، المهم أن نكون سويا...ونتحدث
تعالت ضربات صدرها المضطرب التمست جديته بالحديث وارتبكت كعادتها تريد الهرب الهرب فقط من هذه الأجواء الغريبة والمشاعر التي ما عادت تعرف كنهها..هل يريد الشفاء من نور عن طريقها..أم هل بدأ يحبها فعلاً ...هل يتسلى أم هل هو مشفق!
لا تعلم ...ظلت صامتة متوترة حتى اندفع مراد إلى المطبخ فجأة فتراجع كريم خطوتين إلى الوراء فأبطأت حركة كريم وهو يحدق فيها بصدر منقبض، توجهت جمانة ناحية الصينية وحملتها من جديد خارجة من المطبخ ليستكمل مراد طريقه ناحية كريم : ما. بها البنت! وجهها أصفر .
لم يحبه كريم بل خرج من المطبخ ناحية الحديقة
ووقف قبالة جيرين ورهف : ستغادران لأقلكما في طريقي أم أنتما باقيتان هنا؟
- هل كل شيء على ما يرام يا كريم؟
سألته رهف بقلق فأجاب : طرأ لي عمل مستعجل .
لتنهض رهف وهي تسحب جيرين : حسناً..إذا سنغادر ،
ثم أردفت نور : حسناً..سنجهز اللازم وننطلق غداً صباحاً،
لتسأل جمانة: إلى أين .
- إلى شاليه البحر ...سنقوم بالشواء مضى وقت طويل قبل أن نذهب في رحلة ...ومنها تتعرفين على أبناء وبنات أعمامي وباقي العائلة.
غادر كريم وما هي إلا لحظات وصلت جمانة رسالة مختصرة: بيننا حديث لم ينته" ,بعد عدة ساعات نادته عبير وهي تدلف لغرفته فأجابها مراد دون أن يزيح ساعده عن جبهته : -ماذا هناك أمي ؟,- أنت بخير ؟ أخبرتني أليسا أنك متعب ولن تنزل للأسفل.
-بسبب ضغط عمل " طقها ببرود لتتقدم منه بعدما شعرت بالقلق من تغيره الملحوظ منذ فترة فجلست بجانبه على السرير :
-ما بك؟ هل أنت منزعجٌ من شيء"

أزاح ساعده عن جبهته وأجاب وهو يتطلع لأعلى ناحيتها: مجرد صداعٍ فقط "
مسحت على شعره برفق وهي تقول بسأم:
-ألم ينتهي هذا الصداع المزمن منذ ايام!
فقال ساخراً: ويبدو أنه لن ينتهي ..
سألته بتردد وبقلب الأم الذي أدرك شيئاً:
-السبب جمانة ؟
توقفت للحظاتٍ أنفاسه داخل صدره، لم يستطع حتى إخراجها لتردف بذات الهدوء : بني...أخبرني بمشكلتك لربما وجدت لك حلاً.
اعتدل فوراً بمجلسه مجيباً :وما دخل جمانة ؟
لا يوجد..شيء لأحكيه مجرد صداع وسيزول.
تبسمت مجيبة : بلى يوجد..ويوجد الكثير لتحكيه، مزاجيتك وحزنك واضحين" والآن انظر لحالتك تنبهتُ جيداً لنظراتك لها طيلة فترة مكوثها هنا.. كنت أرغب في محادثتك منذ مدة لكن..
ادار وجهه ناحية النافذة مجيباً باقتضاب: نظراتي طبيعية جداً بالمناسبةً "
ربتت على كتفه قائلة باقتضاب: أتمنى أن يكون الأمر كذلك..لكن نصيحتي لك ألا تنجرف مجدداً ناحية هذه الأمور، إليسا تحبك فعلاً ولا تستحق منك هذا الجفاء، تحتاجك الآن أن تكون بجانبها تكون الأنثى في مرحلة الحمل حساسةٌ جداً وخاصة انها ما تزال صغيرة ..,تطلع بوالدته مكفهر الوجه : ولما تقولين هذا الكلام الآن؟ علاقتي بها على خير ما يرام "
قالها وتقدم ناحية باب الحمام هرباً من الحوار لكن والدته قالت بحدة: قد لا تشعر الآن لكن...الخيانة موجعةٌ يا مراد.. موجعةٌ جداً وأنت لا تستطيع حتى السيطرة على نظراتك !",توقف أمام الباب ودون أن يستدير قال بغضبٍ مكتوم وهو يشدد على حروفه : لا أخونها..لم أخنها بعد الزواج كفاكم تتهموني بالخيانة! ألن تنسوا الماضي !!",-لكن نظراتك تجاه جمانة دليلٌ كبيرٌ يدينك، ماذا لو تنبهت لها اليسا؟! أو السؤال هنا ماذا تريد من ابنة خالتك بالتحديد ؟
استدار بغتةً ناحيتها بعيونٍ استحالت لجحيم: -كفي عن هذا الكلام بحق الله أنا

مرهقٌ جداً "
-تحبها ؟ "
لسعته بسؤالها ليغمض عينيه مجيباً باستسلام وقد أرهقته المراوغة والكذب :الكلام سهل جداً ...نعم أحبها أحبها حتى قبل أن أعرف أنها ابنة خالتي، وأفهم أن زوجتي حامل، وافهم أنها تحبني و أعرف كذلك أني خائن..وغدٌ عديم للمسؤولية ووقح انعتيني بأي صفةٍ تريدينها لكنني أحبها، كلما ابتعدت عني تعلقت بها أكثر أتعرفين معنى ذلك أمي ! أتتفهمين شعوري !؟
"تنهدت والدته وقد اعتصر قلبها ألماً على حاله مسحت وجهها بكفيها ثم قالت بقوة: -ستنتقل أنت وإليسا لمنزلٍ آخر إذن"
تطلع بوالدته مبهوتاً لتردف بثقة: لا يصح أن تبقى تحت ناظريك لم يكن يجدر بك أن تنجرف وراء عواطفك بهذا الشكل، لكن فات أوان العتاب الآن، إن كنت تريد الشفاء منها فخذ زوجتك لمنزلٍ آخر واعتني بها..اعط لنفسك فرصةً لتنساها أو على الأقل اذهبا في هذه الفترة ..قهقه بغضبٍ قائلاً : هذا برأيك سيجعلني أنساها؟ أن أهرب وينتهي الأمر ببساطة، مرت عدة أشهر وهي بعيدةٌ عني تصدني بعنف ،.لكن لم يزدني البعد وهذا الصد اللعين إلا تعلقاً بها.
صرخت به حينها بانفعال :والآن هي تحت ناظريك كل يومٍ وتتعذب أكثر !!
ماالذي تريده إذن يا مراد؟ أن تتزوجها كذلك تريدها زوجةً ثانية!؟
-لا أعرف أمي، لا أعرف " قالها بغضبٍ وهو يفك أزرار قميصه ثم رماه حانقاً على الأريكة ودلف إلى الحمام لتعض عبير على شفاهها بألمٍ وغيظ منه...*****
وصلت السيارة أعتاب الفيلا ونزلت رهف
وكادت جيرين أن تنزل فهتف فيهما: ادخلي المنزل يا رهف..سأتكلم مع ابنة خالتك قليلاً.
اغلقت جيرين باب السيارة مجدداً وقد شعرت بأنها قد أغضبته جداً الليلة ..
أطفئ محرك السيارة واستدار بجسده مخاطباً إياها بشكل هادئ ظاهرياً مع أنه يغلي من شدة الغيظ: ستخبريني الآن لماذا تقحمين نفسك في حياتي بهذا

الشكل ..في كل مرة، تطلبين أن نتزوج بسبب إصراره خالتي وأمي ثم تهربين وتعودين والآن تقحمين جمانة بيننا وأنا ذاتا مشاعري ما تزال مشوشة ،
كادت أن تتكلم فأعقب محذراً: إياك والكذب ستخبرينني بكل شيء..
ضمت جيرين يديها على حجرها وظلت صامتة مدة من الزمن وهي تحدق بزجاج النافذة فقبض على المقود : ما زلت أنتظر بالمناسبة.
استدارت ناحية : لأنني أريد التخلص منك...هذا ما في الأمر.
-تريدين التخلص مني؟! وكأنني متلهف الزواج منك!
ضحك باستهجان فأردفت جيرين بغضب: لا علاقة لك وأعرف أننا مستحيل أن نجتمع لكن خالتك المصون لا تنفك تحكي وتصر على أهمية زواجي منك بسبب إرث وميراث وأملاك لا يجب أن تءهب لخارج عائلتنا وما إلى ذلك...لم تترك طريقة لم تفعلها مع أمك كي يقربوا بيننا وأنت تعرف...لكني لا أريد، اخبرتها مراراً أنني لا أريد الزواج أريد السفر لاستكمال دراساتي العليا في ألمانيا ..لكنها جنت وضربتني...وحينما سمعت بأنك ستطلب يد نور للزواج لم أصدق ورأيت أنها أخيراً ستنزل عن ياقتي لكن تعرف أنت ما جرى..
ضرب بقبضة يده على المقود: إذا كل هذا التدخل كي تتخلصي مني! تلخبطين حياتي وتحشرين نفسك في علاقاتي كي تتخلصي مني جيرين!
زمت شفاهها مازحة وقالت برجاء: ساعدني لننتهي من ذلك بسرعة ..حين عرضت عليك الزواج كنت أريد أن اكسب وقتا حتى يحين موعد الرحيل ..فقد قدمت أوراقي وقبلت لكن يتبقى أمر أمي التي لم تعرف حتى اللحظة أنني ما زلت ألاحق الأمر .
نزل من السيارة فتبعته....ليقول بعد برهة: انت مصيبة يا ابنة نازلي هانم، بلاء وقع على رأسي.
فضحكت وهي تتأبط ذراعه بمرح: أنت كيمو البطل مضاد للصدمات ستجد لنا مخرجاً.. في صباح اليوم التالي انطلق الشباند نحو شاليه البحر ..التقت جمانة بأفراد العائلة جميعاً في ذلك اليوم والجميع لاحظ ومنذ الوهلة الأولى اختلافها وخاصةً بما كانت ترتديه من بنطالٍ رياضيٍ وكنزةٍ زرقاء فوقها جاكيت من

القطن السميك رمادي اللون القت بقبعته لتغطية شعرها القصير فبدت غريبة الشكل ورغم ذلك فيها جاذبية تسر العين ..,في المساء تأبطت إليسا ذراع مراد ليتمشيا على شاطئ البحر بينما تعلقت عينا نور على آدم للحظاتٍ وغادرت ليحك آدم أرنبة أنفه وقد فهم إشارتها بأن يتبعها فهرول قلبه مرغماً ليستكملا شجارهما وهو يفكر فلربما يضرب رأسها السميك أو يرميها ناحية البحر ليلتهمها القرش إن عاندته مجدداً! , أما جمانة وبعدما كانت تلاعب عسل بالكرة ملت تلك الصغيرة وركضدت لتتلهى بشيءٍ آخر فتركتها وسارت قليلاً على الشاطئ قبل أن تجلس بعيداً على الرمال لتلفحها ريح الشتاء المحملة بعبق البحر وهي تفكر بوضعها الجديد رغم جماله إلا أنها شعرت بملل مقيت وهي لا تفعل شيئاً تقريباً سوى الجلوس بهذا المنزل وهي لم تعتد على هذا الأمر ...اصبح بداخلها نقص كبير لا يسده سوى بضع ساعات تعمل فيهم يومياً ،,كان كريم يحتضن كوب الشاي الساخن بين يديه وهو يحرك رأسه تلقائياً فمالت عليه رهف هامسة : ذهبت ناحية الجهة اليمنى " استدار ناحية شقيقته قائلاً بانزعاج : من ؟! تبسمت رهف بتهكم وأجابت : تعرف من أقصد فلا تدعي الحماقة َ" لكزها على كتفها فمدت له كوباً آخر وقالت : خذه لها و كفاك مضيعةً للوقت الكل منشغلون ",اختلج قلبه هذه اللحظة ليتبسم لرهف بامتنان ويمسك الكوب الآخر بكفه ثم مشى على الشاطئ متوجهاً ناحيتها، وما الأجمل من مشاعر جديدة تهاجم روحه بشراسةٍ غير مسبوقة، فعلاً لم يكن مخطئاً حينما سمح لنفسه بالانجرافِ مرةً أخرى وراء عواطفه..تنحنح عندما صار خلفها مباشرةٍ فرفعت رأسها ناحيته ليقول بعفوية : أحضرته لك سيشعرك بالدفئ " تناولته منه بامتنان ليجلس بجانبها ويضع الكوب على الطرف الآخر وشرد هو كذلك بالبحر الهائج وكأن الحروف قد ضاعت هذه اللحظة ..,جلست نور على الكرسي ليتقدم منها آدم ويجلس قبالتها بوجوم، رفعت رأسها ناحيته وقالت بشكلٍ مباغت : إن كنت تريد الشجار أو ناوياً عليه فلا داعٍ لنتحدث " رفع حاجبيه دهشةً وأجاب : لا أريد الشجار, لكني كذلك لم اقتنع بوجهة نظرك في أن نؤجل زواجنا لأجل دراستك "أطرقت

برأسها بتفكير ليقول بثبات : نور أنتِ تحبينني أم لا " اتسعت حدقتيها وقالت بدهشة : ما هذا السؤال السخيف !. ,حسناً سخيفٌ سؤالي لكني مصرٌ أن أسمع الإجابة " أشاحت وجهها عنه وقالت : أحبك طبعاً " تبسم بتهكم مجيباً : وهكذا تلفظينها بوجهي كمن يبصق !!
نهض من على الكرسي ومشى تجاه البحر وهو يضع كفيه بجيب بنطاله بينما صدره يعلو ويهبط بغضب.
.عضت على شفاهها بحرجٍ من طريقتها الفظة فلحقت به بخطواتٍ واثقة والتفت حتى صارت قبالته مباشرةً : آدم " نطقتها بخضوعٍ ثم رفعت رأسها بارتباكٍ ناحيته وهي تلكزه بإصبعها على صدره بخفة : لا تقطب حاجبيك بهذه الطريقة" لم يبد أي ردة فعلٍ لتردف بخفوت وهي تمسك بزاوية ياقة قميصه: أنا... أنا فعلاً أحبك، بل أحبك كثيراً ",دغدغت صدره هذه الكلمات التي نطقتها لكنه حاول التماسك قدر الإمكان أمامها... تنحنحت مجدداً لتردف: لا تكن قاسياً إسمع أنا أوافق على الخطوبة، كتب الكتاب إن أحببت كي تضمن بأني زوجتك شرعاً لكن ، أن نتزوج وننتقل لمنزلٍ مستقل وأنا أدرس أرجوك لا... أريد أن أعطي دراستي حقها، ثم أتفرغ للزواج ومسؤلياته ما نزال في بداية الطريق والمستقبل أمامنا",******,...قطعت جمانة الصمت بعد دقائق وهي تقول بصوتٍ خفيض : الشعور بالوحدة قبيح ٌجداً حتى اللحظة أخاف من أن يكون ما أعيشه حتى الآن مجرد حلم.. وسأصحو ذات يومٍ لأرى أني وحيدةً مجدداً .
ضيق كريم حاجبيه وهو يتطلع بها بينما تراقب نجوم السماء وتقول بدمعةٍ تلألأت بمقلتيها : آسفة لإزعاجك بثرثرتي",أحس بها هذه اللحظة بأنها ترتعش من البرد ليخلع جاكيته ويضعه على كتفيها هامساً : إرتديه أصبح الجو بارداً" تمنعت عنه : لا ستبرد أنت هكذا ! " هز رأسه نافياً : أنا لا أبرد "
وبعد أن ارتدته وغرقت به حرفياً تطلع فيها بهدوءٍ ليبتسم ثم صار يراقب البحر بدوره اشتمت رائحة عطره الراقي وذلك الدفئ الذي غمر جسدها لتحتضن كوب الشاي وتشربه

أتعرفين جمانة...,قالها كريم وأردف بعد برهة... طيلة سنوات...كنت أحبها، كثيراً ما تشاجرتُ مع شقيقكِ بسببها، ومع العائلة حتى ومع ذلك في كل مرةٍ كانت نور تصدني بقوة وعنف... طيلة سنوات وحبها يقوم بإحراقي شيئاً فشيئاً " ,أخذ نفساً عميقاً ليملئ به رئتيه وهي تتطلع فيه بإشفاق وحزن: هربت ناحية الخمر مع الأسف... ضعفت جداً طيلة الأشهر الماضية لكن ومنذ ...منذ أن رأيتك تغير كل شيءٍ بداخلي " استدار ناحيتها ليردف وهو يأسرها بحدقتيه : إعصارٌ جديد اجتاح كياني ليبدد الظلمة التي أغرق بها، استفقتُ على نورٍ جديد صرتُ ألاحقه بأمل.. لن أكذب عليكِ يا جمانة، ما زلت لم اتخلص من حبها نهائياً لكن... تلك الرواسب القليلة المتبقية أتمنى أن تساعديني على محوها فلن يستطيع غيرك ذلك "

جمدت ملامحها إثر كلماته الصادقة انتقل بأصابعه ناحية ذقنها ليردف بذات الهدوء: وأوقن أن حبك سيشفيني, بل.، بل هو شفاني حقاً، لا أفهم كيف ومتى ولما تعلقتُ بكِ بهذه السرعة ..لكن ما أنا موقنٌ منه أني بدأت أحبك اشتاق الحديث معكِ، النظر لعينيكِ...عينيك الساحرتين التين تحتويان أمانا غريباً ودفئا ظاهراً",كادت أن تنطق لكنه أردف بثقة : ولا تعتبري أن ذلك الشعور الجميل الذي اجتاحني ناحيتك هو مجرد ردة فعل بل هو شعورٌ حقيقي بل وحقيقيٌ جداً, أنا صادقٌ بمشاعري لا أستطيع إخفائها مع أيٍ كان ..,احنت رأسها إلى الأسفل إثر مجموعة مشاعر اجتاحتها حينها, ما بين حبٍ وأملٍ وحزنٍ وغيرة! بالعادة وما إن يبوح لها أحدهم بمشاعره تستشرس بعنف لكنها معه تصبح ضعيفةً جداً ! غرقتت بالتفكير وهو ما يزال يتأمل ملامحها المضطربة ، أمسك كفها بقبضته فأخذت نفساً عميقاً قبل أن تقول: أقدر مصارحتك أنا ، لا أنكر أنك الوحيد الذي استطعت السيطرة على مشاعري بهذا الشكل.. لربما لصدقك الدائم في الحديث.، ,اغتال كلماتها ليقول بسرعة: إذن صارحيني بمشاعرك تجاهي إن لم يكن هنالك أملٌ فقوليها ببساطةٍ لأنسحب من حياتك دون إزعاجك..أو بالأحرى كي لا أتعلق في وهم وسراب كما جرى سابقا فلن أتحمل صدمةً أخرى ", تطلعت فيه بارتباكٍ مجيبة وقالت

وهي تهز رأسها بنفي : بما أنك منت صريحاً معي سأكونزصريحة كذلك، أظنني معجبةٌ بك "
شد بقبضته على كفها أكثر بابتسامةٍ أسرتها وهو يسمع اعترافها له... وكم كان اعترافاً رائعاً يسمعه من فتاةٍ ولأول مرةٍ بحياته.
أردفت بعد برهة: لكن ومع ذلك وإذا تكلمنا بالعقل بعيداً عن العاكفة قد لا أناسبك يا كريم..
ضحك مازحاً: تقصدين من ناحية الطول أليس كذلك!
-لا..أقصد من جميع النواحي الاجتماعية والثقافية..أقصد العادات وطريقة الحياة المختلفة كليا عنكم...الإعجاب وحده لا يكفي لبناء علاقة ناجحة بيننا.
نهضت هرباً من نظراته التي انكبت عليها قائلة : هيا لنمشي قليلاً"
فنهض بدوره مستجيباً لها لكنه لم يفلت كفها من قبضته وكأنه يخاف من أن تهرب بعيداً عنه !! كان منظرها مضحكاً وهي تغرق بمعطفه الكبير لكنها بهذه اللحظة بنظره أضحت أجمل نساء الأرض وأشدهن فتنة، وكأنها الآن وهما يسيران تجمع أجزاءه من جديد لتعيد تركيب حياته التي انسابت منه سابقاً ..توقف فجأةً ووقف قبالتها : جميع ما ذكرته ماهو إلا وسوسات وقلق غير مبرر...اتركي نفسك على هواها لمرة...واستمتعي ببساطة هذا الإعجاب الذي تكنيه لي..حاولي تطويره لننجح..نحن خلقنا لنكافح ونناضل سعياً للنجاح العملي والعلمي وتطوير الذات..لماذا نقف عند الموضوع العاطفي ونتخفى خوفاً منه بل نتقهقر ونتراجع، كوني جمانة التي عرفتها القوية المجابهة المحاربة .
قالت بانكسار: القوة قد لا تنجح بأمر الحب..إن كسر القلب مؤلم جداً, رفع كفيها سويا بكفيه : لذلك علينا أن نحارب سويا يدا بيدا "
ثم لثم كفيها قبلةً طويلة وهو مغمض عينيه وسط اضطرابها .
ولم يلحظو زوج الأعين اللتين تراقبانهما بحقدٍ يطلُ من إحداهما وفرحٍ وتأثرٍ من زوج أعينٍ أخرى !! ,*******

تاه آدم بعينيها العسليتين..كم يبدو اعترافها عذباً من بين شفتيها، قلبت تفكيره, هذه اللحظة، شتتته وهي تتطلع فيه ببراءةٍ وبحبٍ جلي، ابتسم باستسلام أمامها، وكيف له ألا يرفع رايات الاستسلام أمام نهرٍ من العسل المصفى ! :
- كيف لك أن تشعلي غضبي وتطفئينه بمجرد كلمةٍ ونظرة! تسللت حمرة الخجل لتورد وجنتيها فأشاحت بوجهها عنه ليردف: أحبك و سأنتظرك لآخر العمر إن رغبتِ بذلك،لكن... سنكتب الكتاب، يوم الخميس القادم، وحين تكونين مستعدة للزواج ما عليك سوى إخباري .
******جمانة وكريم لم يلحظا زوج الأعين الذين يراقبانهما بحقدٍ يطلُ من إحداهما وفرحٍ وتأثرٍ من زوج أعينٍ أخرى !!
أن تكون تلك الجنية الجبارة أمام كريم بهذا الخنوع والاستسلام هذا ما لم يستطع مراد تحمله البتة، حرر قبضته من كف إليسا وقد تدفقت دماء الغضب لتغزو عروقه حتى كادت أن تتفجر
قابلت ابتسامته بخجل لتختلج ضلوعه هذه اللحظة، اندفع مراد بلا إدراكٍ ناحية كريم ليدفعه عنها بعنفٍ ثم صرخ بها بصوتٍ جهوري وهو يشد بقبضته على ساعدها ويجرها بجانبه: تقدمي أمامي يا محترمة "
-أبعد يديك عني أيها الهمجي " صرخت بها جمانة بحدة بعدما استفاقت من هذا الحلم الجميل الذي عاشته للحظاتٍ مع كريم وصارت تحاول الإفلات من قبضته لكنه قال بانفعال : تصرفات بنات الشوارع هذه لا تناسب عائلتنا يامحترمة"
صعقها بكلماته الحادة التي خرجت من فمه بألمٍ وقهر فتقدم منهما كريم ليصرخ به بحِدة :
-مرااد إتركها حالاً "تصارعت أنفاس مراد وأجابه وهو يكمل اجترارها معه

وإليسا تلحق به بخوف : لا تتفوه بحرفٍ أيها ال.،،." ,شهقت إليسا بصدمةٍ لكلمته النابية التي انطلقت كالسهم من فمه وبلحظةٍ كان كريم قد اندفع تجاه مراد ودفعه دفعةً عنيفة ليطيحه على الأرض، اعتلاه وتشبث بقميصه يهتف به مشدداً على حروفه : اغلق هذا الفم وكفى تجاوزات غبية أمامهن أيها الأحمق، إهدأ لنتحدث "

تشبثت جمانة بكريم لتسحبه عنه قائلةً بخوف : ارجوك، ارجوك دعه، لا تتشاجرا بسببي"

بينما ما يزال الرجلان يحدقان ببعضهما بتهديدات صريحة، قال كريم بهدوء: عودا إليهم سنلحق بكن بعد قليل "لكن كريم !" قالتها إليسا بجزع ليقول وهو يحاول السيطرة على أعصابه وينهض من على مراد الذي نهض بدوره : لن نتشاجر...نحن لا نتشاجر ...أليس كذلك يا ابن عمي؟",-إذهبي إليسا" أمرها مراد بصوته الأجش وهو ما يزال يفترس كريم بنظراته الغاضبة لتهز رأسها بطاعةٍ وتبتعد مع جمانة وقد سالت دموعها ..ليس دموع جمانة الشرسة حتماً بل دموع اليسا التي ماعادت تفهم تصرفات زوجها ،.والحساسية الزائدة على كل من يقترب منها بقول أو فعل! ,تراجع مراد تاركاً كريم خلفه وجلس على شاطئ البحر وصار يعب الهواء لملئ رئتيه فاقترب منه كريم قائلاً بجمود : ما رأيته بيننا فعلياً لا يستحق أن تغضب بهذا الشكل وتتجاوز حدودك بالكلام أمامهن"

لكنه تدراك نفسه بعدما قال تلك الكلمات.. للحظةٍ عادت به ذاكرته عندما رأى آدم ونور على السطح ذات يوم.. لكنه حينها وحتى لو كان يحترق فعلياً إلا أنه تمالك نفسه، بينما مراد لم يستطع حتى السيطرة على مشاعره التي كادت أن تفضحه أمام زوجته, هل يحبها لهذه الدرجة !..هل يحبها حقا! ,تجاهله مراد وهو يعتصر رأسه بين كفيه محاولا ضبط أعصابه. فجلس كريم بجانبه قائلاً بهدوء : -دائماً ما كنت أنت زير النساء، تبدلهن كما تبدل قمصانك! ما الذي جرى الآن معها؟ ما الذي يميزها بالنسبة لك عن غيرها، ومع هذا كله أنت متزوج والمفروض أنك تحب زوجتك وتنتظر طفلك الأول....ما الذي تريده

بعد !,كان يحدثه بألمٍ يفيض من داخله ومراد كذلك يستمع بألمٍ ينهش روحه، لكن كريم لم يصمت.. بل أردف بذات الهدوء ليزيد من اشتعال غضب مراد - كنت تعرف معاناتي السابقة بسبب مشاعري لشقيقتك...وحين تقدمت لها بالحلال كما. تقتضي الأصول لكنني لم اتلقى إلا صفعة عنيفة لأصحوو وعندما ظهرت أمامي جنيتك كما تسميها أنت.، بعثرت مشاعري من جديد وقامت بتركيبها.. أنت تعلم بأني لا أنوي بها السوء، شعرت أنه لربما أداوي جراح قلبي من خلالها .. إنها تعني لي الكثير يا مراد، رغم المدة القصيرة التي عرفتها من خلالها إلا أني معحب بها يا ابن عمي...إنها تناسبني من كافة النواحي,كور مراد قبضة يده وأفلتها بحظةٍ على كريم ليقول وهو يصرخ بألم بعدما فاض به الكيل :

-لن تطالها، أنا من وجدتها....أنا من أحببتها أكثر حتى من روحي، إنها ...إنها تسكن هنا "

وضرب بقبضته على صدره وأردف بقهر : لكن تلك الغبية لم تعطني حتى فرصةً صغيرة.,اقترب منه أكثر وشد بقبضته على قميصه وصار يهزه :

فضلتك عني، رأيت نظراتها اللعينة تجاهك... أتفهم شعوري! أتفهم ما أعانيه وهي أمامي كل يوم... كل لحظةٍ اقترب وتبتعد بشراسةٍ عني بينما أنت وقفت قبالتها ولن تبعد عينيها عنك ..

اعتدت دائماً مصارحتك بمشاعري ...وكنت تتفهم لماذا لم تتفهم هذه المرة ! لماذا تجرأت على اقتحام حصونها !

ألجم كريم كلمات مراد ثم قال بخفوت وهو يوليه ظهره : يا الله !

ثم أردف بغضل : اخرس بالله عليك وكفى تتطاول بأحاديثك عن ابنة خالتك.. كفى

انعقد حاجبا مراد بشدة ليقول بعد دقائق صمت: -ابتعد عنها كريم...بحق صداقتنا ..بحق رابط الدم ابتعد عنها، إسمع ،. أنا مستعدٌ بأن أتنازل لك عن كل أملاكي .,توسعت حدقتا كريم وقبل أن يردف مراد قاطعه بحِدة : كفى مراد، كف عن هذه التخاريف، أنت ابن عمي، لا أريد خسارتك لأجل هذا الموضوع

وهل تراني بهذا الرخص لأساوم من أحببتها لأجل حفنةٍ من النقود ؟ هل جننت ! "إستدار مراد عنه مجدداً مخفياً عنه عذاب روحه وقال بيأس : أحبها، لا تغادر مخيلتي، لا تغادر تفكيري وعقلي ! ابتعد عنها ومستعدٌ بأن أتنازل لك عن كل أملاكي سأتنازل عن كل شيء... "سمعتهم عسل من بعيد فهرولت ناحية العائلة وصرخت بأعلى صوت بأن كريم ومراد يتشاجران ليهرع الجميع خلف الطفلة ناحية الرمال على مكان تواجدهم الذي يبعد مسافة لا بأس بها عن الشاليه..

أفلت كريم يديه على جانبيه بقهر:

-ومشاعري يا صاحب العمر!!! حياتي اللعينة التي لم أحقق فيها شيئاً لنفسي حتى اللحظة! ألا تهمكم! ألا يهم ...طوال حياتي التي كرستها للعائلة لم أطالب بشيء... عملت بعمل لا أفهم فيه ولا يناسبني عملت كي لا أعصي والدي..وأنت دائماً ما تسترت على مصائبك مع النساء بل وتورطت بأكثر من مشكلة بسببك، أما اختك ..أختك الفاضلة التي استغلتني لآخر قطرة ..استنزفت آخر آمالها وسخفتني تحت نعل حذائها..

أمسك مراد بتلابيب كريم صائحا: لا تقحمها في حديثنا أتفهم.

فجابه صراخه بأعلى وقد أدرك تواجد الجميع حولهما وقد استمعا لجزء مما دار بينهما: سأقحمها...سأقحمها وسأقحم كل من آذاني واستغلني ذات يوم ثم غادر بعدما انتهت مصلحته معي....أسمعتم....من الآن كريم القديم مات، احرقتوه بأنانيتكم..أحرقتوه باستغلالكم الدائم ..

استدار ناحية والده وصرخ : المتجر...لن أدوسه بعد الآن .

وأردف صائحا بأمه وخالته: وجيرين لن أتزوجها...هيا ترجمي ..ترجمي كل لا يزداد إلحاحها كلما تلاقينا.

أعرف فضائحكم...أعرف قبح واستغلال كل واحد فيكم والآن بعد أن قررت شيئاً واحداً فقط لنفسي...صرت عديم شرف وأخلاق وعاق! تتعاونون على دهسي وإيلامي..يكفي لقد اكتفيت.,ألقى على نور نظرة غضب أخيرة وغادر وسط نظرات الجميع الدهشة وقد ساد الصمت أفواه الجميع.

أما جمانة فلم تدر بنفسها إلا وقد تبعته بلحظة جنون...ضرب باب السيارة بعنف بعد ان جلس بالمقعد وما كان ينطلق حتى فتح الباب الذي بجانبه وارتمت جمانة على المقعد فشد على المقود بقبضتيه الغليظتين وهو لا يحدق فيها :
اخرجي...لا أريد سحق قلبك أنت أيضاً.. حالياً..لا أرى أمامي" ,أقفلت الباب ووضعت حزام الأمان ولم تجبه في شيء فداس على البنزين بقوة وانطلق بسيارته مسرعاً يشق الطريق السريع.،
صارت السيارة تسرع وتزداد سرعة حتى التصق جمانة بظهر مقعدها جاحظة العينين لكنها لم تنطق بحرف رغم خوفها من هءا الجنون الذي تعيشه لأول مرة..أغمضت عيناها وانكمشت على نفسها وهي تشد بكفه التي تقبض على المقود كرد فعل تلقائية فتنبه على نوبة الهلع التي انتابتها ليخفف السرعة تدريجياً حتى وقف على جانب الطريق ليلتقط أنفاسها...
زفرت جمانة زفرة قوية وصارت تتنفس باضطراب وبلحظة فتحت باب السيارة وهرعت للخارج وقفزت على جانب الطريق ناحية التراب وصارت تلهث بانفعال فلحق بها لتصرخ فيه وهي تضع يدها على صدرها وما زال الرعب يتملك منها: أنت مجنون .
فاندفع ناحيتها وأخذها بين ذراعيه مغمضا عينيه..شد عليها وتمتم بسرعة متلاحقة:
- والدتي لا تحبك.،.لأنك ابنة ميتم.
،وما زالت هناك مشاعر لعينة مني تجاه نور .
،أما مراد فهو مستعد لحرقنا سويا إن استمرت علاقتي بك ...وبقيت بلا عمل.
وعابد..عابد وآدم بعد الذي تفوهت فيه لا أظن أنهما سيقبلان بي.
ابتعد عنها وأمسك وجهها بين كفيه وقد هدر صوته متجاهلا الذهول المرتسم على وجهها:
- هل ستحاربين معي...هل أنت مستعدة لخوض هذه المعركة .
انسابت دموعها بشكل عنيف وهدر صوتها: أخبرتك أني لعنة وحلت عليكم...أخبرت مراد بهذا الأمر ورجوته أن أغادر لكنه أجبرني على

الرجوع...
والآن ..!!
- هذه المواجهة كانت ستحدث بك أو بدونك ...لأنني اكتفيت منهم ومن أنانيتهم..هل ستخوضبن هذه الحرب معي يا جمانة...ضد نفسي، هل ستخلصينني من حب نور ، هل أنت مستعدة للوقوف بوجه آدم اخوك الذي ابتعدت عنه لعشرون عام في سبيل هذه المشاعر التي بدأت بالنمو بيننا! وعمي وأمي....هل ستواجهينهم معي !؟
صمتت برعب وهي تفكر بعواقب ما ستفعله بحق نفسها وبحق الجميع بل وبحق كريم الذي يحاول التعافي من خلالها.،
ورن هاتفها مطولاً...وقد كان آدم يتصل بقلق فيها بعد اختفائها ...أفلتها كريم وولاها ظهره وما زال مضطرب التفكير والتنفس ..أجابت جمانة على آدم الذي قال بهدوء يمافي غضبه: ابقي مكانك نحن قادمون لأخذك.
ولم تكد تمضي دقائق عدة قابلتها جمانة بصمت مطبق حتى وجدت سيارة مراد تقف قبالتها على الطريق...وآدم ونور برفقته..تنوبت عيناها على كريم الذي يجلس بداخل سيارته ساكناً وهو يرجع بظهر مقعده للخلف مغمضا عينيه فربتت على كفه قبل أن تخرج ناحية سيارة مراد لينطلق بسرعة جنونية تاركين ورائهم كريم الذي لم يتحرك حتى بعد اختفاء السيارة...وسيارة عائلته جميعهم الذين تناوبو وهم يرونه على تلك الحالة لكن لا أحد فيهم كان قادراً على مواجهته هذه اللحظة، أو مواجهة نفسه.,*********,وعاد الجميع بعد هذه الرحلة التي قلبت كيان شباب العائلة أجمعين ما بين سعادةٍ وتضحيةٍ وحبٍ وقهر وأمل !،.
كانت العائلة مجتمعة مساء الليلة التالية حينما قالت جمانة بخفوت : بعد إذنك يا أبي...كنت قد اتصلت سابقاً بشركةٍ لأتوظف بها وقد تم قبول طلب التوظيف وهاتفوني صباحاً ليخبروني ذلك " تطلع الجميع بها بدهشةٍ ليقول عابد :
هل ينقصك شيء يا جمانة؟
- لستُ معتادةً أن أبقى دون عمل أشعر بالملل ",قال حينها مراد بجِدةٍ غير

مسبوقة: بناتنا لا يعملن إن لاحظتِ ذلك"
حدجته بنظرة غضب فتطلعت فيه قائلة بحدة: لا تتدخل انا اتحدث مع والدي إن لاحظت ذلك !أو عفوا بما أنني تربية شارع
انتفض آدم : ما قال أنك تربية شارع ما هذه الألفاظ!
أزاح مراد الكرسي بغضب وكاد أن يمشي إلا أن رضوان أوقفه بكلمة جعلت القشعريرة تدب بأوصاله: من الغد ستعاودين العمل في الشركة...
اغمضت عبير عينيها بعد هذا القرار وكادت ان تعترض وخاصة بعدما تطلعت بمراد الذي تصلب جسده إثر ذلك القرار
وشعر مراد حينها بأن القدر ما يزال مصراً على إقحامها بحياته بشكلٍ مخبف"وجمانة!! بما ستتفوه الآن وتعترض وكان ذلك اقتراحها منذ البداية"
أومأت لهم باقتضاب ثم هربت من أمامهم ناحية حديقة الفيلا وقبل أن تعترض عبير على ذلك لإيجاد مبرر مناسب تدخل آدم قائلا ليفك كربهم قليلاً بعد ليلة البارحة وما حصل فيها: -سيكون حفل الخطوبة يوم الخميس القادم بعد إذنكم تحدثت مع نور واتفقنا
تطلعت فيه نور دهشة وبحرج أيدت كلماته التي ما كانت تدرك أنه سيقولها وسيعلن الخطوبة مبكراً هكذا!!
فانسلت جمانة ناحية الحديقة تحاول الوصول لكريم لكن هاتفه كان غير متاح منذ ليلة البارحة ...قاطع سيل أفكارها صوت مراد العميق وهو يقول هامساً بعدما انحنى تجاهها من الخلف : وما يزال القدر مصرا على إقحامك بحياتي بكل وحشية "
ارتعدت من كلماته لينتفض جسدها بتفاجؤ كادت أن تنهض لكن اعتصر كتفيها وثبتها في مكانها :لنتحدث كفاك تهربين مني في كل مرة"ًاستدار وضرب الكرسي أمامها وجلس عليه :
-لماذا لم تجيبي على اتصالاتي ليلة البارحة؟ أين كان هاتفك.."
- هاتفي بيدي دائماً فإن كنت لم أجبك معناها أنني لا أريد و بما أني من بنات الشوارع فلا يجوز لمهندس أسمر محترم مثلك بأن ينزل لمستواي المتدني !

"- لا تتواقحي تعرفين بأني لم أقصد ذلك "
- أنا لا أتواقح بالمناسبة ...هذه شخصيتي هذه حقيقيتي التي لا تريد أن تصدقها...أنا تربية شوارع فعلاً، شوارعية بالعربي"
ابتلع ابتسامته وحدقتاه تتراقصان بافتتان: أكمليها...قطة شوارعية قصيرة ...أعشق القطط الشوارعية أنا .
-.بالمناسبة إليسا تشك بتصرفاتك تجاهي..فتعقل قبل أن تقحمنا بمصيبة .
ضحك باستهتار : لن أتعقل...ولن يهدأ لي بال حتى تدخلين غرفتي و بإرادتك..
نهضت بغضب وصرخت فيه : تأدب أيها الوقح المختل.
فنهض من خلفها يصرخ وهو يشوح بيده لاحقاً بها:
- بالحلال...بالحلاااال ياذات التفكير المنحل..
بالحلال يا شوارعية يا قصيرة يا سليطة اللسان.
استدارت بغضب وهي ترجوه وتضرب صدره براحة يدها : اخرس، اخرس واخفض صوتك الجميع بالداخل ألا تكلون ولا تملون كل يوم فضيحة ومشكلة!!
- اقترب أكثر مشدداً على حروفه وهو يقبض على كفيها: محلولة ١ +١=٢ أي زوجة وزوجة يساوي اثنتان ..لنتزوج لننتهي من الموضوع بأقل الخسائر .
-أحمق أحمق وتصبح سمو السلطان تجلس على الريش وحولك يدور الخدم والحشم أليس كذلك.
- لنقلب الموضوع أيتها الجنية ،.أنا حالياً أجلس ويدور حولي الخدم والحشم لا ينقصني سوى سمو الأميرة لأتشارك معها الجلوس على الريش..,
******
لم يعد ذلك العاق بعد!
هزت أمينة رأسها وهي تطالع كتابا وتحتسي الشاي المخمر التركي الثقيل فجلس محمد وضرب على ركبتيه: العاق عديم التربية والأخلاق ..كل يوم فضيحة! سود الله وجهه.
-لا يا أبي، وبصراحة أكثر توقعت أن ينفجر ذات يوم...

أطلت رهف وهي تحدث والدها فحدق فيها غاضباً : لا ينقصنا إلا أنت آنسة رهف .
جلست على الأريكة بجانب والدها قائلة: ما تضغطونه بشدة مآله الانفجار ...حتى اللحظة يا والدي كريم كان مثال الابن البار العاقل، تغافل عن حلمة في افتتاح مركز رياضي رغم مهارته عندما وضعته تحت الأمر الواقع ..وسلمته مفاتيح المتجر وقلت له هيا انزل الى العمل...
سنوات كان يعمل فيه رغم انزعاجه وضيقه وكرهه له لكنه صبر كيلا يزعجك...يتحمل سخافة مرتاديه من الفتيات العابثلت اللاتي يسمعنه دائماً ويتوددن إليه بلا خجل ولا حياء..حتى صار لا يذهب إلا قليلاً جداً ويرتقب سير العمل من مكتبه الذي جعله بالطابق الثاني...
وكان يخدم الجميع دون مقابل حتى صار معيب بحقه ان يطلبه أحد للمساعدة ولا يلبي نداءه...
- تقولين وكأنني ظلمته!
- أليست الحقيقة!!! ولست وحدك فقط جميعنا ظلمناه حين حملناه فوق طاقته...ثم أنت أمي! قال لك مراراً أنه لا يريد الزواج من جيرين وما زلت تقحمينها بأنفه.
هتف والدها بصدمة : أتريدين تزويجه بجيرين!!! أتريدين جلط الصبي!!!
حدجتها أمينة ابنتها بغيظ فأردفت رهف بقوة: -وآخر مرة هددته تعرف أنت حركات أمي وخالتي...
وحين أخبرها أنه معجب بجمانة صرخت فيه وحلفت أيمانا مغلظة أن تلك البنت لن تفوت دارنا.
نظر محمد لزوجته بصدمة فهتفت فيهما: سيترك جيرين الواعية المثقفة لأجل بنت الميتم يا محمد أترضاها أنت!
قالت رهف برجاء وجيرين تجلس بجانبهما تستكع لكلمات لا تفقه منها حرفاً:
-لا بهم من يرضاها المهم فقط قلب أخي الذي تتقاذفونه يمنى ويسرى...يكفي ما انتابه من نور حتى اللحظة ...لا تزيدوا الأمر رجاءً..رفقا به وبقلبه.

فهتفت فيهما أمينة بحدة: لن أزوج ابني لجمانة وهذا قرار نهائي .
ليصرخ محمد بصوت أعلى وأمينة تغادر الصالة بغضب وهو يشير لجيرين : ولن أزوج ابني لذات التنانير القصيرة ،.ستركب قروناً لابنك وهي تأكل اللوز والبندق !
سعلت جيرين واختنقت فضربتها رهف بخفة ..
والدك يتحدث عني ...صح!
قالتها جيرين لتجيبها رهف بابتسامة باهتة: لا يريدك زوجة لابنه ..
نظرت جيرين لمحمد قائلة بانظفاع: ولا أنا ..والله ولا أنا...لا أريده زوجا..
- ترجمي يا بنت ما الذي تبربره هذه التركية؟!
ضحكت رهف وهي تترجم لوالدها ما قالته جيرين لتتسع ابتسامته : رضي الله عنك اثبتي على موقفك !.
تعالت ضحكات رهف ثم تقدمت ناحية والدها برجاء: قلبك لا يطاوعك أن يظل ابنك مهموماً يا والدي...دعه يختار شريكته المناسبة... دعه يختار العمل الذي يحبه أرجوك.
فحدق محمد في رهف مطولاً وسأل: وأين هو الآن أتعرفين؟
فاحتضنت رهف والدها باسمة: إنه برفقة عم عابد...يساعده في تجهيز الشقة التي اشتراها ليستقر رفقة ولديه فيها .,******
أطل صباح يوم جديد، أخذت جمانة حماماً ساخنا ثم تجهزت للانطلاق إلى الشركة، هبطت درجات السلم بهدوء وألقت السلام على الجميع المجتمعين حول مائدة الفطور..
- إلى أين ؟ تسائل مراد وهو يرتشف فنجان شايه ويطالعها بشكلها الصبياني الفج نظرا للبنطال الأسود الواسع الذي ترتديه والمعطف الأخضر الذي لا يتناسب بتاتاً معه..
تحاشت نظراته لتجيب بلا مبالاة : إلى الشركة .
تناولي فطورك يا ابنتي: قالتها عبير لتهز جمانة رأسها نافية : بالعافية لست جائعة .

نهض مراد قائلًا باقتضاب :نذهب سويا إذن,تجاهلته وألقت السلام على خالتها ورضوان ثم اندفعت لتخرج،
ارتدى نظارته السوداء واندفع ورائها دون أن يتكلما، فتح لها راغب الباب الخلفي واندفعت لداخل سيارته فتمتم مراد بصوت خفيض: يافتاح يا عليم ! "
جلس بجانبها فشغل راغب السيارة لينطلق في طريقه وسط صمتهما المطبق إلا من نظراته التي يختلسها بين لحظة وأخرى ! ,منذ الغد سأذهب برفقة آدم"
اغتالت الصمت ليحدق بها نظرات مبهمة ثم مال ناحيتها هامساً: إنه يرتاد الشركة بدراجته النارية...لن يكون لائقاً بأن تذهبي بها إلى الشركة أليس كذلك !
ولوى شفاهه بابتسامة هادئة وسيطر الصمت عليهما مجدداً حتى وصلا لمقر الشركة فترجل منها يمشي بوقار و تبعته جمانة إلى الداخل ليرحب فيها زملاؤها من جديد بعد هذا الغيابات قال مراد بجدية يحادث فرح: هل نفذتي ما اخبرتك به"
هزت فرح براسها مجيبة : نعم مراد بك سلمتها المرتب وزيادة بضعة آلاف كتعويض نهاية الخدمة .,هز رأسه ثم تابع مسيره وتبتعه جمانة ليستقلا المصعد، ضغطا بذات اللحظة على زر المصعد لتسحب يدها فوراً حينما تلامست كفاهما بينما هو شف ثغره عن ابتسامة غامضة حينما تذكر كيف ثارت عليه ذات يوم وهما بداخل المصعد.,تفضلي: قالها بوقار وهو يبتعد لتندفع بسرعة وتضغط زر المصعد ليغلق الباب وهو ما يزال خارجاً، تبسمت بتهكم ليكفهر وجهه بحنق ويتمتم: -وتريدين ألا أنعتك بالجنية !!
ومرت ساعات النهار حتى تجاوزت الساعة الرابعة عصراً، خرج من المكتب بعدما انتهى من عقد الاجتماع ووقف قبالتها قائلاً بلهجة آمرة... وضبي اغراضك والحقي بي " ولم يعطها حتى حق الاعتراض .
دهشت من كلماته التي ألقاها كأمر عسكري ثم غادر مستقلاً السيارة بانتظارها في حين أنها لململت اشياءها بسرعة ولحقت به،
انطلق راغب " قالها بأمر بعدما جلست بجانبه على المقعد الخلفي لتتسائل :

- إلى أين لم يتنتهي الدوام بعد ؟
حدق بعينيها الواسعتين مجيبا باقتضاب : -سنشتري لباسا لائقاً لسكرتيرة مراد بك "
جحظت عيناها بغضب لتقول بحدة : وما به لباس سكرتيرة مراد بك ؟؟! ,تطلع فيها نظرة طويلة مجيباً :
- صبياني، قبيح،..شوارعي، بربك الا تنظرين لنفسك في المرآة أأنت امرأة!
لسعها مجدداً بكلماته القاسية لتصر على اسنانها بغيظ وتعقد ذراعيها على صدرها وقالت وهي تدحجه بنظراتٍ حارقة:
- أتعرف أنك تشبه البصلة..لديك طبقةً من الوقاحة في الخارج...وعندما تقشرها...هناك عشر طبقاتٍ من الوقاحةِ تحتها !!
- بصلة يا سليطة اللسان!.
فقع راغب ضحكة عالية فضربه مراد بغيظ على رقبته من الخلف ليعتذر راغب : آسف...آسف مراد بك..اييه يا جمانة والله اشتقنا لوجودك بالشركة.
حدجه مراد نظرة غيظ ليتنبه راغب على كلماته وبحدق بالطريق باهتمام متجاهلا نظرات مراد الذي ارتخى بجلسته بعدما نال مراده بإشعال غيظها فعلى الرغم من قبح ما ترتديه من وجهة نظره إلا أنها كتلة فتنةٍ تسير على قدمين,ترجلا من السيارة ليدلف إلى المتجر وهي تتبعه على مضض بينما يقوم بإيجاد المناسب لها وكأنه على درايةٍ مسبقة لما يريد! دون أن يأخذ بمشورتها حتى ! دفع ثمنهم وتسلم الأكياس ليعودا إلى السيارة
مال بجسده هامساً : سترتدين كل ما جلبت ودون اعتراض " انفرجت عيناها لتتطلع فيه بصدمة بينما غرق هو بهذه النظرات لكنه تمالك نفسه مجيباً وهو يضع النظارات مجدداً لربما هرباً منها : -أعرف ما تفكرين فيه، لا أريد أن أتحكم بك طبعاً لكن ، أنت الآن تنتمين لعائلتنا وآسفٌ لما سأقوله: -ألبستك صبيانية بحتة، أحياناً أشعر وكأنني أرافق ابن البقال ",شعرت بشرخٍ كبير بكبريائها كأنثى لكنها فعلاً تعترف بأن ألبستها صبيانية لكنها حتماً لن تصمت...سترد له الإهانة بعشرة أمثالها رفعت رأسها بشموخ وخلعت نظراته

السوداء وقالت وهي تثبت نظراتها عليه : أولاً إن ارتدائك للنظارة وأنت تتكلم دليلٌ على ضعفٍ في الشخصية، وثانياً " اقتربت منه أكثر لتهمس كيلا يسمع راغب : ,أنت تعشق ابن البقال ، وتحترق في كل يومٍ لأجله...هنالك خيارين لا ثالث لهما...لا داع حتما لأقول الخيار الاول فقد خمنته ، أما بالخيار الثاني أنت تعترف بأني أنثى لكن من نوعٍ فريد....مراد بيك ",شعرت بتشنج عضلات فكه وهو يطالعها بعينيه الحادتين لم يكسر كلٌ منهما نظراته وقال بعد برهة : نعم, أحترق كل يوم لأجل ابن البقال .. وهذا الحريق سيمتد وسيحرق لهيبه كل من يقترب منه فكوني حذرة من الآن فصاعدا لتصرفاتك",ابتلعت ريقها من تهديده الصريح لإيذاء كريم فأشاحت بوجهها عنه لتتطلع نحو النافذة تحاول استجماع شجاعةٍ كافية بعيداً عن نظراته الحادة .,*******

42,وأعلن الغروب عن انتهاء نهارٍ جديد، تخللت خيوط الليل لتمتزج بنفحات الشمس البرتقالية المتوارية في الأفق، وختمت حكاية النهار ليلج الليل بسكونه ، عبرت السيارة بوابة الفيلا الحديدية وتوقفت أمام المبنى لتترجل منها جمانة ويتبعها مراد بخفة,لاحت منه اتفاتةٌ ناحية إليسا الشاردة ليتوجه ناحيتها بهدوء بينما القت عليهما جمانة نظرةً عابرةً ودلفت إلى الداخل ...اقترب مراد من زوجته بهدوء ليربت على كتفيها بحنو ثم يقبل رأسها برقة: بمَ أنتِ شاردة؟ قالها وسحب كرسياً ليجلس بجانبها لتتبسم له :
لا شيء محدد " أحنت رأسها للأسفل وهي تتلمس بطنها وقالت بخفوت : خائفة "
ضيق ما بين حاجبيه متسائلاً : والسبب! ,أطلقت تنهيدةً عميقة وهي تتطلع بعينيه : مراد.. صمتت قليلاً قبل أن تقول مجدداً : أنت تغيرت جداً في الآونة الأخيرة، لم أعد أفهم مابك، دائم الشرود والتفكير، أصبحت سريع الغضب، أنا خائفةٌ من المستقبل، ومن هذا الطفل الذي لا أعرف كيف سأهتم به وأرعاه "

أطرقت رأسها أرضاً لتنهمر دموعها مردفةً وهي تمسح دموعها بطفولية:
خائفةٌ من عدم إكمالي لدراستي ومنك ومن عدم اهتمامك بي "ابتلع غصةً بحلقه وانحنى تجاهها أكثر ليحتويها بذراعيه وقد سحقته كلماتها والتي هي فعلا محقةٌ فيها : أنا ، أنا لم أعد من أولوياتك دائم الانشغال عني لم تعد تجالسني لنتحدث.لم تعد تصطحبني خارجاً كما كنت تفعل سابقاً أشعر بالوحدة الشديدة وبالألم "مسح على شعرها بكفه ثم قبل جبهتها قبلةً طويلة وقال بخفوت :الحياة في بعض الأحيان تجبرنا على سلك طرقٍ لم نحسب لها حساباً.. لا تعرفين مقدار الألم الذي أعاني منه "
أغمض عينيه بينما يعترف لها وقلبه قد تعاظمت حدة نبضاته، ابتعدت عنه قليلاً لتقول ببراءة : أنت لا تحكي لي ما يؤلمك ؟ سأتفهم ما تمر به، أخبرني فقط لا تتركني وكأنني هامشٌ في حياتك"أخذ نفساً عميقاً وهو يمرر بأصابعه على خصلات شعرها : أنا فعلاً وبهذه اللحظة لا أعرف مابي" قالها بتهكمٍ وهو ينظر شارداً ناحية السماء، لست الوحيدة الخائفة يا إليسا أنا كذلك
خائف" تعالت ضحكات جمانة ونور وعسل وهي تسحبها من ساعدها لتجلس على الأرجوحة.ط
-هيا ادفعيها لأطير عالياً" قالتها عسل وهي تقهقه بفرحٍ بينما صارت جمانة تدفعها لتتحرك الأرجوحة، شرد بها وقال وهو يقرب إليسا أكثر إلى جسده ليحوط خاصرتها بذراعه :خائفٌ من المستقبل وما يحمل من مفاجآت"
وبالكاد انتشل عينيه عن جمانة ليحدق بالبراءة المطلة من عيني إليسا التي تقتله بهذه بنظرات اللون...شعر بهذه اللحظة أنها تعرف...تعرف مشاعره لابنة خالته لكنها تريد منه أن يفصح ويعترف، رفع كفه الثانية ليحتضن وجهها قائلاً بخوفٍ جليٍ ظهر من خلال حروفه المهزوزة : لا تكفي عن حبي رجاءً , ما أريده فقط هو أن أعود في كل مرةٍ إليكِ، لربما أستلف القليل من هذه البراءة التي تحييني دائماً "_هل هنالك أحدٌ بحياتك الآن ...بهذه اللحظة هل هناك أحد: نطقتها بقلب متألم وخوفٍ من كلماته المبهمة ليذوب في خجله وتفكيره خوفاً من الاعتراف، لا يستطيع الإجابة فعلياً عن هذا السؤال، هو يحبها بل يحبها

جداً، ومع هذا يعشق جمانة! غارقٌ ما بين كتلةٍ من البراءة وإعصارٍ من الديناميت المتفجر..
تعالت ضحكاتهن أكثر لينتشلن تفكيره عن اليسا ويتطلع مجدداً بجمانة التي ركضت لترتمي على صدر آدم وتقبل وجنته شاكرة بعد أن سلمها كيساً ما لم يتبين محتواه، وتبسم بلا إدراكٍ منه متنهداً، غادرت جمانة على ما يبدو لكي تضع الكيس داخل غرفتها فعاود مراد التطلع مجدداً بعيني إليسا التي تنتظر الإجابة رفع كفها ليلثمه قبلةً ثم أجاب : لا تفكري بهذه الطريقة ولا تخافي وأنا معك، أنا أحبك إليسا، أتفهمين ذلك.. جءءءء...آآآآخ أيها ال.،" ,قالها مراد مغتاظاً بعدما قذفه آدم بالكرة لترتطم بوجهه بعنفٍ فتعالت ضحكات اليسا وعسل ونور عليهم لينهض مراد ويركض وراء آدم أوقعه أرضاً وسط ضحكات الفتيات التي لم تهدأ عليهما
ثبت ذراعيه على الأرض قائلاً بحنق : أوجعتني أيها اللئيم !!
راقص آدم حاجبيه بمكر وقال هامساً : تنحنحت مرةً واثنتين ولم تفهم أيها الغبي ! اختلي بزوجتك بعيداً عن أعيننا ألا تقدر مشاعر رجلٍ أعزب وأنت تنهمر عليها بقبلاتك أمامنا !
انفرجت عينا مراد ليلكمه بحنقٍ على معدته صائحاً : أيها الوقح ! أكنت معنا أم تتحدث مع الفتيات ! " قهقه آدم لاستفزازه ثم ركله بساقه على معدته ونهض قائلاً بشقاوة : معكما طبعاً ومن أول قبلة أيها الرومانسي ! ,غمز له وهرب إلى الداخل فتمتم مراد بسخط: أيها الغبي.. والله لأحطم رقبتك انتظر فقط أن أمسك بك ! " اندفع لداخل الفيلا مسرعاً فتعثر تعثر بكيانٍ ضئيل الحجم في طريقه حتى كادا أن يسقطا أرضاً لولا استطاع مراد تثبيت نفسه بآخر لحظة حينما تمسك بمقبض الباب بينما جمانة صرخت وارتدت جالسةً على الأرض" شهق بعفويةً وهتف : أنت جنية!!! والله جنية ! كدت أن أسحقك يا متخلفة !
أمسكت صدغها قائلةً بحنق : أنا كالجنية أم أنت تظهر في كل مرةٍ أمامي كالبلاء !!,مد يده ليسحبها من ساعدها لتقف بعدما تعالت ضحكته وقال بعدها : أنتِ بخير ؟

أومأت له باقتضاب مجيبة: بخير لم تتكسر عظامي بعد ! ,افلتها من قبضته ضاحكاً ثم انطلق مجدداً يصعد درجات السلم للطابق الثاني ناوياٍ أن يبرح آدم ضرباً !!,*******
ارجع يا ولدي ..ارجع وكل شيء سيرضيك، تعال فقط لمنزلك.
نطقها محمد وهي يتحدث مع كريم عبر الهاتف...قبل أن يلين كريم ويعود إلى منزله ليستقبله والداه بحفاوة...ومع ذلك ظل محتفظا بهالة من التوتر والاضطراب...فعاد من جديد لسيل لكماته العنيفة لكيس الملاكمة وكأنه المنفس الوحيد عن غضبه لعل الحياة فعلاً لا تريد منه أن يشعر بالسكينة جوار امرأةٍ يختارها قلبه! ربما اختياراته الخاطئة! لربما انجرافه وراء عواطفه بهذا الشكل هي ما توقعه كل مرةٍ بالفشل ! ربنا لأن تجاربه معدومة مع النساء .لا يستطيع معرفة نظرة الإعجاب وتمييزها! لا يدري حتماً ما الخطب في حياته ولما تصر دائماً تلك الحياة أن تسلب منه شعور الحب تجاه من يختارها قلبه !,كان مراد كذلك يشعر بالعجز.. يحلم بأن يتزوج جمانة فقط وبأي وسيلةٍ كانت...بعد أن اقتنع بأن هذا هو الحل الوحيد.. يحلم بأن توافق وترحمه، وبذات اللحظة يشعر بانكسارٍ رهيب تجاه كريم...صديق طفولته و ابن عمه .
وجمانة, تلك التي تخبطت مشاعرها ولأول مرة.. بكلامٍ صادق خرج من فم كريم شعرت بخفقات القلب لربما شعرت بالحب وروعته . ذلك الشعور الذي يدغدغ القلب ويغمره بالسكينة وبذات الوقت لا تعرف لما تبتعد عن مراد كابتعاد الانسان عن الشياطين؟ لا تفهم سبب هذا الارتباك الذي يظللها بقربه، هي تخاف منه، من خياناته المتكررة لزوجته، تخاف من ماضيه الأسود الذي أضحى كوصمة عارٍ متلازمةٍ له، لعلها ذات يومٍ بدأت بالإنجذاب ناحية ذلك الكيان الثري ذو النفوذ الواسع، لعلها غرقت ذات ليلةٍ بعينيه الحادتين كعيني الذئاب...فهي تعجبها هذه الشخصية القوية الواثقة، تعوضها عن حالة النقصان السابقة لها ..,أعجبها لأيام ملاحقته لها دوناً عن كل الفتيات منذ تعارفهما..
لكنها بذات الوقت لا تستطيع أن تأمن له، هو مغرور وغروره دائماً ما يجعله يحصل على ما يريد، أنانيٌ بجدارة فالمهم هو أن يحصل على متطلباته وبعدها

ليتعذب الجميع فلا يهمه ! لكن تلك المشاعر ناحيته قد تلاشت أدراج الرياح بعدما هربت منه طيلة شهرين.. بل واختفت تماماً بعد أن التقت بكريم..,ظلت تفكر بينهما وقد غلفها الحزن طيلة أيامٍ لأن كريم اختفى وكأنه لم يعترف لها عن مشاعره، ما الذي جرى؟ وبما تحدث مع مراد ذلك اليوم ! تساؤلات ملأت صدغها حتى كادت أن تجن, تنتظر فقط مكالمةً منه، رسالةً تطمئن بها عليه لكن كبريائها وخجلها منعها عن ذلك بعد ان اتصلت أوب يومين ولم يجبها... و لا تعرف أن كريم بهذه اللحظة يتمنى أن تتصل به أن يسمع صوتها .,كانت نور بعالمٍ آخر تماماً فها هي ستقيم حفل خطوبتها بعد أيامٍ قليلة، جمانة لن تستطيع مساعدتها بانتقاء الفساتين فهي حتى لا تعرف كيف ترتدي الكعب العالي أو التبرج كأي فتاةٍ طبيعية ولا تستبعد ان تختار لها بنطالا وقميصا لحفل الخطوبة ! وإليسا ما تزال متعلقةً بعالم الطفولة وكأنها فعلاً لا تريد أن تكبر! وستنتقي لها فساتين غريبة وطفولية !,وهي تريد بهذه اللحظة أن تكون أنثى كاملة بنظر آدم فلا بد إذن من مشورة رهف تلك التي تلاحق الموضة والأزياء وتهتم بانتقاء بعض الموديلات لمساعدة شقيقها في متجره، وفعلاً تحدثت معها ليتسوقن فستاناً مناسباً لحفل خطوبتها... اتفقت الفتيات لمقابلة رهف للذهاب للتسوق وكي يشترين فساتين لهن كذلك..,طرقت جمانة باب مكتب مراد ودلفت بهدوء ناحيته بعد ان عاد من موقع الإنشاء خلع جاكيته بذلته واسنده على الكرسي فقالت برتابة :

-سأغادر الآن إن كنت لا تمانع ",فتح الحاسوب وتطلغ فيها متسائلاً :إلى أين؟

أخذت نفساً عميقاً مجيبة : سأذهب مع نور والفتيات لانتقاء فستانٍ لحفل خطوبتها "

أومئ لها موافقا ثم قال فجأة :

-ومن سيرافقكن ؟,-أهو تحقيق !!؟ قالتها بحدة لينهض قائلاً بوقار : -أخفضي صوتك آنسة جمانة نحن في الشركة"

-حسناً آسفة وعن إذنك "

قالتها وهمت بالمغادرة ليوقفها صوته مجدداً : -معك نقود؟ فحتماً تريدين

شراء فستانٍ لك أم أنك تريدين ارتداء بنطال الصيادين العريض في الحفل ؟,عضت على شفاهها بغيظٍ وهي تمسك مقبض الباب وتكاد أن تختلعه بقبضتها أفلتته واستدارت بغتةً لتشهق بعدما وجدته أمامها مباشرةً لا يفصل بينهما سوى خطوة! :
- لا دخل لك فيما سأرتدي لكن تأكد أنني لن أسبب إهانة لحضرة اللورد وعائلته",قذفت كلماتها بوجهه ليخرج من جيبه بطاقته الإئتمانية قائلاً بثبات : عائلته التي هي عائلتك على ما أظن، خذي البطاقة ووفري طلقات الرصاص التي يطلقها لسانك المستفز " ,-لا أريد منك شيئاً معي نقود " زفر من عنادها قائلاً بنفاذ صبر: جمانة ! بحق الله كفي عن الجدالِ مرةً واحدةً بحياتك، أهذا صعب؟ هيا خذيها ",وسحب يدها ليضع بداخل كفها بطاقته وأملاها بهدوء الرقم السري ثم قال بخفوت : اختاريه أزرق اللون سيناسبك جدا، لكن إياكِ باختيار فستانٍ قصير لأني وكما تعرفين... " وقالها هامساً : لا أحب لمن تخصني بأن ترتدي الضيق والقصير " غمزها واستدار عنها باتجاه مكتبه ليستكمل عمله .,**********,وبعد أن انتهت الفتيات من الشراء وفعلاً كن بحاجةٍ إلى رهف التي تشارك شقيقها بذوقها الراقي، أوصلنها إلى المنزل فطلبت منهن النزول فما زال الوقت باكراً وكي تتعرف جمانة على منزلها فهي ولأول مرةٍ تزورهم ولأجلٍ غايةٍ في نفسها كذلك ،,-حسنا راغب بإمكانك المغادرة الآن فكريم سيوصلهن مساءً" قالتها رهف لراغب الذي اومئ لها وانطلق بالسيارة ناحية الشركة مجدداً ,شعرت جمانة باضطرابٍ جلي وخشيت أن تسأل رهف طوال الطريق وحتى عندما دلفن إلى الفيلا عن كريم خشية أن تدرك اهتمامها به ! فاكتفت بالحديث معهن ..وفكرها متعلقٌ به !
جلست الفتيات بداخل الصالة لدقائق ومن بعدها انضمت لهن أمينة التي رحبت في جمانة ببرود شديد فهمته جمانة على الفور قالت رهف قبل أن تبدأ والدتها بوصلة الردح التي تبتكر أساليبها :,- يا بنات سأري جمانة الفيلا ونعود سريعاً لن نتأخر خذا راحتيكما " ,قالتها وسحبت جمانة من يدها لتتجولا بالفيلا وهي تشرح لها وتثرثر ومن بعدها نزلت درجات السلم والتفت من الخلف ناحية

السلم المؤدي إلى البهو قائلةً بابتسامة مكر : وهنا يا عزيزتي ساحة القتال، آوه عفواً مركز تمرينات كريم "توقف جمانة للحظات وقد اختلط حديث رهف بضرباتٍ صادرةٍ من الداخل لتتوقف على درجات السلم , هيا ما بك ؟ تسائلت رهف بمكر لتجيبها : لا شي، قادمةْ ! "- إذن هيا " وسحبتها معها لتدلفا قاعة التمرينات فتسارعت خفقات ذلك القلب حينما وجدته في البهو ينهال بضرباته المتقنة على الكيس وقد برزت عضلات صدره العاري، تبسمت رهف وهي تراقبها ثم جهر صوتها : كريم ألن ترحب بضيوفنا" تنبه لصوت شقيقته فاستدار بتلقائيةٍ وهو يلهث لترتكز نظراته على جمانة ليتصلب جسده وينعقد حاجبيه بصدمة غير متوقعة، نقلت بصرها بينهما لثوانٍ ثم قالت وهي تخطو خارجاً :

-عن إذنكما كأن ماما تناديني .

وقبل أن تتفوه جمانة بحرفٍ أوصدت رهف الباب عليهما لتتجمد جمانة بمكانها وهي تزم شفتيها بتوتر: ك..كيف حالك!

تقدم بهدوء وما زال الإنهاك بادياً عليه جراء تمريناته واجاب باقتضاب: بخير وأنتِ "

-الحمد لله "

كانت تتحاشى نظراته واضطرابه البادي، ودت أن تتكلم لكن جموده ولا مبالاته ناحيتها جعلتها تعتصر قبضة يدها وترخيها باستمرار ثم قالت بخفوت : أين...كنت مختف طيلة اسبوع !ارتمى على الأريكة وتجرع من قارورة الماء مجيباً باقتضاب وهو يتحاشى النظر إليها : - هنا...في المنزل لا أفعل شيئاً،" أحست بأنها فعلا غير مرحبٍ بها هذه اللحظة. أصابت برودة التعامل معها ألما بداخل صدرها، لم تفهم كيف له أن يقابلها بهذا البرود بعدما ماجرى بينهما آخر مرة ! أو ربما ندم على اعترافه وتسرع ذلك اليوم،

رفعت رأسها بكبرياء ناحيته وهو يشغل نفسه بقارورة المياه فقالت بجرأة وكأنها عادت تلك الجمانة القوية :كانت رهف تطلعني على منزلكم، ونزلت بي إلى هنا، اكمل تمريناتك كيلا ازعجك أكثر، عن إذنك .."

استدارت لتغادر فهتف من خلفها: يبدو أن هذا اللباس الرسمي لم يناسبك...يشعرك بالضيق أليس كذلك.
ثم أردف ساخراً: مبارك....رجعت سكرتيرة لمراد "تطلعت فيه ببساطة : عرضوا علي العمل ووافقت ، خيراً من أن أبقى في المنزل بلا عمل.
-مممم عظيم...اعملي بجد إذن مع ابن خالك"
- سأعمل بجد كما كنت دوماً لا تشغل بالك .
وغادرت المكان فاعتصر بقبضة يده قارورة الماء وقذفها على الأرض بغضب.
*****
تعال يا ولدي يجب أن أذهب لمكان ما وسترافقني "
قالها محمد وهو يدلف إليه. الذي بات كريم يقضي جل وقته فيه...حيث أن رهف هي من استلمت العمل في المتجر بدلاً منه في هذه الفترة، نهض كريم على مضض من على الأريكة الجلدية مستجيبا لمطلب والده..كما العادة ..لا يرفض له طلبا، وما يزال يشعر بتأنيب ضمير على الاحراج الذي سببه لوالديه ذلك اليوم على شاطئ البحر أمام الأقارب ،
كاد أن ينطلق بسيارته إلا أن رهف كانت قد قفزت إلى المقعد الخلفي بخفة وقالت باسمة: لن أفوت هذا الأمر..
- أي أمر؟!
تسائل كريم وهو على مقعد القيادة فربت والده على كتفه : هيا انطلق الى هذا العنوان ..ستعرف بعد قليل...
وفعلاً بعد وقت قصير كان قد وصل للعنوان الذي أملاه إياه والده حتى توقفا أمام مبنى مكون من طابقين واجهته زجاجية بالكامل..
لحق كريم بوالده الذي فتح البوابة الحديدية ودخل العقار ولحق به كريم ورهف التي اتسعت ابتسامتها وهي تتأمل المكان بانبهار : رائع...عظيم! القسم العلوي للرجال.والقسم السفلي يمكن تغطيته بالكامل ويصبح للنساء .
ضحك محمد وأومأ لها: هذا ما سيقرره أخوك.

- ما هذا بالضبط...قررتم توسيع العمل وفتح فرع آخر لمتجرنا!
اقترب محمد من كريم وشد على ساعديه بفخر : بل هذا لك..لتفتح مشروعك الخاص، ألم ترغب دائماً بفتح ناد رياضي.
جمدت معالم كريم على والده غير مصدق لما سمعه...ابتسم وهو يستدير حوله بصدمة وفرح بآن معا غير مصدق: حقاً!! تقصد أنني!
فقال والده :
- من الآن وصاعدا لن أتدخل في حرية اختياراتك بني...كنت أظن أنني أدرى بمصلحتك، لكني لن أسامح نفسي إن كنت سبباً في انزعاجك الدائم بسبب عمل لا ترغب فيه أو زواج لا تريده.
انحنى كريم واحتضن والده وقبل كفيه باسما هانئا سعيداً وقال بلهفة: - أدامك الله يا أبي.وأنا إن شاءالله سأكون عند حسن ظنك بي..
لكن المتجر!
فقالت رهف بحماس:
-أنا استلمه يا كريم.
فضحك والده مازحاً: سنخسر نصف الزبونات بعد رحيلك لكن لا يهم... المهم هو راحتك فقط..
أما...المفاجئة الأكبر فهي ليست اليوم.
-أيوجد مفاجئة أكبر من هذه يا أبي!!! أنا حقا لا أعرف كيف اشكرك.
احتضنه محمد في تأثر: بلى يوجد...يوجد مفاجئة أكبر وأحلى تنتظرك في الأيام التالية ،,*******
بعد أيام...,-أريد أن أكون جميلةً هذه الليلة يا رهف"
نطقتها جمانة بجرأة وهي تطالع رهف عبر المرآة لتتبسم لها تلك الأخيرة وهي تمسك بكتفيها:
-سأجعلك نجمة الحفل يا جمانة أعدك بذلك، أصلاً أنت جميلة وتحتاجين فقط للقليل من لمسات رهف السحرية "
قالتها باسمةً لتتبسم لها جمانة عبر المرآة ولا تعرف فعلاً لما تريد أن تكون

جميلة ! لربماً انتقاماً من برود كريم ذلك اليوم معها، لربما لتشعل غيرة مراد وبعدها تطلق عليه سيل رصاص كلماتها اللاذعة ! لربما انتقاماً منه لأنه نعتها بابن البقال ذات يوم...وربما محاولة ساذجة منها لتري الجميع أن باستطاعتها كذلك أن تتزين وتتجمل كفتيات هذه العائلة الراقية التي صارت تنتمي إليهن...

*****

أغلق آدم أزرار قميصه الأبيض أمام المرآة وهو يشعر بأنها ليلة العمر لا مجرد خطبة! المهم عنده هو كتب الكتاب الذي أصر أن يقام الليلة لأنه يريدها أن تكون ملكه وله فقط بأية طريقة..أن تكتب على اسمه كما نقشها بالحب على صدره. أخذ نفساً عميقاً وهو يلقي نظرةً أخيرةً على هيئته ليتبسم راضياً، لمح عابد يتكئ أمام الباب بابتسامة حانية ليلتفت إلى الوراء ويتقدم من والده : ما رأيك ؟ ,شد عابد على كتفي آدم مجيباً بابتسامةٍ هادئة : -ليبارك لك الله يا بني،مبارك"

انحنى آدم ليقبل كف والده ثم رفع رأسه مجدداً قائلاً بفرح :

- كنت أحلم دائماً بحلم أن يكون لي أب ليتقدم لخطبتها لي، كنت أحلم بأن يكون لي سنداً وعوناً وملجأً أتكئ عليه في لحظات ضعفي...، أشكرك لأنك ظهرت بحياتي من جديد"

أخذ نفساً عميقاً كابحاً دمعه ليحتضنه عابد بقوةٍ ثم أبعده قائلاً : هيا أيها المهندس عروسك بانتظارك"

,بعد دقائق التفت الثلاثة ناحية إحدى القائلات : نزلت عرروسك "

أحدهم ابتسم بحنانٍ لشقيقته، والآخر أشاح ببصره بسرعةٍ وهو يعقد حاجبيه كيلا تهاجمه ذكريات الحب الذي وأده منذ أيامٍ قلائل ! والثالث....كتعويذة سحرٍ أضرمت النيران داخل صدرهه ليلفحه لهيبها ،.كأعمى أرجعت معجزةٌ بصره ! تأمل آدم هذا الملاك الذي يتزين بفستانٍ ذهبيٍ طويل...كملكةٍ هبطت عن عرشها.. اختلجت ضلوعه وأضرمت بركاناً سيتفجر بأية لحظة، تقدم منها وكأن قدميه لا تلامسان الأرض لتبتسم له بخجلٍ أطار له ما تبقى من عقل! رفع كفها وما زالت عيناه معلقتان على أنهار العسل المتدفق من شعرها

وعينيها وفستانها الذي ينبض بالحياة ، لكن عقله الأحمق لم يترجم للسانه أي كلمةٍ ينطقها، وهي ما كانت تهتم بكلماته الغير منطوقة ..تكفيها نظرة عينيه التي فضحت الكثير جداً،
رفع كفها لتتأبط ذراعه وتقدما ناحية المأذون الذي باشر بإجراءات كتب الكتاب.,تطلعت جمانة نظرةً أخيرةً ناحية المرآة ثم تبسمت بقسوةٍ وخرجت من غرفتها بعدما أعلمتها إليسا بأن المأذون قد وصل"
أومأت لها شاكرةً ثم هبطت درجات السلم ,*******

,43
أنهت جمانة وضع أحمر الشفاه ثم تطلعت نظرةً أخيرةً ناحية المرآة تتفقد ذلك الفستان الأحمر الصارخ عاري الكتفين الذي يضيق على خاصرتها لينسدل بعدها على جسدها بتناغم ومع شعرها الأسود القصير بدت كلعبةٍ ناعمة ثم تبسمت بقسوةٍ وخرجت من غرفتها عندما نادتها إليسا: تطلعت فيها بانبهار وقالت بلعثمة :
-تبدين فاتنة جمانة!! لكن انه ، مكشوفٌ قليلاً أخشى أن..."
تبسمت جمانة لإليسا قائلةً بلا اهتمام :
- لا مشكلة "
فلحقت بها تناديها مجدداً قبل أن تهبط درجات السلم
-جمانة.. رجاءً ضعي على الأقل شالاً على كتفيك لربما غضب والدك أو شقيقك نحن لا نظهر هكذا عادة "
توقفت قليلاً لتعقد حاجبيها باستسلام ثم استجابت لها لتركض اليسا ناحية غرفتها لتحضر لها شالاً ملائماً قامت بعقده على كتفيها لتتبسم إليسا بامتنان

قائلة: هكذا أفضل "
وأردفت وهي تثرثر: ذات مرةٍ عندما كنت مخطوبةً من مراد ارتديت فستاناً مكشفواً فكاد أن يمزقني من غيظه " ,تعالت ضحكات الفتاتين لتقول جمانة : كيف تتحملينه أشعر أحياناً بأنه مجنون ! "
تبسمت إليسا بخجلٍ عندما توقفتا أسفل السلم لتجيب : وكيف لا أحبه"
ونظرت الفتاتين ناحية مراد الذي يجلس بجانب المأذون كشاهدٍ على كتب الكتاب وأردفت :
- إنه وسيم..أنيق.. تلاحقه الفتيات أينما حل.. أتعرفين أنا أعرف أنه كان متعدد العلاقات سابقاً لكن... لكنه بالنهاية اختارني، وأنا لا أجاريه بالجمال أو الثقافة أو التفكير لكن، لكني أحبه..أحبه جداً",تطلعت فيها جمانة بابتسامةٍ صافية مجيبة: أتمنى لكما التوفيق يا إليسا "ثم نظرت ناحية مراد..لا تنكر أنه فاتن، رجلٌ بما تعنيه الكلمة من معنى،ناجح، له حضورٌ قوي, مؤثر وذا شكيمة ووقار لكن... الخيانة تسقط أعتى الرجال بنظر المرأة، أن يكون خائناً هذا ذنبٌ لا يغتفر أبداً "
نادتها أليسا وحدقت فيها برجاء خفي وهي تتلمس بطنها المنفوخ قليلا:
جمانة...أنا ..أثق بك جدا، وأثق أنك لن تؤذيني بقول أو فعل ..
لتربت جمانة على كتفيها وقد سحقها مظهر أليسا البائس التي تكاد تكون أقرب للهذيان بسبب طيش مراد: لا خوف مني.أخبرك مجدداً.
و مشت بخطىً بطيئةً وتوقفت بجانب عبير ولم يتنبه لها أحد من كريم ومراد بعد كونهما الشاهدين على كتب الكتاب فانشغلا مع المأذون ...لحظاتٍ وأنهى المأذون عقد القران لتصدع الزغاريد ووقف الجميع بعد أن غادر المأذون لترتمي جمانة على صدر آدم وتقبله بفرحٍ وهي تبارك له، ابعدها آدم عنه قائلاً بعدم تصديق : ما هذا يا فتاة! أين كنتِ تخفين هذا الجمال!! ابتسمت لإطراءه لكنه قربها منه هامساً : لكن أحمر الشفاه فاقع والفستان ضيق و..."
كاد أن يكمل لتلكزه ضاحكة : اصمت بحق الله وانشغل بعروسك الآن...لقد تزوجت يا اخي! " تعالت ضحكاتهما ليجيب : حسناً حسابك لاحقاً "ثم التفت

ناحية نور لتعانقها كذلك مباركة",توقف مراد مشدوهاً وهو بجانب نور ولا يفصله عن جمانة سوى خطوتين..خطوتين جنونيتين فقط جعلتاه لا يزيح ببصره عنها، بفستانها الأحمر الذي ينسدل على جسدها بانسيابية، بشعرها االأسود الذي يداعب كتفيها .. بذلك الكحل الذي ارتسم على جفنيهاخطاً جريئاً ليزيد عينيها اتساعاً ...أحمر الشفاه الصارخ ..وكأنه خلق ليغمر هذه الشفاه فقط، اضطرب تنفسه وهو يطالعها بانبهارٍ وغيرةٍ واضحة كذلك من نظرات كريم الذي ابتعد بعد دقيقةٍ كاملة وهو يتأملُ كل جزءٍ فيها، شعرها، عينيها، الشال الذي ارتخى عن كتفيها ليظهر جزءٌ منهما ،.غادر كريم كمن تطارده الشياطين هرباً منها ومن نفسه وخرج إلى الحديقة ليدخن بشراهة ليعيد ترتيب أفكاره..كيف تورط وقبل الحضور مجدداً بهذا الجنون كيف استكع لرهف التي أصرت على حضوره بل وأصرت على أن يتأنق لأول مرة بحياته...أجبرته على ارتداء بذلة أنيقة سوداء ...بقولها اليوم ستكون راضياً جداً،.
حتى أن عابد دعاه لحضور حفل الخطوبة وأصر على حضوره..فرأى أنه من غير اللائق ألا يلبي دعوته..,أغمض مراد عينيه ثم آخذاً نفساً عميقاً وقد أحس بانطباقٍ في صدره فتشبثت إليسا بذراعه قائلةً بمرح مفتعل: هيا نرقص يا مراد" ,والآن فقط لأدرك أن الجميع قد غادر ليرقصوا على أنغام موسيقى هادئة، حينها لم يتنبه مراد على ثوب زوجته ذا اللون الأزرق الهادئ، لم ينتبه على شعرها الحريري ولا شفاهها الوردية الناعمة، لم يلقِ أدنى نظرةً ناحية بطنها المنفوخ أسفل فستان الجميل الناعم ..واستدار ليومئ لإليسا بابتسامةٍ بالكاد رسمها على شفاهه واستدار مرةً أخرى ناحية جمانة التي جلست على الكرسي بسكون..,قربها آدم إليه وهما يرقصان بهدوء : أخرسني جمالك هذه الليلة!
قهقهت نور لتداري خجلها وقالت بتهكم : أخرسني!!! أهكذا يغازلون زوجاتهم يا متخلف !؟
تراقصت عيناه وقال بهيام وهو يتلمس خصلات شعرها االكستنائي المتمرد : لا تطيلي هذا اللسان مجدداً "

هزت رأسها بعتابٍ ليقترب أكثر هامساً : يا زوجتي وحبيبتي وعشقي الأول والأخير",احنت رأسها بخجلٍ وارتباكٍ من نظراته المنكبة عليها ليهمس مجدداً : لا تحرميني من نظراتكِ نوارة انتظرت هذه اللحظة طويلاً جداً ، انظري إلي "
ضيقت حاجبيها مجيبة بخفوت : لا ، أنت تخجلني بكلماتك ونظراتك !
فقال مازحاً:
-الآن كنت أحمق لا يعرف كيف يغازل!
- وانفلت لسانك فجأة فأخجلني!
ابتسم في سعادة وهمس: اخجلي كما شئتِ فأنا أعشق هذا الخجل، يأسرني، يتملك كياني هذا الخجل الفطري "-آدم ...كفاك " قالتها وهي تحني رأسها وتضربه على صدره وقد اكتسح الخجل تقاسيم وجهها فقال مازحاً ليزيح التوتر عنها:
-وإن لم أكف عن ذلك ستشكينني لبابا ؟ ، ستقولين له.. زوجي قليلُ أدبٍ و يغازلني !!,تعالت ضحكاتهما هذه المرة ليتلقفها بين ذراعيه ويدور بها بسعادةٍ لتهمس بحرجٍ بعدما توقف بصوتٍ بالكاد خرج من بين شفاهها : غبي !!
ينظرون إلينا " ابعدها عنه قليلاً وقال وهو يلهث : لجهنم... زوجتي وحرٌ أنا بما أفعله "
مخطوبتك فقط...
حملها بين ذراعيه مرة أخرى ودار فيها صائحا :
بل زوجتي..زوجتي..,آنسة جمانة هل تشرفيني بهذه الرقصة: رفعت رأسها لتتطلع بالمهندس ضياء الدين الذي يعمل في الشركة، بسط كفه ناحيتها بابتسامةٍ عذبة بينما تطلع فيهما مراد بنظراتٍ حارقةٍ وتمنى أن يحرقه هذه اللحظة، حدقت جمانة بضياء بارتباك وكادت أن تمانع وقبل أن تجيب قاطعها صوتٌ قادمٌ من خلفهما قائلاً بوقار:
-نأسف لك الآنسة لن ترافقك "
قالها كريم بنظراتٍ حادةٍ خرجت من عينيه بعدما رجع من الحديقة ليراه

أمامها، حدق فيه ضياء قائلاً بانزعاج :
- عفواً وما شأنك أنت أنا أتحدث معها "
وقفت جمانة بتأهب فسقط الشال على الأرض.. احتضنت فجأةً كف كريم قائلةً باندفاع :
-إنه خطيبي يا سيد ضياء"
تلكئ ضياء ثم أجاب باحترام:
-تشرفنا.. ونأسف للإزعاج، عن إذنكما "
قالها وانصرف بلباقةٍ بينما تسمر كريم بمكانه إثر كلماتها القليلة التي زلزلت كيانه بهذه اللحظة، تطلعت فيه قائلةً بجبروت :
-لم يكن هنالك داعٍ لتدخلك كنت سأصرفه دون مشاكل "
ثم حاولت سحب كفها لتغادر لكنه شد بقبضته عليها أكثر وهمس وهو يحدق فيها :
-كذبتِ، فلتكملي كذبتك حتى النهاية " ,انحنى على الأرض ليلتقط الشال واقترب منها ليعقده على كتفيها بحاجبين معقودين وسحبها من يدها مرةً أخرى وشد بذراعه على خاصرتها ناحيته ليرقص: أنا...لا أعرف ",قالتها بتوترٍ وهي تحدق بعينيه المحتقنتين بينما يحدق فيهما مراد بغضبٍ جامح وهو يقابل نظراته بنظراتٍ أشد وطأة عليهما ...لن يتحمل هذا العذاب أكثر من ذلك.. لن يستطيع أبداً التغاضي عن تلك المشاعر التي يكنها لها، كان هروبه غباءٌ حتماً ! ,-جاري خطواتي فقط : قالها كريم بخفوت وتاه بهذا السواد الحالك الذي يطل من حدقتيها الواسعتين اللتين تحتضانهما أهدابا باتت كسهامٍ مسمومةً تغلغت داخل عروقه، لتشيح بنظراتها عنه وتجاريه بخطواته التي جعلها بطيئة لأجلها ...وبقي صامتاً ليستفزها أكثر.. صامت بطريقة أغضبتها ما الذي يريده منها ؟ نظراته واضحةً وضوح الشمس..
تدفقت التساؤلات بتلقائيةٍ بعقلها وهو غارقٌ بعينيها ، غارقٌ لدرجة أنه رأى انعكاس صورته على حدقتيها المتسعتين كزجاجٍ أسود داكنٍ ابتعلته عيناها الحالكتين كان بهذه اللحظة أضعف من أن يشيح بنظره عنها ...وتأملات

عضلات صدره العريضة وقميصه الأسود الذي لاق به بشكل أصبحت عاجزة عن وصفه... !
تنبهت على نظراته التي لم يزحزحها فنطقت لتزيل التوتر القائم بينهما هذه اللحظة:
- أخبرتني...ذات مرة أن مشاعرك صادقة" ,انتشلته من شروده بكلماتها القوية ليتطلع بها وكأنما كان بعالمٍ آخر وحط على أرض الواقع، توقفا عن الرقص و طال صمته يحاول التبرير بأي كلمة، ولربما بهذه اللحظة لم يشأ أن يتكلم فقط يريد أن يأخذها بين ذراعيه لأن مشاعره وصراعه هذه اللحظة لا تترجمها كلماتها الغبية! وكم تمنى أن يجن هذه اللحظة ويفعلها !,حدقت فيه تنتظر الإجابة وعبوسه يزداد من نظراتها وكأنه خائفٌ منها! وخائف من أن تطعنه هي الأخرى بجرأة ووقاحة ..,تبسمت بتهكم منه واطلقت لسعات لسانها: كما توقعت أنت مجرد كاذبٍ...وربما كنت تريد أن تتسلى فقط",وانسخت عنه لتغادر بغضبٍ هادر اجتاحها ناحيته، افلت مراد اليسا بذات اللحظة قائلاً سأعود سريعاً " وما كاد أن يخطو ورائها حتى ناداه رضوان ليلقي السلام على أحد رجال الأعمال ! ليشد مراد على قبضتيه بغضبٍ ويتجه ناحية والده وقد اشتعلت نظراته الحارقة وخاصةً عندما هرول كريم خارج الباب ليصعد درجات السلم ناحية السطح ليلحق بجمانة التي اندفعت اليه كيلا يراها أحد.،,دفعت باب السطح بعنف بكفيها ودلفت تتصارع أنفاسها المتثاقلة لتعب الهواء بجشع، اعتصرت بقبضتيها فستانها الطويل وقد تملك الغضب على كل ذرةٍ بجسدها خطى داخل السطح قائلاً بصوتٍ مهزوز : لست بكاذب
",أغمضت عينيها بألمٍ تكافح لكبح دموعها ثم استدارت فجأة لتقول بحنق : مالذي تريده مني بعد ؟ "
حدق فيها وكأن حرباً طاحنةً تنشب داخل صدره، تاه ببريق عينيها الواسعتين الكحيلتين الغاضبتين فأغمض عينيه ينازع نفسه عن التحديق فيها..لما الحب مؤلمٌ بهذا الشكل، لما شن الحب حرباً دموياً هذه اللحظة لتفتك به !
أشعل سيجاراً وشرع بتدخينه بشراهةٍ فقالت بلا وعي وقد خفت وطأة حديثها :

دخنت كثيراً الليلة ستتلف رئتيك بهذا الشكل !",لاحت ابتسامةٌ ساخرةٌ على شفاهه وهو ينفث دخانه قائلاً بلا مبالاة: لا فارق....التلف يتملك حياتي بأكملها ",-سألها وهو يتفرس بملامحها:
- مراد... هل يعني لكِ شيئاً ؟ تطلعت فيه بعدم تصديق لتصرخ بغضب : ما الذي سيعنيه لي !! ما الذي سيعنيه لي ذلك الرجل ! إلى أين تريد أن تصل بكلماتك ؟!,استدارت عنه بحنقٍ ليديرها إليه مجدداً وهو يجابه صراخها بأعلى :رجعت للعمل برفقته! و أخبرني بتلك الرسالة التي أرسلتِها له قبل أن تختفين ...أخبرتيه علانيةً بأنكِ تهربين من شعورٍ بات يخيفك تجاهه، وكأنك تتذرعين بزواجه من اليسا لذلك تبتعدين عنه, و...إنه يحبك.. أنا .. أنا لا أستطيع أن أتخيل بقايا مشاعر تجاهك ناحيته.، لن أتحمل...إن اجتمعنا سويا لن أتحمل أن يكون لك ماض مع ابن عمي أتفهمين!!",هزت رأسها بصدمة : إذن تتذرع بالرسالة التي كتبتها ذات يومٍ وحتى قبل أن أعرفك!!
ثم تعالت ضحكاتها بشكلٍ هستيري وقالت :
أنا الغبية التي صدقتك كذبك وكلماتك الرخيصة ذلك اليوم، لن أستطيع مجاراة عالمكم الأرستقراطي اللعين .."ودفعته بعنفٍ من أمامها لتهبط درجات السلم فجذبها من ذراعها بعنفٍ إلى السطح مجدداً وأغلق الباب ليرتج الحديد وصرخ : لم أكذب أيتها الغبية بمشاعري ,لم اكذب عليكِ بأي كلمةٍ قلتها ذلك اليوم..بل أنا .. أنا أحترق من مشاعره تجاهك لا استطيع أن أفعل هذا بابن عمي.،لست متأكد ٌ كذلك من مشاعركِ نحوي ، لستُ أعرف، أخاف أن أتعرض لصدمةٍ عنيفةٍ أخرى... لقد تركتني واستقليت السيارة برفقتهم ذلك اليوم الذي كنا فيه على الشاطئ، ذهبت دون أن تعطيني أملا واحداً لبقائك ومحاربتك الجميع معي...وبعدها بعدها أعرف أنك بدأت بالعمل معه...بنفس المكتب كل يوم وتريدين أن أضحك وكأن شيئاً لم يكن! ,ثم انخفض صوته بشكلٍ ملحوظ ليتحول لهمسٍ مهزوز محتضناً وجهها بكفيه وقد ارتكز بجبهته على جبهتها : لست أنقص بحق الله أن تفعلي هذا بي",تهدج صوتها وهي تقول بعدم تصديق :

أنا ..لن أؤذيك..أنا.." لكنه قال مجدداً وهو يرفع وجهها لتتلاقى نظراتهما : ألا يوجد مشاعر أبداً ناحيته إرحميني وانطقيها وأقسم بأن يتغير الكثير بعدها، بل سيتغير كل شيء، أريد فقط أن أستشعر صدقك معي، أريد أن أتأكد أن هذا القلب لن ينبض لغيري، محتوى تلك الرسالة التي قالها شلت تفكيري تماماً وكلماته عنك، عملك معك الآن..كل شيء ملخبط... مشوش ,-أيها الأحمق !!، مسحت دموعها مردفةً بقهر : إن كنتُ أكن له مشاعر غبية لن أخبرك بأني معجبةٌ بك ذلك اليوم أمام البحر لن أتلاعب بمشاعرك وقد كنت صادقاً معي! لن أبقى طيلة أيام وأنا أنتظر منك مكالمةً لعينة.. إن كنتُ أكن له المشاعر لما تبعت رهف كالبلهاء ناحية حجرة تمريناتك وقد عرفتك هناك حتى قبل أن أدخل.، وانتظرتك لنتكلم ...لتعرف نهاية الكريق وإلام سيصل بنا إن كنت أكن له المشاعر لما رفضت مطلب ضياء هذا اليوم وتمسكت بيدك أنت ، لما سمحت لك في كل مرةٍ بتشتيت مشاعري اللعينة لأنتحب وأبكي كالخرقاء وأنا لم أفعلها أبداً سابقاً ...وأنت تستلذ بضعفي أمامك على ما يبدو تحب أن ترى الحيرة والحزن والءءء",واغتال كلماتها الباقية وهو يدفن رأسها على صدره وقال بصوتٍ متهدج وهو يغمض عينيه : هششش اخرسي.. لا أريد سماع المزيد "

شهقت وكادت أن تزييح نفسها عنه لكنه أعادها مجدداً لصدره ليشد بذراعيه عليها أكثر ليستكين بهدوء وكأن الزمان قد توقف هذه اللحظة، تمتم بصوتٍ بالكاد سمعته : أتعبت روحي يا متخلفة! أتعبت روحي بهءه الأيام القلال أكثر من تعبي لسنواتٍ وسنوات سابقاً ! ,تشبثت بقميصه بدموع أغرقت صدره ليبعدها قائلاً بخفوتٍ يمازحها :قميصي جديد لقد تلطخ بالكحل!

لتنفرج عيناها وتضربه على صدره بابتسامةٍ واهنة :إنه أسود ..أسود كقلبك الأحمق الذي يبكيني في كل لقاء "

تبسم بإشراقٍ ومسح دموعها بإصبعيه قائلاً بشغف : بل أنا مجنون! ، نظراتك تثير جنوني !

ثم أردف وهو يحيط الشال على كتفيها مجدداً : وهذا الشال اللعين إن سقط مرةً

أخرى فسأسقط رأسك وراءه، لا ترتدي مثل هذه الفساتين الغبية مجدداً "
استدارت عنه لتداري خجلها ثم قالت وهي تتوجه ناحية باب السطح: هيا لننزل تأخرنا هنا" ,أومئ لها بطاعة وهمس : يجب أن ننزل لأني لن أكون مسئولاً عن تصرفاتي إن بقينا لخمس دقائق إضافية هنا!!"
ثم احتضن كفها لينزلا سوياً وعند الباب كادت أن تسحب كفها فشد عليها أكثر قائلاً : لن أسمح لكِ بالابتعاد عني ثانيةً
-لكن ..لا يجوز إن .أبي " قالتها بارتباك فقاطعها قائلاً بثبات وهو يحدق بها : أنا عندما أحب..لا أخفي عن أحد، نحن لا نفعل شيئاً محرماً كي نداريه
" ,*******

,44
افلتت كفها من قبضته عندما وصلا لأعتاب الباب وسبقته إلى الداخل تقول بكلمات متلاحقة :
amp&; طبعا ً بالنسبة لك لن تهتم إن اكتشف أحد مشاعرنا فأنا من سأتحمل العقاب والضرب !!
ضحك ضحكات عالية وهو يدلف ورائها إلى الداخل لتتلاشى جمانة فوراً عن مرمى بصره ! ,وما كاد يخطو باتجاه أصدقائه حتى قالت إحدى فتيات العائلة :كنا نبحث عنك أين اختفيت يا عاشق الدراما؟
اقترب منها أكثر متسائلاً بسخرية : وها أنذا فيما تريدوني؟
ألا تريد تقديم أغنيةٍ للعروسين يا بلبل عائلة المنصور؟
قالتها ابنة عمه ضاحكة لتتعلق عليه الأعين فأجاب وهو يفرك ذقنه بأصابعه مجيباً : طبعاً هذا أقل ما يمكنني تقديمه. "
فرفع محمد كفه في الهواء ليتحدث..بعد اذنكم قبل الأغنية...هناك ما أود الحديث بشأنه:
نهض محمد وسار تجاه عابد وقال وقد رفع صوته: أبارك بداية خطوبة ابنك يا صديقي القديم...وكما أخبرتك سابقاً...وددت لو تكون الفرحة فرحتين.

أومأ له عابد باسما وسط استغراب كريم الذي تقدمت منه شقيقته رهف وقبضت على كفه باسمة وغمزت له دون أن يفهم شيئاً مما يدور حوله..
قال محمد ببهجة: يشرفني وأمام الجميع أن أطلب يد ابنتك جمانة لابني كريم على سنة الله ورسوله..
تعالت الشهقات والابتسامات وجمدت ملامح كل من كريم وجمانة لكن أحد لم يدع لهما مجال لابتلاع الصدمة فقد تقدمت عبير وسحبت جمانة من يدها ناحية عابد وكذلك فعلت رهف ليقف الجميع متقابلين..حين أخرجت رهف خواتم الخطوبة ..
عندما قال عابد: وأنا أعطيتك.
تعانقت نظرات كريم وجمانة بجنون وصدمة غير مصدقين لما جرى ! ,ناولته رهف الخاتم فقبض عليه بيدين ترتعشان وتناول راحة كف جمانة وألبسها إياه ببسمة مرتعشة، متوترة وفعلت المثل وما زالت غير مصدقة لجنون هذه اللحظات...
تعالت زغاريد النسوة حولهما فاستدار كريم ناحية والده يقبل رأسه وكفيه شاكراً مبتهجا سعيداً وكلمة شكراً لا تغادر شفاهه التي صار يرددها كالمجذوب ليربت محمد على كتفيه ليهدئ من اضطرابه:
-هذا أقل ما يمكنني أن أقدمه لك يا ولدي..ليكتب لك الله السعادة دائما.
اندفعت جمانة ناحية والدها وقبلت كفه بخجل وهي دامعة العينين وانشغلا بتلقي التهاني من الحاضرين...
تقدم منه آدم مستغرباً..مبهوتا من هذه المفاجئة الغير متوقعة وربت على كتف كريم وهو يقترب منه ويهمس بأذنه: ألا تنتهي مفاجآتك!
فغمغم كريم ببسمة: ولن تنتهي
-لنا حديث طويل إذن.
-ليكن...متى شئت، مبارك لك أيضاً..ووقف قبالتها أخيراً..عتقوها ليحتضنها كريم بأهدابه وحدقيتيه اللتين تراقصتا طرباً كقلبه المضطرب..اقترب منها وقبل جبهتها مطولاً وهو يهمس : إنها معجزة...معجزة تحققت بلمح

البصر..,هيا جاء دور الأغنية إذن : قالتها رهف وسحبته من أمام عروسه كيلا يتصرف تصرفا أحمق أمام الجميع فنفذ طلب شقيقته..وهو يحتضن جمانة بعينيه....يبثها كثيراً من الكلام الغير منطوق
قال بهدوء باسما محدقاً فيها:
سأغني...لكن ليعذرني صهري العزيز...سأغني لعروسي هذه المرة...
تعالت ضحكات رضوان الذي كان على مقربة منه قائلاً : هذا الشاب صراحته فجة "
لتتعالى ضحكات الحضور على كلماته، وبعد لحظاتٍ عم السكون بينهم جلس على حافة الكرسي الجلدي الذي كان يجلس عليه والده و رفع نظراته وشرع بالغناء بصوته الهادئ : ,هل عندك شك أنك أحلى وأغلى امرأة في الدنيا؟! وأهم امرأة في دنيا .
هل عندك شك أن دخولك في قلبي
هو أعظم يوم بالتاريخ وأجمل خبر في الدنيا؟,توجه مراد ناحية الصالة من جديد بعدما كان بالمكتب يصب كأساً من المشروب وقد سيطر الغضب على كيانه إثر هذه الفاجعة التي مزقت صدره ...حين نطق عابد الموافقة على خطوبتهما .
قبض على الكأس بيده وتوجه إلى الخارج ناحية الحضور مجدداً ليرتمي على أقرب كرسيٍ يجده....وأبعد مكانٍ عن مجال رؤية كريم اشتعلت وجنتا جمانة خجلاً فأردف دون أن يزيح ببصره عنها وكأنه يغني لها فقط دوناً عن الجميع بصوته الشجي :
هل عندك شك أنك عمري وحياتي
وبأني من عينيك سرقت النار وقمت بأخطر ثوراتي؟!
أيتها الوردة والريحانة والياقوتة والسلطانة والشعبية والشرعية بين جميع الملكات.,أغمض كريم عينيه وشدا صوته يرتفع بينما نفخ مراد دخان سيجاره عالياً اشتعلت عيناه واسودتا من الغضب والغيرة وهو يعتصر الكأس بين يديه ليلتمس هذا التناغم بين نظراتهما.,وآدم يحتضن كف نور ويكاد يحلق من فرط

السعادة وهو يداعب الخاتم الذي يحاوط إصبعها كما يحوط حبها قلبه همس لها بخفوت: سبحان من غير أحوال هذا الرجل!
لتضحك نور بخفوت ،
نهض مراد من على الكرسي ووضع الكأس على الطاولة وخطى مجتازاً الحضور ليتوقف بجانب جمانة وعلى الرغم من الإضاءة الشحيحة الهادئة التي تتناوب ما بين أزرقٍ وأحمر برقة لا تزعج الأعين تفرس بملامحها التي تسيطر عليها البهجة والسرور والخجل ...بدت هذه الليلة مختلفة، جذابة، رقيقة لأبعد الحدود، تفرس بملامحها بعيني ذئب ..التهم جسدها بنظراته الزائغة الغير متوازنة، نزل ببصره ليديها الناعمتين المنسدلتين على جانبيها فتقبضان على فستانها بتأثر... ليتجهم وجهه بطريقةٍ مخيفة بينما شرد كريم على اقترابه من جمانة لكنه أردف بصوتٍ ارتجف قليلاً ..لكن لا بد له من إكمال الاغنية التي طلبها الحضور وآثر أن يغنيها ,يا قمرً۪ا يطلع كل مساءٍ من نافذة الكلماتِ
يا آخر وطن أولد فيه وأدفن فيه وأنشر فيه كتاباتي
غاليتي أنتِ غاليتي . لا أدري كيف رماني الموج على قدميكِ
لا أدري كيف مشيتي إلي وكيف مشيت إليكِ
دافئة أنتِ كليلة حب من يوم طرقت الباب علي ابتدأ العمر.,توقف كريم للحظات عن الغناء وقد استشعر تحديق مراد بجمانة بنظرات يعرفها جيدا، ثارت النيران داخل صدره، فأراد تشتيت انتباهه ولو للحظات عن نظراته التي أشعلت الغضب فيه، وتطلع بعابد قائلا بثبات : أنا أحب ابنتك يا عمي"
جمدت العيون للحظات وحبست الانفاس وكثرت الابتسامات لتغرق وجنتا جمانة باكوام من اللون الياقوتي بسبب الخجل من حماقته ،أما مراد كمن وقف بمقابلة جلاده وجهاٍ لوجه عب الهواء بجشعٍ وقد استطاع أن ينتشل نظراته عن جمانة لتحط على كريم صديق الطفولة الخائن !! حدق فيه وبحقد ليزداد لهيب صدره تعالت ضحكات رضوان فقال عابد برصانة: أنهي اغنيتك يا ولد !
أومئ كريم لعابد : بامرك يا حمايا العزيز.
وتبسم وهو يبادل تلك التهديدات الصريحة من عيني مراد ويعاود إرسالها

بنظراته وعاود الغناء من جديد ،.,كم صار رقيقًا قلبي حين تعلم بين يديكِ
كم كان كبيرًا حظي حين عثرت يا عمري عليكِ
يا نارًا تجتاح كياني . يا فرحًا يطرد أحزاني
يا جسداً يقطع مثل السيف ويضرب مثل البركانِ
يا وجهًا يعبق مثل حقول الورد ويركض نحوي كحصانِ,مال مراد ناحية جمانة هامساً بصوتٍ كالفحيح : "جمالك قاتلٌ هذه الليلة"
تنبهت جمانة له لتشعر بخضةٍ وارتباك كونها لم تتنبه لوجوده سابقاً حدجته بنظرةٍ غاضبةٍ وكادت أن تتحرك من مكانها بعيداً عنه لكنه شد على خاصرتها بقبضة يده ليقربها لأمامه لينزوي بها خلف الجموع كيلا تطالهما نظرات كريم وأردف بصوتٍ مهزوز وقد لفحتها رائحة أنفاسه المتثاقلة المحملة بعبق المشروب : أخبرته بأنكِ ملكي أنا...أخبرته بأنني لن أتنازل عنك بسهولة.
حاولت الافلات من قبضته قائلة بانزعاج:
- وتمل أيضاً بحفل خطوبة شقيقتك ! أوصلت بك الدناءة لذلك ؟!
نهض كريم من على حافة الكرسي وصار يمشي بخطى بطيئة وهو يغني بعقلٍ شارد عندما تنبه لاختفاء جمانة ومراد عن مرمى بصره واستكمل اغنيته في شرود:,قولي لي كيف سأنقذ نفسي من أشواقي وأحزاني؟!
قولي لي ماذا أفعل فيكِ؟!. أنا في حالة إدمانِ
قولي ما الحل؟! . فأشواقي وصلت لحدود الهذيان
قاتلتي ترقص حافية القدمين بمدخل شرياني
من أين أتيت؟
وكيف أتيت؟
وكيف عصفت بوجداني؟!,غناها كريم بينما مراد قربها أكثر إليه ليشتم عبير شعرها وقد اخذ الخمر بعقله... وقالها هامساً بصوتٍ متهدج أجش وكريم يغني ذات المقطع من الأغنية لكنها استطاعت اخيرا أن تتملص من قبضته دون إحداث فضيحةٍ لتجرأه عليها وسط الحفل! ،
- ستندم على ذلك أعدك.بذلك! " قالتها بهسيس وهي تصر على أسنانها بعنف

و لكزته بجانب خاصرته بعنف ليرتد خطوتين إلى الوراء تطلع فيها بعينين ملتهبتين من الغضب وتعالى التصفيق بعد انتهاء كريم فاستغلت جمانة تشتت مراد لتبتعد عنه غارقةً بين الجموع حتى وصلت ناحية عابد وكأنها تلتمس الحماية منه، تنبه على صغيرته ليقو ل لها : هل أنت بخير "
أومأت له بإيجاب بينما كان التوتر والغضب يجتاح روحها كزلزالٍ بسبب مراد، اقترب منهما كريم بخطىً واثقة ليقول لعابد:
مساء الورد لأجمل عمٍ في الوجود.
سأختطف عروسي للحظة إن أمكن.
فضرب عابد كفا بكف واشار له بيده باسما..
احتضن كريم كف جمانة وسحبها وراءه للحديقة حتى توقفا أمام حوض المسبح الكبير..قال بلهفة:
-لم...أكن أعلم حقا أن والدي سيفهم وسيخطبك لي بهذه السرعة .
كتمت بسمتها فرفع ذقنها بيده : لكنها أجمل مفاجئة بالوجود...تليق بجمالك..تليق بعينيك.
أغمض جمانة عينيها للحظات بايمة ثم رفعت كفيها استسلاما: حسناً..دعنا ..
صمتت بخجل ليبتعد عنها خطوة يسأل: دعنا ماذا!! أكملي.
- لندخل للصالة رجاءً كريم..الأمور الليلة تسير بشكل جنوني متسارع.
ضحك وقد فهم مقصدها ليرفع كفيه استسلاما كذلك: حسناً سنخفض سرعة مشاعرنا قليلاً لتستوعبي الصدمة .
لكن اقترب مراد منك..رأيته، هل أزعجك!
حدقت فيه بجمود وهزت رأسها:
لا..ذاتا كانت اليسا بجانبنا
- حقا..لم انتبه عليها!
فأومأت ضاحكة وهي تخفي عنه نيران الغضب التي اشتعلت من وقاحة مراد الليلة: لأن عيناك كانتا مشغولتان بالذهول فقط!!
*******,وانحسر الليل لتلتهم أشعة الشمس نهار يومٍ جديد! ،. يحمل الأمل

لحبٍ جديد طرق الأبواب، يحمل السكينة لمن حصل أخيراً على عشقه الوحيد.
ولطرفٍ ثالث نازع الليل بطوله وسط سهادٍ وأرقٍ وغضبٍ وصداعٍ فتاك جراء اكثاره من المشروب...وكوابيس حتى في يقظته...
دفع الباب ودلف لغرفته قبيل الفجر...
كانت إليسا جالسة على السرير تنتظره...كان مشعث الشعر، فوضوي الملابس...وكأنه كان يصارع الغيلان في الحديقة الخلفية التي ارتمى عليها لساعات وهو يحتسي مشروبه بنهم سكير
اقبل عليها وجلس على السرير غير مدرك لعينيها الملتهبتين دموعاً وانكسار مما شهدته وهي تراقبه يتحرش بجمانة التي أهانته بعنف وصدته..
احنى جذعه وأخذ رأسه بين كفيه متكئ على ركبتيه وهو يتنفس باضطراب وغضب..
نهضت إليسا من على السرير والتفت حتى وقفت قبالته انحنت تجاهه قائلة بصوت مختنق:
-ألن تخبرني بهمومك؟
رفع رأسه المتثاقل ولوى شفتيه بابتسامة ساخرة: -همومي أكبر من حدود استيعابك.
شعرت بالغثيان من رائحة فمه التي تعبق بالمشروب الكحولي والدخان ابتلعت إهاناته المتلاحقة وضربت ركبتيه بقبضتيها بغضب: تحب جمانة لكن منذ متى؟
مسح وجهه بكفيه يكابح قبضتيه كيلا تنفلتا على وجه إليسا التي أردفت بقهر: تلك المرة أنت طردتني من منزلك...لكن اليوم...اليوم سأغادر من تلقاء نفسي.
اعتصر كتفيها ببعضهما صارخاً: ما إن تعبري عتبة هذا الباب اعتبري نفسك طالق..
فضحكت باستخفاف ودموعها تسيل قهراً: أنا ذاتا اعتبرت نفسي طالق منك منذ ليلة زفافنا، صبرت على طباعك، على خيانتك، على جميع مساوئك..لكني لن أصبر بعد الآن...لقد اكتفيت من أنانيتك.

شد بقبضتيه على ساعديها : أنت حامل بطفلي هذا الذي في أحشائك طفلي أتفهمين، لن تغادري هذا المنزل ما دام الجنين مرتبط فيك ستبقين هنا تحت جناحي وكلمتي هي التي ستنفذ ..ستحترمين اسم زوجك ومكانته وإلا لن ترضيك النتائج.
علا صوتها بجنون:
- هذا ما يهمك فقط ...اسمك ومكانتك بين الناس وبعدك ليحترق الجميع...لقد احرقت حياتي بسبب جمانة والآن نفضتك عنها كذرة غبار وخطبت لغيرك..
ارتفع كفه بالهواء وصفعها بعنف لتشهق باكية ..دفعها على السرير وفر خارج الغرفة كمن تلاحق شياطين الأرض .,قضى ليلته خارجاً في الحديقة
يجلس على المقعد ...يكاد رأسه ينفجر حتى اقبل الصباح.. نهض و أخذ حماماً ساخناً عله يهدأ ذلك الصداع القاتل ثم غير ملابسه لينطلق إلى موقع البناء بعد ذلك ليراقب سير العمل واعطاء التعليمات للعمال،
تعاظمت حدة آلام رأسه، صداعٌ تملكه طيلة تلك الساعات وعلى الرغم من ذلك تحامل على نفسه لإتمام عمله،...ليدفنه العمل كيلا يفكر بشيء...
لا يريد أن يفكر بجمانة تلك التي صبت النار على جسده وبإليسا التي تركته يحترق حيا...,طال تواجده في موقع الإنشاء حتى جاءه اتصالٌ من من أحد العملاء كان قد اتفق معه سابقاً لتصميم فندقٍ ساحلي... وبعد شجارات مع ذلك الرجل الذي أصر على توقيع العقود هذه الليلة لاضطراره الى السفر لخارج المدينة استسلم مراد موافقاً وتطلع بساعته مجيباً بإيجاب ليعود بعدها إلى مقر الشركة ،.,دلف مراد إلى المكتب بعدما تجاوزت الساعة الثانية والنصف بعد الظهر وقال بلهجةٍ آمرة حتى دون أن ينظر إلى جمانة أو يلقي السلام:
- ألغي جميع المواعيد لهذا اليوم وغداً إلى الأسبوع القادم وسلمي مخطوطات المنتجع إلى ضياء الدين ثم جهزي عقود الفندق الساحلي... سنسافر بعد قليل"
وقفت مشدوهةً من سيل الأوامر التي نطقها بسرعة وبعدما فطنت لما تفوه به لحقت به إلى الداخل قائلةً بازعاج : سفر!!! أي سفر ؟ لن أسافر معك إلى أي مكان أيها المتخلف !,ألقى سترته السوداء بإهمال على الكرسي وهتف بها

صائحاً وهو يجهز اوراقه ليضعها بالحقيبة :,- أنا لا أطلب اذنك يامحترمة ، أنا آمرك نحن هنا بعملٍ وعملك كسكرتيرتي الشخصية يتوجب عليكِ تنفيذ أوامري، ابقي مسائلنا الشخصية اللعينة خارجاً ."
انفرجت عيناها من طريقته العدائية الفجة في الحديث فأجابت بنفور: لو لم أقابل عمي رضوان صباحاً وطلب مني مرافقته الى الشركة ما كنت لأحضر أصلا ...اعتبرني استقلت ",-بجهنم..اخرجي من الشركة ومن حياااتي" صرخ بها وهو يضرب المكتب بقبضة يده
فزمت شفاهها بغضب قبل أن تندفع تجاه الباب وتغلقه بعنف ليرتج الزجاج .
صاح من خلف الباب بصوتٍ جهوري وهو يلوح بيده: وهذا اللعين لا يغلق بطريقتك الهمجية.، لسنا بشارعٍ هنا ",أطلت برأسها مجدداً بعدما لملمت أشيائها وصرخت به :
ما أنا ذاتا تربية شوارع، وبالمناسبة لم انسى ما فعلته من وقاحة في الحفل، وتاكد بأنك ستدفع ثمن تطاولاتك معي"
ضربته تلك الحمقاء بعمق رجولته ليهب من وراء المكتب مواجها إهانتها: احفظي لسانك يا كومة الغباء المتحركة"
دفعت الباب أكثر لتدلف وتغلقه بعنف مرة أخرى وأخرى ليرتج زجاج النوافذ وسط ذهوله من نوبات جنونها أدارت وجهها حتى التقطت إحدى الاكواب الموجودة على الطاولة الجانبية وقذفته بها وهي تصيح : سترى مدى غباء كومة الغباء ،..,شهق وتراجع عن مرمى يدها لترتطم الكأس خلفه على الحائط وتتناثر شظاياها لتشتعل عيناه بغضب
وما زال ألم صدغه يفتك به، بل تلك الحمقاء أججت غضبه ليلطق لها سيلا من السباب البذيء ولأول مرة يفعلها مع الجنس اللطيف!! ،..أمسك منفضة السجائر دون وعي منه وقذفها ناحيتها لتركع على الأرض متفادية تلك الصدمة الوشيكة ونهضت بعدها تكيل له المزيد من الشتائم اللاذعة بعدما رمت شهادته الجامعية المعلقة على الحائط لتتكسر ويتناثر شظايا بلورها.
تراجعت بتلقائية عن عيناه المشتعلتان من الغضب حتى التصقت بالباب وهو

يتقدم منها مدت يدها من خلف ظهرها لتفتحه وتغادر ،
فكان الأسبق ومد يده بتلقائيةٍ وأدار المفتاح ليقفل الباب عليهما رغم تأجج النيران داخل حدقتيه قال وهو يسحب المفتاح ويضعه بجيب قميصه: لن تخرجي من المكتب ...وسأريك الجنون على أصوله يا ابنة الأصول "
تراجع والمفتاح بيده ليجلس خلف الطاولة ويعاود عمله المزعوم على الرغم من وجوب مغادرتهما خلال بضع دقائق ليستطيع السفر هذه الليلة لتوقيع العقود. ببرود مستفز لها، ظلت تراقبه بانزعاج وهو يتجاهل تلك الجنية التي تفور وتغلي من الغيظ مما زاده لؤما. !
أخرج هاتفه ليستكمل سيل التعليمات لمسؤول العمال في موقع الإنشاء بل ويستطيل في الشرح لتفرك جمانة صدغها بعصبيةٍ من تصرفه وهي تدور أمام الباب كالقطة المحتجزة بداخل قفص !.
دقائق مرت حتى قالت بحدة : افتح الباب اللعين قبل أن أصرخ لأهدم هذه الشركة فوق دماغك أنت توترني ! "
تبسم بانتصار وأرجع بجذعه ليستريح على الكرسي قائلاً بخبث :
-لتتهدم... نحن شركة إعمار سأعاود بناءها مجدداً "
وتعالت ضحكاته المستفزة الحانقة وأخرج سيجاراً ليشعلة وهو يلتهمها بعينيه كمن يشاهد عرضاً مسلياً في السيرك !
ثم أردف بذات العبث : المفتاح بجيب قميصي يا عروس",صرخت به وهي تتقدم : كف عن سخافتك مراد وهات المفتاح وإلا سأتصل بآدم كي يفجر دماغك السميك !,قهقه لاستفزازاها أكثر مجيباً : عشنا وشفنا.، جمانة تحتمي بأحد!؟ يا لهذا الزمان ! "
أستدار بكرسيه ليدير لها ظهره متأملاً الواجهة الزجاجية فعضت على شفاهها بحنق وضربت الأرض تحت قدميها وهي تتقدم ناحيته والتفت ناحية الجهة اليمنى من المكتب بلحظةٍ أدارت الكرسي ليصير قبالتها ومدت يدها بخفةٍ وانتشلت المفتاح فأمسكها من ساعدها وجرها ليسجنها بين الكرسي والمكتب واستند بكفيه على حافته، وقف وركل الكرسي بقدمه بعنف ليتطلع بهاتين

الجمرتين اللتين اتسعتا ذهولاً من فعلته :
-احفظ ماء وجهك وابتعد عني ",قالتها بقوةٍ جليةٍ أمامه، فتطلع بها بشرود على الرغم من أنها بهذه اللحظة لا حول لها ولا قوة إلا أنها ما تزال مصرةً على المجابهة! هذا بالنسبة لما يراه أمامه لكن فؤادها بهذه اللحظة يرتجف من الداخل هلعاً وهو يسحقها بنظراته وبحقده، و
بالكاد خرجت تلك الحروف رصينةً من بين شفاهها، شد بقبضته على المكتب وهو يقترب أكثر بهدوء ينافي البراكين التي تتوقد داخل فؤاده،كانت صغيرةً جداً ضئيلةً أمام هذا العملاق الذي بالكاد تصل حتى صدره رفع حاجباً وأخفض الآخر لترتسم ابتسامة شقية على شفاهه ويقول وهو يفترسها بنظراته : اليسا عرفت وطلبت الطلاق..
حدقت فيه بعدم استيعاب وتمتمت: أنت مجنون"
اومأ لها مؤكداً وتابع: ضربتها....اعتبريني مجنون وحقير ...لكن هذا ما حدث هالتها حالته المروعة وهو يحدق فيها بجنون ظاهر ...طال صمتها تخاف إن تكلمت أن تطالها نوبات جنونه...قال بعد دقائق طويلة بطريقة مفاجئة: دم دم تك" قلبي يعلن اقتراب ساعة الصفر..,انفرجت عيناها على جنونه لتتعالى ضحكتها الذاهلة على استطاعته التصرف بهذه الطريقة!
-سأهب عمري كاملاً في سبيل الحصول على ضحكةٍ أخرى من شفاهك "
قالها بابتسامةٍ هادئة وهو يصارع أفكار هذه اللحظة لتشيح بنظرها بعيداً عنه وتدفعه برفق
فقال بهدوء: أصنافُ الرجال أربعة... الغبي، والغبي المتذاكي، والذكي، والذكي المتغابي...يُهزمُ جميعهم باستثناء الأخير فاحذري مني, لأني مستعدٌ لارتكاب فعلٍ غبي هذه اللحظة "
رفعت رأسها بشموخ ولسعته بلدغة كلماتها السامة : أنت قلتها..الرجال.. لا أشباه الرجال.. لذلك لا خوف منك"
****

45,بداخل الفيلا تجهزت بحقيبة صغيرة ليحثها مجدداً على الهاتف فتلقفته وصرخت: حسناًاا حسناً سأنزل .
قالتها بحنق وهبطت درجات السلم لتقابل عبير بالصالة فتسائلت عبير باستغراب :
إلى أين يا جمانة ؟
اجابتها بوجه مكفهر : هناك توقيع عقد ويريدني أن اذهب معه"
-آدم؟
-لا مراد"
استنفرت أعصاب عبير ما ان نطقت جمانة اسمه حتى وقفت ومشت تجاهها تتسائل: لوحدكما ؟
-على الأغلب نعم خالتي .
شدت عبير بغضب على قبضة يدها ليهبط مراد درجات السلم قائلاً بنفاذ صبر :
+ ألم تنتهي حتى الآن سنتأخر " . القت جمانة السلام على عبير مودعة فقالت عبير لمراد فوراً : -هل يعلم عابد بأنها سترافقك .
تطلع مراد بعيني والدته المحذرة وقد فهم مغزى نظراتها التي تخترقه ليردف بثبات: يعلم حتماً ووالدي سيلحق بنا من مقر الشركة مباشرة وسنلاقيه هناك لن اختطف السندريلا أمي !!
ثم أردف ساخراً: سنوقع العقود وغداً منذ الصباح ستكون بأحضانك لا تقلقي، هيا جمانة " حدقت عبير فيه بانزعاج: اليسا تبكي منذ الصباح ورفضت حتى تناول الطعام.
هتف بعسيس: لا آخذ منها سوى البكاء وندب حظها،دعيها تبكي حتى تشبع.
هزت عبير رأسها بغضب: عندما تعود...لي حديث طويل معك .جلست جمانة بجانبه بالسيارة وهو يقود بصمت يحاول تهدئة اعصابه التي أتلفتها تلك الهوجاء التي غرق بحبها رغماً عن أنفه،
لاحظت جمانة انعقاد حاجبيه وسرحانه طيلة الطريق لكنها لم تتحدث فلا تريد

شجاراً جديدا بينهما يكفي ما حصل هذا الصباح يكفي نا الذي فعله مع إليسا بسببها.،.كان الطريق يستغرق ساعتين تقريباً رفعت صوت المذياع وأرجعت رأسها إلى الوراء تستمع إلى الأغنية بعقلٍ شارد وهو يقاوم معركة عنيفة داخل صدره.اسدلت جفنيها رغمًا عنها حينما شعرت بالملل لتغفو مسندة رأسها على الزجاج ليتنبه عليها بعد دقائق... وكيف لتلك الجنية أن تختطف قلبه دون رحمة بهذا الشكل، تطلع فيها رغماً عنه ورفع صوت المذياع أكثر ليكمل الطريق.،.ومر اليوم سريعاً جداً ما بين توقيع العقود وحفلة عشاءٍ بسيطةٍ ضمت رضوان ومراد مع العملاء ليعودوا إلى الفندق الذي تم حجزه مسبقاً، كان كريم طيلة الوقت يحادثها.. صحيحٌ أنه غضب أشد الغضب كونها سافرت معه كونه يشعر بالغيرة من خصمه العتيد إلا أنها طمأنته... فتلك الجنية عند اللزوم جنيةٌ بحق وخاصة أن والده برفقته...ولن يفعل حتماً شيئاً غبيا بحضور والده!,وأطل الصباح الجديد.، ومراد كعادته يدفن رأسه طيلة الليل على الطاولة يرتشف مشروبه الكحولي كان غاضباً حانقاً من تجاهلها طيلة الوقت وكأنه على هامش حياتها...

لم يتصل بإليسا، لم يطمأن عنها طوال رحلته وكأنه قام بمسحها من قاموسه ولربما هي بهذه اللحظة لا تريد اتصالاته ولم تعد تنتظره بعد قلح ما فعله !,استغل مراد فترة انشغال والده خارجاً وصار يطرق باب حجرتها فتحت له وهتفت :

-ما الذي تريده بحق الله !

-يجب أن نتحدث قبل أن نسافر" زفرت بتململ وهي تمسح وجهها بيديها وما كادت تخطو حتى دلف ورائها وأغلق الباب لتنتفض وهي تستدير مجدداً ناحيته : ما الذي تفعله مراد ؟ اخرج سأغير ملابسي وأوافيك للاستراحة الفندق"لا " قالها باقتضاب وجلس على الأريكة بأريحيةٍ مردفاً : أعرف لسانك الطويل وحماقة أسلوبك... ستفضحيننا أمام خلق الله ثم لا ينقصني فضيحة أمام والدي"جلست قبالته قائلةٍ بنبرةٍ جادة : أتعرف أثق بأنك لن تستطيع إيذائي فمهما جرى بيننا بالنهاية انا ابنة خالتك وبهذه اللحظة أنا أمانةٌ بعنقك لذلك

سمحت لك بالجلوس لنتحدث وكما أخبرتني سابقاً بأريحية كيلا أفضحك أمام خلق الله وتعرف أن فضيحتي فضيحة بحق...ستمرغ وجهك بالتراب بعدها...
-أعرف .
-حسناً إذن تفضل ، أنا استمع "أجاب بهدوء ينافي براكين صدره : دائماً ما تهربين مني ، أقترب فتبتعدين مع الجميع تكونين كالهرة الوديعة ومعي أنا وكأنك برفقة الشيطان، طيلة اختفائك صرت كالمجاذيب وأنا أبحث عنكِ، تعلقت بكِ حد الجنون، عشقت عنادك، تمردك، طيشك، جنونك، ألبستك الغريبة التي لم تزدني إلا هوساً بكِ "أخذ نفساً عميقاً وهو يتفرس بملامحها الجامدة أمامه وانحنى أكثر تجاهها لتتلاقى عيناهما قائلاً برجاء : جمانة.،.لا أطالبكِ سوى بالشعور بي..احترام مشاعري، أهذا صعب"أطرقت برأسها إلى الأرض وقالت بصوتٍ متهدج : الم تفهم أنني خطبت لكريم!
رفعت يدها كي يرى الخاتم وقالت بجمود: أنا الآن محسوبة على اسمه...أي أن كل شيء ستود قوله ما عادت له فائدة بعد الآن...
اعتصر كفها وأنزلها مشدداً على حروفه:
-أنا لا اعترف على هذا الخاتم الغبي.
- أتعرف لماذا؟ لأنك غير مؤتمن، فحتى لو لم أكن مخطوبة، لا أشعر ناحيتك بأي شيْ لن تجبرني على محبتك انت شخص لا تقدر معنى الأسرة، لا تفهم معنى الوفاء ..ما أراه أمامي مجرد رجل فارغ أجوف أناني مسيطر..كلماتها غرست سكيناً داخل صدره ليرفع صوته مجدداً بغلظة :لطالما شعرت بمشاعرك تجاهي قبل أن تهربي مني... شعرت بمشاعرك وبنظراتك تجاهي !,- كان بسبب حياتي اللعينة السابقة فارق الطبقات، فارق السن، فارق المشاعر، لربما فعلاً أحببت ذلك الاهتمام الذي اغدقتني به في وقتٍ كنتُ فيه ضائعةً وحيدة، بائسة ، لكن اهتمامك بي اثار هلعي منك، زواجك من إنسانةٍ كإليسا، ثم ثم عاداتك السيئة، معاشرة النساء بالحرام، ارتشاف الكحول وغيرها وغيرها وغيرها...صاحت بانفعال بينما هو يقف أمامها مشدوها وهي تتلفظ بتلك الرصاصات التي تخترق صدره لتمزقه شر تمزيق اردفت بقهر : خياناتك

المكررة لزوجتك، نظام حياتك العبثي كل شيءٍ يشعرني بالنفور منك .. و ,، وفجأةً ظهرت عائلتي ليتغير مجرى حياتي بالكامل ، وبعدها ظهر كريم بحياتي.، كريم الذي أحبني بصدق لما أنا عليه.. لم يطالبني مرةً بأن أتغير لأجله... لم يطلب مني بأن أغير من تصرفاتي وألفاظي وألبستي بل على العكس أحبني كما أنا، ليس كحالك وأنت تقوم بانتقادي كلما سنحت لك الفرصة ! لم يتخيل شكلاً لفتاة أحلامه وأجبرني على ممارسة هذا الدور بحياته كما فعلت أنت، أفهمت ما الذي تغير يا مراد، أفهمت ما الذي جرى لأتغير ؟.!,لو...لو كنا بموقعٍ آخر، لو لم تكن متزوجاً، لو كان نمط حياتك مغايراً، لو كنت تحترم النساء ولًا تعتبرهن متعةً خالصةً لك... لوكنت ملتزماً أخلاقياً، ربما كنت سأسمح لمشاعري بالتمرد, لكن بظروفك ووضعك الحالي يستحيل...بل يستحيل لأنني وجدت الإنسان الذي سأحبه.

قال بسخرية مريرة:

-أي انك لم تحبيه بعد!

-للعقل كلمته...والقلب سيختار الطريق الصحيح قريبا جداً...لأن علاقتنا مبنية على الوضوح من البداية .,تعالت وتيرة أنفاسها وتهدج صوتها لتنتشل حقيبتها قائلةٍ : سأعود بمفردي ، سأستقيل من الشركة ،وبكافة الأحوال سننتقل مع أبي وآدم قريباً..

اسمع اعتبر الماضي ذكرى جميلة تذكرني بها واكتفي بذلك.ورجاء كف عن ملاحقتي ،. يكفي لقد اكتفيت يامراد.. اكتفيت من تصرفات الأطفال تلك."وغادرت الغرفة وهو ما يزال يتطلع بمكانها الفارغ... شعر بأنه يتقلص ويتقلص حتى أضحى كالحشرة الوضيعة وتلك الجمانة سحقته بكعب نعلها دون رحمة! ,********

عبرت سيارة رضوان بوابة الفيلا الحديدية وترجل منها رفقة جمانة...

كانت عبير قد سألت عن مراد ليحيبها رضوان باقتضاب : آثر البقاء هناك هذه الليلة أيضاً.

هزت عبير رأسها بانزعاج بينما انسلت من جانبهما جمانة التي لاحظت تعابير

وجه عبير الغير مرتاح سألت نور عن إليسا لتخبرها أنها في غرفتها ولم تخرج منها .
اندفعت جمانة ناحية غرفة إليسا دون أن تطرق الباب فوجدتها جالسة على الشرفة في شرود ..
خطت الشرفة وجلست أمامها على الكرسي المقابل فتجاهلتها إليسا وهي تمسح بقايا دموعها..
قالت جمانة بعد دقائق: لن استطيع مواساتك لكني أشعر بك ..ولن أستطيع إلا أن أقول لك أن هذا الرجل ،.
انتفضت إليسا صارخة فيها : هذا الرجل ...هذا الرجل ماعاد يعنيني اشبعي به..أنا لا احد يشعر بي..لا أحد يشعر بالنار التي تحرقني منذ دخولك هذه الفيلا..
نهضت جمانة لتهدئتها: أخبرتك مراراً ان لاعلاقة لي بأي تصرف صدر منه... لا خوف مني .. أخبرتك أنني صددته ..لكن...هذه هي طبيعته هذا ما هو عليه زوجك، فإن لم اكن أنا نصب عينيه..لأوجد مائة فتاة غيري ليتسلى بها .
انهارت اليسا على الكرسي من جديد تبكي بحرقة : ما الحل...ما الحل وأنا عاجزة هنا..خسرت حياتي..مدرستي وطفلي بأحشائي أشعر أنني كرهته قبل حتى أن أراه لأنه مرتبط باسم مراد أهلي يستحيل أن يسمحوا لي بالطلاق ..وأنا..أنا خائفة .
عانقتها جمانة وقد سالت دموعها قهراً..
دخلت نور الغرفة ووقفت على باب الشرفة تستمع لهن..عاقدة ذراعيها لاجمة اللسان لا تستطيع لفظ كلمة تدافع فيها عن شقيقها ..
رفعت جمانة وجه إليسا وهتفت فيها: من الآن فصاعدا ستكونين قوية إليسا..ستكفين على البكاء بسبب أي أحد...أنا لم أصل لهذه المرحلة من القوة إلا بعد الذي تعرضت له ...وما تعرضت له قبيح جدا...قبيح ولن تتخيلي مدى سوءه، لذلك عليك أن تنهضي أن تقاومي رفقة طفلك، ستعودين للدراسة وستنجحين اعتبري مراد في هامش حياتك بعد الآن سواء بقيت على ذمته أم

لا..
المهم أن تستمري بالمقاومة وتتمسكي بأهدافك.,-جمانة! أتريدين منها الطلاق من أخي! لا تشجعيها على ذلك لطفاً .
سألتها نور بارتباك وخوف لتحدق فيها إليسا بقلب مسحوق: عندما طلبت الطلاق في المرة الأولى نلت صفعة منه ..لكنني تحملت وصمت بعد معرفتي بخبر الحمل...وقد بدا سعيداً جدا..رفعني لأعالي السماء ثم هوى بي من جديد... وبعد أن قررت الابتعاد قام بتهديدي.. ومن يعرف ما الذي سيفعله بعد ذلك .
شهقت نور وانحنت تجاهها بألم: اليسا أنا...
هزت اليسا رأسها: لا تبرري .. احترمكم جدا..أحبكم جميعاً..لكن هذه الحياة لم تعد تطاق يا نور .لقد أطفأني أخوك...أكاد اجن من التفكير وقلة الحيلة .
ربتت جمانة على كتفيها: لن أتركك ما حييت يا اليسا.. هيا الآن كفانا حديث عن هذا الموضوع...انهضي معي لنجلس في الحديقة الجو جميل جداً اليوم...
قالتها جمانة وهي تسحب إليسا بالغصب معها لتومئ لها نور...: وأنا سأصنع بعض المقبلات اللذيذة..أشعر بجوع شديد .
استطاعت جمانة استدراج اليسا لتجلس بالحديقة
علها تستنشق بعض الهواء النقي ...علها تشعر ببعض الراحة ..لينضم إليهم بعد دقائق باقي أفراد العائلة ،
نهض آدم من على كرسيه وهو يخاطبهم: استأذنكم الآن سأختطف عروسي قليلاً..
ارتبكت نظرات نور ليحدق فيه رضوان بصرامة: -عيني عليك يا ولد، أي حركة غريبة لن يهمني أن والدك لديه مهارت قتالية ليدافع عنك ..اقتلك بأرضك.
ضحك عابد وهو يرفع كفيه : من ناحيتي لن اتدخل بشيء...إن اخطأ فهو تربيتك..
ضحك آدم وهو يسحب الكرسي ويقبض على كف نور ويجرها خلفه هامسا: عقدنا القران ولم أنتهي

فظيع أبوك يا نوارة....فظيع!!
ضربته بخفة على ساعده: تأدب يا ولد لا تتحدث عن أبي.
وصلا الطرف المقابل من المسبح وجلس تحت شجرة التفاح وسحبها لتجلس بجانبه فرفعت الهاتف بتلقائية لتلتقط صورة لكليهما فابعد الكاميرا: ألا تكتفين من التقاط الصور!!
- لا...إنه شغفي، هيا ابتسم.
انهت التقاط الصورة فرفع كفه وقبض على كفها التي تحمل الهاتف وتمتم بسعادة وهو يلتقط الصورة من مكانه لهما : هو شغفك ...كما أنت شغفي"
والتقت نظراتهما ...كان يحتضن كف تلك الفاتنة التي سحرته بأنهار العسل المطلة من حدقتيها الواسعتين.، لم تسحره بل أغرقته ولن يتمنى يوماً أن ينتشله أحدٌ من هذا الغرق !لا لجمالها...لا لروعة تدرجات العسل الذي جمعته في كل جزء من أجزاء جسدها ..بل لأنها هي ..لأنه يعرف أفكارها ..يعرف عنادها..ما يغضبها ما يفرحها...يعرف أخلاقها .
طالت نظراته دون أن يتكلم بشيء فقط يحتضن كفيها الناعمين بين يديه ,وعلى الطرف المقابل من المسبح يجلس الباقون
كانت إليسا شاردة عيناها محتقنتين بشكل واضح...بائت محاولات الجميع لإسعادها بالفشل فما الذي سيفعلونه وأهم شخص في القضية قد باعها...
تنحنحت نور بخجلٍ من نظراته وهو غارقٌ بالتفكير سارحٌ فيها وهمست :
-كف عن النظر ناحيتي بهذا الشكل والدي سينتبه.
ازاح خصلاتها من أمام وجهها باسما: لينتبه..صرت حلالي..ثم كيف يكف القلب عن النبض؟ كيف تكف الأرض عن الدوران؟ أو الشمس والقمر عن التعاقب !
قالها بلهجةٍ آسرة فأشاحت بوجهها بعيداً ليردف : -مع الأسف لا أجيد الغناء أو إلقاء الشعر ولا أجيد الرسم لأرسم وجهكِ الذي يفتنني كل تفصيل فيه... ولا النحت لأحفر هذه الابتسامة التي تعتلي شفاهك.. ومع ذلك راغبٌ و بشدة أن أعبر لكِ عن مشاعري ..,دمعت عيناها لصدق مشاعره وشدت بأصابعها على

كفه لتجيب : كن وفياً لي وابقى معي وبجانبي فقط....ولا أريد شيئاً آخر
"اختلجت ضلوعه وتعاظمت حدة ضربات صدره عن المعتاد...وكأنها تخاف من تكرار تجربة إليسا مع شقيقها مراد، كان آدم يقر بخوفها وهي ترى أقرب الأشخاص لها يعامل زوجته بهذه الطريقة اللامبالية والمهينة دون احتسابٍ لمشاعرها ! اقترب منها بهدوء وقبل كفها مغمضاً عينيه :"- لا تقارني مشاعرنا بأحد!! سيبقى حبك متملكاً مني ...حتى تنسحب الروح من جسدي
"ابتعد قليلاً يراقب هذا الوجه الذي تملكه الخجل ود هذه اللحظة أن يخفيها بين ضلوعه بعيداً عن الجميع وما المانع من أن يفعلها !! لا شيء أبداً ،،
همس والبسمة تشق وجهه وكأنه لا يستوعب بعد:
-أنت زوجتي !! يا الله كم انتظرت أن ألفظ هذه الكلمة" تاهت أفكاره وهو يحدق بها... بكلمة زوجتي التي نطقها وأعادها وكأنه لا يصدق بعد أنها أصبحت ملكه...حلاله !
حدق برضوان الذي كان يغلي من الغيظ وبدا هذا واضحاً فقال مازحاً: والدك سينهض ويمزقني .
-اذن اترك يدي ..لا أريد أن أترمل قبل زواجنا.
-إذن لأعترف لك قبل أن يقتلني...أتعرفين أنك معجونة من أنواع العسل..
ضحكت وهي تشيح بوجهها متمتمة: جن آدم!!!
فاستكمل :
لعينيك لون عسل اللافندر..
ولشعرك لون عسل السدر..
أما بشرتك..
فانتفضت بتهديد : إياك وتشبيه بشرتي بالعسل! لست سمراء !!
ضحك عالياً : حسناً أيتها المغرورة... لبشرتك لون العسل الأبيض الصافي...ألقت جمانة السلام على والدها واستأذنت بالانصراف وانطلقت تجاه سيارة الكريم المتوقفة أمام البوابة واستقلتها برفقته ...كان وجهه رائقا مبتهجا...السعادة تشع من حدقتيه ..لم يقابلها بابتسامةفقط بل كانت عيناه

تضحكان، شفاهه تضحك رغم هدوئهما الظاهر وقلبك يضحك ضحكات لم يشعر بها سابقاً بهذا العنف والقوة...
- ما سر هذه النظرة يا ترى؟
سألته جمانة وانتقلت عدة الفرح تلقائياً لتغمر روحها لكن ما لم تكن تتوقعه أنه مال ناحيتها ولثم وجنتها قبلة جعلتها تجفل وتبتعد لتلتصق مؤخرة رأسها بزجاج النافذة. .
- ما الذي تحاول فعله!
أدار المقود وحرك السيارة مجيبا بجدية : لم أحاول بل أخذت.. وهذه هي مراسيم الاستقبال التي ستستقبليني بها في كل لقاء .
- لن أفعل..
- ستفعلين جمانة...ستفعلين .
وزاد من سرعة سيارته فهتفت به :
- لن افعل وانطح رأسك بأقرب حائط...
داس الفرامل بعنف لتطلق السيارة صريرا عالياً وتتوقف بغتة فكاد رأسها أن ينطح الزجاج الأمامي لولا أنه بسط راحة كفه أمام جبهتها ليثبها
صرخت فيه برعب ليطلق ضحكة رنانة ألجمتها بضربة على كتفه:
- أنت مجنون! اتعرف أنك كتلة عضلات مجنونة معجونة بالحمق والتناحة.
ألجم ضحكته واستدار ناحيتها محذرا:
-كل كلمة شوارعية تخرج من فمك سيكون عقابها قبلة: فنظفي ألفاظك جيداً أيتها الجميلة ...أنت تحتاجين لترويض فعلاً!
فرجت عيناها وقالت مدافعة : كدت تسحق رأسي بزجاج سيارتك!
فتجاهل كلمتها وانطلق من جديد قائلاً بهدوء: -حذرتك..فانتبهي لكلماتك جيداً...لأنني منذ اللحظة سأبدأ باستفزازك .,عضت شفاهها بحنق وادارت وجهها عنه لتحدق بالطريق السريع فأدار وجهه الباسم ناحيتها..هذه الفتاة ستنسيه نور بأسرع مما تخيل ..ستمحوها من جميع سجلات ذكرياته حتى!
سالته بعد دقائق:

-إلى أين نحن ذاهبان لم تخبرني؟
-لندعها مفاجئة ما رأيك ؟
فأومأت له وعادت تنظر من النافذة التي فتحتها هذه المرة لتقتحم الرياح السيارة وتلاكم بشرتها لتشعرها بانتعاش جميل ،
توقفت السيارة بعد حين ناحية البناء ذي الواجهة الزجاجية التي غطيت مبدئياً بعازل حتى ينتهي من استكمال إعداده...نزل وترجلت خلفه تحدق بهذا المبنى بعدم فهم ثم خطت داخله بعدما قام بفتح البوابة وإشعال الإضاءة ...لتنفرج عيناها وتضحك وهي ترى المعدات الرياضية المتراصة .. : ما هذا بالضبط!
سألته بتردد ليقول وهو فارد ذراعيه: حلمي...أنت الآن تقفين بداخل حلمي.
ثم قال مازحاً..لا مهلاً : يبدو أنهم حلم بداخل حلم!
-إنه...إنه لك! هذا المركز الرياضي لك !
قالتها بفرح وهي تنتقل من جهاز لآخر فأومأ لها مؤكداً،
-كل شبر فيه لنا.
استدارات ناحيته بعدم فهم ليردف وهو يحاصرها بعينيه...هذا المركز من الآن فصاعدا لنا.. ستستلمين القسم النسائي فيه لأنني وبكل بساطة، أريد أن أشاركك جميع تفاصيل حياتي..جميع لحظاتي.
أريد أن أشاركك جميع عواطفي التي بدأت بتشكيلها من جديد ..
ازدادت ابتسامتها اتساعاً وهي تسمع مل كلمة يلفظها...كل حرف كان ينطقه يقابله ازدياد في معدلات نبضها..
اقترب منها أكثر وأمسك بكفها لينتقلا إلى قسم النساء الذي جعله بالطابق الثاني وجهزه كذلك بعدة أجهزة وقال باسما: لكن يجب أن نختبر قدراتك البدنية ومهاراتك... كي تستحقي هذا العمل...أليس كذلك؟
ضحكت وتقدمت ناحية كيس الملاكمة قائلة باندفاع: وأنا جاهزة .
سلمها القفازات وارتداها هو كذلك ورفع قبضتيه أمام وجهه...
-لنرى مدى براعتك...
تلكأت قليلاً قبل أن تتقدم بتشجيع منه وبدأت بلكمه خجولة ليصدها

ببراعة ..وما هي إلا عدة لكمات صغيرة حتى بدأت باستجماع قواها لتثوم بلكمه مراراً وبسرعه لكن كفته كانت الراجحة فصد جميع لكماتها فبدأ بالضحك وكأن من أمامه طفل صغير يقوم بضربه بقبضتيه ليزداد انزاعجها منه وتتالت ضرباتها التي صدها جميعا لكن بإعجاب لمهارتها...إنها ماهرة فعلاً! ..توقفت بعدما يأست من اقتناص ضربة منه وصدرها يعلو ويهبط وقالت بانزعاج وغيظ: هذا ليس عدلا...إنها معركة غير متكافئة .
توقف لاهثلا:
- أخبرتك ذلك من قبل...والآن لأدركت سبب ضحكي السابق حينما تحديتني أمام الجميع..
كان بإمكاني اختبارك امامهم لكنني وقيتك الحرج.
حدقت فيه بغيظ وهي تخاع القازات وترميهم بجانبها: لا تسخر مني..لم تتأثر بضرباتي لأنك ضخم كالدب.
مد يده وق كتفيها واعتصر عنقها بساعده مثبتا إياها:
-أخبرتك أن تنتقي ألفاظك وإلا..
حدقت فيه برعب وخجل وهزت رأسها رفضت: إياك...كريم.
حدق بنظرات الرعب التي قلبت معالم وجهها فتعالت ضحكاته وأفلتها ليخلع قفازاته..ثم خرجا من المبنى ليعيدها إلى المنزل..ولم تتلاقى عيناها طوال الطريق ...بل كانت تخشى النظر ناحية نظراته التي تفتنها قال بعد برهة :
-أنا جائع لنأكل شيئاً
رمشت بعينيها وهمهمت باضطراب: أنا تناولت.،.العشاء.
- لا مشكلة تأكلين مرة أخرى معي...لنذهب عند مريومة.
فتحت شفاهها وغمغمت من جديد : حسناً أحب أكل مريومة.
وأنا صرت أحب أكل مريومة ايتها الشرهة ! .
قالت بمرح مفتعل لتخفيف حدة توترها وهما يسلكان طريق البحر: يبدو أنني خسرت الوظيفة.
- توسطت لك لدى صاحب النادي... العمل ينتظرك بعد الافتتاح مباشرة ..لكن

حتى ذلك الوقت لا أريد منك ان تذهبي إلى الشركة .
حدقت فيه وقد فهمت مقصده ليردف بذات الأسلوب المباشر بالأوامر: وسنقوم بإجراءات عقد القران سريعاً وحتى ذلك الحين حاولي عدم الاحتكاك بمراد بأي شكل ويفضل أن تنتقلي لشقة آدم...وبكافة الأحوال منزلكم انتهى تقريباً ستنتقلون قريباً .
- لكن يا..كريم، إن شقة آدم صغيرة...
قال بنبرة هادئة لكنها بدت غريبة جداً وهو يحدق فيها دون أن يعير اهتماما للطريق الذي يقطعه بسرعة بسيارته: لا أظن أنك ستضعينني بموقف سخيف كل لحظة وأنا افكر فيه...وبنظراته ومشاعره تجاه زوجتي..لم يركبوا لي خاصية قرون الاستشعار بعد...
- كريم... الطريق...الطريق يا كريم!، انتبه..
قالتها بخوف وهي تحدق بالسيارات المتسارعة التي تمر بجانبهما وهو يركز بنظراته عليها حتى انسلخ أخيراً عن التحديق فيها وتابع طريقه لتتنهد براحة...
قال بحدة فجأة: هل تكلم معك بشيء اليوم؟
هزت راسها بنفي: لا...لا انتهينا و...ورجعت فوراً مع عم رضوان .
ضرب المقود بكفيه : لا أحب الكذب...جمانة، الكذب لا أحبه...
زفرت بغضب وهي تحدق بزجاج السيارة :
-لم يقل شيئاً.. ولا أريد بدء صراع جديد ،
-حسنا اهدئي لم أقصد .
- بل تقصد ألا يكفي ما يفعله ويقوله ابن عمك ..بل وما تفعله زوجته التي تغار ثم تأتي أنت لتهدد وتتوعد وتتهمني بالكذب...
أوقف كريم السيارة على جانب الطريق واستدار ناحيتها:
-جمانة رجاءً كفى ...كان مجرد نقاش طبيعي.,-لا لم يكن نقاشاً كان اتهاما...جميعكم تتهمونني بمراد إن لم يكن علانية فبعيونكم..حتى خالتي عبير رأيت نظرات اتهام بعينيها
فتحت باب السيارة وهبطت منها دامعة العينين ووقفت أمام الحاجز الحديدي

أمام البحر فلحق بها مسرعاً لتردف وهي تحدق فيه: ,-لقد قلبت حياة العائلة منذ ولوجي ذلك المنزل وكأنني لعنة ..لعنة متنقلة أينما حللت بحل الخراب...والداي المتبنان ماتوا بحادث قضيت بعدها أسوء سنوات عمري في الميتم بلقب اللقيطة، وحين ابتسمت لي الحياة من جديد وغادرت رفقة امرأة طيبة تخاف الله لتعتني بي ..زج زوجها بالسجن ثم ماتت قهراً عليه وأنا عدت لحياة الضياع من جديد...والآن .الآن بعد أن رأيت عائلتي الحقيقية ..قلبت كيان الأسرة جميعاً،
انت...كفاك تعصف وتبرق وتلسع ثم تحاسبني على شيء لا علاقة لي به إن كانت علاقتنا ستستمر بهذه الطريقة فأنا لا...
كلدت أن تخاع الخاتم فاقترب منها واغتال باقي حروفها وهو يعتصر كفيها هامسا : هذا الخاتم...لن تخلعيه إلا على جثتي...حين أموت فقط بإمكانك رمي الخاتم على قبري

,**********,عادت إليسا إلى غرفتها ليلاً وجلست على السرير تقلب بألبوم صور زفافها... كانت تبكي محبته التي سحقها دون رحمة، ليست عمياء، هي تعرف مشاعره...مئات الاحتمالات والأفكار كانت تتصارع داخل مخيلتها.. خاصةً بعد الجدال العقيم الذي دار بينها وبين والدتها منذ أيام حينما صارحتها بمخاوفها !!!,لربما أنت مهملة يا اليسا الرجل من حقه أن يتزوج مرةً واثنتين وثلاث...المهم من كل الأمر هو نصيبك من ثروتهم... نصيب حفيد المنصور فقط ولا تفكري بشيءٍ آخر!
كانت كلمات والدتها تطعن كبريائها، تسحق روحها بكلماتٍ لا تنم سوى عن الطمع ،,النقود هي من ستجعلك سعيدة" قالتها بهية لابنتها مراراً سابقاً مسحت اليسا دمعاتها قائلةٍ بقهر وهي تقلب بالصور: ولكني لستُ سعيدةً يا أمي !!! لستُ سعيدة .
أطلقت تنهيدةً عميقةً وهي تتلمس بطنها ولربما الآن تشعر بالخواء فقط...

بالضعف والعجز بعد أن انهارت أحلامها واحداً تلو الآخر... الدراسة.. الحب.. العائلة المستقرة..الأمان !",لم يعد للدموع أثرٌ يذكر.. الدموع لن ترجع حقك يا إليسا " قالتها بصلابةٍ لم تعهدها سابقاً وهي تتطلع بنفسها في المرآة وتقدمت بقدمين بالكاد تحملانها لتخرج من غرفتها...سترمي بتحذيراته وتهديداته عرض الحائط فلم تعد تبالي ..أثقلت الهموم أوجاع روحها أكثر من الحمل ، استندت على حافة السلم وقد شعرت بدوارٍ عنيفٍ يهاجمها بعد امتناعها عن الطعام منذ الصباح ولم تكد تهبط أولى الدرجات حتى التوى كاحلها وتدحرجت على الدرج بعنفٍ ليستقر جسدها هامداً على الأرضية ,**********

الفصل الأخير,((مراد)),من يراني من بعيد، لربما يؤمن بسعادتي، لا يدركون أني أبكي كل يوم.. والجرح الذي بداخلي ينزف دائماً وأبداً، أصبحت حياتي مجهولةً كلحنٍ أثيري مبعثر ..ويستمر الليل الطويل دون أن تشرق شمس الأمل...أضحت نيراني رماداً ومن بين الرماد خرجت جمرةً لتحرق ما تبقى من روحي ،.وربيعي أغار عليه الريح فتبعثرت حياتي كما تتطاير أوراق الخريف، حتى الزهور من حولي ذبلت، ماتت، تاه عبق ريحها بمستنقع الواقع ، ماتت الدقائق فابتلعتها الأيام والسنوات ،,لم أستطع نسيان الماضي ولن أستطيع، صرت وحيداً في دوامة الحياة بلا هدف، بماضٍ بشعٍ جداً لا أريد استذكاره .. وحاضرٍ يحتضر ومستقبلٍ لا مستقبل له ! كيف جرى كل ذلك !! ولما وصلت إلى هذه المحطةِ بالتحديد ..,بعدما غادرتني جمانة ذلك اليوم الذي لن أنساه حتماً لأنه بداية الموت بالنسبة لي....هربتُ إلى الحانة، المكان الأمثل لأمثالي..وأطلقت فيها طاقتي بالشرب والرقص كمعتوهٍ متمرس... أطلقت كل الألم الذي يستعمرني منها...ومن نفسي .. ومن خيانتي لزوجتي..واكملت ما ابتدأته بالحانة من لهوٍ وعبث وأنا مغيبٌ عما حولي، لتدلف معي تلك الشقراء إلى غرفتي في الفندق،,لا انكر أني بكيت كثيراً حتى وأنا برفقة تلك اللعينة، بكيت وضربتها بشكلٍ هستيري حينما تمثلت جمانة أمامي !! حتى هربت

الفتاة من الغرفة لأرتمي أنا باكياً ولأول مرةٍ لأجل امرأة.. تلك الجمانة سحقت روحي، أحرقتني بنيران خطيئتي واستمرت تلك النيران طويلاً،.ولم تنطفئ,لم أكن أعرف حينها أن إليسا سقطت على الأرض ونقلوها للمستشفى.. كنت معتكفاً لثلاثة أيامٍ قضيتها بانحرافٍ غير مسبوق، بضياعٍ وتشتتٍ وغضب، أقفلت الهاتف بعدما توالت اتصالاتهم المستميتة لهاتفي واستكملت رحلتي الماجنة انتقاماً من كل من حولي ..,وحينما رجعت كان المنزل يعبق بسكونٍ مخيف، صعدت درجات السلم لأرى تلك الجنية جمانة تعبث بخزانة اليسا وحقيبةٌ كبيرةٌ على السرير! لم أفهم ما الذي يجري حينها! بقيت أحدق بها بصمتٍ حتى تنبهت لوجودي وتطلعت في بعيونٍ كالجحيم..بل أشد وطأةً منه! رميت حقيبتي على الأرض لتغلق هي حقيبة إليسا وتخرج بها دون أن تتفوه معي بحرف، توقفت بطريقها قائلاً بعدم فهم: ما الذي يجري؟ أين الجميع ؟,رفعت بصرها تجاهي ورمقتني بنظرة ازدراء قبل أن تغادر...
ناديتها :جمانة! ما الذي يجري؟
- وهل يهمك ما الذي جرى !,-أين اليسا " سألتها بتوجسٍ وشعرت حينها بأن قلبي قد سقط بعنفٍ ليرتطم بخطاياي.، ,-إليسا بالعناية المركزة يا مراد... تدحرجت عن السلم وأجهضت الجنين.."
نطقتها بعنفٍ لترتطم كلماتها بأذني لتحرقني حروفها..وطال تحديقي بها دون أن أصدق ما جرى...كما طال الألم الذي عذبت فيه روح زوجتي .. كالألم الذي نهش روحي جراء فقدان طفلي الأول، كم كان انتقام القدر قاسياً مني، كم كان الثمن غالياً بشكلٍ سريع وقبيح، دلف آدم متسائلاً : هل انتهيتٍ ؟"
واقتطعها ما إن رآني أعلى السلم.. واقفٌ كالصنم أحدق بهما ولا أفعل شيئاً سوى التحديق كالأبله ! كالشريد....انتشل آدم الحقيبة من بين يدي جمانة وقال موجهاً حديثه لي : إن كنت تريد زياتها... فهي في مستشفى الحياة.
هيا جمانة " وانطلقا دون أن يضيف أحدهما شيئاً آخر...,وتهشمت روحي.. وتناثرت شظايا القهر كالبلور المكسور لتعيث دماراً نازفاً داخل صدري، وتعاقبت الليالي السوداء التي لم أحسب لها حساباً.. مات الذي كان يربطني

بزوجتي، مات حب زوجتي الصغيرة التي لم أصنها كما يجب...ماتت روحي كذلك منذ ذلك الحين.. ورضخت لمطلبها في الطلاق بعدما تعافت مني ومن ماضيي الأسود ولم أعد أعرف عنها شيئاً سوى أنها سافرت للإقامة في دبي عند عمها ،,وجمانة... تلك التي أذاقتني الألم بألوانٍ متعددة... اختفت من حياتي وانسابت كالماء الزلال من بين أصابعي، تزوجت كريم ..صديق الطفولة وابن العم الذي كان بمثابة أخ لم تلده أمي...
تزوجا بحفلٍ لم أحضره ، بل سافرت هرباً منهما ومن كلِ أحدٍ من أفراد أسرتي التي اعتبرتني المسئول عما جرى بشكلٍ أو بآخر"
هربتُ أنا إلى فرنسا واعتكفت فيها كسائحٍ باحثٍ عن الألم فقط..
أكثر من ست سنواتٍ عجافٍ مرت، استنذفت روحي وقلبي وعقلي... أرى كل شيءٍ مر بحياتي.. كالحلم... لا بل كالكابوس... واشتدت تلك الكوابيس عندما هاتفتني نور وأجبرتني على الانصياع لها للعودة لأنها تخرجت من كلية الطب منذ مدة وتحدد موعد زفافها ولا بد من حضور شقيقها الوحيد ! كنتُ أهرب من النار والآن رجعت إليها بل وارتميت بأحضان تلك النيران المتلظية لتعاود نهش ذاكرتي من جديد..,حين عودتي.،
ارتمت نور على ذراعي كطفلةٍ شقيةٍ لم تكبر بل ازدادت فتنةً وأما تلك الصبية ذات الاربعة عشر عاماً كانت عسل! نسخةٌ مطابقةٌ من جمانة! بلسانٍ طويل وألبسةٍ عجائبية! حملتها بين ذراعي ودرت بها كثيراً ولربما بكيت وتلك الصغيرة بين أحضاني أقبلها.. لكم اشتقت لعسل الشقية ! .. وتعلقت عيناي على أبي وأمي الذين استقبلاني بكل حبٍ واشتياق..
وهبت نيران الماضي ولفحتني مجدداً عندما دلفت جمانة وكريم وبينهما طفلٌ صغيرٌ لم يتعدى العامين من العمر! تفاجأت جمانة كحالتي لرؤيتها الآن لأنني لم أعلمهم بشكلٍ رسميٍ متى سأحضر لذلك كانت مفاجئةً للجميع ! فابتعلت تلك النار مرغماً وألقيت التحية عليهما وانحنيت لأحمل ذلك الطفل الذي يحمل رائحتها واتساع عينيها الساحرتين...,وتقرر حفل الزفاف وحضرت ذلك الحفل الذي أنساني جزءاً من همومي.. بل وتكلل بحبٍ شهدته أنا على مدار تلك

الأعوام! لربما لو كنت وفياً لزوجتي لكان طفلي الآن بعامه السادس.. لكنت مع إليسا ننعمُ بكل سكينةٍ وحب! واشتقت لها صرت أفتش عن صوري معها، تلك الصغيرة البريئة.. وحش الشوكولاه! تبسمت ومسحت دمعةً خانتني وأنا أتذكر كلما مر بيننا...حتى لحظات الحب كان غريباً معها... لذيذ ًا كقطع الشوكولاه التي تحبها! ,وكدت أن أغادر مجدداً إلى فرنسا لكن الجميع منعني عن ذلك...ولكن أكثر دقة لم أشأ أن أهرب بعدما التمست هذا الدفئ الأسري مجدداً لكن كريم، صديق طفولتي. ابن عمي الذي سلب فرحةً كنت ألاحقها سابقاً لم تعد علاقتنا كما السابق، لم يعد ذلك الجدار الذي استند عليه بأشد لحظاتي ضعفاً بل صارت علاقتنا شبه رسمية...,وارتأيت أن أبقى مع عائلتي بعدما صفيت كل أعمالي في فرنسا... وبما أن آدم صار المهندس الرئيسي بالشركة طيلة سنوات غيابي رضخت بكل رحابة صدر بأن أكون تحت ظله !

ومر عامٌ آخر لم يتغير فيه شيء... سوى بأن العمر يهرول بنا سريعاً نحو النهاية..عام اضيف لحصيلة ستة أعوام قضيتها المغيب عن ما حولي...لا أشعر بأحداث الأيام... ولا بمن حولي من أصدقاء ومعارف...

كان (جواد)ابن جمانة عند والدتي ذلك المساء حينما تركه والداه وذهبا لإحدى الزيارات..

كنت ألاعب ذلك الشقي الذي استلب مكر والدته وهمجيتها الجميلة! لكنه وبلحظةٍ وقع ليرتطم رأسه على حافة المنضدة الزجاجية لنصاب بهلعٍ أنا ووالدتي عندما انسابت الدماء من جبينه ...حملته بين ذراعي وهرولتً به لأقرب مستشفى وولجت قسم الاسعاف لتتلقفه إحدى الممرضات من بين يدي وتتوجه به نحو سرير المعاينة و ما هي إلا لحظات حتى توقف الزمان بي... توقفت عن التنفس عندما هجمت تلك العينان لتدقا ناقوس ذاكرتي... تلك اليدين اللتين تذوقت من خلالها الشوكولاه بالبندق ! دفعتني دون أن تتنبه على هويتي ومن أكون وهجمت بشعرها الأحمر المتمرد كما تمرد صدري هذه اللحظة وأعلن عصيانه...

وعاينت جرح جواد.. وعالجته بمهارةٍ فائقةٍ وحينها فقط استدارت ناحيتي

لتقول : الحمد لله لا يحتاج إلى تق....طيب..,ارتفع حاجباها حينما تطلعت بي اليسا أو عفواً، الدكتورة إليسا!.. بكى جواد لينتشلني عن شرودي بها فتلقفت الصغير بين يدي بينما اليسا تحدق بنا بصدمة جعلت صدري عاجز على النبض.

قلت بلا وعي وكأنني أدافع عن نفسي لذنبٍ اقترفته : ليس ابني "

هزت رأسها مجيبةً ببساطة : لا يهم... حمداً لله على سلامته "

سكت الصغير ونام بين ذراعي بينما كادت أن تغادر فاستوقفتها هامساً : كيف حالك ؟

هزت رأسها مجيبةً : الحمد لله ".

وبقيت كالأبله أحمل ابن جمانة واتطلع بها فهمت استغرابي وأجابت ببساطة وهي تتحاشى الندر داخل عيني المنهكتين: أكملت دراستي في دبي ودخلت كلية الطب هناك.. ورجعت منذُ فترةٍ وجيزة بعد التخرج لأتدرب "

أومأت لها وأنا أشد بقبضة يدي على الصغير : تغيرتي كثيراً

-كلنا نتغير يا مراد" ,تنحنحت مجدداً حينما خاطبتني إحدى الممراض لابتعد فسألتها مجدداً : متى... تنتهين من عملك ؟ أقولها ولا يسعني التصديق أن تلك الصغيرة أضحت طبيبةً شابة! بل ملاكٌ بزيٍ أبيض !

فأجابت باقتضاب : عندي مناوبةٌ اليوم "

فهمست لها وأنا أتطلع لأصابعها الخالية ،.

هل ..أنتظر

- افعل ما يحلو لك...

****

إلى اللقاء في الجزء الثاني...

*****

الجزء الثاني تم نشره تحت عنوان(لحن الحب) جنوني بعينيكِ انتحار 2 دمتم بحفظ الرحمن ورعايته..